اللواء الركن عبد المنعم خليل

فى قلب المعركة

إستراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل



المكتبة الأكاديمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

فى قلب المعركة

إستراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل

بقلم / اللـواء الركـن

عبد المنعم خليل

تقديم / اللـواء أركـان حرب

حسـن أحمد البدرى



الناشر

المكتبة الاكاديمية

١٩٩٥

حقوق النشر

الطبعة الأولى: حقوق التأليف والطبع والنشر © ١٩٩٥

المكتبة الأكاديمية

١٢١ ش التحرير - الدقي - القاهره

تليفون: ٣٤٨٥٢٨٢ / ٣٤٩١٨٩٠

فاكس: ٣٤٩١٨٩٠ - ٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾

صدق الله العظيم

قال رسول الله - القائد والمعلم - ﷺ

المعرفة رأس مالى — الصبر ردائـــى

العقل أصل دينى — الرضا غنيمتـى

الحب أساســـى — الفقر فخـــرى

الشوق مركبـــى — الزهد حرفـتى

ذكر الله أنيســـى — اليقين قوتـــى

الثقة كـــــنزى — الصدق شفيعى

الحزن رفيقـــى — الطاعة حسبـى

العلـم سلاحـــى — الجهاد خلقـــى

وقرة عينى فى الصلاة

صدق رسول الله ﷺ

المحتويات

الموضوع | **الصفحة**

الباب الثالث : إعداد القوى ورباط الخيل في النصف الأول من القرن العشرين

الباب الرابع : إعداد القوى ورباط الخيل ما بين ثورتى يوليو ٥٢ وسبتمبر ٦٢

الباب الخامس : إعداد القوى ورباط الخيل حتى رحيل عبد الناصر ١٩٧٠

الباب السادس : إعداد القوى ورباط الخيل بعد رحيل عبد الناصر . حتى نهاية عام الحسم ١٩٧١

الباب السابع : إعداد القوى ورباط الخيل فى عام إعداد القوى ١٩٧٢

الباب الثامن : مصر تغني « رمضان ربيع عمري »

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

يجد القارئ الكريم على الصفحات التالية طرفاً من قصة حياة ، امتدت أيامها عبر ثلاثة أرباع القرن العشرين ، بما توالى خلالها من وقائع وأحداث . . .

فنحن ننتمى إلى هذا القرن العشرين ، فى مطلـعه فتحنا أعيننا ، وعلى مر أيامه عشنا لبابة العمـر ، حتى بلغنا خريفه وقـد صارت إرهاصات القرن الحادى والعشريـن تدق علينا الأبواب .

وارتبط صبانا بمفاهيم الحركة الوطنية ، وبآمال الوحدة العربية التى عشنا سنينها الثلاث العذبة فى كهولتنا فلم يتحقق الآ النذر اليسير مما كنّا نحلم به ، ثم أحزنت شيخوختنا تلك الفواجع التى نزلت بأمة الإسلام من أفغانستان شرقا إلى الجزائر غربا ، ومن البوسنة شمالاً إلى الصومال جنوباً .

ومثلما رأينا الاستعمار وهو يبلغ ذروة بطشه ببلادنا مع مطلع القرن العشرين ، شاهدنا انحساره أمام حركات التحرّر الوطنى فى أفريقـيا وآسيا وأمريكا اللاتينيـة فـــى منتصفه ، وها نحن نرقب فى ختام القرن انطفاء شعلة الحرب الباردة بين الـكتلة الرأسمالية والمعسكر الاشتراكى اللذين كانت دعـوة الحياد الإيجـابى وعدم الانحياز تـقف بينـهما ، وهى تتـابع تداعيات الصراع الإيـديولوجـى الساخـــن بينهما ، وتأسـف لتأثيراته الضـارة فـي مصائر البشر .

ونحن نوقن وقد أصبحنا على حافة نهاية القـرن العشرين أن السمة الحقيقية لهذا القرن الذى عشناه طولاً وعـرضاً وعمقاً تتجلى بأوضـح صورها فيما تحقق فيه مـن تقدم هائل فى العلوم وقـفزات رائعة فى التقـنية ، وانهيار عجـيب فى الاخلاق ، وابتعاد ذميم عن القيم الروحية والشرائع السماوية .

وكانت معدلات هـذا التقدّم وذاك التأخّر فائقـة السرعة ، مما خلق ثورة فـى الانتقالات والاتصالات جعـلت الكرة الأرضية تنـكمش لتصبح مـجرّد قرية صغيرة لا يـفوت أحد من أهلها ما يحدث فى بيت جاره مهما بعد مكانه .

واخترقت المعلومة كل الحواجز حتى صـارت على طرف زرار يأتيك بالأخبار من أركان الدنيا الأربعة فور وقوعها ، وغزا الإنسان الفـضاء ، ونزل على سطح القمر ، والتقط صوراً للوجه الآخر للمشترى الذى يبعد عـن الأرض ملايين الأميال ، ودارت الأقمار الصناعية فى كبد الفضاء الكونـى ترقب وتسجّل وتنشر على سكان الأرض ما يسـرى فيها وما يعرج إلى السماء ، حتى فاقت الطفرة التقنية خلال القرن العشرين كل ما حققته البشرية طوال القرون السابقة أضعافًا مضاعفة .

وعندما تهاوى صرح الشـيوعية الإلحادية وقذف بترهاتها فى سلّة مـهملات التاريخ كان العمر يـقترب بنا حثيثـاً من عتبة الألف الثالـثة للميلاد التى نجـزم بأنها سوف تلج بأبـنائنا وأحفادنا باب حـلبة أحداث مختلفـة عما مر بنا فى عالـم القرن العشرين . فلـن تجد تلك الأجيال الصاعدة مكانًا لها فى القرن الحادى والعشرين ما لـم تدرك أهمية العلم والتطور ، وأن كل مالا يتطور يموت ويندثر .

ولم يعد يـكفى ملاحقة مـا ينجزه الآخرون من تقـدم وتطوّر على نحـو ما فعل جيلنا فتخلّف عن ركب الحضارة حتى صار عالة عليها ، بعد أن كنّا بناتها فى أول الزمان .

وإن كانت لجيلنا حسنة تضاف إلى صحيفته يوم الحساب ، فهى التمسك بأهداب الدين الحنيف وآدابـه ، إذ فتحنا أعيـننا على مصر وكـل نسائها محجـبات ، فصار أغلبـهن اليوم سافرات ، وكان صغيرنا يقف لكـبيرنا ، ويلقى عالمنا التوقير والاحترام ، فأصبح كل ذلك اليوم من أقاصيص السامر وفض المجالس .

وحج جدى إلى البـيت العتيق رفق قافلـة المحمل التى بدأت سيرهـا بالجمال من ذات الحاج شرق الـقاهرة فى مطلـع القرن وكل تعداد مـصر وقتها عشـرة ملايين ومرّ فى ذاهبه وإيابه بـقلعة العـجرود عند مدخـل مدينة السويـس ، ثم قلعة الجـندى فقلعـة نخل فالتمد فالكونتلا فالعقبـة فالمويلح فالوجه فينبع حتى دخل المدينة المنـوّرة . وشاهد فى كل قلعة بئر ومدفع عليه رسم سلطان مصر وشعار أنه صبّ فى مصر المحروسة ، فاستغرق ذهابه وإيابه خمسة شهور تكلّف فيها أربعة عشر جنيها ؛ ثم حج أبى فى ثلثه الأول بالسفينة التى أقلعت

به من السويس فاستغرقت حجته خمسة أسابيع ، تكلّف فيها مائة وأربعين جنيها ، وحججنا نحن فى ثلثه الأخير وقد صار تعداد مصر ستين مليوناً فاقلعت بنا الطائرة النفاثة من مطار القاهرة الدولى واستغرقت حجتنا خمسة أيام تكلفنا فيها الفاً وأربعمائه جنيه .

وعبر رحلة العمر التى عشنا حلوها ومرها ، توالت على أمتنا الحبيبة الأفراح والأتراح ، وتطورّت التقاليد والعادات ، فعندما دخلنا الكلية الحربية يوم أن اشتعلت الحرب العالمية الثانية وجدنا البيادة هى العنصر السائد فى الجيش (أى المشاة المترجلة) ، كما كانت الطوبجية (المدفعية) لازالت تستخدم البغال ، وقوات الحدود تركب الجمال (الهجانة) ، ولغة التخاطب واصدار الأوامر يغلب عليها اللفظ التركى ، فلما تقاعدنا كانت المشاة الميكانيكية والدبابات هى ملكة المعركة الخفيفة الحركة والحرب الخاطفة التى توالت جولاتها فى تتابع سريع بمسرح سيناء حيث دارت أعنف المعارك التصادمية بين المدرعات ، وتراشقت المدفعيات والصواريخ بأكثف النيران ، وانقضّت قوات الصاعقة على مؤخرات العدو بالحوّامات (الهليكوبتر) .

وعلى خلاف ما كان يسبّبه فيضان مياه نهر النيل - أحد أنهار الجنّة ، من مشاكل مزمنة استدعت مساعدة الجيش ، سوف تصبح مشكلة ندرة المياة والجفاف أهم تحديات الأجيال الصاعدة فى القرن المقبل . وكما عاش جيلنا عصر الفحم والنفط ، فسوف يعيش من بعدنا عصر الذرّة وتوليد الطاقة من الشمس والرياح والأمواج .

ولقد ولدنا وأمهاتنا يقرن فى بيوتهن ، ونرى النساء اليوم وقد خرجن للكدح فى كل ميادين العمل ، حتى أصبح منهن الضابط والجندى .

وصك سمعنا فى عام ١٩٣٤ صوت أول إذاعة من راديو القاهرة ، وشاهدنا أول إرسال للتلفاز على ١٩٦١ ، ثم انغمسنا للأذقان فى ثورة الميديا (الإذاعة والصحافة والتلفاز) وما يبثّه الدش من برامج ذات تأثير بالغ على أخلاق الشعوب وآدابها وأعرافها فيما يطلق عليه اسم « الغزو الفكرى ».

واندمجت رؤوس الأموال فى المشروعات متعددة الجنسية والمؤسسات والشركات القابضة العملاقة ، كما انتشرت الأسواق المشتركة فى الأقاليم والقارات ، وانطلقت اهتمامات العالم من الحيزّ الوطنى المحدود إلى الساحة الكونية الفسيحة بما يرجّح أن يرى القرن المقبل الحكومة العالمية بأى من صورها المطلقة أو المبتسرة .

وتذكرنا أيام الطفولة والصبا بشدّة الروابط العائلية وحقوق الجار التى انفكت عقدتها اليوم ، وبرباط الدين الذى كان يحكم جميع التصرّفات والمعاملات والعلاقات ، وبمشاعر الوطنية الجارفة وحب مصر التى كنا نتغنّى بأمجادها صبحاً ومساءً ، ونفخر بدورها فى ركب الحضارة منذ فجر التاريخ ، وأنها صانعة التاريخ .

وكم كانت حياتنا العسكرية حافلة بقدر ما تحمله الكلمة من معانٍ ، فقد بدأت بالحرب العالمية الثانية ، ثم بفظائع الاحتلال البريطانى بمنطقة القناة ، فحريق القاهرة ، فالإضرابات والمظاهرات ، فحرب فلسطين ، فالثورة ، فالعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، فالوحدة مع سوريا ، فالانفصال ، فثورة اليمن ، فقارعة صيف ١٩٦٧ ، فنصر رمضان المجيد الذى كان مسك الختام ،

ومما أعجب له أننى وقد زاملت اللواء أركان الحرب عبد المنعم محمد خليل قرابة نصف القرن فى السلاح . . فإن طريقنا لم يلتق إلاّ فى نهايته ، عندما جمعتنا لجنة تسجيل التاريخ العسكرى لحرب رمضان المجيد ؛ فتوثّقت بيننا أواصر الصداقة والمحبة الخالصة لوجه الله . وكم كان أملنا أن تحدث مبكرًا عن ذلك حتى تعيننا على تجاوز ما صادفناه من مشاق وأتراح ، وتضاعف ما حظينا به من نجاح وأفراح فى قلب المعركة التى خضناها معًا على امتداد نصف قرن امتلأ بأخطر ما مرّ بمصرنا العزيزة من أحداث جسام على نحو ما يجده القارئ الكريم فى هذا الكتاب الشيقّ ، الذى أتحفنا به هذا الضابط العظيم والقائد الهمام ، اللواء أركان الحرب عبد المنعم محمد خليل ، وضمنّه جانبًا من حياته الحافلة ، وخبرته الواسعة ، وإيمانه الصادق ،

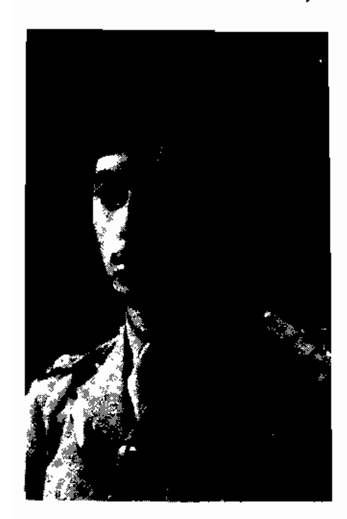
اللواء أركان الحرب

حسن أحمد البدرى

فى قلب المعركة

(وليال عشر)

«بسم الله الرحمن الرحيم»



مقاتل تحت مظلة الإيمان

فى كنف الله

عشرة أيام للعودة من سيناء (أبو عجيله)

من ٣١/ ١٠/ ٥٦ إلى ١٠/ ١١/ ١٩٥٦

بقلم المقاتل محمود عبد الحميد الثلث

مقدمة :

لما انتهت معركة الصبحة فى صيف عام ١٩٥٥ ، بحث المسؤولون عن ضباط المشاة المنتدبين خارج السلاح لتدعيم الكتائب فى سيناء فالتقطوا خمسين ضابطا كنت أنا أحدهم مأمور عتاقة إلى الكتيبة ١٨ مشاة فى أبو عجيلة .

تدربنا فى هذه الكتيبة على العمليات الحربية الهجومية التى كان متوقعا أن نقوم بها على اليهود ، حتى انتقلنا إلى مواقع « أم كتاف » وأصبحنا فى موقف الدفاع مع بعض الواجبات الهجومية الأخرى كالهجوم على الموقع اليهودى ببئر الملاقى .

جرت عدة تحسينات كبيرة وكثيرة في الموقع الدفاعى الذى كان يعتبر أقوى موقع فى منطقة سيناء الوسطى ، وكان يعتمد عليه فى صد الهجوم الرئيسى صوب العريش أو الإسماعيلية .

كان هذا الموقع مشرفا على طريق القسيمة أبو عجيلة ، وطريق العوجة أبو عجيلة . ورغم أن هناك طرقا أخرى طبيعية على يمين هذا الموقع ويساره ، ووديانا كثيرة كان من الممكن لليهود أن يعبروها دون أن يخترقوا مواقع ، إلا أنه من المدهش حقا أن تنطح القوات اليهودية صخرة مواقع أم كتاف العاتية لتبوء بالفشل أكثر من مرة .

لا أدرى لماذا لم تطوّق القوات اليهودية هذا الموقع ببعض القوات المدرعة وتتخذ سبيلها مع باقى القوات اليهودية إلى قلب الاسماعيلية دون أن تؤخِّر قوات الحلفاء الأنجلو فرنسيين يوما أو اثنين حسب الخطة المشتركة الموضوعة ليتلاقى الجميع فى الإسماعيلية وبور سعيد والسويس .

لكن يظهر أن قيادة حلفاء إسرائيل كانت قد قدرت القوات الإسرائيلية بمستوى أعلى من الواقع وقدرت القوات المصرية على الحدود بمستوى أقل منها مما أخل بالجدول الزمنى لعمليات الهجوم ، وبالتالى فشل المعركة جميعها إذ لو كان موقع أم كتاف قد انهار من أول هجوم فى ٢٩ اكتوبر لكانت القوات المصرية فى سيناء وغزة فى موقف لا يحسد عليه واصبحت فالوجا أخرى كبيرة فى سيناء ولما أتاحت لباقى القوات فى العريش ورفح وقطاع غزة أن تنسحب غرب قناة السويس بنجاح . .

ولقد أثبتت معركة أم كتاف مقدرة الجيش المصرى من الناحية الفنية فقد كان التعاون محكما بين الأسلحة المختلفة ومن الناحية المعنوية فرغم الغارات ونيران المدفعية الكاسحة للعدو فإن القوات ظلت صامدة مدافعة وفى حماسة شديدة لملاقاة العدو . أما من الناحية الإدارية فقد حافظت القوات على المياه والتموين مدة أربعة أيام علاوة على المواد التموينية والأسلحة والذخيرة التى سحبت من عربات العدو المعطلة أمام الموقع نتيجة هزيمته وذلك رغم مفاجأة العدو للقوات بهجومه الخاطف . .

ولقد أثبتت المعركة أن الجيش المصرى هو جيش ضبآط فعلا . فعلى مستوى كفاءة الضابط وروحه المعنوية وشجاعته سيكون مستوى جنوده ، ذلك لأن صفاته تنطبع انطباعا تاما على وحدته . لذلك نجد أن قوات أبو عجيلة كانت ذات حظ وفير من الضباط الشجعان الذين دمروا أعصاب القيادة اليهودية ووحداتها وافقدوها وعى القتال والحرب الصحيحة فكانت حرب انتقام وغيظ وحنق شديد فأحالوا سماء الموقع إلى نيران الصواريخ والمواد الحارقة وقنابل الايات المدفعية المجمعة خاصة على مركز رئاسة الموقع الذى كان عبارة عن ملجأ سقفه من الصاج العادى وغير مكسى بأى شئ آخر .

ولقد دارت المعركة فى أم كتاف بشدّة وقسوة لم ينقطع صوت طلقات المدافع الرشاشة فى أى وقت خصوصا فى الليل . وقد كنا فى ملجأ الرئاسة نسمع الدفعات الطويلة من جميع الجهات ، وكنا نظن أنها لصد هجوم أو لاكتشاف داوريات يهودية ولكنها كانت

تصدر من المواقع نتيجة يقظة الجنود التامة وإحساسهم المرهف . فقد كان اليهود يتبعون سياسة الحركات الخداعية ليلاً بدرجة كبيرة ، ويحركون عرباتهم على الطرق الأسفلت ويضيئون انوارها على بعد كبير ثم يطفئونها ثم تضاء مرة أخرى وكانت محركات العربات تظل دائرة طول الليل على الطرق الثلاثة أعنى طريق القسيمة ، وطريق العوجة ، والطريق الخلفى من أبو عجيلة التى كانوا يسيطرون عليها كلها .

ولقد ظللنا ليلة كاملة ساهرين لمواجهة هجوم مدرع منتظر من الخلف من جهة أبو عجيلة لأننا رأينا أنوار هذا الرتل المدّرع من بعيد يتحرك تجاهنا وأصوات الدبابات تصك آذاننا فى هدأة الليل . وبعض طلقات الرشاشات تصدر من مواقعنا نقول ظللنا ليلة كاملة على أهبة الاستعداد لملاقاة هذا الهجوم الذى طال انتظارنا له إلى أن طلعت الشمس ولم يتم .

ولا أدرى حتى اليوم . . . لماذا لم تهجم القوات المدرعة اليهودية علينا من الخلف بعد أن سيطرت على الطرق الخلفية المؤدية للعريش والاسماعيلية وانتهت معركة تقاطع أبو عجيلة لصالحها فلقد كانت فرصة ذهبية لهم أن يطبقوا علينا من الأمام ومن الخلف فى خطة واحدة ووقت واحد . . لكن لماذا لم تقم القوات اليهودية بذلك ؟ سؤال يظل بلا جواب .

ولقد كانت القوات اليهودية فى أثناء المراحل المختلفة للمعركة مكشوفة لنا فكنا نعلم تحركاتها وعناصرها من نقطة الستارة المصرية التى كانت تبعد عن الموقع الاصلى من ٤ إلى ٦ كيلو مترات ، وكان الاتصال تامًا فى المراحل الأولى للمعركة وكانت تحضيرات اليهود للهجوم مضروبة بمدفعيتنا مثلما كانت تجمعاتهم مضروبة أيضا ثم كانت الأرض امام المواقع على سعتها مغمورة بنيران المدفعية والهاونات والأسلحة المضادة والرشاشات المتوسطة التى كانت تزيد على عشرين مدفعا علاوة على الرشاشات الخفيفة والبنادق والأسلحة الأخرى .

وكانت وسائل الاتصال بنقط الملاحظة وبفصائل المواقع تامة وجيدة حتى أثناء المعركة ، كان الاتصال مع المواقع الأمامية تامًا للاسلكى وبالتليفون حيث كانت عربة الاصلاح تمر بين المواقع على الخطوط لإصلاحها أولاً بأول ، ولم تصب هذه الخطوط بطلقات المدفعية لحسن الحظ إلا نادرا وفى السرية الأولى .

وفى لحظة من اللحظات ، كنا قد قررنا أن نرسل ضابطًا بداورية لتدمير قوات العدو على طريق العوجة ليلا قبل هجومها فقد كنا نسمع أصواتها وحركاتها التى أخطرتنا بها نقطة الستارة ، ولكنا فضلنا بقاءه بالموقع لأهميته ، وخصوصا بعد أن فقدنا بعض الضباط

المستشهدين فى أوائل المعركة ، ولتيقننا بأن عربات العدو ستدمر آجلا إذا ما هجمت علينا .

وهجم العدو أكثر من مرة حتى شن هجومه الرئيسى فى ليلة ٣١ أكتوبر الساعة الرابعة فجراً وقد بدأ تحركاته هذه المرّة أمام المواقع على غير عادته إذ كان دائما ما يلتف حول المواقع ليهاجمنا من الخلف . فلماذا غير اليهود تكتيكهم وهجموا بالمواجهة ؟ سؤال يحتاج أيضا إلى جواب . .

بدأ اليهود يلقون القنابل المضيئة لإنارة مواقعنا ، واشتدت تجمعات المدفعية بدرجة مركزة على المواقع فشعرنا أنه لابد وأن يكون هو الهجوم النهائى . ورأينا قنابل مواقعنا المضيئة تنطلق فى ظلام الليل من جميع المواقع ، وانطلقت أيضا إشارات النجدة لنيران المدفعية وأخطرتنا جميع المواقع الأمامية برؤية العدو وأرتاله المدرعة منتشرة أمام المواجهة بأكملها . وانطلقت نيران مدفعيتنا لتسكت مدفعيتهم ثم غمرت العدو المهاجم أمام أسلاك مواقعنا . وفتحت جميع الأسلحة نيرانها على اليهود وانطلقت المدافع المضادة للدبابات على عربات العدو التى اشتعلت نيرانها وانطلقت قاذفات اللهب واقتحمت بعض العربات النصف جنزير الاسلاك الشائكة ودخلت بعض المواقع واشتد وطيس القتال وقاوم الجنود ببسالة وحدثت المعجزات من بعضهم وارتدت العربات التى اقتحمت السلك إلى الخلف وخرجت من المواقع ثم دمرتها مدفعيتنا المضادة وأصبح الموقع الأمامى كتلة من النار والنور ذهل فيها اليهود وتشتت جنودهم كل فرد يجرى إلى الخلف طالبًا النجاة وفقدت القيادة اليهودية سيطرتها على المعركة وبدأ نور النهار يبزغ وتحركت عرباتنا المدرعة من خلف موقعنا حاملة جميع الجنود الممكن حملهم فيها من احتياط وعساكر المراسلات والأمناء والمخزنجية وغيرهم . وتحركت بسرعة إلى المواقع الأمامية للقيام بهجوم مضاد على نقطة فى الموقع كان فيها بعض الجنود اليهود وما إن وصلت هذه العربات إلى النقطة الأمامية حتى كانت مدفعيتنا قد أصلت اليهود فى هذه النقطة نيرانها الحامية فلاذ الجنود اليهود بالفرار وتركوا جثث قتلاهم فى المواقع المصرية على غير عادتهم فلم يكن لديهم الوقت لأنقاذ غيرهم أو سحب جثثهم .

ظلت اسلحتنا تطارد فلول العربات والجنود المبعثرين فى الميدان العائدين إلى مواقعهم منكسى رؤوس الخزى والعار والهزيمة ، طأطأوا رؤوسهم والحقد والكراهية تملأ قلوبهم ثم رأينا أشتات اليهود مجمعين فى أرتال راجعين إلى مواقعهم على بعد أكثر من ستة كيلو

مترات على طريق العوجة وعلى مكسر الفناجيل يسار الموقع إذ لم يكن حظ القوات التى كانت تهاجم يسار الموقع بأحسن من غيرها .

انجلت هذه المعركة القاسية الساعة التاسعة صباحاً وقتلى اليهود مبعثرون فى الميدان بين الأسلاك وأمام المواقع المصرية وعرباتهم محترقة مشتعلة أمام المواقع . وألقى القبض على اثنين من الأسرى أحدهم جريح والآخر سليم كان مختبئا فى عربته ولقد كانت نتيجة هذه المعركة رهيبة بالنسبة لليهود الذين اعترفوا بأنهم خسروا مائة قتيل أو يزيد فى هذه المعركة علاوة على الجرحى والمفقودين وعشرات المعدات الأخرى ، وما نال قلوبهم من الشعور بمرارة الهزيمة فى معركة حربية نظيفة لم تتكافأ فيها القوتان إطلاقا أودت بما حققوه من انتصارات زائفة قبل ذلك حيث لم يكن ليقابلوا قوات مصرية فيها أبدا كما لمسوا فيها تداعى آمالهم العريضة التى يحلمون بها على ضفاف النيل بوسائل الغدر والخداع ، فقد قابلوا جيشا مصريا كفء ردهم على أدبارهم وسوف يردهم كذلك أبد الآبدين إن شاء الله . كما سقطت دعايتهم أمام العالم وحلفائهم على الأخص بضعف الجيش المصرى وسهولة القضاء عليه وباءوا بالخزى مع الفشل فى تنفيذ الخطة المشتركة فى الوقت المطلوب .

ومما يثير الدهشة أن موقع أم كتاف كان عرضة لاستكشاف العدو الجوى ودورياته الأرضية وجواسيسه المختلفة سبع سنوات كاملة كان المفروض بعد ذلك أن تكون لدى اليهود خريطة مفصلة كاملة عن جميع مواقع الأسلحة المختلفة فيه ، لكن الذى حصل هو أن قوات اليهود المدرعة فوجئت بنيران المدفعية المضادة للدبابات مما أدى إلى انهيار موجة الاقتحام الرئيسية وانكسار خط الهجوم الأساسى بشكل شتّت الجنود من فوق العربات إلى الخلف طلبا للنجاة والنجدة فلقد تعطلت جميع العربات عدا اثنتين اقتحمتا الموقع وانسحبتا فورًا واشتعلتا بمن فيهما ، وهرب بقية الجنود . ولقد وجدنا بعض هذه العربات دائرة والبعض الاخر واقف لم تصبه طلقة ولكن هجرها أصحابها ولم يتابعوا التقدم .

ولقد تعجبت لانتشار عربات اليهود على مواجهة الموقع فى رتل منضم ، وبجوار بعضها البعض دون مراعاة للانتشار .

ولم تشترك مدفعية العدو أثناء الاقتحام بضرب المواقع الخلفية كالمفروض حتى تمنع الإمدادات الخلفيَّة فقد أوقفت المدفعية الضرب نهائيا قبل الاقتحام بوقت كبير . كما لم يشترك الطيران الإسرائيلى فى معاونة القوات المهاجمة عند أول ضوء .

وإنى أعتقد أن المشاة لم يكن لها أثر فى المعركة فقد ظلت قاذفات اللهب الفردية تطلق نيرانهـا على بعض المواقـع وقام بعض الجنود وكانـوا قلة بالهجـوم على المواقع ولكـنهم لم يستمروا فوق الموقع دقائق معدودة حتى قتلوا أو ارتدوا اللهم إلا فى موقع السرية الثالثة الذى تمكن بـعض اليهود من احـتلال موقع فصـيلة منه ولكـنهم لم يسـتمروا على الموقـع حيث أصلتهم مدفعيتـنا بنيرانها ولحقـتهم عرباتنا المدرعة تحـمل جنود الهجوم المضـاد فلاذ اليهود بالفرار وأصبح ميدان المعركة خاليا إلا من مصفحاتهم المشتعلة وجثث قتلاهم المبعثرة .

وأعدنا تنظيم انفسنـا ، وجردنا الذخيرة الباقية فوجدناها قليلة فقد نفذت ذخيرة الهاون والرشاشات المتوسطة وبعض القنابل الأخرى بينما توفرت قنابل المدفعية .

وجردنا التموين الذى لم يبـق منه إلا القلـيل وكذا بعض الميـاه القليلة المخـزونة فى فناطيس بمنطقة الشئون الإدارية .

ثم حصرنا أعداد الشهداء والجرحـى فكانوا قلة بالنسبة لهذا الهجوم الضخم .

ولم نكد نبدأ فى تنظيم مواقعنا من جديد وإعادة إمدادها حتى ظهرت الطائرات الميستير فى الجو بالأسراب . . وكانت الساعة ١٢ ظهرًا عندما راحت تضرب مواقعنا وتحرق العربات اليهودية التى لم تشتعل قبلاً بـالصواريخ وغيرها ، وذلك فى نفس الوقت الذى كنا نحاول فيه سحب هذه العربات التى كانت بها أسلحة وذخيرة ومواد تموينية ومياه وغيرها .

ولم تتركنـا الطائرات الميستير ننفذ ما أردنا فـقد كان الهجـوم شديدا جدا عـلاوة على ضرب مدفعية العدو المتوسطة لمواقعنا .

وفى هـذه الاثناء حضـر العقيـد مصطفـى الجمل قـائد آلاى المدفعـية وقرر إنه أصـبح مكشوفًا فى منطقته الخلفية وإن الرتل المدرع اليهودى فى تقاطع أبو عجيله سيصله حتما بعد قليل ويدمره نهـائيا ، واقترح أن يدخل بمدافعه فى قلب الموقع حيـث يجد الأمن ويستطيع الدفاع عن نفسه .

ولم يكن أمامـنا إلا الموافقة رغم ضيق الموقع لاسـتيعاب آلاى مدفعية بالـكامل خاصة وأنه لم يكن قد نظّم الموقع من قبل على هذا الأساس . ولكـن جاء الآلاى بعرباته الكبيرة الكثيرة ومدافعه وتسبـب فى ازدحام الموقع الخلـفى بالقرب مـن مركز الرئاسة . وتـكدست عرباته المحملة بالذخـيرة ومدافعه فى رقعة ضيقة جدا ، مما لفـت نظر اليهود فـأمطروا هذه المنطقة بقنابل الطائرات والمدفعية حتى اشتـعلت معظم عربات الذخيرة وتعطّل بعض المدافع

وأصبح مركز الرئاسة فى وسط جحيم من النيران إذ راحت القنابل تتساقط بكثرة على بعد أمتار حول مركز الرئاسة .

ظللنا على هذا الحال حتى الساعة الواحدة والنصف ظهرا حتى وصلنا قائد اللواء الأميرالاى سعد الدين متولى وأراد الاجتماع بقواد الكتائب وقواد ثوانى وباقى القواد وحضرنا الاجتماع وقرر قائد اللواء انه لم ير بسالة ولا شجاعة مثل ما رأى من هذه القوات وإنه لفخور بتولية رئاسة هذا اللواء ثم قرر أنه خيِّر بين البقاء والانسحاب المنظّم على الأقدام حيث أتم العدو حصارنا من جميع الجهات فتقرر الانسحاب . وانقسمت القوات إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة لها قائد وضباط ونشرت الخرائط ورصدت الزوايا وتقرر السير فى أول مرحلة أربعين كيلو مترًا حتى بئر لحفن ، وتحدّدت ساعة البدء لأول مجموعة السادسة والنصف مساء .

الانسحاب

جمعنا قواد السريا وأخطرناهم بقرار الانسحاب فحزن الكثير واستمعنا للراديو فعلمنا الموقف العام وكان الانسحاب هو الفرصة الوحيدة للنجاة والإفلات من الموت أو الاستسلام حيث إن الذخيرة أمست لا تفى معركة أخرى خصوصا وأن القواعد الخلفية للقوات فى سيناء كانت قد سحبت ولا يمكن البقاء فى المواقع دون تموين أو ذخيرة .

كان قرار الانسحاب أخطر قرار صدر فى هذه الظرف التى جعلته حتمًا ، وكان مجازفة جريئة للأفراد واختباراً قاسيًا لقوة تحملهم وصبرهم على الجوع والعطش والإرهاق للسير مسافة أربعين كيلو مترًا خلال التباب الرملية الناعمة العالية البيضاء المسماة بمكسر الفناجيل وكان عليهم أن يقطعوا الوديان الكثيرة التى تجوسها داوريات اليهود وتقف على مخارجها قواتهم الميكانيكية .

أقول الحق أنه لم يدر بذهن أحد تلك الأهوال التى صادفناها فى الطريق ، كما لم يدر بخلد أى فرد طول المسافة مع قلَّة الماء والطعام وسائر المتاعب والمشاق .

ولكن عزيمة الأفراد كانت من حديد وتصميمهم جبارًا لا يقف دونه حائل .

وصدرت الأوامر بأن لا يذاع أمر الانسحاب إلا بعد أخر ضوء . ولأول مجموعة فقط ، وأنه يجب تدمير جميع العربات والمعدات الثقيلة أو حرقها قبل الانسحاب على أن يحمل الافراد أسلحتهم الشخصية وذخيرتها لاستخدامها عند اللزوم ، وأنه يجب على الأفراد كذلك حمل ما خف حمله من التعيينات والمهمات مع حرق جميع الأوراق والمستندات المهمة قبل الرحيل .

وتقرر أن تبقى مجموعتان فى مواقعهما لستر انسحاب المجموعة الأولى وهكذا . ولكن سرعان ما ذاع خبر الانسحاب وكنا قد قاربنا الرابعة عصرًا وبدأت الجنود تتجمع استعدادًا للأنسحاب ، ونشط الأفراد فى تكسير وتخريب العربات وحرق المهمات فزادت الحرائق بالموقع خاصة فى منطقة المدفعية .

لذلك بذلنا جهدًا كبيرًا لوضع الأمور فى نصابها حرصا على بقاء الخطة صالحة للتنفيذ وحتى لانكشف عزمنا على الانسحاب .

ولقد ساعدتنا الأقدار فى إخفاء استعدادنـا للانسحاب فلقد تسبب قصف طائرات العدو ومدافعه لمواقعنا فى اشتعال النيـران فى عدة عربات للـذخيرة ومنهـا ذخيرة المدفعية فكانت تنطلق تلقائيا أثناء الاسـتعداد للانسحاب وأثناء الانسحاب الفعلى مما خدع القوات الـيهودية بأن الموقع حى بأفراده ويـطلق النيران ، إذ ظل صوت الطلقات المشتعلة يستر انسحابنا حتى ثانى يوم ، فلما قامت قواتنا بإشعال النار فى معداتنا لم يكن ذلك ليكشف عملية الاستعداد للانسحـاب ، وأغلب الظن أن اليهـود كانوا مغتبـطين لزيادة الحرائق فى المـوقع ، ولم يدر بخلدهم أنها عملية تدمير لعتادنا تمهيدًا للانسحاب . ولقد طارت فوق المواقع الساعة الخامسة مساءً طائرة استكشاف وطائرات ميستـير أخرى لا أدرى لماذا لم تلاحظ عمليات تجمّع الأفراد وعمليات التدمير التى كانت دائرة على قدم وساق .

أغلب ظنى أن الـيهود لم يشعروا أننا نستعـد للانسحاب ، أو أنه يمكننا أن نـنسحب خصوصـا وهم محيطون بـنا من جميـع الجهات ، علاوة على أن أقل مسافة يتـعيَّن علـى الوحدات أن تسيرها لأقرب موقع مصرى هى أربعين كيلو مترًا ، أعنى موقع بئر لحفن .

والواقع أنهم لم يعلموا أن القوات فى أم كتاف انسحبت يوم ١/ ١٠/١٩٥٦ لأن الموقع ظل يضرب طلقاته الصغيرة والكبيرة نتيجة احتراق صناديق الذخيرة كما قلت طوال هذا اليوم واليوم التالى .

ولذلك أيضا لم يـدخلوا الموقع فى عصر اليوم الـتالى ٢ نوفمبر ، إلا بخطة تـكتيكية كاملة على اعتبار أن المواقع مازالت حية أو نتيجة لخشيتهم وخوفهم من العمليات الفاشلة .

أو ليقـال . . إن الموقع هوجم ثـم هزم ليصـنعوا من احتـلال موقع خالٍ مـن القوات أسطورة يترنمون بها فيما بعد .

الخطو نحو المجهول

كنت فى مجمـوعة الانسحاب الثانية بما يعنى أن تكون المجمـوعة جاهزة عند الـبوابة الخلفية لـلموقع الساعة السابـعة إلا الربـع مساءً وسرنـا على الطريق الأسفلت بـضعة أمتار تاركين الحرائق متأججة فى العربات ، وأصوات الذخيرة المشتعلة تدوى فى الفضاء . وعندما أرخى الليل سدوله ونحن نمر بجوار بعـض هذه الحرائق رأينا أشباح الأفراد الذين سـبقونا بجوار هذه النيران المشتعلة واضحة كأنهم على شاشة حمراء .

كانت أعصابنا متيقظة لكل شئ ومنتبهة لأية حركة ، وشملنا إحساس بضرورة الابتعاد عن نظر ونيران العدو بشكل كبير جدًا حتى إننا كنا نمر خلال الوديان فنرى الأنوار الكاشفة لدبابات العدو تغمر هذه الوديان بالأنوار فكلـما وقع الشعاع تجاهنا نرقد صامتين حتى يبتعد الشعاع فنواصل السير .

كنا نود فى هذه الليلة أن ننهب الأرض نهباً حتى لا يبزغ علينا فجر اليوم التالى إلا وقد بعدنا بالمسافة الكافية التى تضمن لنا الأمان .

لقد كان سيرًا مرهقًا جدًا والوقفات قصيرة للغاية . وتقدم الرتل أربعة من خيرة الضباط هم البكباشى اسماعيل صبرى والملازم مصطفى عبد الكافى والبكباشى طلعت عابدين وأنا ، ثم مجمـوعة من ضباط الصف مـنهم الباشجاويش حـسن مطر والأمباشى سـائق عطش ، كحملـة القماقم للمحافظـة على اتجاه السير ، وغيرهـم يعد الخطوات حتى نعلـم كم سرنا بالكيلومترات ، وهى مهمة شاقة ودقيقة .

كان خط السير يضطرنا أن نقطع الوديان عموديا بأجنابها الشاهقة وعلى حواف رمالها الناعمة فكنا نتـساند على بعض ونشد بعضنا عند قمـة هذه المرتفعات . وما يكاد الواحد منا يصل إلى القمة حتى يرتمى على الأرض من شدة الـتعب وانقطاع النفس بل إن قلب الإنسان يكاد يتمزق فقد كان الجهد شديدا على القلب وعلى جميع أجزاء الجسم .

وقد زاد من عناء هذا السير انعدام المياه فى الطريق فلا آبار ولاخيام للعرب يمكن العروج عليها ، ولقد حدث لـى شخصيا قبل الانسحاب وأنا فى الموقع أن مـلأت الزمزمية وكذلك

علبة كانت فيها أحذية ملأتها (بالـكيك) وكذلك البالطو ،وأعطيت هذه الأشـياء جميعًا للمراسلة وأمرته بالتحـفّظ عليها لعلّها تنفعنا أثناء الـسير . فكمـا سرنا كنت أنـادى على المراسلة فكان يحـضر ومعه هذه الأصناف وكما كنت أتمم على هذه الاشيـاء فى كل وقفة ، كنت كذلك أتمم على الدكتور يوسف عطا الله حيث كان متعباً للغاية فهو طبيب الوحدة ذو الستين خدمة ولم يتعوّد على مثل هذه الأمور أو سار طيلة حياته مثل هذا السير الشاق الذى أنهكه ، وكان معه أمبـاشى يحمل حقن استركنـين وكورامين فلما شعر بوطـأة التعب أخذ حقنة كورامين وأخذت أنـا أيضًا حقنة استركنين وذلك أثناء وقفة مـن وقفات السير . وفى هذه المرّة طلبت المراسلة وسـالته عن المياه فقال إن الزمزمية وقعت منه أثـناء السير . فسألته عن (الكيـك) فقال أن العساكـر أكلوه فكانت مـفاجأة مزعجة إذ إننا مازلنا فـى منتصف الطريق ، إن لم نكن فى أوله والله أعلم .

وبدأت الذاتية تدب فى نـفوس البعض الذى أهمّته نفسه حتى ولو سـقط الباقون أثناء السيـر من الجوع أو العطـش أو الإنهاك . ولا تعـجب من هذه التـصرفات إذا تذكرت أن الطريق وعر وطـويل وكل فرد يهمه أن ينهـب المسافات ليصل مبـكرًا إلى بئر لحفن حيث المحطة الأولى . وراح الأفراد يتساقطون فى الطريق من المجموعات الثلاث ، وكنا نمر عليهم فنجدهـم نائمين من شدة التعـب . . وكان النائم يصحـو فلايجد أحدًا حوله فـيهرع ليلحق بزملائه على خط سير القـوات المنسحبة . . مسترشدًا بآثارهم على الرمال الـواضحة جدًا ، وكان القمر ساطعًا مما سهّل مهمة قص الأثر .

ولقد تناولت حقنتين من الاستركنين والكورامين اثناء الطريق لشدّة تعبى ، خاصة وقد حرمنى المراسلة من الزاد الذى كنت معتمدا عليه ، كما حرمنى من الماء الذى ينعش الروح الميتة والحلق الجاف الملتهب ، وظللت أسير دون مياه حتى تقابلت مع الإخوان على بئر مياه فى لحفن فى منتصف الليلة التالية بعد أن كادت تزهق أنفاسى من شدة العطش .

نعود إلـى السير مـرة أخرى ، فسرنا حتى بـزغ الفجر علينـا ونحن قـرب بئر لحفن تقريبا ، أى قطعـنا ما يقرب من خمسة وثلاثين كيلـو مترًا فى ست ساعات هبوطًا وصعودًا على مرتفعات وكثبان رملية ناعمة .

ونقصت المجموعات الأصـلية وأصبحت أقل عددًا إذ لم يعد فـيها غير القادرين سويًا على متابعة السير ففقدنا أصدقاءً كثيرين وإخوانًا أعزاء . وعند طلوع الشمس رأينا الطائرات

تحوم فوق رؤوسنا فكنا نـلجأ للاختفاء فى الأعشاب المنتشرة بـالوديان وغيرها . وظلّت هذه الطائرات تروح وتغدو فى السماء من رفح إلى العريش وبالعكس تدك بالقنابل كلتا البلدتين وكنا نسمع دك القنابل . ظلّت هذه العملية طوال النهار وابتدأت الشمس تحمر ونشعر بحرارة الجو فكان لابد لنا من خلع النعال لسهولة السير وتخفيف الثقل علينا فى هذه المرحلة تفرّقت الجنود إلى وجهتين : فذهبت إحداهما فى اتجاه الطريق الأسفلت المؤدى إلى العريش عند نقطـة البوليس الحـربى ، بينـما راحت الأخرى تلـف حوف مواقع بئـر لحفن ثم الـطريق الأسفلت بعدها وقد ذهبت أنا فى الطريق الثانـى ، وأغلب ظنى أن الذين اختصروا الطريق وساروا فى الطريق الأول كان نصيبهم الأسر أو القتل حيث إن الطريق كان مفتوحا لعربات اليهود من تقاطع « ابو عجيلة » إلى بئر لحفن .

سرت فى الطريق الآخر وهو طريق طويل عـن اختيار ، واتبعت وادى العريش المخيف الملتوى الجاف ولكنه كان مستورًا . وقابلنا الزميل زكريا خليل الذى اتفق مع زميل آخر على استئجار جمل لى وله . وانـتظرت طويلاً حتى الظـهر ولكنه لم يحضـر فسرت وحدى . . سرت وحـدى فى هذه المرحـلة وأثخـنت نفسـى بالـسيـر فى وادى العـريش ، وكنا نـحن المنسحبين نتقابل ونفترق وهكذا حتى حل بى العطش إلى الدرجة القصوى وعضنى الجوع ، ولم تنفعنا أى شجرة قابلناها فى الطريق حتى شجـر التين فقد كان يلوح لنا أن حوله بعض الماء أو الأكواخ ولكنا كنا لا نجد إنسانا حولهـا . . فحاولنا أكل الورق الأخضر الصغير من هذه الأشجار ولكنه كان جافا حادًا كالشوك فى حلوقنا الجافة أيضا منذ يومين . رأينا بعض حبات التـين الصغيرة فقلنـا نتبلّع بها ، وقـــد كان مذاقها مرًا لاذعًا إلاّ أنهـا ملأت فراغ بطوننا - واشتدت الـشمس علينا وأصلانا الظهر بقيظه رغم أننا كـنا فى نوفمبـر فأخذ منّا العناء والإنهاك كـل مأخذ ، حتى إن الإنسان كان يسيـر عشرة امتار فيجد نفســه مرهقا غير قادر على السير فيرتمى تحت أى عود من الشـجر فى هذا الوادى حتى إذ ما استرد أنفاسه قام ليخطو عشر خطوات أخرى قبل أن يتعب ويرتمى على الأرض . . وهكذا .

ولذلك فإن هذا الـوادى قد امتلأ بملابس الجنود المتـعبين من حملها ، وكـذلك بعض المهمات الأخرى الثمينة . . متكسرة أو مخلوعة أجزاءها أو غير ذلك .

كان المهم أن نقطع المسافات حتـى نصل إلى بئر المياه فى لحفن ، ولحقنى أحد الزملاء فى منتـصف الطريق وكانت معـه بوصلة فمشيـنا معًا حتـى إذا جـــن الليل نشطنـا بفضل

البرودة . ورصدنا الطريق الأسفلت حيث رأينا بعض العربات تمر عليه من بعيد . وسرنا على الزاوية بالبوصلة ولكن المسافة كانت أطول مما نظن فاضطررنا إلى التقدم بعض الوقت وقمنا بنشاط حتى وصلنا إلى الطريق الأسفلت ، وكانت الساعة حوالى منتصف الليل .

فى الواقع فوجئنا بالأسفلت ونحن عنده ، وكنا نعتقد أنه مازال بعيدًا ، وقد نفعتنا هذه البوصلة كثيرا حيث أراحتنا من الاعوجاج فى السير .

وعندما وصلنا إلى الطريق الأسفلت وجدنا أنفسنا قبل موقع بئر لحفن فهرعنا إليه لنجد أفواج الجنود المنسحبة تعج بهذا الموقع الخالى الذى انسحبت منه قواتنا بالأمس . وحتى لانضيع الوقت سألنا عن مكان بئر المياه فهرولنا إليه وسمعنا ضجيج الجنود فى هدأة الليل عند البئر . انفتحت أسارير الحياة لنا على مصراعيها وفرحنا فرحًا بالغًا فقد رأينا الماء بعد ٤٨ ساعة من تركنا الموقع . وكان الزحام شديدًا للغاية على الماء ووجدت زكريا خليل زميلى على قمة البئر يدافع بمنكبيه وبجسمه كله لينظم عملية الشرب بين الجنود ، وكان أحدهم قد نزل فى البئر ليناول زملاءه وكان بطلا مجهولا لاأعرف اسمه للآن . إنه أحد الأبطال المجهولين فلقد ظل وهو على حاله هذا يسقى آلاف الجنود المهرولة إلى هذا البئر وشربنا كثيرًا من المياه على قذارتها وتلوثها ولكنها كانت ألذ شربة ماء فى حياتى وأسعدها أثرًا فى نفسى ونفس كل مخلوق . وتحولنا لبئر آخر بجانبه وشربنا منه أيضا رغم أنه كان مليئًا بالديدان والتراب . ولكن ماذا نفعل والعطش جبار والحياة جميلة ، المهم أننا شربنا حتى ارتوينا .

فى هذه الأثناء قابلنى البكباشى طلعت عابدين والملازم الاحتياط عبد الكافى بعد انفصالهما عن زملائهما فترة وسألونى هل تركب جملاً ونكون سويا فى الرحلة . فقلت لهم أين أين هو الجمل . نعم طبعا (ياريت) يكون فيه جمل .

المهم اتفقنا على أن نكون سويا وكان معهم جملان ناقة لا صاحب لها وجمل مؤجر من رجل إعرابى أجرَّه أحد الزملاء ولم نعثر عليه فى ظلام الليل رغم بحثنا عنه كثيرا عقدنا العزم نحن الثلاثة ضباط ومعنا عسكرى من وحدة البكباشى طلعت عابدين وملأنا جراكن مياه وتركنا منطقة الآبار إلى الطريق الأسفلت . وهناك عند بوابة موقع بئر لحفن وكانت الساعة الثانية صباحا بحثت عن البكباشى على عبد الخبير قائد كتيبتى - ليركب معنا الجمال

ولكن لم أجده ووجدت الأركان حرب اليوزباشى عباس فركبته الجمل الذى خصنى فلم نتمكن نحن الاثنين من ركوبه حيث كان صغيرا لايصلح لركوب أكثر من فرد واحد ولذلك قرر هو الانسحاب وبدأت الجمال تسير وفى هذه الوقفة تجمع حولنا جنود كثيرون من المنسحبين فأمرتهم بعدم المبيت هذه الليلة فى بئر لحفن حيث لابد وأن اليهود لاحقون بهم بين دقيقة وأخرى ، وأمرتهم بالسير فى اتجاه العريش .

تحركت قافلتنا يدلها الإعرابى الدليل واتجه بنا جنوب بئر لحفن فى اتجاه الغرب إلى جبل رويس القط ولقد وجدت بطاطين كثيرة ملقاة على الأرض من متخلفات الجنود وكان الجود باردا فالتقطنا بعضها وتلفحنا بواحدة على أكتافنا وسارت الجمال تقطع الصحراء ليلا ووراءنا جمع كبير من الجنود الذين استمعوا لنصيحتى حتى اختفينا فى جبل الرويس على بعد ٣ كيلو مترات تقريبا من البئر ، وكنا نسمع أصوات الجنود المتزاحمين على المياه وصراخهم ومناداتهم لبعض لأن الأصوات تسمع لمسافات طويلة فى الليل .

هجعنا محل وصولنا وانتوينا النوم حتى قبل أول ضوء ثم نتابع السير إلى قرية مزار ، وهكذا كان الاتفاق مع الدليل العربى . ولكن راحت علينا نومة وظلعت الشمس ومازلنا فى مكاننا حيث سمعنا أصوات دبابات اليهود وعرباتهم تعج حول موقع بئر لحفن ثم تلتها أصوات المدافع الرشاشة وأصوات الافراد فحزمنا أمتعتنا بسرعة وذعر الدليل العربى الذى لبس (خفه) وانتهز فرصة انشغالنا بأنفسنا وأخذ جمله وجرى به واختفى عنا فى لمح البصر ، فلم نعثر عليه بعد ذلك على الإطلاق ، وأفلتت منا فرصة ذهبية هى دليل معه جمل كان يسهِّل علينا عملية السير ومعرفة الطريق ، ثم الراحة فى ركوب الجمل وأصبحنا ثلاثة ضباط وعسكرى مع ناقة واحدة .

حمدنا الله على أى حال ولم نترك الوقت يسرقنا حيث كانت أصوات الدبابات تتجه إلى مكاننا فى الجبل أو قل كان يتهيأ لنا ذلك ، وشعرنا أن الدبابات قادمة بين آن وآخر خصوصا وقد كان حولنا رهط كبير من الجنود كان القبض عليهم يعتبر غنيمة كبيرة لذلك أمرنا الجنود حولنا بالانتشار ومتابعة السير فورًا ، والسير فى مجموعات صغيرة حتى تقل الإصابات إن كانت هناك غارات أو غيره وحتى لانلفت نظر العدو إلى حشودنا الكبيرة .

سرنا وحدنا بالناقة دون دليل إلى الجنوب قليلا لكى نتفادى الطرق المطروقة وفعلا

غابت عنا اصـوات الدبابات والعربات اليهودية وصعدنا فوق التلال الصفـراء ورأينا طريق العريش عن بعد ومطار العريش والبحر بعيد جدًا .

وتبعـنا عسكرى آخـر خلاف الذى كان معـنا وكان اسمـه معبد والتـصق بنا التـصاقاً فضممناه إلى مجموعتنـا واطلقنا عليه اسم متعب تدليـلا منا وكان هذا الجندى فكاهتنا طوال الطريق إذ كان خفيف الظل روّح عـنا كثيرًا من عناء السفر وأعاننا على مشاكلنا الإدارية فى جلب الماء من الآبار وفك وربط الجمل هو وزميله الآخر . توكلنا على الله فى السير وقدرنا اتجاهنا وقررنا ألا تغيب العريش عن ناظرنا حتى لا نتوغل فى جوف الصحراء دون مبرر .

كانت الأرض رمـلية علكيـة بها مدقات كثـيرة محيرة ولذلـك قررنا قطع المسـافة رأسا جنوب العريش أولاً كأنها زاوية بوصـلة وبذلك أجهدنا أنفسنا واشتد بنا الظمأ رغم وجود جيركـن مياه معنا ولـكننا كنـا نحسب حسـاب الوقت . وحرقتنـا الشمس فى هـذا الجبل وحاولنا عبثًا العثور على شجرة كبيرة أو ما يقينا لفحة الشمس فكان نادرًا وكنا نتجمع بجوار شجيرة صغيرة لها نصف متر ظل تقريبا كى نوارى رؤوسنا فقط فى هذا الظل وكنا نحفر فى الرمل الساخن حتى نـصل إلى قاعه الرطب اللطيف فندفن رؤوسنـا وأطرافنا وصدورنا حتى نشفى غلة الحرارة ، ويعوضنا بعضًا من شرب الماء .

جفت حلوقنا وتذرعنا بالصـبر الجميل . . ولكن ماذا نفعل بالناقة ؟ . وما ذنبها معنا فى هذا الحر اللافـح والجوع الشديـد ، علما بأننـا لـو أطلقناها لحالها لرعت وخدمت نفسها بنفسها .

قاربت الشمـس الزوال وتابعنا السيـر حتى وجدنا معجزة أمامنا ، إذ دخلـنا فى حقل بطيخ أو سمه آثار حقل بطيخ تتناثر فيه بضع الشـجيرات الخضر أو الباهتة ووجدنا مـا يشبه (القتة) ففرحنا وهللنا وكبرنا وحمدنا الله ونعمه وفضله وجوده وكرمه فقد كانت هذه الثمار طعاما وبردًا وسلاماً فى حلوقنا فى فترة حر عصيبة . . أكلناها وأكلنا قشرها الذى التصقت به رمال كثيرة .

كانت هذه أشهى أكـله تناولتها ، كما كانت بـداية فأل سعيد لنا ارتاحت لـها نفوسنا وشجعتنـا على متابعة السير واعـتقدنا أن الله سيجعـل لنا من بعد عسر يسرًا وأنـه سبحانه وتعالى معنا لاشك فى ذلك .

أمدتنا تلك الوجبة بالقوة على النهوض والنشاط والجد فى السير حتى قاربت الشمس المغيب حيث شاهدنا ولدين إعرابيين ففرحنا وقلنا جاء فرج الله وبعث رسله إلينا وفعلا قابلنا هذين الولدين واتفقنا معهما على أن يرشدانا إلى محل بيتهم أو إلى أقرب بيت وسوف ينالان منَّا مبلغًا كبيرًا وهدايا أخرى .

فوافق الولدان وسارا بنا مسافات طويلة حتى أوصلانا إلى « بئر المسمى » فى منتصف الليل تقريبا ، وهناك وجدنا اشجارًا كثيفة عالية كثيرة وآلافا من الجنود المنسحبين قاعدين فى مجموعات كل مجموعة معها بعض الأعراب ووسطهم نارا موقدة للتدفئة مع الأحاديث المختلفة . كان نصيبنا عند رجل طيب من قبيلة السواركة وكان تقيا يعمل بالتليفونات فى الحكومة المصرية ولا أذكر اسمه . أحاطنا هذا الرجل ومن معه بعناية ورحب بنا أجمل ترحيب وأحضر لنا شايا وأوقد نارًا وشربنا ماءً كثيرًا عذبا وحلوًا من هذه البئر واستمتعنا بالشاى بعد أربعة أيام من مغادرة بئر لحفن وأحضر لنا أرغفة من الشعير الأسمر بقشرة . لم نفحص فى الواقع أى شئ مما قدم لنا فقد كان الجوع شديدًا والعطش أشد والحاجة إلى الدفء كبيرة .

أسلمناه الناقة وأحضر لنا مشمعًا كبيرًا نمنا تحته حتى الصباح .

كانت هذه أول مرة أنام فيها ملء الجفنين وأنا مرتاح النفس آمن . وأول مرة أشعر فيها بالدفء منذ أول يوم للمعركة التى لم نكن أنا والقائد والأركان حرب الموجودون فى الملجأ نتام اللهم إلا « تعسيلة » خاطفة على الكراسى والسراير بالدور يوقظنا فى كل دقيقة أو أقل جرس التيفون لنتلقى الإشارات والبلاغات من المواقع المختلفة ونتابعها بإصدار الأوامر والتعليمات وهكذا .

لم أنم إلاَّ فى هذه الليلة عند بئر المسمى ، وكذلك نام إخوانى .

واستيقظنا في الصباح وقررنا أنه لابد لنا من دليل يرشدنا إلى القنطرة رأسا ، وبذلك يسهل علينا السير خاصة بالليل وهو أنسب الأوقات لقطع المسافات الطويلة لرطوبة الجو وليونة الأرض ، ولذلك ما إن رأينا صاحب الأمس حتى أخبرناه بحاجتنا إلى دليل فراح يبحث عن دليل . وفي هذه الاثناء طلبنا الناقة لتحميلها فقيل لنا إنها « شردت » أى سارت فى الصحراء ولا علم لأحد بها . هنا ثارت ثائرتنا وقدرنا المسئولية الواقعة على عاتق

الإعرابى صاحب الأمس وأنه لابد واجدها وأننا سوف لا نتحرك حتى تحضر الناقة . قلنا هذا وكان معنا أكثر من رشاش وطبنجة للدفاع عن أنفسنا وبعد ساعة تجمع حولنا كثير من الأعراب والسماسرة ثم شاهدنا صاحب الأمس يسوق ناقتنا الحبيبة إلينا فكانت نجدة اخرى جميلة من الله .

حمّلنا الناقة ومر بنا أكثر من رجل يملؤهم اللؤم والمكر لا تعرف ماذا يقصدون ولاتستطيع أن تنال منهم أى مساعدة أو رجاء . وأخيرًا عرض علينا صاحب الامس شابًا أسمر وقال لنا ان هذا تطوع لإرشادنا حتى بئر العبد بأربعة جنيهات تدفع اثنين له ليسلمها لأهله ليأكلوا منها ، والاثنان الباقيان عندما نصل إلى بئر العبد ، ففرحنا وشكرنا الرجل جهده وجميله وأعطيناه عنواننا بالقاهرة ليتفضل مشكورًا بزيارتنا وأفهمناه أننا على استعداد لمعاونته فى أى خدمة .

كان الشاب العربى المرشد تقيًا ويتدلى من يده سبحة سوداء فاطمأنت لذلك قلوبنا إليه ، وظل يحدثنا فى الطريق عن الاستقامة والدين والله والرسول ويدلى لنا بالمواعظ المختلفة ونحن حامدون الله شاكرون له فضله أن بعث الينا برسول من عنده يهدى إلى الرشد ويرشدنا إلى طريق بئر العبد .

اشتد بنا الجوع أثناء الطريق فأخطرناه بذلك فعرج بنا على خيام قال لنا إنها لأقربائه وأن المنطقة التى نسير فيها من دائرة اختصاصه وأهله . أعطيناه جنيها أحضر به فرختان قامت بطبخها مشكورة إحدى قريباته فى حلّة سوداء بعد أن قطعتها قطعًا مختلفة من الأجنحة والأرجل المملحة لدرجة عالية مع بعض الماء الأصفر الشديد الملوحة أيضا وبعض الأرغفة من الشعير الأسود ، وكثيرًا من العجوة المرملة . أكلنا وحمدنا الله على ذلك فقد كان ذلك أول لحم يدخل بطوننا بعد مدة طويلة واعتبرناها وليمة الرحلة الكبرى .

تابعنا السير حتى اصفرت الشمس وأذنت بالرحيل فعرج بنا على بعض الخيام وهناك وجدنا امراتان إحداهما عجوز ظلتا تناوشه فى الكلام وتراوشه كما ظلت الأخرى تداعبه بالألفاظ ويداعبها . المهم انه استخرج لنا من عندهن شايًا وسكرًا وشربنا وحمدنا الله كثيرًا على شاى العصر هذا كأننا فى إنجلترا .

انشرحت صدرونا لهذا الترحاب من الأهالى وتفضل الله علينا بأن هيا لنا الدليل اللبق الماهر .

تابعنا السير حتى جن الليل علينا واستنهضنا همة الدليل وأخطرناه أننا نريد أن نسير الليل كله حتى نصل بأسرع وقت . فوافقنا على ذلك وما أن بدأنا مرحلة حتى أراد الوقوف والمبيت حتى تبزغ الشمس فقلنا له إن الليل أحسن للسير من النهار فتظاهر بالرضا وبدأنا مرحلة أخرى حتى عاد يقول لنا أن اليهود قريبون من هنا وأنه يلزم الاحتياط واتباع الحذر ، ولذلك فإنه سيسير أمامنا على أن يتبعه أحدنا خلفه ببضعة خطوات ثم يليه آخر وهكذا فوافقناه وابتدأ السير حتى عاد يقول لى هات الطبنجة التى معك فسألته لماذا ؟ فقال لأدافع بها عن نفسى إذا قابلنى اليهود ، فقلت له إننا معك وخلفك وهذه صناعتنا الحرب والضرب فلا حاجة لك إلى الطبنجة فقال : إذن انت تخوّننى . أنت لا تثق بى قلت له اترك موضوع الثقة والخيانة وقم بواجبك المأجور له وهو إرشادنا إلى الطريق فقط وليس لك أى شئ أخر خلاف أجرك ، « فإذا قابلنا اليهود ستجرى حضرتك إلى أهلك أما نحن فنضطر إلى استعمال الأسلحة الموجودة معنا » .

فغضب وسار أمامى وبدأ يجرى وسط كومات الحشائش وكان الليل بهيما فأخذ يظهر ويختفى أمام عينى وأنا أسرع وراءه ولكنى بعدت عن باقى القافلة التى تسير ببطء حسب سير الناقة فناديت على الدليل فوقف . حتى اقتربت القافلة وأخبرتهم بموضوع هذا الدليل . فأكدنا عليه أنه لابد أن يسير معنا على راحتنا لأن الناقة بطيئة ونحن مجهدون من السير الطويل السابق .

فقال إننا لابد أن نتابعه وأنه سيقوم منتصبا إذا رأى أى خطر أمامه وعلينا ان نفعل مثله . وزعم أن اليهود على بعد أمتار منا وأحاط نفسه بنطاق من الخوف والهلع أو هكذا صور لنا حتى أطمأننا إليه وقررنا السير .

سار أمامى وأسرع مرة أخرى فى السير حتى صعد فوق تبة عالية وعند وصولى إليها لم أجده أمامى . . ناديت عليه فلم أجد سميعا ولا بصيرا . اختفى مرة واحدة بين الحشائش العالية قليلا فى منتصف الليل .

ظللت واقفًا مكانى فإن السير فى الليل يختلف عنه بالنهار ، ولو تحركت أى خطوة سننفصل عن باقى القافلة ونشرد هنا وهناك إذا ما فكرنا فى البحث عن هذا الدليل .

ولذلك اجتمعنا نحن الثلاثة الزملاء وقررنا أنه لابد من متابعة السير فى اتجاه الغرب متخذين النجوم والبوصلة وسيلة للسير . كما قررنا أنه لا جدوى من الدليل الذى هرب . وأنه كان يود أن يسرق الطبنجة ويــهرب وأنــه ضحك علينــا . طيب ومــاذا كنا نفعل لوقاية أنفسنا مــن (الخديعة) . . لا شئ .

فحمدنا الله أننا لم نوافقه على أخذ الطبنجة ، واعتمدنا على الله ثم على أنفسنا وتابعنا السير ليلاً لمسافات طويلة حتى سمعنا صوت نباح كلب . فاتجهنا إليه حتى وصلنا عنده فوجدنا خيام الأعراب وخرج لنا رجل عجوز سالناه الطريق فدلنا عليه بأن قال ضع النجمة كذا فى السماء على كتفك الأيسر وسر حتى تصطدم ببئر المياه .

وكنا قررنا أن نتبع سلسلة الآبار حتى القنطرة فإنه آمن طريق من الجوع والعطش ولو أنه طويل بعض الشئ .

ومشينا حتى سمعنا نباح كلب آخر ووصلناه فخرج لنا رجل أطعمنا عجوة كثيرة وسقانا ماءً وقام معنا كدليل لأول بئر نقابله . . . سار معنا حتى قرب الفجر فقررنا النوم للراحة وعاهدنا الرجل على المبيت معنا والسير نهارًا وربطنا مقود الناقة بأحد الجنود حتى نطمئن أنها لن تشرد فى الصحراء أو يسرقها منا أحد خصوصا وقد أصبح الشك والارتياب ملء قلوبنا من الأعراب بعد حادثة الدليل الهارب .

قمنا فى الصباح فلم نجد صاحبنا العربى المتطوع فقد غادرنا دون أن نشعر فتممنا على أسحلتنا وبضاعتنا فوجدناها سليمة فحمدنا الله على سلامتنا .

وحزمنا امتعتنا وتابعنا السير حتى وصلنا لبئر آخر وهكذا كان حالنا : السير ثم الراحة وقت الظهيرة لنستأنف السير باقى الوقت . ولما وصلنا منطقة رمانة عرجنا على بعض الأعراب فوجدنا تاجرًا كان قد نقل أمتعته من رمانة إلى داخل الجبل ووجدنا عنده جنودًا كثيرة ، كما وجدنا بعض الحاجيات مثل الدقيق والسكر والشاى وعلب الأكل المحفوظة كالعدس والفول واللحوم المحفوظة .

اشترينا منه كمية من كل صنف وعلبة من السمن واشترينا زوجا من الفراخ قامت عائلته بطهيها فأكلنا وشربنا وحمدنا الله .

وعند هبوطنا عنده وجدنا رجلاً قصيرًا يحمل سبحة سوداء فى يده ضاحكًا هاشا باستمرار ، وكنا قد سمعنا عن الشيخ عيد أبو جريرة أحد مشايخ الطرق ويظهر أنه كان ذا

شهرة واسعة عند بعض الـقبائل وقيل لنا أنه إذا ذكرتم اسمه عندهم أكرموكم أيما إكرام . وعلى هذا كنا نردد اسمه عند الـقبائل وانتمينا إلى حظيرته روحيا وكنت أقول فى نفسى إنه لا بأس من أن انتسب إلى رجل صالح أكرمه الله فكلنّا فى الدين إخوان ، وعلى المسلم نجدة أخيه المسلم . وتمثلّت قـول النبى ﷺ « المؤمنون إخوة » وقول الله تعالى لـنبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (وإن أحدًا من المشركين استجارك فأجره) فما بالنا ونحن مؤمنين والحمد لله . فلا بأس إذن من الاستجـارة وطلب النجدة من الرسول ﷺ وبالتالى أتباعه وأمته لاسيما ممّن اشتهر بالدين وحسن الخلق وأثرّ فى أرواح الناس بالورع والتقوى .

كأن سرًا إلهيًا أودع قلب صحراء سيناء ، سر هـذا الرجل الورع الشيخ عيد ابو جريرة الذى أحاطنى بموجة من الاتجاه الخالص إلى الله أثناء هذه الرحلة فى جوف الصحراء وكانت مناجاتى لله سبحانه وتعالى سرًا وجهـرًا فى السراء والضراء ، وصار أملى فى النجاة عظيمًا وصبرى على احتمال المشقّة أعظم ، فلم يعد يعـترينى بفضل الله فى أى لحظة سحابة يأس أو إظلامه قلب ، وكنت أحس بأن الله قد أكرمنى فعلاً طول الطريق ، بل قد أكرمنى فعلاً وأنا **فى قلب المعركة** وساعة التطاحن الرهيب والتصادم بـين القوتين ، وكنت ساعتها أشعر بأن وطأة القتال شديدة وأننا منتصرون فتنجلى غمّة الموقف .

نعود إلى تاجـر رمأنة مرة أخرى ونقول قابلنـا هذا الرجل الصالح الذى يسـمى الشيخ محسن وكنت أثناء سيرى قد علّقت سبحتى السمراء اليسر فى رقبتى ولم يظهر منها الا بضع حبات قليلة . فعندما ذكرنا له أننا من طرف الـشيخ عيد أبو جريره قام محسن هذا وعانقنى عناقًا حارًا كأنه يعرفـنى منذ سنين وقال مرحبا بك يا أخى فى الله ، والـله إنى لقد عرفتك من وجهك الصـالح ومن سبحتك السـمراء لن أتركك وحدك ، وسوف أظل مـعك حتـى النهاية . . عندئذ رق قـلبى ومست كلماته شغاف روحى وأيقنت أن اللـه معنا بشكل واضح جلى وأنه أحاطنا برعايته ، فتعلّقت بأهداب السماء وشكرت الله .

وبايعـت هذا الرجل فعـلاً بقلبى لا بعـقلى فقط ، وأيـقنت أنه رجل صـالح لا مدعٍ ونويت فى نفسى أن أصدّقه كلما تحدث أو كلما أشار برأى . ولقد صدق ظنى به على طول الطريق ؛ إذ أثبتت الأيـام أنه جندى من جنود اللـه فعلاً ، تقى ورع ، هدانا إلـى الطريق الصحيـح في سيرنا وفى تصرفـاتنا . فكان هذا كرمًا جـديدًا من الله علينـا الذى لا تحصى عطاياه .

دعوت هذ الرجل أن يقرأ معنا الفاتحة ويتعهد فى ارشادنا حتى القنطرة وله كل ما معنا من أموال وغيره ، وله أيضا أن نصحبه إلى القاهرة حيث نزور أهل البيت الشريف رضوان الله عليهم ونريه القاهرة فى ضيافة طيبة . فقرأنا الفاتحة جميعا على هذه النية ورضى بذلك طائعا مختارا بل رضى لله فى الله وقال أنا لا أساوم ولا أريد أن أطلب منكم مالاً ولكننا طمأناه على حقه وبذلك بدأت مرحلة جديدة من الرحلة كانت طيبة . وكان هذا الرجل بشيرا طيبا وفالاً حسناً لرحلة سعيدة بعد ذلك .

فى هذا المكان وجدنا خوذة صلب فضممناها إلى متاعنا لكى نستعملها فى الشواء وإنضاج العدس وغير ذلك . واعتمدنا على الله وتابعنا السير ليلاً ونحن مطمئنين إلى مرشدنا الجديد الذى روّح عن صدورنا كابوس السؤال عن الطريق باستمرار وأعتقد أنه وفر علينا نصف الوقت تقريبا لأننا كنّا نقطع مسافات طويلة فى الليل ، وعندئذ قررنا الراحة والنوم فانتحينا سفح جبل بعيد عن الريح الشديدة .

وأخذ الشيخ محسن يجمع الحطب فقد كان ليل الصحراء باردًا وارتفعت ألسنة النيران فشعرنا بالدفء الجميل ، واخرجنا بعض السكر والشاى وشربنا وحمدنا الله ، والتفع كل فرد منا بطاطينه وحفر لقامته فى الرمل وأسلمنا جفوننا لنوم هادئ مقرون ببعض القرفصة من البرد ولقصر البطانية حتى طلعت الشمس فواصلنا السير .

وهكذا ظللنا ننتقل من مكان إلى مكان حتى بدت لنا أشجار البلح الكثيرة كالواحات من بعيد فكان منظرًا يهيجًا بعد سير طويل فى رمل صفراء تكاد عيوننا تتلون معها .

جلسنا فى واحة من النخيل وأخرجنا الدقيق وقام الشيخ محسن بجمع الحطب هو وزملاؤنا الجنود الذين معنا ثم أتى بالماء من بئر الواحة وعجن الدقيق فى الخوذة وطلب ملحًا فلم يجد .

أشعل النار فى الحطب حتى صفت ألسنتها فأزاح الركام وبرزت حبّات الجمر حمراء صغيرة وكثيرة فوق الرماد . وفرد البطانية وبسط العجين فى هيئة قرصة كبيرة ثم نقلها على الرماد الأحمر ثم غطاها بجمرات النار حتى كادت تختفى . وبعد دقائق أزاح عن وجهها النار فوجدناها استوت . ثم قلبها مرة أخرى على النار وأعاد الكرة . وماهى إلاّ دقائق حتى أخرجها وأخذ يضرب وجهها بالبطانية لينظفها من التراب وفاحت رائحة القرصة كالفطير اللذيذ . وتهافتنا عليها تهافت الجياع على الوليمة وكانت نعمة كبيرة ما بعدها نعمة ثم

اخرجنا علبه من العــدس وأفرغناها فى الخوذة وشربناها ساخنة جميــلة ، وشربنا فى العلب الفارغة الأخرى ، والتى فسخنــا غطاءها بواسطة سونكى صغير أخذنــاه من أحد الجنود لهذا الغرض .

وفى اليوم التالى قابلنا جمالا عليها بلح وعجوة واشترينا منها كمية كبيرة .

جلسنا وتعشينا خبزًا على الطريقة الــعربية فى الخوذة ، وعاودنا السير ثم قررّنا ان يسير بنا الشيخ محسن إلى أى رجل طيب يمكن أن نــؤجر منه جمالا لكى نسرع فى السير ووافق على ذلك .

وظللنا تطوينا التلال والقفاز حتى دب الليل وسمعنا من بعيد أذان الله أكبر . .

انتعشــت قلوبنا وشعشــع فؤدانا وشّدنا هذا الأذان إليــه بقوة جارفة فقد أوحــى الله فى قلوبنا الأمل العظيم وبشرّنا بالغد المشرق المضئ . وكان كالماء العذب للظمآن الشديد .

وجدنا أنفسنا أمام خيــام العرب ورجالا كثيرين قائمين للصلاة فصلــينا معهم العشاء - ثم قابلنا صاحب المضيفة وكان تاجرًا من بئــر العبد أكرمنا وأحضر لنا الشاى والخبز واللبن المملح وكثيرًا من الطعام غيره ، وبعضا من الحلاوة الطحينة .

وتدثرنا بالبطاطين والأكلمة والمخدات ونمنا نوما هادئًا حتى الصباح فدلنا على عمدة بئر العبد لنجد عنده المعونة والجمال وغير ذلك ، وأعطانا بعضًا من الدقيق والعجوة فحمدنا الله على فضله وتابعنا السير .

كان حديث الليلة السابقة مع هؤلاء الأعراب شجيًا مشجعًا وسمعنا فى تلك الليلة راديو القاهرة وأخبار مصر العزيزة التى فقدنا الاتصال بها عّدة أيام قاسية .

١٩٦١/١٠/٣١

أعود إلى مذكراتى اليوم بعد فــوات خمس سنوات كنــت خلالها صامتــا لا أكتب ، ولكنى هفوت إلى الــذكرى العزيزة اليوم وقرأت ما سبق أن كتبــته فى مذكراتى . ووجدت نفسى وأنا أطــالع نفسى من خلال هذه المذكــرات القديمة أنى **فى قلب المعركة** من جديد ، ودفعنى هذا الشعور إلى الرغبة فى استكمال هذه المذكرات .

كنا قد وصلــنا إلى رمانة ثم قابلنا بــعض الأعراب الكرماء وكان عمدتــها رجل ضخم

الجثة . وانتهينا من العشاء والمبيت لديه داخل (الأحواش الجريد) وفى الصباح ، تابعنا المسير إلى بئر العبد . . وهناك وجدنا مجموعة من الاقبية المصنوعة من الجريد على شكل نصف دائرة . . وكانت هذه المجموعة هى منازل العمدة وأسرته .

كان العمدة واسمه « رزق » . طويلاً أسمر اللون قابلنا بالترحاب الكبير وأدخلنا أحد هذه المنازل وأحضر لنا مراتب ومخدات نظيفة ثم أحضر لنا ماء دافئ وصابون لوكس وكانت رؤوسنا قد أصبحت كفرورة الخراف وذلك من كثرة الأوساخ التى بها وذقوننا طويلة جدا مخيفة وأقول مخيفة لأنه أحضر لنا مرآة ورأينا أنفسنا لأول مرة بعد المعركة وقد احترقت بشرة وجوهنا وطالت أهداب شعورنا ولحانا وشواربنا . وكان منظرنا مؤثرا على نفسيتنا . ولكن سرعان ما انتعشنا بعد أن غسلنا رؤوسنا ووجوهنا بالماء الساخن والصابون اللوكس . . ثم صمم العمدة أن يحلق لنا ذقوننا . وفعلا أحضر إعرابيًا وحلق لى ذقنى على الطريقة العربية وأصبحت كأحد مشايخ العرب فعلاً .

حمدنا الله على ذلك . . وعلى هذه النظافة . .

احضر لنا الرجل بعد ذلك قصعة من الفتة والأرز وعليها لحمة ضأن كانت ساخنة ولذيدة . وكانت أكلة دسمة التهمناها وكان منظرنا لذيذا حقا ونحن نأكل بشهية وبشعف شديدين ، وانتهينا من تناول الطعام فحمدنا الله وشكرنا الرجل الكريم .

وجلسنا نتسامر ، وأخذ العمدة عنوان كل واحد منا وعلمنا أنه عمدة ، ويعمل بعض الوقت لسلاح الحدود السرى وأراد أن يضيف جميلا آخر إلى كرمه فأعد لكل واحد منا جملا مزرركشًا بالكسوة المدندشة. وفى هذه اللحظة كان نصيبى جملاً صغيرًا، وتركنا الناقة للأخ طلعت الذى كان قد بدأ يسيطر عليها لمصلحته فقط حتى سئمنا من حركاته هذه .

وابتدأنا ننفر من تصرفاته وأنانيته وفضّلنا أن نمشى على أقدامنا حتى لا نركب الناقة التى يقول إنها خاصة به .

وعلى هذا كنت سعيداً جداً بأن أبدلنى الله عنها الجمل الشاب الأنيق . وإن كنت لاأنسى فضل الناقة علينا جميعا وقت العسرة وطول الرحلة .

ووقف العمدة وأسرته يودعوننا وداعاً حاراً وبعث معنا بابنه الأكبر - ليرافقنا حتى نصل إلى القنطرة - فشكرناه وحمدنا الله عز وجل وسارت القافلة فى اتجاه القنطرة .

وبتنا ليلة بجوار أحد البساتين ثم تابعنا السير فى اليوم التالى إلى القنطرة ، وكان قد انضم إلينا عسكرى آخر كان مصابًا بهيستريا عصبية إذا طارت طائرة فوق رأسه وكان يجرى حول نفسه من الخوف والذعر . .

وصلنا مشارف القنطرة ومكثنا في الظهيرة عند أحد العمد وكان ضخم الجثة ، شهمًا أعد لنا غذاءً شهيًا فتة : ولحمة ضأن وكانت روحه المعنوية عالية جدا ، وكان يقول انه يفضل الموت على أن يحكمه اليهود الكفرة .

وعرض علينا أموالاً مصرية للمعاونة أثناء الطريق ولكننا لم نقبل ، وحمدنا الله ثم شكرناه على كرمه وروحه العالية وغادرناه إلى القنطرة .

ولاحت لنا القنطرة عن بعد بأشجارها الباسقة والخضرة من حولها . ودفعنا هذا المنظر الجميل إلى الإسراع لنصل قبل أن تغرب الشمس .

وعندما اقتربنا من القنطرة وجدنا الدبابات المحترقة والعربات المحطمة منتشرة فى أرجاء الصحراء والمدقات والطرق ، وكانت تعبر عن بشاعة الغارات الجوية فى هذه المنطقة .

وعند دخولنا القنطرة لم نجدها عامرة بل خالية من الناس ولكن سمعنا طلقات نارية صادرة من بنادق فى كثير من الأحيان وفهمنا بعد ذلك ان هذه الطلقات تصدر من بعض العصابات التى احتلت المدينة ونهبت مخازنها ، مخازن الدقيق والزيت والسكر و مخازن التموين ، ومخازن تموين الجيش أيضا ، حتى إننا سمعنا أن الجوال الدقيق كان يباع بخمسين قرشا .

أين المأمور . . وأين رجال الحدود . . . لا أحد .

وصلنا إلى قناة السويس وفرحنا فرحا غامرًا وهنأنا أنفسنا وحمدنا الله أننا وصلنا إلى وادى النيل .

ودعنا المرافقين لنا وأخذوا جمالهم . . أما الشيخ محسن فرافقنا إلى البر الغربى .

وعند عبورنا القناة قابلنا أفراد الحرس الوطنى وكان معهم أحذية وصنادل وجزم كوتش ليسلموها لنا ولأمثالنا العائدين من المعركة حفاة الأقدام . . وكانت روحهم عالية جدا مما رفع معنوياتنا نحن أيضًا ، وعلمنا أن الأمة بخير . . بصمود أبنائها فى وقت الأزمات .

على أى حال أخـذت صندلاً على مقاسى وركـبنا جميعا المـعدية وتركنا متاعـنا كله : البطاطين ، والاسلحة ، وخلافه ، والناقة باسم الشيخ محسن .

وعبرنا مـعه إلى البر الغربـى وهناك لم نجد أحدًا من المسـئولين لاستقبال الـعائدين . ولكنا علمنا أن هناك قطارًا سوف يصل ليلاً ليحمل كل العائدين .

ولكننا رأينا عربة جيش مقبلة وأوقفناها ووجدنا بها ضابط إشارة عرفناه بأنفسنا وطلبنا منه أن يأخذنا إلى رئاسة القطاع .

ولكنه قال إن الإعرابى محـسن ممنوع من العبور لغرب القتال . فعـاد آسفا ونحن أيضا كنا اسفين لعودته ولكننا أعطيناه ما يقرب من عشرين جنيه دفعها له الاخ طلعت . ثم ركبنا السيارة ووصلنا الإسماعـيلية يوم ١٠ نوفـمبر سنة ١٩٥٦ ، ودخلت مبنى رئـاسة القطاع ، وكان بها كمال الدين حسين . . . .

استقبلنا إخواننا فى هذه الرئاسة بالبشـر والتهنئة والترحاب وقدموا لنا الطعام والشراب بكثرة . . وقابلنا كمال الدين حسين وسألنـا عن احوالنا وكيف كانت المعركة ، ثم أمر بأن ننام فى عمارة الخبراء حتى الصباح ثم نذهب إلى القاهرة .

وفعلا وصلنـا إلى العمارة . . كانت فاخرة مـفروشة ومؤثثة أثاثًا فاخرًا وكـانت كأنها حيه بأهلها فكل شئ فى محله حتى لعـب الأطفال وأعمال الإبرة للسيدات وفساتين السيدات وخلافه . . حتى الحمامات كانت بها انواع الروائح والبودرة وغير ذلك .

استحممنا والحمد لـلـه . وذهبنا إلـى غرف النوم الوثـيرة الناعمـة الطريـة وجـاءنـا مندوب الإذاعة وأخذ منى حديثًا أذيع بالراديو .

وفى الصبـاح ارتدى الزملاء ما وجدوه بـالدواليب وكان تصرفًا لم يعجبـنى وأخذنا العربات إلى القاهرة ، وكـنت قد تكلمت فى التليفون مع الجـيزة . وصلت الجيزة ووجدت الأخ محمد هرمس الذى عانقنى وأخذ لى صورة تذكارية اعتز بها إلى الآن . .

وهكذا . . . . وصلنا إلى بلدنا المحبوب . . **من قلب المعركة** . . .



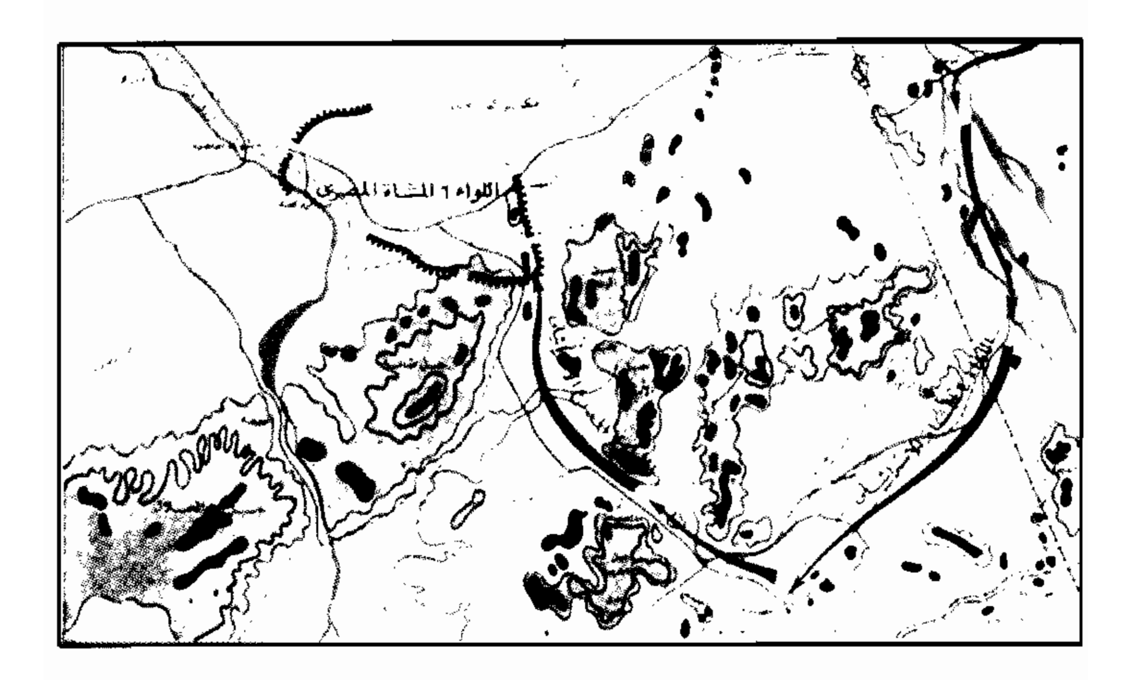
مقدم « بكباشي » محمود عبد الحميد الثلث

ولد يوم ٥ مارس ١٩٢١

ولد من جديد فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٦

واستشهد البطل فى اليمن يوم ٣٠ مارس ١٩٦٣

والحمد لله



واستمرت الأورطة الثانية الخفيفة المصرية تعطل العدو على طريق القضيمة - أبو عجيلة إلى أن اصطدم العدوّ بدفاعات « أبو عجيلة » الرئيسية فتوقف

وهكذا مضت بجيلنا الأيام ، حلوها ومرّها ، انتصاراتها وهزائمها ، دموعها ودمائها ، أبطالها وشهدائها ، على نحو ما عشناه مع هذا السيناريو الذى قصّه علينا البطل الشهيد المقدم محمود عبد الحميد الثلث ويبقى أن نبدأ القصة من أولها . . فى قلب المعركة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الأول

أعمدة إستراتيجية

إعـــداد القـــوى وربـــاط الخيـــل

الفصل الأول

عصير فكر قائد ميدانى

الله الله لا إله إلا الله . . . الـله الله محمد رسول الله . . الله الله واحـــد أحـــد فـرد صمـد . . موجود فـــى كل مكان . . ليس كـمثله شيء . . اللـه الله . . . . ويدور الشيخ المعلـم ذهابا وايابا وسط تلاميذه الصغار مرددا اللـه الله حى لايموت ، ونحن ندور معه بأبصـارنا وبقلوبنا متلهفـين لرؤية الله . . اين هـو . . نحن لانـراه ولكنه يرانا . وهكذا تعلقنا بالله سبحانه وتعالى ونحن مازلنا فى سنوات العمر الأولى . . وترعرع الإيمان فى قلوبنا وعقولنا ونما معنا عامًا بعد عام . . .

وفى نطـاق الأسرة ارتويت بصوت يـسرى فى القلـوب : الله أكبر . . اللـه أكبر ، نسمعـه خمس مرات فى اليوم الواحـد كنداء للصلاة المفروضـة . وأحسسنا بأهميـة مساعدة الفقراء والمساكين وأبنـاء السبيل بالزكاة والرحمات والصدقة وذقنـا حلاوة الصيام ثم الإفطار على المدفع فى رمضان ، شهر القرآن والصبر والجـهاد ، وسمعنا زغاريد النساء تودع بالحب حجاج بيت الله الحرام وتستقبلهم بعـد العودة بالأهازيج والفرح . والفخر ، وكانت نغمات النشيد الإلهى تشدنا إلى حبل الله المتـين وسنّة رسوله الكريم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم نغمات الحب الإلهى بالصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . . وهكذا وضع الله سبحانـه وتعالى حجر الأساس الإيمانى فى قلوبـنا الفتية كركيزة للقـوة والأمانة فى دنيا الطفولة الأولى نمت معنا حتى الشيخوخة . .

ومع نسمات الطفولة الأولى شعرنا بالفخر فـــى حب مصر العزيزة ، وكنا نغنـــى لها « مصر العزيزة لي وطـن وهى الحمى وهى السكن وهى الفريدة فى الـزمن . . » فهى حبنا بعد الله ورسوله وتعـلمنا الانتماء إلى الوطن والأسرة والعائلة فى مـجلس الأسرة الصغير ، الذى كان يـجمعنا مع الجـد والعم والخال وكبـار رجال العائلـة وشبابها والجيـران ، حيث

نستمع إلى قصص وحكاوى الوطنية الصادقة التى تحارب الاستعمار باللسان والقلم والسلاح ، وبطولات القادة والزعماء العظام ، وقصص الشجاعة والإقدام مع القوة والأمانة وحب الخير ، فإرتوت طفولتنا بمزيج من العلم والمعرفة بالدين والحياة والوطن والعدو المستعمر الغاصب لأرض العرب عامة ومصر خاصة فامتلأت القلوب حقدًا ضد الاستعمار عامة وضد الانجليز خاصة ، حيث كنا نراهم يتسكعون فى الشوارع والحوارى والطرقات سكارى مخمورين ، ونراهم فى ثكناتهم العسكرية أو فى مواقع حراساتهم مدججون بالسلاح ، وكان سلاحنا نحن الأطفال هو الدعاء إلى الله .

ياعزيز ياعزيز كبّه تأخذ الإنجليز

وكانت الأناشيد الوطنية سلاحًا آخر ينبعث من الأعماق ، ونهتف لمصر دائما قائلين :

- اسلمى يا مصر إننى الفداء
- مصر العزيزة لى وطن وهى الحمى وهى السكن وهى الفريدة فى الزمن
- بلادى بلادى لك حبى وفؤادى

- وفى المدارس الإبتدائية تعلمنا مبادئ النظام والانضباط والطاعة ورياضة العقل والبدن مع المعرفة بلغة العدو المستعمر الغاصب ، وبعض عاداته وتقاليده حتى رقصاته الاسكتلندية بالسيوف ، كنا نتدرب عليها ونرقصها تحت إشراف المدربين . . ورغم ذلك فقد كان الحقد دفينا فى القلب والنفس من تواجد هؤلاء الدخلاء فوق أنفاسنا !!

- ولما اجتزنا سنوات الطفولة إلى المراهقة والشباب تحولت كل المعانى السابقة إلى سلوك وطنى إيمانى ، انطلق بالحقد الدفين للمستعمر فى مظاهرات شبابية نهتف فيها بالحرية ولمصر بالحياة وللعدو الإنجليزى المستعمر بالرحيل أو الموت .

- واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ ، ونحن نطرق أبواب الالتحاق بالجامعات والكليات والمعاهد ، وكان نصيبنا الالتحاق بالكلية الحربية الملكية ، حيث عشنا فيها سنوات من عمر هذه الحرب الضروس قضينا معظم لياليها فى خنادق الوقاية من قنابل الطليان ، ثم من قصفات قنابل الألمان الثقيلة . . وفرحنا بالنجمة الصفراء على الكتف وبالسيف المدلى إلى الجنب ، ولكن كان القتال على أرض مصر فى صحرائنا الغربية يحتدم بشدة بين قوات المحور الإيطالية / الألمانية وقوات الحلفاء من

إنجليز وأستراليين وهنود ويهود وغيرهم ولـم يكن للجيش المصرى دور رئيسى فى هذه الحرب إلاً فى أعمال الدفاع الجوى بالمدفعية المضادة للطائرات وبطاريات الأنوار الكاشفة لحماية معسكرات وتجمعات الحلفاء فى القاهرة والإسكندرية على وجه التحديد ، مع تكليف بعض وحدات الجيش المصرى بأعمـال الحراسة والدفاع الخارجى لبعض المناطق المهمة فى مصر . . . ولما انتهت الحرب فى عام ١٩٤٥ ، وانتصر الحلفاء زادت قـوة الاستعمار البريطانى وغيره رسوخًا فى قلب العالم العربى عامة وفى مصر خاصة .

- وسارت مصر - رغم أنفهـا - فى ركب الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، إلا أن هجوم قوات روميل الساحق وتقهقر الحلفاء تجاه العلمين واقتراب قوات روميل من الإسكنـدرية ، فى عام ١٩٤٢ جعلنـا نحن شباب مصر نـعجب بالأكثر قـوة وشجاعة وتمنينا اندحار الإنجليز ومن هم فى ركبهم ولكن هذا الحلم الجميل تحول إلى كابوس لنا بعد معركة العلمين . .

- ودق الاستعمار مـسمار جحا الإسرائيلى فى قـلب العالم العربى بالاعتـراف بقيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، ورسم أيضًا للجيوش العربية طريـق الهزيمة والاندحار لتثبـيت كيان هذه الدولة ، فـزيَّن للجيوش العربيـة من وراء الستار بالتـقدم إلى داخل فلسطـين كل فى قطاع خاص ومحور مـعين بتنظيم وتخـطيط بريطانى !! وبالـطبع لم يكتب للجيوش العربية أى نصر أو نجاح فى أى معركة لعدم سابق إعداد القوى الإعداد الصالح للقتال ، اللهم إلا صيحات جنود الحـق المؤمنة رافعة شعار الله أكبر . وبعزيمة المؤمـن وقوته نجـحت قوات المـتطوعـين العرب فى مـعظم مـعاركهـم ضد الغـاصب الإسرائيلى . . . ولكن سرعـان ما قلت الحيلة ومسّ طائف الشيطان قـلوبهم وعقولهم فضعفت عزيمتهم ثم خارت قواهم !! رغم وصـول طلائعهم إلى مشارف القدس بعدما نجحوا فى تأمين بئر السبع والخليل وبيت لحم مهد السيد المسيح عليه السلام .

- وعادت الجيوش العربية وقوات المتطوعين إلى أوطانها مكسورة الجناح مثقلة بالضحايا من الجرحى والمصابين والمشوهين ، تاركة خلفها آلافا من الشهداء الأبرياء الأبرار فى القدس واللد والرملة والمجدل وأسـدود وعراق المنشية والفالوجا وعراق سويدان نـيتساليم وغزه وبئـر السبع وفـى ضواحى حـيفا وتل أبـيب . . تشـكو أرواحهـم مالمست مـن غدر الاستعمار وخـيانة الصديق وطعنات الـقريب ، مع عدم الاهتمام بـإعداد القوى ورباط الخيل ثمنا لإرضاء المستعمر القوى المسيطر !! وعدم قدرة الحكام وضعفهم وتنازعهم .

- وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على ثلاث مبادئ إقامة ومثلها هدم .. فهل الإقامة أفادت القوى ونجحت فى إقامة جيش وطنى قوى عماده العقيدة الصادقة والقادة القدوة أو أقامت حياة ديموقراطية سليمة توصل إلى إعداد القوى ، أو حياة اجتماعية معقولة تثبت القوة وتعززها . وهل الهدم أفسح مجال الحياة الآمنة المطمئنة الكريمة .. والحقيقة أن الثورة نجحت فى جعل المستعمر البريطانى يحمل عصاه ويرحل .. ولكنه عاد مرة أخرى وفى نفس عام الرحيل منتقما من هذه الثورة متعاونا مع فرنسا وإسرائيل فى العدوان على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ ويشهد الله سبحانه وتعالى ويشهد أعداؤنا بقوة وقدرة الجندى المقاتل فى مقاومته لقوى العدوان فى أبو عجيله وممر متلا فى سيناء وفى مدينة بورسعيد الخالدة ، وسيسجل التاريخ هذه الملاحم فى سجل الشرف . وكانت عناية الله تحمى مقاتلينا فى صحراء سيناء من نيران العدو ولهيب الانسحاب وقسوة الصحراء .. وخرجت مصر من حربها ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ منتصرة مهزومة !! يثقل كاهلها الانتصار المزعوم ويهز كيانها الهزيمة المستورة وكسبت إسرائيل سيطرتها المؤقتة على شبة جزيرة سيناء بالكامل ...

- وعندما قامت ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ سارعت مصر إلى نجدتها والوقوف بجانبها ضد قوى الاستعمار والرجعية ، وكانت هذه النجدة سببا رئيسيا فى نجاح ثورة اليمن وازدهار اليمن وجلاء المستعمر الغاصب عن الجنوب اليمنى ومساندة القوى الوطنية فى أرجاء العالم العربى ولكن هذه النجدة كانت أيضًا السبب المباشر لهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، فقد فقدنا عقيدة القتال وعقيدة النصر أو الشهادة وفزنا بعقيدة الريال وتفجّرت الصراعات العربية بين دول العالم العربى بعضها البعض ، وفى داخل الدولة الواحدة خاصة مصر واليمن نفسها !!

ووقف الاستعمار يشاهد بفرحة نمو بذور الحقد والتفرقة التى زرعها فأثمرت بما كان يرجو ويطمع وأكثر ، بين الأخ وأخيه وبين أفراد الدين الواحد والعقيدة الواحدة ... ورغم هذه الطعنات القاسية وتوفر المال وأسباب وإمكانيات بعض أعمدة إعداد القوى ، فلم يحاول أحد من ذوى السلطة أو القدرة أن يعد القوة الوطنية القادرة لحماية وطنه ، والذود عن هذه الثروة البترولية الضخمة التى أهداها الله لهم وفجرّتها هذه الأرض الطيبة المباركة نعيمًا للأجنبى ووبالا على العربى صاحب الأرض ... وهنا احتاجوا إلى القوة القادرة على

الحماية وتحقيق الأمن والأمان للحاكم ومن يدور في ركبه ، وكان الثمن كما خطط المستعمر الغاصب ، يحمي من هو غير قادر ويدمر من يراه قد وصل إلى درجة من القوة تهدد مصالحه . وكانت مصر قد وصلت إلى مرحلة الزهو والشعور بالقوة فكان قتال الـ ٦ ساعات كفيلاً بتدمير قدرة مصر القتالية جوًا وبحرًا وبرًا وقدرة شعبها المسالم الآمن . .

وتبقى عدَّة أسئلة وتساؤلات تدور في وجدان التاريخ ؟

لماذا انهارت كل هذه الأعمدة القوية ؟

لماذا تفتتت القوات وتضاربت المسئوليات ؟

لماذا الصراع بين القمم ؟

لماذا قمنا بمظاهرات عسكرية صاخبة ثم انتكسنا ؟

لماذا انتصر الاستعمار وانتصرت إسرائيل ؟

لماذا لم ندرس ما أصدرته هيئة عمليات القوات المسلحة المصرية بعد عدوان ١٩٥٦ من تقدير موقف رفع إلى القيادة العليا يوصى بالآتي :

على مصر أن تعمل دائما ولفترة طويلة على عدم الدخول في حرب مع إسرائيل لأسباب كثيرة واضحة وخفية ؟

أسئلة كثيرة سنجد جوابا لها وتظهر حقائقها يومًا ، عندما يكتب التاريخ بصدق وأمانة ووضوح وإخلاص . . .

- رغم انسحاب القوات المصرية المسلَّحة من شبه جزيرة سيناء بالكامل واحتلال الإسرائيلين لها وتهديد قناة السويس وتوقف الملاحة في هذا الشريان الحيوى للمواصلات ، وما تبعه من انهيار القيادات وتصدع أعمدة القوى وتخبُّط في رباط الخيل وفقد آلاف الشهداء الأبرياء وأسر أعداد كبيرة من القادة والضباط والجنود ، وكثرة الجرحى ومشوهي الحرب وفقد الثقة بين الشعب وقواته المسلحة ، فقد بدأت روح القتال والثقة تعود خطوة خطوة . . . فكانت معركة رأس العش في أول يوليو ١٩٦٧ رغم صغر حجم القوة المصرية فيها ، وإغراق المدمرة الإسرائيلية « إيلات » في نفس ٢١ اكتوبر ، وعمليات القوات الجوية المصرية ضد القوات الجوية الإسرائيلية في نفس شهر يوليو

أيضًا ، تم الاشتباك المسلح بالمدفعية والدبابات وأعمال اقتناص أفراد ومعدات العدو الإسرائيلى والعبور إلى ضفة الشرقية لقناة السويس ، والحصول على أسرى ضباطًا وجنودًا فى عمليات فدائية جريئة قوية ، أفزعت العدو الإسرائيلى وحطمت كبرياءه وفتحت ثغرات فى جدار الخوف والرعب ، فى هذا الجدار الحصين الذى أقيم منذ القتال الأول عام ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل ، وأضاف إليه عدوان عام ١٩٥٦ قوة ، ثم ما حدث من انهيار عام ١٩٦٧ . . بدأ هذا الجدار القوى يتصدع وينهار فى حرب الإرهاق بل بدأنا بقوة فى بناء جدار الخوف والرعب للعدو الإسرائيلى بعد قصفات يونيو ١٩٦٧ ، وبعد عمليات التراشق بنيران المدفعية والدبابات وعبور الرجال شرقًا لاقتناص أفراد العدو وتدمير معداتهم ومهاجمة حصون خط بارليف المنيعة بشجاعة وإقدام ، وفدائية أحدثت الذعر فى قلوبهم وشفت صدور قلوب المؤمنين . .

هذا هو المفتاح لبناء قواعد إعداد القوى ورباط الخيل بالاستفادة من نقط الضعف والقوة فى الجولات الإسرائيلية العربية السابقة ، ودراسة ما كتب عن أعدائنا خاصة فى ناحية العلاقة بين الضابط والجندى وتقليل المسافة وإعداد القادة القدوة وبناء العقيدة الإيمانية الصادقة ، وقد أخذنا ندرس العدو عن قرب كحقيقة وليس خيالات وتهيؤات ، وتعلمنا أدب الحرب والالتزام بأساليب العلم والمعرفة والواقعية فى إعداد القوى ، والتدريب المستمر خاصة فى إعداد الفرد المقاتل إعدادًا سليمًا . وانتظم جندى المؤهلات العليا فى صفوف القوات المسلحة فى عزم وثقة ، ومرّ الجميع فى ممر معنوى سليم واتجهنا إلى الله والتزمنا بعقيدتنا الإيمانية الصحيحة الحلوة ، وبدأت شمس الأمل تشرق لمستقبل أفضل على هذا البلد الأمين .

وكنا قبل هذا التاريخ نستخدم نداءً منكرًا لإظهار الحماس والقوة عند التجمع أو الاصطفاف أو فى التدريب حتى جندى البوليس كان يتفاخر بهذه الجعجعة « هع » ليخيف اللصوص وقطاع الطرق . وبالطبع فشلنا فى كل الحروب التى استخدمنا فيها نداء « هع » هذا والذى ليس له أى معنى ، وتذكرنا فدائية المجاهدين فى الجولة الأولى عندما كانوا يتقدمون بعزيمة صادقة ، مطلقين صيحة الحق : الله أكبر . . الله أكبر ، ويقتحمون حصون اليهود إيمانا بالنصر أو الشهادة وهكذا انطلقت هذه الصيحات القوية أثناء التدريب وفى أعمال الفدائيين والقوات التى كانت تعبر شرقًا ، فأحدثت الهلع والرعب والذعر للعدو الإسرائيلى ، وزلزلت الأرض تحت أقدامه ، وأعطت الثقة والأمن والأمان والاطمئنان للمنادين بها : الله أكبر . . الله أكبر.

هذه هـى نتائج حـرب الأرهاق (حرب الاستـنزاف) التى خـاضتها الـقوات المسلـحة المصرية بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ولولاها لما استطعنا تحطيم جدار الخوف ونقله إلى الضفة الشرقية ، ولـولاها لما استطعنا إعداد القوى ورباط الخيل علـى أعمدة قوية ثابتة راسخة ، كانت هى مفتاح النصر فى حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) . . .

- وفى ٢٨ سبـتمبر ١٩٧٠ انتقل الرئـيس جمال عبد الـناصر إلى الرفيق الأعـلى وتولى الحكم بعـده الرئيس محمـد أنور السادات ، وبدأت سنـوات الحسم والإعداد للمـعركة حيث استكمل الإعداد للقتال أو مايسـمى بإعداد القوى ورباط الخيل على أسس روحية ومادية ومعنوية واقتـصادية وإعلامية ودبلوماسية وسياسية ، إلى أن حـقق الله سبحانه وتعالى النصـر لقواتنا المسلحة المصريـة وإخواننا فى السلاح فى سوريا الـشقيقة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - ١٠ رمضان ١٣٩٣ .

- ودارت معارك عنيـفة فى الميدانين السورى والمـصرى ، ولولا التدخل الأمريكـى السافر لمعاونة حـليفته إسرائيل لما حدثت الثـغرة هنا فى مصـر والتوقف هناك فـى سوريا ، وتحول النصر إلى حصار هنا ومحاولة اختراق هـناك وتوقف القتال وقبلت مصر السلام وتوقيع معاهدة كامب ديفيد . . وهنـا دارت الدائرة على مصر من كل العرب . . كيف تتفق مصـر مع إسرائيل ؟ وكيف يجلـس المفاوض المصرى مع الإسرائيلـى على مائدة واحدة ؟

كيف وكـيف وكيف . . وهكـذا انكسر جدار الـوحدة العربيـة وتفجَّرت مشاعـر الحقد والحسدَ والغضب فى طوفان رسم له الاستعمـار طريقه ، حتى يضمن غرق كل القوى العربية فى مستنقع الغضب والفرقة والحقد وينهار البنيان العربى المرصوص . . .

- وفى ذكرى هذا النصر العـظيم يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ اغتيل الرئيس الـسادات أمام رجال مصر والعالم أجـمع ووسط قواته المسلحة ، وخلـفه الرئيس محمد حسنـى مبارك قائد القوات الجوية فى حرب أكتوب ١٩٧٣ ، زميل السلاح والكفاح ، وزميل نصر أكتوبر العظيم . .

- ورغم نصر أكتوبر ومـا حققه لمصر وللعرب عامة من عزة وكرامـة ومجد . . فقد اهتزت الساحـة العربية عدة مـرات ، أولها اندلاع حرب ضـروس بين العراق الشقـيق وإيران المسلمة ، ثم اختلافات بين دول الخليج بعضها البعض على نخلة هنا وبئر هناك وقطعة

أرض ربما يكون تحتها بئر بترول يسيل له لعاب المستعمر والحاكم . . واختلافات أخرى في دول المغرب العربـي وصراع القوى في لبنان ، وانهيـار روابط الأخوة في الدين أو اللغة أو الأصل !! والانتفاضة الفلسطينية وأسلوب القمع الإسرائيلي البشع . . .

- واليوم ونحن نقتـرب من نهاية القرن العشرين ، وقد خاض الـعالم عدة حروب قاست منها الشعوب ألوانا من العذاب والتدمير والقتل في ميادين القتال في البحر والبر والجو وفي المدن والقرى وما عانته من ضنك اقتصادى شديد وخسائر مادية ومعنوية لا حصر لهـا ، كما خاض الـعرب عامـة ومصر خـاصة الحرب العـالمية الأولـى عام ١٩١٤ ، والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ ، وحروب المواجهة بين العرب وإسرائيل في أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وحـرب الاستنزاف والإرهـاق حتى ١٩٧٠ وحرب رمضان (اكتوبر ١٩٧٣) . وحدثت جولات مـواجهة أخرى بين العراق وإيران حدث الغزو العراقي للكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ ، ثم حرب تحرير الكويت الذى تزعمته أمريكا ومعها معـظم دول العالم وبعض القوات المسلحة من بعـض الدول العربية التى ناصرت الحـق الكويتى . . وتـسمى عاصفة الـصحراء ، حيث اسـتثمرت في تحـقيق الواقعية فـي تدريب الجنود على أحدث الأسلـحة البرية والجوية والبحـرية من صواريخ ومدافع وبوارج ومدمرات وأسلحة ، وصلت إلى قمة التـقنية الحديثة الفتاكة كما كانت سيدانًا لتدريب القادة والضباط والقيادات عـلى إدارة المعارك بأنواعها إدارة حقيقية ، ولو أنها غير متكافئة ضـد عدو لايستطيع مقاومتهم المقاومة العادلة ، وعـموما تعتبر معركة عاصفة الصحراء مناورة مشتركة حقيقية ، حققت دراسة الكفاءة القتالية للقوات المسلحة والأسلحة والمعـدات المختلفة ، وأعطت لمن اشتـرك فيها خبرة قتال وتجارب حـقيقية ، تصلح لأن تبنى عليها استراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل في المستقبل . .

وجاء مـؤتمر القمة الأمريكى - الـروسى الذى عقد في واشنطـن في يونيو ١٩٩٢ نقطة تحول مهـمة وعلامة غامضـة في علاقات القوى الـتى هيمنـت على العالم مـنذ الحرب العالمية الثانية وحددت مجالات التعاون والتـنافس بينهما ، وانتهى عصر الحرب الباردة وعصر العداء الإيديولوجى بين القوى العظمى ، وتخلت روسيا الجديدة عن استراتيجية التوازن التى كانت العـلامة المميزة لـسباق التسلح ورضيت أو رحبـت بالتفوق الأمريكى ولطبيعة الدور الذى تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في العالم اليوم . . كقوة عظمى وحيدة . . ولكن إلى حين .

وأصبحت مقدرات شعوب العالم عامة ومقدرات الشعوب والحكومات العربية خاصة فى الملعب الأمريكى ونشأت تجارة التهديد والحماية بالثمن ، والثمن المفروض هو السيطرة على كنوز الله فى أرض العرب من ثروات هائلة وعلى قمتها . . البترول . . عصب الحرب ووقود آلاتها الجبارة وعنصر حيوى من عناصر إعداد القوى يجب السيطرة عليه حتى لايستخدم ضدها أو ضد مصالحها فى أى حرب قادمة كما حدث مسبقا فى حرب ١٩٧٣ ، وهو الآن كله فى يد أمريكا وفى منقطة نفوذها ، محاطًا بقواعدها العسكرية وبوارجها فى بحارنا نحن العرب وأساطيلها فى مياهنا وطائراتها فى سمائنا

- ونحن العرب عامة وفى مصر خاصة نعلم تاريخنا القديم وحضارتنا فى مختلف العلوم والفنون ، وفى الحرب والسلام ، وفى كل مجالات التقدم الزراعى والصناعى والتجارى والاقتصادى والعلمى والطبى ، وفي صناعة الأسلحة والمعدات وإعداد القوى بكل أنواعها ، التى نستطيع بها تحقيق الأمن والأمان للوطن ، وتحقيق قوة الصمود أمام كل أنواع التيارات الخارجية أو الداخلية من اعتداء وإرهاب ورد عدوان أيا كان نوعه ، والدفاع عن الشرف والوطن والأهل والنفس والمال والبنين والعرض . .

وفى هذا البحث العميق نضع على الطريق **مقومات إعداد القوى ورباط الخيل** والأسس التى نراها حيوية لبناء القوى وإعدادها باستراتيجية ، تهدف إلى إرهاب العدو وطمأنة الصديق ، وتحقيق الأمن والأمان والاستقرار ، وتحقيق المثل القائل

« الغلبة للأكثر نفيرًا »

إن استراتيجية إعداد القوى ورباط الخيل تبنى بالصبر والمثابرة مع بناء القوة الذاتية والتنمية الاقتصادية وإصلاح التعليم ، وتطوير اسلحتنا وصواريخنا وإعداد القوى السياسية والدبلوماسية والتوسع فى التعامل مع دول العالم خاصة الشرق مثل الصين والدول الآسيوية ، وإيران وباكستان وتركيا وافغانستان وغيرها ، مع اعداد القوى الإعلامية والأخلاقية والتربوية ، ونسير فى طريق إعداد القوى خطوة خطوة ، ولا نتسرع بالإنزلاق إلى الحرب أو نطلبها الآن لأنها ليست فى صالحنا نحن العرب عامة ومصر خاصة . .

وهذه المقومات هى :

١ - القائد القدوة

٢ - العقيدة الإيمانية الصادقة

٣ - الوطنية وحب الوطن

٤ - معرفة العدو

٥ - الانضباط و وأدب الحرب والسلام

٦ - العلم كسلاح والمعرفة كرأس مال

٧ - الإعداد الكامل والتدريب الواقعى المستمر

- ويضفى إعداد القوى عامة والاستعداد العسكرى خاصة على عوامل الوضع الإستراتيجى تلك الأهمية الفعلية فى بناء سيادة الدولة وتحديد ثقلها فى المجال الدولى ، فالإعداد العسكرى هو إنشاء الجهاز العسكرى الذى يدعم السياسة الخارجية المتبعة ، فإذا كانت القدوة العسكرية غير متكافئة مع السياسة الخارجية . . فإن فاعلية الأخيرة تتأثر بصورة مباشرة ، ويعتبر التقدم التقنى والفنى أحد العوامل الرئيسية والأعمدة الخيوية لمدى قدرة الدولة العسكرية . ولذا يجب أن تحرص الدول الراغبة فى إعداد القوى بمستوى من التسليح يتكافأ فنيا مع التطور العلمى للتسليح العالمى ولا يقل فى نوعيته عن تلك الأسلحة التى يمتلكها العدو المنتظر ، بالإضافة إلى الاهتمام الدائم بنوعية الجندى المقاتل وبمعنوياته هذا بالإضافة إلى أعمدة القوى السبع الضرورية مع الوضع فى الاعتبار حقائق القوة التى تمثل قاعدة قوية ثابتة متينة تقوم عليها هذه الأعمدة وتربطها دعامات تزيدها قوة وصلابة وقدرة على التحمل ، وهى دعامات كثيرة ، سنختار هنا - فى هذا البحث - أهمها وأقواها . .

وأولها : **بناء الإنسان** على أسس تربوية سليمة وعادلة تحقق له التمتع بحقوقه الأساسية وحرياته .

الثانية : **القوة الاقتصادية**

والثالثة : **البترول** وقود الحرب ، وعماد آلاتها وحياة الشعوب عامة والشعوب الأوروبية أساسًا .

الرابعة : **المياه** التى خلق الله منها كل شيئ حي

الخامسة : **التضامن العربى** ، حيث قال اللـه تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [سورة الصف ٤]

والله ولى التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾

[سورة النساء ٥٩]

الفصل الثانى

القــــــائد القــدوة

إن المقدرة العملية للجيش ترتبط ارتباطًا مباشرًا بمقدرة القادة مجتمعين ، ثم بمقدرة كل قائد على حدة وفى حدود مسئولياته الخاصة والقائد مسئول مسئولية شخصية وكاملة عن التشكيل أو الوحدة التى يقودها أو عن العملية المكلّف بها ويجب أن يقنع جنوده بأن السلطة فى الوحدة هى سلطته ، وأنه قادر على تولى هذه السلطة وجدير بالتقدير الذى خلع عليه . . ولن يتمكن القائد من إرغام جنوده على احترامه وتقديره ، وعلى الإيمان بقدرته واعتباره رفيقا لهم إلا عندما يحظى بثقة جنوده وإذا حصل على ثقة جنوده فلن يصبح بحاجة إلى اللجوء إلى القانون والقيادة الفظة ، وإذا اضطر إلى توقيع عقوبة فسوف يقبل مرؤوسوه منه ذلك باعتباره أمرًا عادلاً له ما يبرره ،وذلك لأن القيادة الرشيدة تكون بالترغيب لا الترهيب .

ولايمكن الاستغناء كلية عن قوة القانون وسلطة فرض العقوبة ولكن من علامات القيادة الصالحة إنها نادرًا مااضطر إلى ممارسة هذه السلطات ، فليست هناك وحدات سيئة بل قادة سيئون فقط !! وليست القيادة خلق شىء بقدر ما هى خلق الرجال والسيطرة عليهم والحصول على محبتهم . . . . وهى ليست مجرد اندفاع أو زلافة لسان أو شجاعة أو مهارة أو جمع بطانة من الممالئين والمستغلين ولكنها حشد الرجال وتشغيلهم ومعرفة إمكانياتهم واستغلالها ووضع كل منهم فى المكان الذى يلائمه ، وبث فكرة القوة والمساواة بينهم وتوزيع المسئوليات عليهم ، وإشراكهم جميعا فى خدمة المصلحة العامة على أن يبقى كل فرد منهم ضمن اختصاصه . .

والقائد الذى لايمكنه القيام بهذه المهمة والذى يحيد عن طريقه ليقيم « مسافة » بينه

وبين جنوده غير جدير بمركزه .. ولقد حدثت في حروب مصر المعاصرة مشاكل كثيرة وعميقة، كان سببها المسافة الكبيرة التى أوجدها الاستعمار فى صفوف القوات المسلحة بين الضابط وجنوده ولم يكن الاستعمار هو السبب الوحيد ولكن المشاكل الاجتماعية فى مصر كانت سببا إضافيًا لهذه المسافة . والحقيقة أنها مشكلة كبيرة مازالت ماثلة إلى حد ما فى بعض الوحدات العسكرية . والقائد القدوة القوى هو الوحيد الذى فى إمكانه تقليل هذه المسافة بشيء واحد رئيسى فقط ، وهو **الطعام** فإذا تمكن القائد من جمع الضابط الصغير مع جنوده على مائدة طعام واحدة لا تمييز فيها بين ضابط وجندى فيعتبر قائداً ناجحا وقدوة حسنة . وقد درس الإسرائيليون هذه الظاهرة الخطيرة وأشاروا إلى أنها سبب رئيسى فى كراهية الجندى لقائده وعدم الثقة به ، خاصة عندما يرى نفسه يقاتل تحت إمرة قائد له لايشاركه طعامه ، ويأكل ما لذ وطاب وهو لايجد ما يسد رمقه وإن وجده فغير معتنى به وتعافه النفس !!

فالمساواة فى التضحية بغض النظر عن الرتبة تعتبر من المبادئ الأساسية التى يبنى عليها الجيش القوى .

ويجب ألا يجعل القائد نفسه فى وضع أعلى من جنوده ، ولابد أن يكون واحدًا منهم يقودهم بمسلك طبيعى . والقائد مسئول عن الإعداد العقلى لجنوده بما لايقل عن مسئوليته عن تدريباتهم الجسمانية والمادية واعدادهم للمعركة ، والاهتمام الأبوى بالجندى ورفاهيته لايعنى تدليله على الإطلاق ، فالأهتمام الصادق بالجندى بإزالة الرهبة من نفسه وحل مشاكله ، مع المعاملة الحسنة والعدل تؤدى إلى كسب ثقة الجنود وتعدّهم لمواجهة أفظع التجارب فهم يعرفون أن قائدهم يقدر قيمة أرواحهم على نحو مايفعل مع نفسه ولن يعرضهم بتهاون لخطر الموت دون داعٍ . .

وإذا وثق الجنود باهتمام قائدهم بهم ، وأنه ينظر إليهم بمنظار العطف ويحرص دائما على أن يكون معهم فى التدريب وفى أوقات الراحة يشجعهم على البوح بأسرارهم وآلامهم ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم يحقق ما قال أحد الحكماء « **لايمكن تكثيف الهيمنة على الرجال مالم نستطع الهيمنة على قلوبهم** » . ويجب أن يتقن القائد القدوة فن إدارة الرجال والانضباط المبنى على الحزم مع العدل . . . وأن يكون القائد معلما ومدربا ويثير بين مرؤوسيه حب العمل والشعور بالمسئولية وروح الجماعة . وعلى القائد حسن اختيار اللحظة

المناسبة لإظهار رضاه بعد جهد كبير ، أو تخـطى عقبات مادية أو معنوية جسام أو تحسن فى سلوك الأفراد أو تقدم فى العمل ، ولا ينبغى تطبيق هذه القاعدة على الأفراد فقط فالوحدة قد تستحق كلها كلمة تقدير أو ثناء لايقل إن لم يزد أحيانا عما يستحقه الأفراد البارزون أو ذوو المكانة العالية . .

هــذه خلاصة تجارب وخبرات قادة أعدوا جنودهم للـقتال إعدادًا معنويا وماديا بالحكمة - والإخلاص - والطيبة - والشجاعة - والصراحة مع العدل فانطبق عليهم هذه الحكمة :

القائد القدوة = القائد القوى الأمين

- ولقد أثبــت التاريخ أن مصر كـانت دائما **قوة** وأن ما كان يـنقصها دائـما هو **القائد القدوة** الذى يستطيع تحريك هذه القوة بأمـانة لصالح مصر أولا ، ويكون شعاره دائمًا مصر أولاً فى التخطيـط وفى إدارة المعارك وقيادة الرجال مع معرفته لقـيمتهم والمحافظة على كرامتهم ويشعرهم دائما **بالعدل** فإذا شعروا بظلم قائـدهم تأثروا وثاروا ولو كان هذا القائد محبوبهم . .

وفى الحرب المعاصرة التى خاضتها مصر أمثلة كثيرة عن قادة قدوة أثبتوا جدارة وصمودًا وأمانة ، وآخريـن لم يلحقوا بهـم فى طريق القدوة الحسـنة طريق الله حيـث الطهارة والرحمة واليقين والقرب من الله فنالوا جزاء الظالمين .



الفصل الثالث

العقيدة الإيمانية الصادقة

كان المواطن العربى يـحرص فى الجاهلية على أن يموت ميتـة الأبطال ، أى فى ميادين القتال ، وحين جاء الإسلام كان الفرد المسلم يتمنـى ميتة الشهداء فى ميدان القتال جهاداً فى سبيل اللـه بالنفس والمال وهذا الحرص من الجاهـلى وهذا التمنى من المسلـم هو الذى يدفع بالمقاتل العربى إلى ميدان القتال مستبسلاً من أجل إحراز النصر . . فالعقيدة حركة ، وحياة عاطفة ، وانفعال ، قوة والتزام ، وهى قوة ربانية سلاحها الحق والصبر .

والعقيدة الصـادقة هى التى تنبع من الاقتـناع الكامل للعقل والقـلب ، وأولى خطوات الوصول إليها هو الإيمـان وهو أقوى من كل القوى وأعظم أسلحة الدنـيا إذا دعم بالتقوى والحياء والعلـم كما جاء فى الحديث الشريف « الإيمـان عريان ولباسه التقوى وزيـنته الحياء وثمرته العـلم » ويجب الاستفادة من الوازع الـدينى وقوة الإيمان للوصول إلـى قلب الجندى وعقله حتى نحوِّل الإنسان المهمل المستهتـر أو المتشائم أو الجبان إلى إنسان مقاتل شجاع يملأ الإيمان قلبه وعقلـه ويزداد حبا وإيمانا بالله ووطنه وقادته ونـفسه وإخوانه وسلاحه . . . وإذا زادت درجة إيمان الفرد رسـخت عقيدة الإيمان فى أعماقـه ، وبلغت من القوة مايـدفعها إلى الإشعاع داخله بـدرجة تدفعـه إلى إشعاعها فى كل أعـماله وتصـرفاته ، وعلـينا أن نثـير الحماس للعقيدة وللمثل العليا فى نفوس الشبيبة الناشئة المتعطشة بجرعات مستمرة من الإيمان تدعم شوقه للفداء والتضحية فى سبيل العقيدة الصادقة . .

والإيمان يسلِّح الجندى المقاتل بقوة خارقة ضـد الرهبة والخوف مع ذخيرة الثبات ورفض الشائعات والحرب النفسية التى يبثها العدو قبل وأثناء القتال لإضعاف المعنويات والتأثير على النفوس الضعيفة .

لو نظرنا إلى حقيقة الأمر فى حروب مصر المعاصرة لوجدنا أن الإيمان كان سلاح الجندى المصرى وشعب مصر المؤمن ضد سموم العدو التى يبثها ويذيعها باستمرار ، ولولا قوة الإيمان وقوة العقيدة لكنا الآن فى طى النسيان . .

والحقيقة أن تكوين العقيدة الإيمانية الصادقة هى مفتاح النصر فى المعارك وفى الحياة ، فالعقيدة الصادقة التى تسكن العقل والقلب تفعل المعجزات خاصة إذا ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالإيمان الصادق بالله ، وهذا يحقق للإنسان :

- عدم الرهبة أو الخوف مع ثبات النفس
- رفض شائعات الحرب والحرب النفسية
- طهارة القلب واللسان واليد والعمل
- الرحمة بالغير وبالنفس
- القرب من الله بما يجعله لايرهب الموت ويتمنى الشهادة .

يعتبر الإيمان أهم مقومات العقيدة الصادقة وترتبط به مقومات أخرى ، هى الوطنية وحب الوطن والولاء وإطاعة أولى الأمر مع معرفة العدو والتأدب بآداب الحرب والسلام وفى الانضباط المبنى على العدل والحزم مع الرحمة ، والعلم والمعرفة ، والتدريب الواقعى تحت قيادة قدوة قوية أمينة .

الفصل الرابع

الوطنية وحب الوطن

الواقع الذى لايرقى إليه شـك إن لمصر العربية الإسلامية مفخرة لم تجـتمع لشعب فى الأرض غير شعب مصر فتاريخ مصر القديم تـاريخ عظيم وعروبتها أصلاً وفرعًا ولغة شرف كبير ودينها نعمة ورحمة . ولقد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم في خمس آيات من سور القرآن (البقرة - يونس - يوسف - الزخرف)، انظر اللوحة .

كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال بعد أن فرغ من الصلاة « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا فتحت عليكم بعدى مصر فاتـخذوا منها جندًا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض** » فقيل له : ولم ذلك يارســـــول الله ؛ فقال عليه الصلاه والسلام « **لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة واستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم عندى ذمة ورحمًا** » .

وقد حقق الواقع ما انبأ به النبى ﷺ ففُتحت مصر من بعده واحتملت فى دفاعها عن العروبة والإسلام مالم يحتمله شعب آخر ، وكان منها خير أجناد الأرض الذين حموا كرامة العروبة وعزة الإسلام وظلوا مـرابطين يسهرون على حماية الدين والشرف والـقومية العربية والمد الإسلامى ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال :

« **مصر كنانة الله فى أرضه ما كاد أهلها أحد إلا كفاهم الله مؤنته** »

فليعرف العرب عامـة والمسلمون خاصة واجبهم نحو مصر فإنـها كانت ومازلت حارسة دين الله وقلعة العروبة وراية الإسلام وهى كنانة الله فى أرضه .

ومن المأثورات التى ورد فيها ذكر مصر وأهلها ما قاله عبد الله بن عمرو بن العاص :

« أهل مصر أكرم الناس كلهم ، وأسمحهم يدًا ، وأفضلهم عنصرًا ، وأقربهم رحمًا بالعرب عامة ، وبقريش خاصة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحاديث
التى ورد فيها كلمة مصر

قال رسول الله ﷺ

١ -- سَتُفْتحُ عليكمَ بعدى مصرَ فأستوصُوا بقبطِهَا خيرًا فإنَّ لى فيهم ذِمَّةً وَرَحِمًا .

٢ - اذَا فَتَحَ اللهَ عليكمْ مصرَ فاتخذوا منها جُندًا كَثيفًا فإنهم خيرُ أَجْنَاد الأرْض . فقال أبو بكر رضى الله عنه ولَمِ ذلك يا رَسُولَ الله . فقال لإنهم فى رِبَاطٍ إلى يوم القيامة .

٣ - وعنه ﷺ أنه قال بعد أن ذكرَ مِصْرَ ما كَاَد لَهَا أحد إلا كَفاَهم الله مُؤْنَتَهَ

- وفى التوراة :

« مصر خزانة الله فى الأرض كلها فمن أراد بها سوءاً قصمه الله ».

أما الشعراء فلهم الكثير من الشعر فى حب مصر ، ومنه :

قم يا ابن مصر فأنت حر واستعـــد مجـــد الجـدود وبهجـــة الأفـــراح

شمـّر وكافـــح فــى الحيـاة فهـــذه دنيـــاك دار تناحُـــــــــر وكفاح

* * *

أسلمــــــى يا مصر إننـــى الفداء ذى يدى أن مـــدّت الدنيا يـــــدا

* * *

بلادى بلادى فـــداك دمــــــى وهبت حياتى فدًا فاسلمـــــــــى

غرامك أول ما فـــــــى الفؤاد ونجواك آخر ما فـــــى فمــــــى

حياتك يامصر فــــــــوق الحياة وصوتك يامصر وحـــــــــى الإله

تعاليت يا مصر مــــــــن موطن علـــــــى الدهر يبقى ويفنى عداه

وفى قمة الفداء والتضحية والوفاء للوطن ، قال الشاعر :

بلادي بلادى إذا اليـــوم جاء	ودوى النـــداء وحـــق الفـــداء
فحي فتاك شهيـــد هـــواك	وقولـــى سلامًا علـــى الأوفياء
ساهتف باسمك مـــا قد حييت	تعيش بلادى ويحيـــا الوطـــن

من المأثورات التى ورد فيها ذكر كلمة مصر

قال عبدالله بن عمرو بن العاص

١ - أهل مصر أكـرم الناس كلها ، وأَسمَحُهم يـدًا ، وافضلهم عُنصرا ، واقـربهم رَحمًا بِالعربِ عامةً وبقُريشَ خاصةً .

قال عبدالله بن عباس :

٢ - دعا نوح عليه الـسلام لابنه بيسر بن حام وهو أبـو مصر الـذى سميت مصـــر على اسمه ، قال :

اللهم إنه قد أجاب دَعْوَتـى فَبَارِكْ فى ذريته وأسكنه الأرض الطيبة المـباركة التى هى أم البلاد .

قال كعب الأحبار :

٣ - لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت إلا مصر

فقيل له - ولم لا - قال :

لأنها مُعَافاة من الفـتن ، ومَنْ أَرادَ بها سوءًا كَبَّهُ اللهَ على وَجْهِه وهى بلـدٌ مبارَك لأهلهِ فيه .

وسيذكـر التاريخ دور المـواطن المصرى وما حـققه لمصر مـن فداء ، ودور القيـادة التى أعدت القوى ورباط الخيل بأمانة واقتدار . ولـيكن محل اهتمامكم يا شباب مصر هو تربية أطفالكم عـلى حب مصر وعلموهم الرمـاية والسباحة وركوب الخيل وفنـون القتال مع أدب الحرب فى الطاعة والوفاء والثبات والحب

وبعد حرب رمضان - اكـتوبر ١٩٧٣ - كـتب أحد كبار كتـاب مصر هذه الكلـمة عن مصر :

يا مصر حفظك الله زمردة خضراء فى كتاب الله ، فقد استعدت مكانك ومسحت الأيام ما تراكم فوقك من صدأ واطمأن التاريخ على نفسه فى العاشر من رمضان . .

إن مصر قد غسلت فى مياه قناة السويس ذل الهزيمة وضعف الانكسار وحطَّمت حصون بنى إسرائيل الـتى ظنوا أنها جسور رهـبة وخوف وذعر لجنودك ، وكان الإيمـان بالله الذى جرى فـى عروق أبنائك ودمـاء شهدائك التى سـالت على أرض الفـيروز تروى عطشها إلى العزة والكرامة والنصر ، هى دعامة النصر الأولى

وأمل المستقبل

ونور اليقين

نشيد بلادى بلادى

بـلادى بـلادى بـلادى

لك حبـــى وفـــؤادى

مصر يـــا أم البلاد   أنت غايتـــى والمراد

وعلـــــى كل العباد   كم لنيلك مـــن أيـادى

بـلادى بـلادى بلادى

لك حبـى وفـــؤادى

مصر يا أرض النعيم   سدت بالمجـد القديم

مقصدى دفع الغريم   وعلـى الله اعتمـادى

بـلادى بـلادى بـلادى

لـــك حبـى وفؤادى

مصر أنت أغلـى درَّة   فوق جبين الدهر غرَّة

يا بلادى عشتى حرة   وأسلمى رغم الأعادى

بـلادى بـلادى بـلادى

لك حبـــى وفـــؤادى

مصـــر أولادك كـــرام   أوفياء يـرعوا الزمـام

سوف نحظى بالمرام   باتحادهـم واتحـادى

بـــلادى بلادى بـلادى

لك حبـى وفـــؤادى

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير
اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا
بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون

وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا
بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين

وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن
شاء الله آمنين

ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري
من تحتي أفلا تبصرون

جمهورية مصر العربية

الفصل الخامس

معرفة العدو

حكمة

- إذا كنت تعـــــرف نفسك

وتعرف عـــــدوك

فلا تخش نتائج مئـات المعارك

- وإذا كنت تعـــــرف نفســك

ولاتعرف عـــــدوك

ستقابل هزيمة مقابل كل نصــر

ستأخذ نصـراً وأمامـــة هـــزيمة

- وإذا كنـت لا تعـرف نفســك

ولا تعـــرف عـــدوك

فأنت أحمـــــق

تستحـــــق كل هزيمة

و ستهزم فـــــي كل معركة

لقد دارت معارك الحرب الاستعمارية في الميدان المصرى الغربى والشرقى على السواء ، وخاصة معركة التل الكبير التى نشبت فى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ فهى معارك - وإن تحيّر الباحث فى تتبع دقائقها - تبرز بجلاء حقيقة الأوضاع السائدة التى كانت البلد غارقة فيها وقتذاك ، فتلك الأوضاع هى التى مهدت للاستعمار طريق عدوانه الوحشى على الإسكندرية وطريق غزوه للأراضى المصرية التى نكبت بالتبعية العثمانية وبلون من الحكم الديكتاتورى الطائش ، كما دخل الاستعمار الأرض العربية بطرق شتى جذبه إليها ثرواتها وأسواقها وأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية منذ عام ١٨٥٦ .

وأشد اعداء مصر والعرب هو الاستعمار الذى كتم أنفاس مصر عام ١٨٨٢ . وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤ وشملت كل أنحاء العالم واستمرت حتى سنة ١٩١٨ قاست فيها الشعوب ألوانا من العذاب وأعلنت مصر الحرب على ألمانيا وحلفائها كما أعلنت تركيا الحرب على الحلفاء وانضمت إلى جانب الألمان .... وهنا أعلنت انجلترا حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

وكانت الحرب العالمية الأولى سببا فى ظهور الوطن القومى لليهود إلى حيز الوجود ، أما الحرب العالمية الثانية فقد ولدت بعدها الدولة اليهودية ، إذ عرفت الصهيونية كيف تستثمر أحداث هذه الحروب لصالحها فى إعداد القوى المقاتلة اليهودية بعد أن أخذت خبرات القتال الحقيقية فى الحرب وبذا أمكن للصهيونية تحويل فلسطين العربية إلى دولة صهيونية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

ولقد تحققت للجيش الإسرائيلى وفرة من الخبرات المكتسبة فى حرب العصابات مع المعرفة الطبوغرافية الجيدة بالأرض وتضاريسها وطرقاتها ، ومدقاتها مع ترسيخ العقيدة الصهيونية بين أفراد القوات المسلحة الإسرائيلية ، مع خبرة بتعاليم ونظريات المدارس العسكرية الأجنبية خاصة البريطانية والأمريكية والخبرات المكتسبة من خلال الاشتراك الفعلى فى الحرب العالمية الثانية بجانب الحلفاء وعلى أرض مصر فى صحرائنا الغربية خاصة . .

ويحكى لنا التاريخ قصص الصراع العربى الإسرائيلى منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا ، وما تكرر منذ ١٩٤٨ من جولات خسرناها نحن العرب إلى أن تحقق النصر لأول مرة على الجيش الإسرائيلى فى حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) .

ومازالت الحرب قائمة رغم صمت المدافع ولكن للصمت حدوداً . . ويجب أن نعترف نحن العرب - كارهين أو طائعين - أن أمّتنا الكبيرة كانت قد انتهت إلى حال من الفوضى

والتفسُّخ أغـرى بها العدو وأضعف أمـل الصديق ، ورسم للاستعـمار سياسة دقيقـة بعيدة المدى لتفتيت الكـيان الذى سقط فى يده وأماتت خصائص الحياة فيه مـحاولاً محو عروبتها وطمس تاريخها وتلويث ينابيعها العسكرية والـعاطفية حتى تنشأ الأجيال الحديثة عليلة المزاج سقيمة التفكير . .

ومنذ رحل الاستعمار مظهريا عن الأرض العربيـة برحيل جيوشه عن أراضيها وموانيها وهو يعيـش حياة غير طبـيعية ، فقد وضع الاسـتعمار سلسـلة من الموانع والألغـام يصعب عبورها أو حـتى فتح ثغرة فـيها . . كما أحدث شروخًا عـديدة فى جدار الثقـة بين شعوب المنطـقة بعضهم الـبعض ، وبين بعض الحـكام وشعوبهم وبـين الشعب الواحد فـى الوطن الواحد وفى الدين الواحد وفى العقيدة الواحدة ، وإن معرفة عدونا معرفة تامة ودراسة عاداته وتقاليده وصفاته وطرق قتاله وأساليب خداعه وتـلمس نقط القوة والضعف فى قدرته الحربية وإمكانياته الـعسكرية والاقتصادية والسياسـية شرط أساسى للانتصار عليه ، وعـندنا معجزة القرآن الكريم الخـالدة التى جاءت بصفات اليهـود التى لازمتهم منذ فجـر الإسلام إلى اليوم والغد وخاطبهم القرآن فى عهد رسول الله ﷺ كـما لو كانوا هم أنفسهم الذين كانوا فى عهد موسـى عليه السلام وعـلى عهد خلفائـه من أنبياء اليـهود ، باعتبارهـم جبلّة واحدة ، سيماهم واحـدة وصفاتهم هى هى ، ودورهم هـو هو ، وموقفهم من الحق والخـلق هو هو على مدار الزمن . .

واليوم ونحن نقترب من نهاية القرن العشـرين نتابع ما وعدهم الله من علو وقوة ونفوذ واستيـعاب لأكبر عدد ممكن من يهود العالم فى هذه الرقعة من الأرض فليعلوا علوًا كبيرًا . . فمهما بلـغ شأن القوة من وجهة نظر إسرائـيل ومن تسير فى ركبه فلا يمـكن أن تصبح قوة مطلقـة ، وإن استخدامها سوف يظـل مقيدًا بعديد مـن العوامل التى لاتملك إسـرائيل قدرة الانفراد بالتحكم فيهـا ، خاصة فيما يمكن أن يفعله العرب والمسلمون فـى مجـال صراعهـم مع إسرائيل ، ومايمـكن أن يقدموه تعبيرًا حقيـقيًا عن قدرتهم وإمكانياتـهم . . فيوم يعرف العرب والمـسلمون كـيف يوجهون قـيمهم الـروحية والديـنية وقدرتهـم المادية والاقتـصادية واستغلال ما وهبـه الله لهم من ثروات طبيعيـة هائلة مع ثروة بشرية واتباع أسـاليب العلم الحديث والتقـنية المتطورة والإعداد الجيـد السليم للقوى بـكل أنواعها مرتكزيـن على دعائم الإعداد السبع فـى إطار التجمع فى كيان عربـى وإسلامى واحد يشد بعضه بعـضا ؛ تحقيقًا لقوله قوله تعالى ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ [الحشـر / ١٤] أى لا يمكنهم قتالـكم مجتمعين فسوف تكون النهاية « الغلبة للأكثر نفيرا وتجمعا وإيمانا وقوة وأمانة »

الفصل السادس

الانضباط وأدب الحرب السلام

لقد حرص الإسلام على اتبّاع أداب الحروب تأكيدا لتقاليد الفـروسية والشهامة والرحمة فى الحروب وهى تقاليد حض عليها النبى القائد محمدًا عليه الصلاة والسـلام والخلفاء من بعده ، واستطاع الفقه الإسلامى أن ينسج منـها نظرية متكاملة فى القانون الحربى ، سبقت بها الشريعـة الإسلامية المجمتع الدولى بأكثـر من الف عام ، ومنها وصايا الخلـيفة أبو بكر الصديق لقائد الجيش العربى المتجه إلى فتح الشام ، أسامه بن زيد ، يقول له :

> لا تخونوا لا تغلوا لا تـغدروا لا تمثّلوا لا تقتلوا طفلا صغيـرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تقطعوا شـجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكله .

وحين استولى الخليفة العـباسى المعتصم بالله على حصون أرمينيـا بعد معركة حربية ، أمر ألا يفرِّق بين أفراد العائلات التى وقعت فى الأسر .

وكانت وصية أمير المؤمنين على بن أبـى طالب لجنوده خير مثـل على أدب الحرب ، يقول :

> إذا هزمتوهم فلا تقتلوا مدبـرًا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا دارًا إلا بإذن ولا تأخذوا من أمـوالهم شيئًا ولا تعذبوا الـنساء بأذى وإن شتمتكـم وشتمن أمراءكم ، وأذكروا الله لعلكم ترحمون .

وما أدب الحرب والسلام إلا نظام وانضباط لتوجيه أعمال الأفراد وجهودهم ، والحد من شرودهم ونزواتهم الشـخصية فى سبيل هدف أسمـى ومصلحة اجتماعية عـليا . ولا يكون الانضباط ذا جدوى إلا إذا كان ناتجـا عن رغبة واندفـاع ، وليس للـطاعة السلـبية الخاملة الناجمة عن الخوف من التوبيخ والعقوبات أية قيمة اجتماعيـة أو خلقية . . والطاعة المقبولة

هى الانضبـاط الناجم عن الشعـور القوى بضرورة العمـل الجماعى . ويعتبـر الانضباط أنه العمل فى حدود فـكرة الأمر الصادر من القائد مع الإبـداع دون تجاوز الحدود . . . ولايهدف الانضباط إلى قتل الشخصيـة أو إذابتها بل يعمل علـى تحديد وجمع الجهود فيـكون العمل مثمرًا وبإنجاز واحد . وإذا قيل ان الانضـباط سائد في وحدة ما فلا تراقب هندامها أو طريقة أدائها للتحيه ، وإنما يجب النظر إلى مـردودها ومعنويات أفرادها ومدى ولائهم لرؤسائهم والجهد الذى يسارعون إلى بذله عند الشـدائد .

والانضباط هو قوة الجيش الرئيسية وبالنسبة للدولة هو . . قوة الأمة التي تريد الحياة . . إذ يتطلب نهوض الشعب من كبوته اشتراك الجميع وتعاضدهم .

وللإنضباط مظاهر شتى تتجلى في طبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة أو الدولة الواحدة أو بين أفراد وحدة ما وقـائدهم ، وكذلك فى السلوك والآداب المفـروض اتباعها في زمن السـلم والحرب . . أهم هذه المظاهر :

الطاعة:

إن الطاعة الواعية البصـيرة « هى خميرة الجندية » وهى ليست خضوعا لـلسلطة ولكنها ضرورة لازمة لمصالح الجماعة وان الله سبحانه وتعالى يأمرنا بطاعة أولى الأمر بعد طاعة الله ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾

« النساء ٥٩ »

الأمانة :

إن الأمة التـى لا أمانة لهـا ولا لأفرادها لا يمكـن أن تسمو وتـرتفع ، بل سـرعان ما تنحدر وتفنى ، وإن من معانـى الأمانة أن يحرص الفرد عـلى أداء واجبه كاملاً فـى العمل المكلف بـه كما أن الودائع التى تدفـع إلينا لنحفظها حينًا يجب أن نسرع بردهـا كاملة إلى أصحابها حين يطلبونها ويقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾

« النساء ٥٨ »

فالأمانة مسيرة إلى الفلاح والنصر ، وهى صفة تـشرف المقاتل الصالح ودليل حق عن التزامه لأدب الحرب والسلام بالانضباط وحسن السلوك .

الصدق :

إن الصدق فى القول والعمل صفة محمودة تؤدى دائمًا إلى النجاة ، ويقول الرسول ﷺ « **تحروا الصدق وإن رأيتم ان الهلكة فيه فإن فيه النجاة** » .

وفى الإصحاح العاشر « فم الصادق ينبوع حياة وفم الأشرار يغشاه الظلم » آية ١١ .

الوفاء :

يجب الالتزام بالعهد والوفاء به ، واحترام العقود والاتفاقيات والمعاهدات مع العدو والصديق ويقول الله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ « النحل ٩١ »

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ « الانفال ٦١ »

الإخلاص :

إن الإخلاص العميق فى أى عمل من الأعمال هو سر النجاح فيها ، ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة ١٠٥]

سعة الصدر والحلم :

مما لاشك فيه أن الناس يختلفون فيما بينهم فى الثبات امام المواقف فمنهم من يستشيط غضبًا لأتفه الأسباب حتى يصل إلى حد الجنون ، ومنهم من يتمسك بالهدوء والوداعة ، فالحلم سيد الأخلاق .

ويقول الله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف ١٩٩]

القوة والشجاعة :

إن الحق دون قوة ضائع ، وإن القوة التى دعا إليها الإسلام ليست القوة المطلقة ولكنها القوة التى تستند إلى الحق الأصيل .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ « الأنفال ٦٠ »

ويقول الرسول ﷺ « **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » .

الرحمة :

الرحمة هى العاطفة الجياشة النابضة بالحب والألفة والرأفة، ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .[سورة آل عمران ١٥٩]

الصبر :

لابد من الصبر على تكاليف النصر ومشقات القتال والتدريب ؛ فالشجاعة صبر ساعة ، والنصر فى النهاية يكون لأكثر الفئتين صبراً . ويقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة آل عمران ٢٠٠]

ادب المعاملة :

إن من أهم آداب الحرب والسلام الأخوة الإنسانية ، فليس لأحد أن يتعالى على أحد ويقول الرسول ﷺ .

« الناس سواسية كأسنان المشط ليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح » .

الثبات عند القتال :

ويقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾

[الأنفال ١٥]

ويجب أن لا نـولى العدو الدبر بالانسحاب إلاّ للاستعداد للقتال فى مكان آخر أو للمناورة .

عدم الخيانة:

عدم الخيانة نداء من الله للمؤمنين ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[الأنفال ٢٧]

الفصل السابع

العلم كسلاح والمعرفة كرأس مال

إن جوهر الفكر الإسلامى يقوم على العلم ، يدل على ذلك أن أول آية أنزلت فى القرآن الكريم كانت عن العلم :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ صدق الله العظيم [العلق / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥]

وعلَّم الله سبحانه وتعالى سيدنا آدم الأسماء كلها ، وعلَّم سيدنا محمد ﷺ الاّ يقنع بما عنده من العلم والمعرفة بل طلب منه أن يكون شعاره دائما ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه / ١١٤] وفى الحديث الشريف قال ﷺ « **العلم سلاحى والمعرفة رأس مالى** » .

وقال ﷺ عن العلماء إنهم ورثة الأنبياء ، وليس للعلم غاية ينتهى إليها العقل ، فإذا ما وصل إليها ألقى السلاح والرسول ﷺ يقول :

« **لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل** »

وليس العلم فى الإسلام مقصورا على التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة فهذا جانب فقط ، فالعلم يشمل جوانب الحياة المختلفة التى تساعد على رفعة البشر وتطوّر الإنسان وتقدم العمران لأن كل ذلك يدور حول فكرة واحدة هى ربط السماء بالأرض والدين بالدنيا والحياة بالموت .

ولقد أضاء مشعل العلم فى الفكر الإسلامى ظلمات أوربا فقامت حضارتها التى فرضت وجودها على العالم الآن ، وما خيوط هذه الحضارة إلاّ من نسيج ذلك الفكر العربى المسلم العملاق .

وفضيلة العلم لها شواهدها من القرآن الكريم ، وفى سنة الرسول القائد ، وفى الآثار وغيرها ومنها :

فضيلة العلم

شواهدها من القرآن الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران ١٨]

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجاردلة ١١]

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر ٩]

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر ٢٨]

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد ٤٣]

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ [سورة النمل ٤٠]

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾

[سورة القصص ٨٠]

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت ٤٣]

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النساء ٨٣]

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ [سورة الأعراف ٢٦]

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [سورة الأعراف ٥٢]

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ [سورة الأعراف ٧]

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [سورة العنكبوت ٤٩]

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [سورة الرحمن ٣ ، ٤]

وأما الأخبار : قال رسول الله ﷺ

- صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء .
- من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده .
- العلماء ورثة الأنبياء .
- يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض .

- إن الحكمة تزيد الشريف شرفًا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك .
- أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه
- الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم .

واما الآثار :

- فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكُمَيل : يا كميل
- العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم المال والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق .
- العالم أفضل من الصائم والقائم والمجاهد وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها إلاّ خلف منه .

وقال رضى الله عنه نظماً

ما الفخر إلا لأهل العلم انهم ... علـى الهدى لمن إستهدى أدلاء

ففز بعلم تعتز به أبـــــــدًا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال فتح الموصلى رحمه الله :

- فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته

قال بن مسعود رضى الله عنه :

- إن أحداً لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلّم

وقيل لبعض الحكماء :

- من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماما ، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

من وصايا لقمان لابنه :

- يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء

وقال ﷺ :

- اطلبوا العلم ولو بالصين .
- هل ينفع القرآن إلا بالعلم

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه :

- العالم والمتعلم شريكان فى الخير .
- كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك .

وقال ﷺ :

- من علم علمًا فكتمه ألجمه الله يوم القيمة بلجام من نار .
- ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغة فبلَّغة .
- إنما بعثت معلمًا .

وقال يحيى بن معاذ :

- العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من أبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال : لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة .
- علِّم علمك من يجهل . وتعلم ممن يعلم وتجهل . فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت .

تحية لدار العلم

حــــــــى دار العلم واذكــر عهــدها وأنثر الزهر علـــى الماضــى الكريم

إنهـــا ظــل جنينا غــــــــرســه وشربنا فيـــه أكـــــواب النعيـــم

يـــوم كنــا نتهـــاوى فـــي رباها

نتغنى بالأماني فــــى حمـــاها

يـــــــــــــــا خـــديوية نحـــن لا ننسى هــــوى الأم الرؤوم

نخلـــــــــــــص النيــــــــة ثم نحــــــى فيك أثـــــار العلـــوم

مجــــدوهــــــــــا يــــــا بنيها

وأخطــــــــروا عــــــزًا وتيهًا ....

الفصل الثامن

الإعداد المتكامل للقوى والتدريب الواقعى المستمر

يجب بناء اعداد القوى على الواقعية بالابتعاد عن النظريات الجامدة الثابتة ومعرفة الحقيقة المجردة بمحاسنها ومساوئها واستنباط الفوائد التى يمكن استغلالها للصالح العام ، وأن يعرف كل فرد نفسه وامكانياتها وحدودها ووضعها فى المكان الذى تستحقه لا الذى ترغبه .

كما يتحتم التفكير والتعديل والإبداع حسب الواقع وحسب الشروط التي تفرضها الظروف دون التقيد بالروتين فالاعداد بحاجة دائمة للتجديد فى الروح والطريقة .

والفرد يستوعب المعلومات بسهولة ودقة أكثر إذا قام بتأدية ما يتعلمه عمليا ولا يقتصر الأمر على سماعه للموضوع أو قراءته أو رؤيته ، وعلى كل فرد قائم بالإعداد والتعليم والتدريب أن يدرك هذه الحقيقة ويحولها إلى واقع .

وتبنى كفاءة الجيوش على أساس أفراد متحدين فى مجموعات تكوّن أنواعا مختلفة من الوحدات . وبالرغم من توفّر جميع الصفات العسكرية التقليدية كالشجاعة والإقدام وإنكار الذات إلخ . . فى الفرد ، إلاّ أن كفاءة هذه المجموعات تتوقف أساسا على جودة تدريب الفرد على القيام بالواجبات التى يكلف بها فى القتال فإن الفرد إذا قام بواجبه فسوف يساعد المجموعة على النصر ، وإن انتصار المجموعة هو انتصار للوطن .

ان واجب الفرد المقاتل جنديًا كان أم قائد هو أن يكون مستعدا للقتال لتأدية الواجب وحماية الشرف والدفاع عن الوطن فى جميع الأوقات وتحت مختلف الظروف بغض النظر عن الرتبة التى يحملها أو الوظيفة الى يشغلها أو السلاح الذى ينتمى إليه ، سواء كان هذا الفرد في القوات البحرية أو الجوية أو الدفاع الجوى أو القوات البرية أو كان يعمل فى أى قيادة من القيادات ، أو أى سلاح من الأسلحة المعاونة أو الادارية فإن الفرد لن يقاتل وحده بل سيقاتل ويتعاون مع الأفراد الاخرين تحت قيادة واحدة لتحقيق هدف معين ، وإن اتباع

الأساليب الواقعية والمنطقية فى تدريب القـادة والضباط والجنود مع التركيز على تدريب الفرد واتقان المهارات الفردية سواء فى استخدام السلاح أو العتاد واستخدام الأرض والساتر وسرعة الحركة وكيـفية السيطرة عـلى النفس والسلاح وعلـى المرؤسين هى العامل الحـاسم في نجاح المعارك .

ولقد أثبتـت التجارب والخبرة وحرب رمضان (أكتوبر ٧٣) أن الجندى المصرى يتسم بالشجاعة والإقدام والصمود والثقة بالنفس والقدرة على الانتقال من القتال الثابت إلى القتال المتحـرك ضد مدرعات العدو وأسـلحته الحديثـة ، وقد فاجأ العدو بـفاعليته وصـموده تحت النيران المكثفة .

وإن من دعائم الإعداد الجـيد للقتال ، وإعداد القوى بـجميع أنواعها هو حـسن اختيار القائد المعلم الجيد الـذى يغذى نفسه ثقافيا وروحيا مكرسا فى كل يـوم وقتا للقراءة والبحث والتفكير ومخـتلطا بإستمرار مع أصدقاءه لا للـتسلية والراحة فحسب بل للـمناقشة في أمور اجتماعية وعلمية وتربوية ، وعليه أن ينمـى فى نفسه موهبة الإبداع بتخيل معضلات وتجارب جديدة يسعى إلى حلها ويتذكر أن المعرفة رأس ماله ، وهى أساس من أسس السلطة ودعامة من دعائمها .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الثانى

إعـــداد القــوى ورباط الخيــل

فى صدر الإسلام

الفصل الأول

الرسول القائد العظيم القدوة

معارك سيدنا محمد ﷺ الخالدة

عن مجلة Army Quarterly عدد يوليو ١٩٧٢

« ذاع صيت العرب فى آفاق العالم منذ عهد محمد ﷺ بعلمهم وسلاحهم ، ومن ثم فإن دراسة معاركهم أشد ضرورة من دراسة تاريخ أى شعب آخر ازدهر بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية » .

محمد ﷺ الإنسان الملهم

« فى أقل من ٥٠ عامًا ما بين (٦٣٠ م ، ٦٨٠ م) أسس العرب أهل الصحراء وأوائل المسلمين امبراطورية عظمى تمتد من أسوار الصين حتى أبواب فرنسا . ولقد قام أولئك الجنود البواسل بروح الفداء والحماس فى صدورهم والرمال والدماء على سيوفهم باكتساح دول المشرق والمغرب المتحضرة أمامهم ، هى دول أغنى منهم إلا أنها فى أغلب الأوقات مفككة وكاد هؤلاء العرب أن يقضوا على دول أوروبا جميعا لولا أنهم توقفوا بعد معركة Poitiers (بواتييه) فى جنوب فرنسا .

ولقد كان الإنسان الذي ألهمهم هذه القوة السياسية والعسكرية ، الإنسان الذى كان عليه أن يبث الشجاعة التى لا مثيل لها فى أتباعه ومن خلفوهم ، الإنسان الذى وحّد بين جنوده بالروح القتالية والولاء التام بطريقة مذهلة . . . كان إنسانا أميا لم يحمل سلاحا حتى بلغ من العمر ٥٣ عاما هو النبى محمد ﷺ » .

وهكذا كان محمداً القائد القدوة والمعلم والرسول الذى استطاع أن يجمع بين شخصية الداعى لنور الإيمان والقائد القوى الأمين الذى يقود الجنود إلى ميدان القتال .

٢٧ غزوة فى خلال عشر سنوات

٤٠ مجموعة سرية لم يشترك فيها الرسول القائد ﷺ

وقد خاض محمد الرسول ﷺ القائد فى حياته العسكرية أربع معارك ضارية ، وتعرض للحصار عدة مرات وواجه العدو فى بعض الاشتباكات البسيطة الأخرى ، أما المعارك الأربع الرئيسية فهى :

(بدر **وأحد ومؤته وحنين**)

ولنا نحن رجال الحرب والسلام فى هذا الرسول القائد القدوة الحسنة ، فقد كانت الطريقة التى اتبعها فى قيادته هي مخاطبة القلب والعقل الإنسانى بأسلوب الإقناع عن محبة وثقة وولاء واخلاص ، فقد تحلى بصفات القائد الكفء القدير القوى الأمين مع عظمة الروح وذكاء القلب ورجحان العقل ودقة الملاحظة مع قوة الذاكرة ، وقال الشاعر عنه فى أشعاره :

كم من غزاة للرسول كـريمة ... فيها رضـى للحـق أو إعـلاء

الخيل تأبى غير أحمد حاميا ... وبها إذا ذكر اسـمه خيلاء

ساقى الجريح ومُطعم الأسرى ... ومن أمنت سنابك خيله الأشلاء

وكان ﷺ دائمًا فى المقدمة مشاركًا فى القتال دائم المشورة مع أتباعه مع السماحة عندما يلزم الأمر ويتبع مبادئ القتال أو مبادئ الحرب من دراسة للعدو وإعداد القوى إلى الحشد الفكرى والروحى إلى الاقتصاد فى القوى والمفاجأة ، كما أظهر فى ممارسته فنون القتال فى المعارك مهارة تكتيكية فائقة تجلّت فى حسن استخدامه لعناصر الاستطلاع والمخابرات والمبادأة وحسن اختيار الأرض التى سيحارب عليها معركته ، وفى الاستفادة من ظروف الجو والبيئة المحيطة به ، وكذلك فى الإنصات إلى شورى أصحابه فيما ينفع وترك مالا ينفع .

ولقد حدثت انتكاسات فى أحد ومؤته على سبيل المثال إلا إنه ﷺ قد اعتاد أن يحول الكارثة بأسرع مايمكن إلى انتصار ساحق كدأب القائد الناجح .

مضافا إلى هذا كله أنه أخلص إخلاصًا تامًا لعقيدته وبث الإيمان فى قلوب جنوده حتى أنه فى احلك اللحظات كانت الهزيمة تنقلب إلى نصر مؤكد ، وكان جنوده يموتون طواعية للفوز بجنة الخُلد للمقاتلين فى سبيل الله ؛ ولقد أيدّ الله سبحانه وتعالى رسوله القائد وثبّت أقدامه ونصره على أعدائه بالملائكة المنزلة ، والخوارق لم تكن وحدها أداة النصر والعامل الذى غلب به القائد الرسول ﷺ ولكنها كانت تأكيدًا للنبى القائد بأن الله دائما معه ، لايتخلى عنه حتى يشحذ همته ويثير عزيمته وينبهه بكل ما فيه من حواس لليقظة إلى إعداد المحاربين .

وحقيقة أن النصر من عند الله ما فى ذلك شك ، ولكن الله سبحانه وتعالى لايهب نصره إلا لمن نفذ ما أمر الله به من إعداد للقوى ورباط الخيل ، وكل متطلبات القتال .

الفصل الثانى

إعداد القوى الإسلامية

إعداد الجيوش للقتال :

أوجب الإسلام الإعداد للحرب على أرفع مستوى مع رباط الخيل وحسن توزيع الوحدات للدفاع عن الحدود والمواقع والهيئات الحيوية والحاكمة ، ولقد اتخذ الرسول القائد ﷺ من المدينة المنورة معسكرا له بعد الهجرة ، وأقام بها قاعدة عسكرية ايمانية قوية لنشر الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها بطريقة يظهر بها حسن توزيع اتباعه القلائل بأنه قوى الشوكه مرهوب الجانب ليفكر أعداؤه فى مهادنته ، فتتحق له أهدافه من أقرب الطرق وأسلمها ويتحقق لدينه الجديد السيادة دون أن تراق فى سبيله الدماء . . أما خليفته أبو بكر فقد كان بارعا فى فن تحريك القوات وحسن تعبئتها واستخدامها ، وكذلك الفاروق عمر الذى يعتبر من أبطال الفن الاستراتيجى ، ويشهد بذلك أنه أمر بتأسيس «البصرة والكوفه» فى مواقع مهمة ، تتحكم فى طرق المواصلات المؤدية إلى الجزيرة العربية من بلاد الفرس وغيرها وأقام فى هاتين المدينتين وغيرهما من الأمصار الإسلامية **قوات مرابطة** ترد العدوان عند وقوعه وكانت هذه القوات تنتقل بأوامره بين مختلف الأقاليم وهو موجود فى المدينة (مثل قوات الانتشار السريع فى عصرنا هذا) .

وكان يكلف قواده أن يصفوا له أرض العدو وصفا يجعله كأنه يعاينها ويراها . . وأن يذكروا له عدد أعدائهم والقائد الذى يتولى قيادتهم (معرفة العدو وعدد قواته وأسماء قادته) وقد وضع عمر بذلك المثل لمن جاء بعده فراعوا فى تأسيس مدنهم موقعها الاستراتيجى بحيث تكون محصنة بمواقع مثل الأنهار وغيرها ، وتتحكم فى طرق اقتراب العدو ويكون من السهل إمدادها بالطعام والسلاح وغير ذلك . . أى لها طرق اقتراب سهلة ومستورة . . كما راعوا فى تحريك جيوشهم حاجة الميادين المختلفة ، مع التناسب فى الأعداد حسب خطورة المهمة المكلفة بها . .

ولقد عرف المسلمـون الحذر والحيطة عند تحركهم ، وقال المؤرخـون « كان خالد لايسير إلا على تعبئة » كناية عن الحذر والحيطة والاستعداد الدائم لمواجهة الأعداء .

إعداد القادة :

كان يتـم اختيار الـقادة من أفضـل العسكـريين ثقافـة وإيمانا وتدريـبا وأكثرهـم علمًا وأوسعهم أفقا ليضمن النصر على العدو . فـفى غزوة خيبر لما ابطأ الفتح ، طلب الرسول ﷺ علي بن أبى طـالب وسلمه الراية ليـكون أمير الجيش بعده فـفتح الله عليهـم بسبب شجاعته وحسن قيادته للجيش ودرايته الحربية .

الإعداد الروحى للقتال :

كان الرسول ﷺ يختار صـفوة من الخطباء والوعاظ المؤثرين لـيـذكرّوا الجنود بفضل الجهاد فى سبيل اللـه ، وما أعده الله للمجاهدين من كريم الأجر وعـظيم الجزاء ، وبفضل الاستشهاد ومنزلة الشهداء فى الجنة بأسلوب مشوق ومؤثر وجذاب .

الإعداد الإدارى :

كان يتم تخزين الأقوات اللازمة للجيش وعناصره ، وتوضع فى أماكن بعيدة عن العدو قبل المعركة بفتره كنوع من الإعداد الإدارى للقتال .

رباط الخيل :

كان المسلمـون يهتمون بتحصين الحـدود والثغور ووضع الرجال الشـجعان ذوى الدين المتين والثقافـة الحربية الممتازة لحراستها فـإنها ذات خطر على أمن الدولة ، والمـرابطون فيها لهم إجر عظيم كما قال ﷺ

« **رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها** »

وكان ولى الأمر دائم الاتـصال بهؤلاء ليتعرًف منـهم على أخبار العدو لقـربهم منه . وكان بعض أولـى الأمر يقـــول لحاجبه « **لاتحجـب عنى رسـول الثغـر وإن كنت نائـما فأيقظنى** » .

وكان من المـبادئ التى وصفـها عمر بن الخـطاب لجنده ألا يـقيموا داخل المـدن التى

فتحوها وأن يظلوا فى ضـواحيها خشية أن يظلموا أهلها إذا اختلطوا بـهم ، ولتظل طباعهم العربية نقية سليمة من الشوائب . ولما اتـسعت الفتوح أعدَّت مدن لإقامتهم وروعى فيها أن تكون مراكز حربية فى مـواقع استراتيجية على الحدود بينه وبين البـلاد المفتوحة لرد العدوان وسميت بالثغُور . . مثـل البصرة والكوفة وعلى سواحل مصر والشـام ، ثم تطورت الثغور وشحنت بالجنود وتولى أمرها اكفأ القادة . وكان يقيم فيها الجنود وعائلاتهم ، وترسل منها الدوريات للـحصول على المعلـومات عن الاعداء ، ولتدريب الجنـود على القتال العـملى فى الأراضى المختلفة لتزداد خبرتهم الحربية .

إعداد وسائل الدفاع :

أول من استخدم الخنادق والحصون من العرب هو الرسول ﷺ فى غزوة الأحزاب ، ولما اتـسعت الـفتوحات وكـثرت الجيـوش الموجهـة شرقا وغـربا ، كان لابد مـن العنـاية بالتحصينات لمنع المفاجأة ، فحصنوا المدن التى أقيمت فى مراكز استراتيجية مهمة . .

وفى الجانب الآخر أعـد القادة المسلمون العـدة لاجتياز خنادق الأعداء وفتـحت أمامهم سبل الحيل فـــــى التغـلب عليها وعرفوا طرق عـبورها ، كما استخدم المسـلمون الحسك الشائـك (وهو نبات ذو شوك ينـمو فى بلاد العرب) فـى حروبهم وفى تحصـين الخنادق والحصون ، ويقال إن العرب أجادوا ذلك النوع من وسائل الدفاع وصار الحسك عندهم أداة تستخدم فى عرقلة تقدم قوات العدو على الطرق المحتملة لتقدمه .

معرفة العدو :

جرت العادة قبـل خوض المعارك أن يهيئ القائـد الأذهان إليها ولكنه يكـتم عن جنوده سرها كما يحاول معرفة الكثير من أسرار عـدوه ومدى استعداده وقدرته لتكون المفاجأة كاملة وقاطعـة . وقد أمر الرسول الـقائد ﷺ زيدًا بـن ثابت أن يتعـلم لغة اليـهود وكتابـتهم فتعلمها ؛ إذ أن معرفة لغة العدو تخدم صاحبها فى الحرب أجل الخدمات ، وكان عمرو بن العاص فى حروبـه مع الروم يحتفظ بطائفـة من رجال المخابرات يتكلمون الـرومية ، فكان يرسلهم إلـى الروم متنكرين فيقـيمون بينهم ويعـودون إليه بأخبارهم واشترط فـيهم الأمانة وحفظ السر .

ادب الحرب :

وكان المسلمون وهم فى مكة مكفوفين عن دفـع الظلم بالقتال ، وكان هذا الكف لحكمة قدرها الـله سبحانه وتـعالى وهى تطويـع نفوس المؤمنين مـن العرب للصبر امتثـالا للأمر وخضوعا للـقيادة وانتظاراً للإذن ، وقد كانوا فـى الجاهلية شديدي الحماس يسـتجيبون لأول دعوة ولا يصبرون عـلى الضيم . . فبناء الأمة الإسلامـية التى تنهض بالدور الـعظيم الذى نيطت به هذه الأمة يقتـضى ضبط هذه الصفات النفسية وتطويعها لـقيادة تقدّر وتدّبر وتطوّع فى كل الأمـور حتى ولو كانـت هذه الطاعة عـلى حساب الأعـصاب التى تعـودت الاندفاع والحماسة عـند أول داع ، ومن ثم استطـاع رجال من أمثال عمـر بن الخطاب فى حمـيته ، وحمزة بن عـبد المطلب فى فتـوته ، وأمثالهما مـن أشداء المؤمنين الأوائل أن يصـبروا على الضيم الذى يصـيب الفئة المسلمة وأن يربطـوا على أعصابهم فى انتظار أمـر الرسول القائد ﷺ وهو يقول لهم :

« **كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** » . .

ومن ثم وقع التوازن بين الإنـدفاع والتروى والحماسة والتدبرّ والحميـة والطاعة فى هذه النفوس التـى كانت تُعَد لأمر عظيم . . وهذه هى مـهمة القيادة الراشدة للـبشرية ، وإقراراً لمنهج الله فى الأرض فى صورته المثالية الواقعية .

الفصل الثالث

إعداد القوى اليهودية

قامت الدولة الإسلامية فى أول عهدها فى المدينة المنورة فى القرن السابع الميلادى ، ثم اتسع نطاقها لتشمل كلّ أرجاء الجزيرة العربية قبيل وفاة الرسول محمد ﷺ ، وكان اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة الإسلامية فى يثرب (المدينة المنورة) نظرًا لمركزهم الممتاز فى يثرب وأنهم يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وخوفًا من عزلتهم عن المجتمع ، الذى كانوا يزاولون فيه القيادة الفعلية والتجارة الرابحة والربا الفاحش . وازداد عداء اليهود لهذه الدولة الفتية حينما شهدوا تضاعف عدد المسلمين وانتشار الإسلام فبدأوا فى إعداد القوى لهدم الوحدة الاجتماعية الجديدة فى ثلاثة اتجاهات :

- محاولة إثارة البغضاء بين فريقي المسلمين المهاجرين والأنصار
- إعلانهم تأييد قريش وحرّضوها على غزو المدينة وقتال المسلمين
- تحالف اليهود أيضا مع المنافقين فى المدينة للكيد للجماعة الإسلامية

وانتهت مرحلة الصراع السلبى لتبدأ مرحلة أخرى إيجابية حين حاولوا اغتيال النبى ﷺ مرتين واحاطت العناية الإلهية بالرسول الأمين ، ثم حرّض اليهود المشركين على قتال المسلمين واستنصروا الأحزاب عليهم ، ونقضوا عهودهم للمسلمين .

العقيدة الإسرائيلية :

إن أبرز طابع يطبع العقيدة الإسرائيلية قديما وحديثا هو ذلك الرباط الوثيق بين حرب إسرائيل ورب إسرائيل فالحرب ؛ فى عقيدة بنى إسرائيل عمل مقدس فقائد هذه الحرب فى زعمهم هو رب إسرائيل وجنودها هم جنود هذا الرب ، ويظهر ذلك فى كثير من نصوص التوراة المعروفة .

وقد أعلن حاخام الجيش الإسرائيلى موشيه جورين أن الحروب الثلاث التى جرت بين العرب وإسرائيل فى سنوات ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ هى فى منزلة الحرب المقدسة فأولها حرب لتحرير أرض إسرائيل ، والثانية كانت لضمان استمرار دولة إسرائيل ، أما الثالثة فقد كانت تحقيقا لنبوءات أنبياء إسرائيل . هكذا صرح الحاخام المذكور عن الحروب الثلاث ، لكنه لم يفصح عن رأيه فى حرب (أكتوبر ١٩٧٣) وماذا حققّت لإسرائيل ؟!

الخدمة العسكرية فى إسرائيل :

تعتبر التوراة الخدمة العسكرية فرضًا على كل شاب يهودى بلغ العشرين من عمره حتى الخمسين . ويوجد مع كل وحدة إسرائيلية كاهن يقوى قلب الجندى ويثير فى نفسه الشجاعة حتى لا توسوس له نفسه الهرب أو التراجع . وفى التلمود أكثر من موقع يقول **« التراجع بداية الهزيمة »** .

إعداد القوى بالحصون والأبراج :

لما كان اليهود مكروهين منبوذين وكتب الله عليهم الذلة والمسكنة ، فقد عاشوا فى قرى محصّنة للدفاع عن أنفسهم ، واتخذوا الحصون والمخابئ فى شقوق الجبال والمغارات للحياة فيها ويقول صمويل النبى :

« ولما رأى رجال إسرائيل أنهم فى ضنك لأن الشعب تعذّب اختبأ الشعب فى المغارات والأحراش والصخور والأبراج والحفر » .

وأقام اليهود فى يثرب (المدينة المنورة) الحصون (القصور العالية ذات الأبواب) وكان اليهود يجتمعون فيها وكثيرًا ما حاصرهم الرسول القائد محمد ﷺ فيها كما حاصر قبيلة ثقيف فى حصونهم فى الطائف ، وفتح حصون خيبر السبعة . ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية وأسس المسلمون المدن المختلفة متاخمة للأعداء ، عملوا على تحصينها ببناء الأسوار والأبراج كما حصنوها بالخنادق .

وأنشأ اليهود قرى محصّنة احتياطيه للهروب إليها واللجوء فيها فى حالة ما إذا تمكن العدو من محاصرة المدن الأمامية أو الاستيلاء عليها ، كما أقاموا الأبراج على أسوار المدن وفى المزارع لحراسة المحاصيل وتختلف ارتفاعا وعرضا ، وقد أخذ اليهود فكرتها من برج

بابل الشهير . كما استخدمت الأبراج كوسيلة من وسائل التحصينات والمراقبة واستطلاع طرق تقدم القوافل ، ومراقبة الجيوش المغيرة وتحركاتها.

الجُدر :

استخدم اليهود السد الترابى لمنع الأعداء من التقدم . وجاء ذكرها فى التوراة وليست الجدر هى السدود الترابية فقط ولكن هناك جدرًا معنوية وجدرًا مادية وجدرًا سياسية وجدرًا اقتصادية حتى الحجر يستخدمه اليهود للاختباء حوله ، إلى أن يجئ اليوم الذى يقول فيه الحجر للمسلم « **احذر فإن ورائى يهوديًا** » . والجدر المعنوية منها إشاعة الذعر والخوف كنوع من أنواع الحرب النفسية التى يلجأ إليها اليهود لنشر الذعر بين السكان الآمنين لتخويفهم وإرهابهم .

والجدر المادية كثيرة منها كما سبق القول السواتر الترابية أو الأسوار الصناعية من التين الشوكى ، أو الدروع مثل الدبابات والمصفحات ، أو ستائر الدخان ، أو الإحتماء بصديق قوى وحليف يسانده وهو يعمل خلفه ، أو جدر الظلم . . . إلخ . وكانت جدر الخبث والمكر والنفاق سلاحًا مهمًا لهم فى إعداد القوى بخداع الغافلين من العرب والمسلمين بهدف تحطيم العقيدة وزعزعتها فى نفوسهم .

الطرق وأهميتها فى إعداد القوى :

كانت القوافل الآتية من بلاد العرب يمر بعضها داخل فلسطين متجهة إلى ساحل البحر المتوسط ، وقد اهتم الملك سليمان عليه السلام بإصلاح الطرق التى كانت تسلكها هذه القوافل مقابل ضرائب ورسوم لمرور تلك القوافل . وأهم الطرق هى :

- طريق القوافل بين مصر وفلسطين
- طريق يافا أورشليم (بيت المقدس)
- طريق من اليمن إلى صور وصيدا
- طريق الساحل من غزة إلى صفد ثم إلى دمشق في سوريا
- طريق القدس إلى السامرة . . إلخ .

وبالطبع اهتم الإسرائيليون بإنشاء الطرق وإعدادهـا لربط المدن ببعضها البعض ، وتسهيل وصول الحجاج إلى بيت المقدس مع خدمة النواحى الحربية كما أنها كانت موردا مالياً مهمًا لهم .

تعليق :

هكذا وقـف اليهود من الـدعوة الإسلامية هـذا الموقف الذى يـصفه القرآن الـكريم فى تفصيل دقيق . . وكانت معجزة القرآن الخالدة أن صفتهم التى دمغهم بها هى الصفة الملازمة لهم فى كل أجيالهم من قبل الإسلام إلى يومنا هذا . ومن ثم تبقى كلمات القرآن حية كأنما تواجه موقف الأمـة العربية اليوم وموقف الـيهود منها . . وهذه الكلـمات الخالدة هى **التنبيه الحاضر والتحـذير الدائم** للأمة العربيـة والإسلامية تجاه اعدائها الدين واجـهوا أسلافها بما تواجهه اليوم مـن دس وكيد وحرب متنوعة المظاهر مـتحدة الحقيقة . وعلينا أن نـعتبر بهذا ونتفّهم آيات القـرآن الكريم تفهما صادقا ونعمـل به وليكن هدف العرب جميـعا والمسلمون خاصة هو التجمع والوحدة والترابط ، فبهذا يستحيل على اليهود الانتصار عليهم

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر / ١٤]

وقد ظن اليهـود أن هذه الحصون والجدر التى يحتمـون خلفها ستمنع الـله وجنوده من الوصول إليهم أو تهـديدهم . وكما ظنوا فى الماضى ظنوا أيضًا فى الحـاضر فأقاموا حصون خط بارليف علـى طول الضفة الشرقية لقنـاة السويس ، وشادوا السواتر الترابيـة العالية مع جدر الخوف والرعب مع الأبراج الكثيرة الحصينة والطرق والمدقات الجيدة التى تربط الحصون ببعضها البعض وتربط الحصون بالاحتـياطات التى أعدت لها طرق الاقتراب وسواتر إطلاق النيران وغيرهـا ، حتى استخدام النيران فى ميـاه القناة عند هجوم أعدائهـم واعتمادهم أيضًا على كفـاءة قادتهم وحسن اختيـارهم وتدريبهم وقدرة طـائراتهم وقدرة مخابراتـهم ورسائل الحصول على المعلومات ، وكل دعائم القوة ورباط الخيل التى استطاعوا تجهيزها والإعداد لها كل هذا أعطاهم الثقة فى قدرتهم وقوتهم وأن أقوى جيوش الـعالم قدرة لن تستطيع قتالهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أوصانا بمفاجآتهم وإحداث الذعر بينهم ، فبهذا يتحقق نصرنا عليهم . .

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ صدق الله العظيم [الحشر آية ٢]

وقد تحقـق ذل ذلك نصًا وروحًا فى حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) والشكر لله .

الفصل الرابع

فن الحرب فى مدرسة الرسول القائد

ما أعظم الفارق فى أسلوب القتال وأدب الحرب بين أيـام العرب فى الجاهلية وبينها فى مدرسة الرسول ﷺ ، الذى أنـزل الله سبحانه وتعالى فى شأنها ٩٦ آية فى تنظيم الجهاد وأساليبه وآدابه ضمّنها عشرين سورة كريمة ، أطولهن التوبة التى حوت ٢٨ آية فى الجهاد .

ومما يلفت النظر تـطابق عدد جيش الرسول فى غزوة بدر الكبرى عـلى عدد جيش نبى الله جـــدعون ، الذى بقى معه بعد أن تـخلّف عنه من شرب من النهر حتى ارتوى ثم قال له « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ، فقد كان عدد من خاض المعركة فى كلتا الحالتين ٣١٣ فردًا ، وهو نفس العدد المتواتر عن الرسل .

ومنذ فجر الإسلام حـــتى أعيـــد تنظيم الجيش على عهد الخليفة الأموى مروان الثانى (٧٤٤ - ٧٥٠ سيلادية) ، ظل الجيش يتكون من خمـسة أقسام يقال لها الخميس ، وهى القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والساقة .

وقد أبقى الرسول القائد على الوحدة القبلية فى جيش صدر الإسلام ، فكانت كل قبيلة تقاتل فى قسم من الجيـش ليستنهض نخوتها فتصون رايتها . . . وكـان للفرسان شأن عظيم فـــى المعارك نظرًا لخـفّة حركتهم ومـضاء رماحهـم ، بينما ظـل سلاح المترجلـين القوس والنشاب ، أو الدرع والسيف الذى كانت له عدّة طرز .

وتجاوز عدد الجيش فى آخر غزوات الرسول القائد الإثنى عشر ألف صحابى فى معركة تبوك ، وهو نفس العـدد الذى بقى مع نبى الله موسى ، بعـد أن قال له القاعدون « إذهب أنت وربك فقاتلا » .

وقد رتّب الرسول ﷺ هـذا الجيش العرمرم فـى أجناد - أى فى كتائـب ، ثم أمر الفاروق عمر بن الخطـاب رضي الله عنه بعد أن فتح الله على المسلمين الأمصـار ، وانتشرت كلمة

التوحيد فى مشارق الأرض ومغاربها أن تقيم كل كتيبة فى موضعها بثغر من الثغور ، فانتشر المجاهدون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بين الفسطاط والإسكندرية فى مصر والجابية وطبرية وحمص فى الشام ، والبصرة والكوفة فى العراق . ولم يكن لهم من عمل فيها غير التدريب على القتال والتمرسّ بفنون الحرب والدفاع عن ثغور الإسلام . (رباط الخيل) .

وراح جيش صدر الإسلام يكتسب تدريجيًا صنعة الحرب ، ليتحول فى نهاية الدولة الأموية من نظام الخميس إلى نظام الكراديس ، عندما اتخذ التجنيد الاجبارى الذى أكسب الجيش الكثير من القدرة والخبرة وقوة الشكمة .

لقد فرض الرسول ﷺ أن يبدأ القتال بأمر يصدر عن قائد الجيش ، يتبعه على الفور التكبير والدعاء الكثير . وكانت العادة أيضًا أن تعزّز المعنويات بتلاوة آيات الذكر الحكيم التى تحض على الجهاد وتبشّر بالجنة . كما كانت تنشد القصائد الحماسية ، وتلقى الخطب لإثارة الحمية والشجاعة والنخوة والاعتماد على نصر الله ، ثم تستمر تلاوة القرآن عندما يحمى الوطيس ويلتحم الجمع وتتطاير الرؤوس والأطراف .

وفى الغزوات الأولى كان المجاهدون يشرعون فى القتال بأن يتقدموا الصفوف نحو العدو ، طالبين النزال والتحدى بالمبارزة التى قد تستغرق بضع ساعات من وجه النهار . وبعد أن تثور الهمم تلتحم الجيوش ويبدأ الكر والفر - أى الهجوم المباغت - بكامل الجيش على العدو ثم التراجع بسرعة .

وكانت تلك المناورة التى تعتمد على خفة الحركة وقوة الصدمة تتكرر طوال المعركة حتى تقع فى العدو الخسائر التى تشيع الاضطراب فى صفوفه ، فيبدأ دور الفرسان فى حسم المعركة بمناورات التطويق التى تهدف إلى الالتفاف على أجناب العدو وتهديد مؤخرته التى تشكّل مقتله .

ولم يكن التفوق النوعى لجيش صدر الإسلام يعود إلى السلاح الأفضل أو اللياقة البدنية الأقوى ، وإنما إلى المعنويات العالية التى أسهم الدين فى رفعها ، إلى جانب قدرة العرب العالية على الاحتمال ، ومواصلة السير لمسافات شاسعة بأقل الزاد والماء .

كما لم يكن هدف سرايا الرسول وغزواته مجرد إحراز النصر أو الاستيلاء على الأرض أو الغنائم بل تأدية فريضة الجهاد بنشر كلمة التوحيد . ولذلك كان يوصى المجاهدين بألاّ

يهرقوا دمَ مـن لم يرفع عليهـم السيف ، وأن يتركوا الـطفل والشيخ والمرأة ، وأن يـتجنّبوا تدمير الممتلكات أو الزروع أو البيوت أو المواشى والغنم .

ونهى الرسول ﷺ أن تحمل رؤوس قتلى الأعداء على أسنة الرماح ، كما كانت عادة العرب قبل الإسلام ، أو أن تستخدم السهام المسمومة .

وعندمـا يتحقق النـصر كان الأعداء يخـيّرون بين الإسلام أو تأدية الجزيـة وبهذا وحّد الرسول القائد الأمـة الإسلامية تحت راية « لا إله إلا الله محمد رسـول الله » التى حررّت فيما لايتجاوز ٢٣ سنـة - هى مدة البعثة - كل الجزيرة العربية ونشرت الـعدالة الاجتماعية بأنّ « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » ، فأعادت للإنسان قيمته وكرامته - ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ - صدق الله العظيم [الاسراء / ٧٠] .

وكانت كل غزوات الرسول ﷺ وسراياه من نـوع الحروب العادلة ، التى تهدف إلى إزالة الظلـم والاستبداد ، والقضـاء علـى البنـيان الاجتماعى المـتخلف ، و مناجـزة الكفر والإلحاد .

ولم يشن الرسول القائد حربًا عدوانيا قط ، بل قاتل دهاقنة مشركى قريش لأنهم كانوا يمثلون الطبقة المستغلّة فى المجتمع ، ولأنهم سعوا إلى القضاء على الدعوة ، وقتل الرسول ، ونشر الشرك والفساد فى الأرض .

كما قاتل الـيهود لنقضهم الـعهود ، ولأنهم كانوا يمثـلون الوجه المستغل فـى المجتمع العربى . وقاتل الروم لإجلائهم عن أطراف الجزيرة الـعربية ، ولأنهم ليسوا أصحاب البلاد بل جاءوها غزاة مستعمرين .

ولأن الصحابة كانوا يوقنون بعدالة الحرب ، فـقد اجترحوا المعجزات بفضل قوة الإيمان الذى غرسه نـبيّهم فى نفوسهـم ، واقتناعهم بأنـهم يقاتلون فـى سبيل مثل علـيا ، وأنهم منتصرون لامحالة لأن الله معهم ، والملائكة تقاتل من حولهم .

واهتمت مدرسة الرسول ﷺ بالتحريض علـى القتال لرفع المعنويات ، وإذكاء شعلة الحماس فى النفوس ، والرغبة العارمة فى لقاء العدو وقـهره مصداقاً لقـوله سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الانفال / ٦٥] .

ولقد قال الرسول يوم بدر « والذى نفسى بيده لايقاتلهم اليوم رجل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . صدق رسول الله ﷺ وقد اهتم الرسول القائد بالتدريب والجاهزية للقتال ، وأولاهما عناية خاصة . وكان القوس هو السلاح الرئيسى فى صدر الإسلام ، ولهذا كثرت أحاديث الرسول عن الرماية والرمي ، ونبالة العدو .

فمما يروى عنه أنه مر بموضع به بعض صحابته يتمرنون على الرمى ، فنزع نعليه ومشى إليهم حافيًا وهو يقول : « هذه روضة من رياض الجنة » ، ولم يقتصر تدريب الرسول لجيشه على فصل من فصول السنة ، بل أعده للقتال تحت أسوأ الظروف ، ولقد نعى الله الذين قعدوا معتذرين بالحر فقال لهم سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ صدق الله العظيم . [سورة التوبة ٨١]

وقال رسول الله « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبلّه » .

وكان بعض صحابته ﷺ يتدرّبون على الرمى فقيل لهم قد حضرت الصلاة فقال الرسول « هم فى صلاة » .

ودعا الرسول القائد إلى وحدة الصف فى المعركة لكونها السبيل إلى النصر مستشهدًا بقوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ صدق الله العظيم . [سورة الصف ٤]

وفيما يتعلّق بالثبات فى وجه الأعداء غرس الرسول فى وجدان صحابته الاستهانة بالموت ، فلم يسبق لقائد قبله أو بعده أن دفع جنوده إلى الموت وهم مستبشرون بوعده سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[سورة التوبه ١١١]

وكانت توجيهات القتال تخرج فى وضوح تام من الرسول القائد إلى جنوده ، ففى غزوة أحد أصدر تعليماته المشدّده للرماة « ألاّ تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولاتدافعوا عنّا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبال ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » .

وما أمَّر الرسول القائد أميرًا على جيش أو سـرّية إلاّ وأوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين ثم قال لهم جميعًا :

« أغزوا باسم الله وفى سبيل الله . قاتلـوا من كفر بالله . أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلّوا ولا تـقتلوا وليـدا . وإذا لقيتم الـعدو من المشركـين فأدعوهم إلى ثـلاث خصال فأيتهن أجابوك فأقبل منهم وكف عنـهم . . . أدعهم إلى الإسلام فإن أبوا فـسلهم الجزية ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

وكان الرسول الـقائد يترك المبادأة بيـد قادة جيوشه وسراياه يتـصرفون حسبما يقـتضيه الموقف . وقـــد استـــخدم الـــرسول الحـرب النفسية فى أغلب غزواته وسراياه حتى أنه قال « نصرت بالـرعب » وقد تجلى ذلك عـلـــى أوضح صـورة فى فتح مكّة دون أن يسـتخدم سلاحا ، أو يراق كثير من الدماء .

وقد طبّق الرسول القائد شكل الحرب الوقائية فى غزوة تبوك إذ رغم عدم حدوث صدام فعـلى بين جـيشه وجيـش الروم ، فإن زحـفه إلى عـقر دارهم هو الـذى دفع هرقـل إلى الانسحاب إلى حمص ، وذلـك مثل فريد لاستراتيجية الاقتراب غيـر المباشر الذى نادى به فلاسفة الحـرب فى مطلع القـرن العشرين ، وحقـق به مشاهير قـادة الحرب العالمية الـثانية انتصاراتهم التى أذهلت العالمين .

وكان الرسول الـقائد يتولى القيـادة بنفسه فى كل الـغزوات التى خاضها والتـى بلغت سبعًا وعشرين ، وفى غالبية المواقف الحرجة كان يتقدَّم الصفوف بشجاعة تفوق حد الوصف على نحو ما حدث فى غزوة حنين عندما تقهقر الجـيش وثبت الرسول على بغلته الشهباء فى وجه الأعداء وهو يقول « أنـا الرسول لاكذب ، أنا ابن عبد المطلب » وعمـه العباس ممسك بخطام البغلة وهو يصيح « يا أصحاب البيعة هلم » .

ومعيار القيادة عند رسول الله ﷺ شـرطان هما جماع الشروط ، الأول هو الكفاءة ، والثانى هو محبّة الجنود . وفى ذلك قال الرسول القائد « أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس فعلم أن فى العشرة من هو أفضل ممن استعمل فقد غش الله ، وغش رسوله ، وغش جماعة المؤمنين » .

وكانت المدينـة المنوَّرة القاعدة الأمينـة للدعوة ، انطلقت مـنها السرايا والغزوات لـتعلى كلمة التوحيد ، ثم تعود إلى قاعدتها الأمينة مجبورة منصورة .

وبين دهشة وذهول مـــؤرخى سير عظمـاء الـقـادة يخرج لنا والفـريد فريمان مؤلف كتاب « فتوحـات العرب » بقوله « سواء أسمـيتموه نبيا » أو مصـلحًا أو أى شىء آخر فإن راعى الإبل الذى هاجر من مكّة إلى المدينة لايـصحبه إلاّ رجل واحد ، يفوق أى إنسان آخر عرفه التاريخ . فـليس ثمة رجل يمكن أن نعزو إليه كـل تلك الآثار العظيمة والرفيـعة مثلما ترك محمدًا من آثار ظلت خالدة على مر السنين » .

وكانت لمدرسـة الرسول الغلبة علـى أعظم امبراطوريتـين عرفهما التاريخ عـلى عهده . ويشبّه أحد فـلاسفة الحرب المعاصـرين ذلك بأن تقوم جـيوش دولة صغرى فى عـالم اليوم فتقضى على حلفى الأطلسى ووارسو فيما لايتجاوز الحقبتين من الزمان .

ولسوف يظل صوت سيف الله المسلول ، خالـد بن الوليد ، يجلجل وهو يقول لجيوش الكفرة والمشركين « إنى والله قد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة » .

وهكذا كانت جولات الإسلام التى تعهدتهـا مدرسة الرسول القائد ، والتى نشرت نور الإسلام فى الأرض ، وبهذا كانت العزة لجيوش المسلـمين مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدق الله العظيم . [سورة الانفال ١١٥]

ملحق (أ)

نموذج من إعداد القوى ورباط الخيل فى معركة احد

تنظيم القتال فى الإسلام :

١ - تقوية المعنويات بمحاربة عوامل الضعف ونزعات الخوف ، وغرس الشجاعة والتضحية والاستهانة بزخرف الحياة فى سبيل الحق ونصرته .

٢ - إعداد القوة المادية

القوة تتناول العدد والعُدة والحشد وإعداد آلات الحرب ووسائل القتال ومواد التموين وكل النواحى الإدارية وا لفنية .

أما الرباط فهو تحصين الحدود والثغور والأماكن الضعيفة أمام العدو ، وتهيئة القوةً الكامنة فيها لحمايتها .

التطبيق العملى لتنظيم القتال فى الإسلام (معركة احد)

سيطر المسلمون على الطرق التجارية المؤدية إلى الشام وإلى العراق سيطرة تامة ومنعوا قوافل قريش من سلوك هاتين الطريقين ، فلم يبق أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة وهى تجارة غير رابحة بالنسبة للتجارة مع الشام وبذلك حلّت بتجارة قريش نكبه قاضية ، كما سيطر المسلمون على المدينة وجعلوا منها قاعدة أمينة لدعوتهم وحركاتهم العسكرية المقبلة .

كما حرصت قريش بعد هزيمتها فى بدر على الأخذ بالثأر وصممت على الاستعداد عسكريا لاستعادة كرامتها وشرفها . .

رغم هزيمة المسلمين فى أحد فلم يستطع المشركون القضاء عليهم سواءً ماديًا أو معنويًا . إن حركة خالد بن الوليد كانت مباغتة للمسلمين ، وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب وهم متفوقين بالعدد إلى خمسة أمثال المسلمين ، كان يجب أن تكون نتائجه القضاء المبرم على كافة قوات المسلمين ولكن هذا لم يحدث . . فلا تقاس نتيجة المعركة فى الناحية العسكرية بعدد الخسائر فى الأرواح فقط ، بل تقاس أيضًا بالحصول على هدف القتال الحيوى ، وهو القضاء المبرم على العدو ماديًا ومعنويًا .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين ماديًا ومعنويًا ؟

أمّا أهم أسباب هزيمة المسلمين فى أحد فهى :

١ - لم يقم المسلـمون بالمطارده وتعقب القوات المعـادية المنسحبه لإيقاع الخسـائر بهم وقلب انسحابهم إلى هزيمة بل انشغلوا بالغنائم .

٢ - مخالفة الرماة وترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم .

٣ - نجاح خالد بن الوليد فى مباغتة المسلمين بالالتفاف وراءهم فارتبكت صفوفهم وتزعزعت معنوياتهم .

إلاّ أن نجاح المسلمين فى الخـروج من تطويق المشركين بخسائر عشرة بـالمائة من قواتهم القليـلة يعتبر نصرًا لـهم كما نجح المسلمـون فى معرفة المنافـقين بين صفوفهم قبـل المعركة وبعدها ، مما أتاح للقائد تطهير الصفوف بعد أحد على هدى وبصيرة .

اليهود في القرآن :

لقد كان اليهود هم أول من اصطدم بالدعـوة فى المدينة ، وكان لهذا الاصطدام أسبابه الكثيرة . . . . كان لليهـود فى يثرب مركزًا ممتازًا لكونهم أهل كتاب بين الأميين من العرب - الأوس والخزرج - ومع أن مشـركى العرب لم يظهروا مـيلاً لاعتناق ديانة أهـل الكتاب هؤلاء ، إلا أنهم كـانوا يعـدونـهم أعلم منهم وأحـكم بسبب مالـديهم من علم فى هذا الكتاب . .

ثم كان هنالك ظـرف موات لليهود بما بين الأوس والخزرج مـن فرقة وخصـام - وهى البيئة الـتى يجد اليهود دائمـا لهم فيها عملا !! فلـما أن جاء الإسلام سلبهم هـذه المزايا جميعا . . . . فلقد جـاء بكتاب مصدّق لما بين يديه من الكتاب ومهـيمن عليه . . . . ثم أنه أزال الفرقة التى كانوا ينفـذون من خلالها للدس والكيد وكسب المغانم . . . ووحد الصف الإسلامـى الذى ضم الأوس والخـزرج ، وقـد أصبحـوا منذ الـيوم يعـرفون بالأنـصار ، والمهاجرين ، وألّف منـهم جميعا ذلك المجتمع المـسلم المتضامن المتراص الذى لـم تعهد له البشرية من قبل ولا من بعد نظيرًا على الإطلاق .

ولقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب اللـه المختار ، وأن فيهم الرسالة والكتاب فكانوا يتطلعون أن يكون الـرسول الأخير فيهم كما توقعوا دائما ، فلـما أن جاء من العرب ظلوا يتوقـعون أن يعتبرهم خارج نطاق دعوته وأن يقصر الدعوة على الأميين من العرب ! . فلما

وجدوه يدعوهــم - أول من يدعو - إلى كتاب الـله - بحكم أنهــم أعرف به من الكفّار - وأجدر بالاستجـابة له من المشركين أخذتهم الـعزة بالإثم وعدوا توجيه الدعوة إلـيهم إهانة واستطالة .

ثم أنهم حـسدوا النبى - ﷺ - حسدًا شـديدا حسدوه مرتين ، مرة لأن الـله اختاره وأنزل عليه الكتاب - وهم لم يكونوا يشكـون فى صحته - وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع فى محيط المدينة .

على أنه كان هـناك سبب آخر لحنقهـم ولاتخاذهم موقف العداء مـن الإسلام والهجوم عليه منذ الأيام الأولى : ذلك هو شعورهم بالخطر من عزلتهم عن المجتمع المدنى الذى كانوا يزاولون فيـه القيادة الذهنـية والتجارة الرابـحة والربا المضعَّف ! هـذا أو يستجيبـوا للدعوة الجديدة ويذوبوا فـى المجتمع الإسلامى وهما أمران - فـى تقديرهم - كلاهما مر !

لهذا كله وقـف اليهود من الدعوة الإسلاميـة هذا الموقف الذى يصفه الـقرآن الكريم فى تفصيل دقيق . .

وكانت معجزة القرآن الخالدة أن وصفهم بالصفة التى لازمتهم فى كل أجيالهم من قبل الإسلام وإلى يومـنا هذا . . مما جعل الـقرآن يخاطبهـم - فى عهد النبـى ﷺ - كما لو كانوا هم أنـفسهم الذين كانوا عـلى عهد موسي - عليـه السلام - وعلى عهود خلـفائه من أنبيائهم باعتـبارهم جبلَّة واحدة سماتهم هى هى ودورهم هو هو ومـوقفهم من الحق والخلق على مدار الزمن !!

ومن ثم تبقى كلمات القرآن حية كأنما تواجـه موقف الأمة المسلمة اليوم وموقف اليهود منها . . وكأن هذه الـكلمات الخالدة هى التنبيـه الحاضر والتحذير الدائم للأمـة العربية تجاه أعدائها الذين واجهوا أسلافها بما يواجهونه اليوم من دس وكيد وحرب متنوعة المظاهر أحادية الهدف !

ومن خلال جولة فى سورة البقرة نرسم صورة واضـحة لاستقبال بنى إسرائيل للإسلام ورسوله وكتابه ، لقد كـانوا أول كافر به وكانوا يلبسون الحق بالبـاطل وكانوا يأمرون الناس بالبر - وهو الإيمان - وينسون أنفسهم . . . . .

وكانوا يسمعون من كـلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلـوه ، وكانوا يخادعون الذين آمنوا بإظهار الإيمان وإذ خلا بعضهم إلى بعض حـذر بعضهم بعضًا من إطلاع المسلمين على ما يعلمونه من أمر النبى وصحة رسالته ! وكانوا يريدون أن يردوا المسلمين كفارًا .. وكانوا يدَّعون من أجل هذا أن المهتدين هم اليهـود وحدهم كما كان النصارى يدَّعون هذا أيضًا !! وكانوا يعـلنون عداءهم لجبريـل - عليه السلام - بما أنـه هو الذى حمل الوحى إلـى محمد لأنهم كانوا يكرهون كل خير للمسلمين ويتربصون بهم السوء .. وكانوا ينتهزون كل فرصة للتشكيك[1] فى صحة الأوامر النبوية ومـجيئها مـن عند الله تعالى - كمـا فعلوا عند تحويل القبلة - وكانوا مصدر إيحاء وتوجيه للمنافقين ، كما كانوا مصدر تشجيع للمشركين ..

(١) هنا يتـحدى القرآن الجميع إذ كـان الخطاب إلى الناس جميعا يـهود ونصارى ومنافقين وغيرهـم ، يتحداهم بتجربة واقعية تفصل فى الأمر بلا مماحكة .

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة ٢٣ .

وظل هذا التحدى قائما فى عهد الرسول ﷺ وما بعده ، ومايزال قائما إلى يومنا هذا ...

أخلاق اليهود فى القرآن الكريم

الذلة والمسكنة :

- ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمرا ١١٢]
- ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ ﴾ [سورة الأعراف ١٦٧ ، ١٦٨]

الكذب فى أخطر القضايا وأقدسها :

- ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ١١١]
- ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ٧٥]
- ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ ﴾

ـ عمران ١٨١]

- ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

[سورة آل عمران ١٨٣]

- ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ ﴾ [سورة المائدة ٤١]
- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [سورة المائدة ١٨]
- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾

[سورة المائدة ٦٤]

التمرد على الله ورسله :

- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [سورة المائدة ١٣]

- ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [سورة المائدة ٧٠]

الجدال والتضليل :

- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ٢٤٧]

- ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٤٢]

- ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
[سورة آل عمران ٧٨]

النفاق والانتهازية :

- ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء ١٤١]

حب الشر للناس :

- ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [سورة آل عمران ١٢٠]

- ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء ٥٤]

- ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾
[سورة المائدة ٦٤]

التكالب على المادة ولو من طريق غير شريف :

- ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة النساء ١٦٠ ، ١٦١]

نقضهم العهود :

- ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة ١٠٠]
- ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنفال ١٥٦]

انعدام الضمير والجهر بالمنكرات :

- ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩]
- ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[المائدة / ٦٢]

الجبن حيث لايستطيعون المواجهة :

- ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحشر ١٣ ، ١٤]
- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ [سورة البقرة ٩٦]

تحريفهم للكتب المقدسة :

- ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة ٧٩]

أخوة الجهاد

نشـــر اليهود سمومهـــم وتعسفوا	هل لليهود بمصر مـــــن أنصار
يا معشر الأبطال أين جهـــــادكم	أين البـــيان وصـــائب الأفكـار
أيهكـــم عبث وليـــس يهمـــكـم	بنـــيان أخـــلاق بغـــير جــدار
عندى على ضميم السـرائر بينكـم	نبأ يهـــز ضـــمائر الأحـــرار
مما علمـــت وما سمعـــت مسـافرا	والعلم بعـض فـــوائد الأســـرار
مـــن كل ذى سبعـــين تلفـــظ ريبه	والريب من شفتيه عكــس نـــهارى
تأبى له فى الريب غـــير سـفاهـــة	قلـب صغـــير الهـــم والأوطـــار
ما حـــلـــه عطـــف ولا رفـــق ولا	بـــر بأهـــل أو هـــوى لديـــار
مهـما غـــدا أو راح فـــى جـولاته	دفعـــته راجـــفة إلـــى سمـسار
أســفى علـــى تلك المـــهازل كلـــها	نقلت مـــن الضـــارى إلـــى أبـرار
إن الســـلام علـــى يهـــود جنـــة	وسلام مصـــر وريفها مـــن نـــار
وعلـــى المجالس فـــوق كل خميلة	بين الجـــبال وشاطـــئ محـــبار
جـــيش العـــروبة ضـــد كل رزيلة	مشبـــــوبة بسياجهـــا الفجـــار
وأسعد « سادات » العرب كل سعادة	فمشاعـــل الأبطـــال ضـــوء نهار

ملحق (جـ)

رجال حول الرسول القائد ﷺ

أسامة بن زيد
الحبٌّ بنُ الحبّ

ابوه زيد بن حـارثة خادم رسول الله الذى آثـر الرسول على أبيه وأمـه وأهله ، والذى وقف به النبـى على جموع اصحابه يقـول { أشهدكم أن زيدا هذا ابنى يـرثنى وأرثه } وظل اسمه بين المسلمين زيد بن محمد حتى ابطل القرآن عادة التبنى .

وكان أسامه « مالكا لكل الصفات العظيمة الىتى تجعله قريبًا من قلب رسول الله وكبيرا فى عينيه » فهو من ابناء الإسلام الحنفاء الذيـن ولدوا فيه وتلقوا رضعاتهم الأولى من فطرته النقية ، دون أن يدركهم من غبار الجاهلية شىء . وهو على حداثة سنه مؤمن صلب ومسلم قوى يحمل كل تبعات إيمانه ودينه فى ولاء مـتين وعزيمة قاهرة . وهو مُفرط فى ذكائه مفرط فى تواضعه ، ليس لتفانيه فى سبيل الله ورسوله حدود .

وفي سن مبـكرة لم تجاوز العشرين أمَّر الـرسول اسامة بن زيد على جـيش بين أفراده وجنوده أبو بكر وعـمر !! وسرت همهمة بين نفر مـن المسلمين تعاظمهم الأمـر واستكثروا على الفتى الشاب إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار والمهاجرين وبلغ همسهم رسول الله ﷺ فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن بعض الناس يطعنون فى إمارة اسامة بن زيد ولقد طعنوا فى إمارة ابيه من قبل وان كان أبوه لخليقًا للإمارة وإن أسامة لخليق لها وإنه لمن أحبٌ الناس إلىّ بعد ابيه وإنى لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا » .

وتوفى رسول الله ﷺ قبـل أن يتحرك الجيش إلى غايته ولكنـه كان قد ترك وصيته الحكيمه لأصحابه

أنفذُوا بَعثَ اسامه

انفذَوا بعث اسامه

وعلى الرغم من الظروف الجديدة الى ترتبـت على وفاة الرسول فإن الصديٌق أصرً على إنجاز وصيته وأمره ، فتحرك جيش أسامه إلى غايته . .

وبينما كان هرقل يتلقى خبر وفاة الرسول تلقى فى نفس الوقت خبر الجيش الذى يُغير على تخوم الشام بقيادة أسامه بن زيد فحيرّه أن يكون المسلمون من القوَّة بحيث لا يؤثر موت رسولهم فى خططهم ومقدرتهم .

وهكذا انكمش الروم ولم يعودوا يتخذون من حدود الشام نقط وثوب على مهد الإسلام فى الجزيرة العربية وعاد الجيش بلا ضحايا وقالوا عن جيش أسامة

ما رأينا جيشا أسلم من جيش اسامه

عمرو بن العاص
محرر مصرمن الرومان

مصر يوم أهلّت عـليها طلائع الإسلام كانت نـهبا للرومان وكان أهلـها يقاومون دون جدوى ولمّا دوّت فوق مشارف بلادهم صيـحات الكتائب المؤمنه **الله أكبر الـله أكبر** سارعوا جميعا فى زحام مجيد صَوْب الفجر الوافد ، وعـانقوه واجدين فيه خلاصهم من قيصر ومن الرومان فقد فـتح عمرو بن العاص ورجاله مـصر وحرروها وأناروا لها الطريـق إلى كلمات الله ومبادئ الإسلام . .

ولقد كان عمرو بن العاص حريصا على أن يُباعد أهل مصر وأقباطها عن المعركة ليظل القتال محـصورا بينه وبين جنود الـرومان الذين يحتلون البـلاد وينهبون خيراتهـا أهلها وقد تحدث إلى زعماء النصارى يومئذ وكبار أساقفتهم ، فقال :

« إن الله بعث محـمدًا بالحق وأمره به وأنه ﷺ قد أدَّى رسالته ومضـى بعد أن تركنا على الواضـحة (أى الطريق الواضح المـستقيم) وكان ممـا أمرنا به الإعذار إلى النـاس فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا فهو منا له مالنا وعليه ما علينا .. ومن لم يُجبنا إلى الإسلام عرضنا عليه الجزية (الضرائب) وبذلنا له الحماية والمنعة .

ولقد أخبرنا نبينا أن مصر ستفتح علينا وأوصانا بأهلها خيرًا فقال عليه الصلاة والسلام

« ستُفتح عليكم بعدى مصر فاستوصُوا بقبطها خيرًا فإن لهم ذمةَ ورحما »

فإن أجبتمونا إلى ما ندعوكم إليه كانت لكم ذِمَّة إلى ذمة .

وتحت ثرى مصر التى عرّفها عمرو بن العاص طريق الإسلام ثوى رفاته ولايزال مجلسه حيث كان يُعـلّم ويقضى ويحكم قـائما عَبْر القرون تحت سقف مـسجـده العتـيق - جامع عمرو - أول مسجـد فى مصر ذكر فيه اسم الـله الواحد الأحد ، وأعلنت بـين أرجائه ومن فوق منبره كلمات الله ومبادئ الإسلام ودوت فيه صيحات النشيد الإلهى

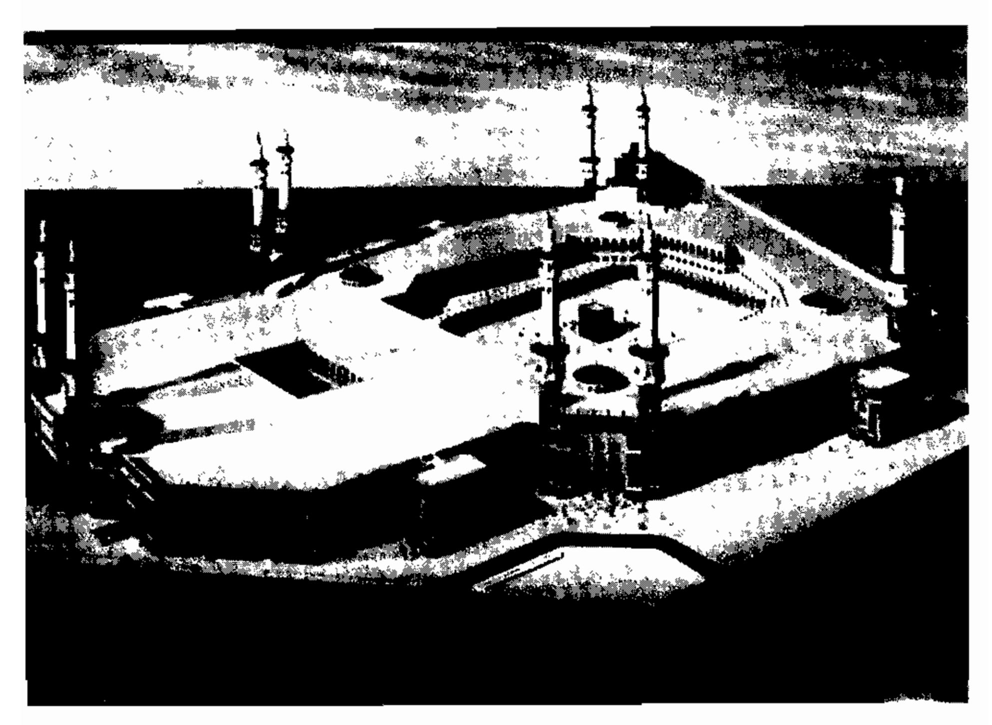
- لا إله إلا الله محمدا رسول الله -



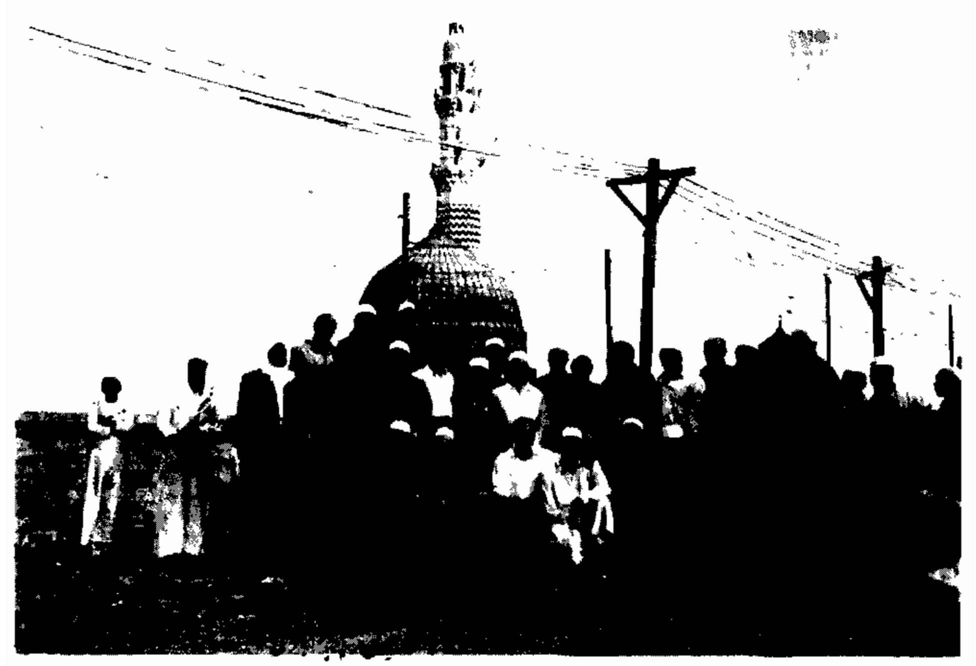
الفرساه والمشاه العرب

حملة الرمح والترس

حامل اللواء وثلاثة من
جنود العصر العباسى الثانى



الكعبة المشرفه فى شكلها الراهن



المؤلف وصحبه فوق سطح المسجد النبوى الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الثالث

إعـــداد القـــوى وربـــاط الخيـــل

فى النصف الأول من القرن العشرين

الفصل الأول

إعداد القوى الاستعمارية للدخول إلى قلب العالم العربى

بدأ التواجد العسكرى البريطانى شرق السويس فى الهند منذ عام ١٦٦٠ ، وفى منطقة الخليج عام ١٨٥٦ ، فعندما تعرّضت التجارة البريطانية للتهديد البحرى من المنافسين لإنجلترا فى التجارة إلى الشرق ، مع تهديد برى داخلى من حكام الأقاليم وشعوب البلدان التى انشأت فيها بريطانيا مراكزها التجارية استدعى الأمر تأمين القوافل التجارية البريطانية وحماية مراكز التجارة والخطوط البحرية فى المجارى المائية خاصة البحر الأحمر والمحيط الهندى والخليج الفارسى تحت شعار تأييد وحماية محلية لحكام الأقاليم الذين لايستطيعون تحقيق حماية دويلاتهم . ثم تطورت الحماية والتأمين إلى وضع قواعد خاصة بها وخطط تأمين متكاملة بمعرفة بريطانيا ، ثم وضعت قوانين واصدرت أوامر لتنظيم العملية . وهكذا دخل الاستعمار إلى تلك المناطق وبدأ فى تصدير الحضارة الأوروبية الغربية ومستلزماتها من تقاليد وعادات ولغة ودين . . ومن ثم أخذت بريطانيا على عاتقها المسئولية الكاملة للدفاع الخارجى External defence والأمن الداخلى internal security وبالطبع كانت امارات المنطقة ودولها لا تملك ولم تحاول إعداد القوى لحماية ذاتها !!

وجذبت السياسة الاستعمارية الانجليزية أعداد جددًا للإمبراطورية البريطانية ، كما شكّلت مشاكل أمن جديدة . ففى عام ١٨٨٢ وجهت حملة إلى مصر واحتلتها لمدة ٧٤ عاما ، وفى عام ١٨٨٤ دفعت قواتها إلى دخول السودان ، وقامت بحملة تأديبية ضد الحبشة فى عامى ١٨٦٧ ، ١٨٦٨ واشتركت فيما بعد عام ١٨٩٠ حتى عام ١٩٠٤ فى عمليات بالصومال . .

وبعد هذا التوسع الكبير وجدت بريطانيا نفسها فيما يسمى « بورطة استراتيجية » حاولت التخلّص منها فيما بعد فى السبعينيات عندما وجدت نفسها عاجزة عن تحقيق القوة

والتأثير الكامـل والسيطرة التامة على كل القـواعد البريطانية المنتشرة شـرق السويس وغربها وبدأت تعتـمد على الأسطول الأمريـكى المتواجد فى المحيـط الهادى لمواجهة جزء كـبير من الأسطول اليابانى واحتوائه . .

وهكذا واجهت بريطانيا الأعداء فى المحيطات الثلاثة حتى عام ١٩٣٠ وما بعده . .

وعـندما أعلنت الحـرب العالمية الأولى فـى أغسطس ١٩١٤ وشملت كل أنحـاء العالم واستمرت حتى عام ١٩١٨ أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وكانت الحرب العالمية الأولى سببا فى ظهور الوطن القومى اليهودى إلى حيِّز الوجود .

وعندما انـتهت الحرب العـالمية الثانـية عام ١٩٤٥ سجل الـتاريخ أن الولايات المـتحدة الأمريكية كانت قد مارست دورًا نشيطًا وفعالاً للتخطيط لدور أكبر كى ترث النفوذ البريطانى والفرنسى معا فشـمل اهتمامها آنذاك منطقة الشرق الأوسـط على وجه الخصوص ، أى قلب العالم النابض بموقعه الاستراتيجى المتميِّز فى النزاع بين الكتلتين .

ولأهميتها الاسـتراتيجية الفائقة للـدفاع عن غرب أوروبا ولاحتوائها علـى موارد نفطية هائلة تجمعت حول شاطئ الخليج الفارسى (العربى) والتى تحتوى على ٦٠ ٪ من احتياطى البـترول العـالمى الثـابت وجوده فـيها والذى يـستخـدم فى تزيـيت وإمداد آلات الإنـعاش الاقتصادى فـى الولايات المتحدة وأوروبا والـيابان ، ولعل هذا يفـسر لنا السبب فـى اهتمام الغرب بربط دول هذه المنطقة الحيوية فى حلف دفاعى ونظام أمنى ضد الخطر السوفييتى .

وقد وطد الاسـتعمار البـريطانى أقدامـه فى الوطن العـربى منذ الاحتـلال الأول ونفذ استراتيجيتـه القائمة على تفكيك الجسـور العربية وإيجاد منازعات دائمة بـين الدول وبعضها البعض . وهـكذا تفاقمت المـنازعات القبلـية بين إمارات الخليـج العربى خاصة فـى ترسيم الحدود حسب الخرائط التى وضعها الاستعمار البريطانى بدهاء وخبث لتستمر المنازعات على أرض هنا وجزيرة صغيرة هـناك ربما يكون تحتها كنز بترولى يغرق صـاحبه بالمال الوفير . . ونجحت هذه الاستراتيجية فى إثارة التنافس بين حكام الأقاليم والإمارات خاصة فى الستينيات عندما يظـهر البترول هنا ولا يظهـر هناك ، وأصبح من الواضح أن هذه الإمـارات الصغيرة التى ظـهر فيها البـترول لا ولن تـستطـيع أن تقاوم أى تدخل لـقوة خارجية وأراد حكـامها حمايتهـا وإثبات حقهم فى ملـكيتها بقوات لايملكـونها ولايستطيعـون إعدادها ، وإن كانوا يستطيـعون استئجارها من الخـارج بالثمن !! وكانت بريـطانيا فى ذلك الوقت هـى صاحبة

القوة والسيطرة والنفوذ . وهكذا اعتمدت الإمارات العربية على بريطانيا فى توفير الحماية وتقديم المشورة التى استمرت حوالى ١٤٠ عاما وارتبطت معها بمعاهدات للدفاع والحماية . . . .

وقد أعاد التاريخ نفسه فى النصف الثانى من القرن العشرين واستمرت استراتيجية الاستعمار كما هى مع تغيّر الوجوه إلى من يمتلك القوة الاكبر والذى يمكنه تأجيرها بالثمن وهو السيطرة التامة الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية مع تأمين مصالحه أولا خاصة بالسيطرة على آبار البترول المنتجة والتى يؤكد التطور التكنولوجى أنها مخزونة انتظاراً لمن يفجرها . .

الفصل الثانى

إعداد القوى الصهيونية لإقامة دولة إسرائيل

الهاجاناه تصبح أكثر عدداً من جيوش العرب :

بلغ حجم المؤسسات العسكرية الصهيونية عام ١٩٣٩ نحوًا من ٢٥ ألف مقاتل فزاد عددها على عدد أفراد جيش مصر بنحو مرة ونصف ، وتعادل مع كل جيوش دول الطوق العربى عددًا ، وإن تفوّق عليها نوعًا فى التسليح والتدريب والمهارة الميدانية .

وفى ٨ سبتمبر ١٩٣٩ ، أى قبل أن يمضى أسبوع واحد على اشتعال الحرب العالمية الثانية حدَّد بن جوريون لقادة الهاجاناه هدفهم العاجل قائلا . . . « لقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن « وعد بالفور » ، أما الحرب العالمية الثانية فستأتى « بدولة إسرائيل » .

وإذا كانت القوى السياسية هى التى قامت بالدور الرئيسى فى إقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها ، فإن القوى العسكرية الصهيونية - بعد أن بلغ المخطط الصهيونى مرحلته الحاسمة - أصبحت الأداة الفعالة لفرض الوجود الصهيونى بفلسطين فى شكل الدولة اليهودية .

وكما استغلت المؤسسة الصهيونية الحرب العالمية الأولى لتجنيد وحدات صهيونية خالصة بهدف اكتساب الخبرة وكفاءة القتال ، فقد ركزت على استغلال الثانية فى تجنيد المزيد من الجنود الصهاينة ، ولهذا أعلن المؤتمر الصهيونى الحادى والعشرون المنعقد فى جنيف فى أغسطس ١٩٣٩ أن الوكالة اليهودية - رغم اختلافها مع حكومة الانتداب - سوف تقدِّم جميع القوى البشرية اليهودية وكفاءاتها الفنية للمشاركة مع الحلفاء فى الصراع الدائر .

ورغم رفض الحكومة البريطانية لهذا العرض السخى فإن الوكالة اليهودية استمرت فى بذل مساعيها ، فأنشأت مكتبًا لتسجيل المتطوعين اليهود وحثت شبابها فى فلسطين إلى التطوُّع « حتى يكونوا تحت طلب القيادة العسكرية البريطانية » .

وفى ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية أخيرًا على إنشاء قوة مقاتلة يهودية من عشرة آلاف رجل على أن يجنَّد منهم فى فلسطين ثلاثة أو أربعة آلاف . ولما نكصت حكومة بريطانيا عن المضى فى هذا المشروع تحولت الوكالة اليهودية إلى الولايات المتحدة تطلب منها إنشاء تلك القوة اليهودية .

التحول نحو الولايات المتحدة :

وعكف بن جوريون على وضع مخطط الاعتماد على الولايات المتحدة الذى تبلور فيما يسمى ببرنامج بالتيمور عام ١٩٤٢حيث ركزّ على الإعداد لإقامة دولة إسرائيل بتعبئة القوى اليهودية العالمية لتحويل فلسطين إلى كومنولث يهودى .

وبعد أشهر قليلة وافقت حكومة بريطانيا بضغط من البيت الأبيض على إنشاء كتائب مشاه يهودية - وعربية - للخدمة بالشرق الأوسط ، مع التوسع فى إنشاء قوة الشرطة اليهودية - « النوتريم » - والتى كانت تمثِّل الجيش الشرعى اليهودى بفلسطين ، وتجنيد ٢٥ ألف شاب يهودى على أن يقدم لهم قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط الضباط اللازمين لتدريبهم ، والأسلحة الكافية لتسليحهم ، والمعدات الحديثة لتصبح وحداتهم قادرة على خوض المعارك .

إنشاء اللواء اليهودى :

ثم أنشأت بريطانيا اللواء اليهودى يوم ١٩ سبتمبر ١٩٤٤ للاشتراك فى الحرب ، وقامت بتنظيمه وتسليحه وتدريبه بمنطقة برج العرب قبل أن تزج به فى القتال بمسرح إيطاليا ضمن قوات الجيش الثامن البريطانى . وكان الفضل فى إنشاء هذا اللواء يعود إلى ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى ذى الميول الصهيونية المنحازة .

وكانت قيادة الهاجاناه ، قد قررت في مايو ١٩٤٠ إنشاء قوة ضاربة نظامية أطلقت عليها اسم « البالماخ » استعانت بها بريطانيا ضد حكومة فيشى الفرنسية فى سوريا ولبنان .

شتيرن السيئة السمعة :

كما حدث قبل ذلك بعام أن انشقت عن الأرجون عصابة إرهابية أطلقت على نفسها اسم « المحاربون لحرية إسرائيل » ، وإن اشتهرت باسم « عصابة شتيرن » نسبة إلى زعيمها

أبراهام شتيرن ، وركَّزت أعمالها فى الاغتيال والتخريب وسرقة الأسلحة والمعدات من المخازن البريطانية .

وبمجرد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وزَّع الزعماء الصهاينة جهودهم لإقامة الدولة بين العمل السياسى فى الخارج والعمل العسكرى بفلسطين . فتقدم حاييم وايزمان بطلبه إلى الحكومة البريطانية ليجعل فلسطين دولة لليهود ، بينما طالب بن جوريون الولايات المتحدة بالسلاح ومصانع الأسلحة والمتطوعين اليهود للقتال ضد عرب فلسطين .

وعندما انعقد أول مؤتمر صهيونى بعد الحرب بلندن فى أغسطس ١٩٤٥ صدَّق على برنامج بالتيمور ، وطالب بهجرة مائة ألف يهودى إلى فلسطين . وقد أوصى الرئيس الأمريكى هارى ترومان حكومة بريطانيا بتنفيذ ذلك الطلب على أن يكونوا من ضحايا النازية .

إنشاء وزارة للدفاع :

وفى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين بمدينة بال فى ديسمبر ١٩٤٦ فرض بن جوريون رأيه بضرورة الاتفاق على أن الحرب هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق الدولة الصهيونية ، ووافق المؤتمر على إنشاء وزارة للدفاع يتولاها بن جوريون ليقوم بتوحيد كافة المؤسسات العسكرية فى جيش نظامى موحَّد .

ولما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ على قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود تحقق للصهيونية خلال جيل واحد تحويل فلسطين من دولة عربية خالصة إلى دولة يهودية تملك جيشًا ميدانيًا قوامه عشرون ألف فرد ، وجيشًا دفاعيًا حوالى ١٧ ألفًا ، وقوة ضاربة من البالماخ قوامها نحو ٢٥٠٠ مقاتل ، وشرطة يهودية مسلحة من ستة آلاف ، ولواء يهوديًا من خمسة آلاف مقاتل سبقت لهم خبرة القتال فى جنوب وغرب أوروبا قبيل نهاية الحرب ، وعادوا إلى فلسطين بأغلب أسلحتهم .

إعادة التنظيم والتسليح :

وركَّزت وزارة الدفاع بقيادة بن جوريون على إعادة تنظيم القيادات الميدانية والوحدات العسكرية بنهاية ١٩٤٧ ، فقامت بإنشاء أربع قيادات إقليمية ، ووضعت خطة لتحويل جيش الميدان إلى وحدات خفيفة الحركة ، كما أمكن تشكيل نواة لسلاح الطيران من اليهود الذين اشتركوا فى القوات الجوية للحلفاء فى الحرب .

وحظى التدريب على القتال باهتمام بالغ ، كما ركَّزت القيادات على بث العقائد الصهيونية وبذل إسحق دابنو أول قائد للجيش الصهيونى اهتمامه بتعليم وتدريب الضباط الأصاغر باعتبارهم ذوى الصلة المباشرة بالجنود . وحتى اليوم فلا تزال دورة قادة الفصائل هى أساس تربية القادة فى جيش إسرائيل .

وفى مطلع شهر ديسمبر ١٩٤٧ بدأ الجيش الإسرائيلى محاولاته لابتلاع كل فلسطين طبقا « للخطة دال » التى عملت على احتلال كل المراكز الحيوية سواء فى المناطق الريفية أو الحضرية ، داخل حدود قرار التقسيم أو خارجه .

إعلان التعبئة العامة :

ثم اتخذ المجلس الصهيونى العام فى ١٦ إبريل ١٩٤٨ قرار إعلان التعبئة العامة ، وتنظيم السيطرة على البلاد . وقد تضمَّن ذلك القرار ما يلى :

١ - استدعاء كل الرجال لحمل السلاح .

٢ - استغلال كافة وسائل النقل في البر والبحر الجو لتوفير الإمداد بالسلاح والذخائر من الخارج ، وتدفق الهجرة اليهودية على فلسطين .

٣ - السيطرة على توزيع المواد الغذائية والمواد الخام بما يؤمن للقوة العسكرية حاجتها كأسبقية أولى ، وأن يتابع الاقتصاد الإسرائيلى أنشطته تحت ظروف الحرب .

٤ - ألاّ يقف جيش إسرائيل عند تكتيك الدفاع ، بل يقوم بالهجوم على كل الجبهات ، ليس فقط داخل حدود فلسطين ، بل حيثما يوجد عدو .

وهكذا ، ومع مطلع شهر إبريل ١٩٤٨ كان جيش إسرائيل قد أتم الاستعداد لابتلاع كل ما يمكن ابتلاعه من الأرض ، وتفريغ كل ما يمكن تفريغه من سكانها العرب حتى تصبح إسرائيل دولة عرقيَّة نقية لايسكنها إلاَّ الصهاينة .

الزحف فى كل الاتجاهات :

وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، يوم تدخلت الجيوش العربية لتدارك الموقف المتدهور بفلسطين ، كان جيش إسرائيل قد أتم الاستيلاء على طبرية وحيفا وصفد ويافا وأحياء مهمة من القدس ، كما حاصر عكا واستولى على الجليل الغربى والشرقى رغم أنه يدخل

ضمن حدود الدولة العربية طبقًا لقرار التقسيم . كما تولت عصابتا الأرجون والشتيرن أعمال الإرهاب لإجبار العرب العزّل على النزوح عن مدنهم وقراهم ، فتوالت مذابح دير يس وناصر الدين والقبو وبيت داراس وبيت الخورى والزيتونة ، وتجاوز عدد القرى التى تعرضت للنسف والتدمير المائة قرية عربية .

قيام دولة إسرائيل :

وكان بن جوريون قد أعلن عصر اليوم السابق من دار المتحف بتل أبيب عن قيام الدولة اليهودية فى أرض إسرائيل تحمل إسم « دولة إسرائيل » . وعلى الأثر بدأت الحرب بين تلك الدولة والدول العربية المجاورة ، التى تكررت خمس مرات فى عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ و ١٩٨٢ .

التفوق الكمى والنوعى :

وكان حجم الجيش الذى خاضت به إسرائيل أولى حروبها عام ١٩٤٨ قد بلغ ٦٧ ألف مقاتل يضمهم عشرة لواءات من الهاجاناه وثلاثة من البالماخ ، إلى جانب نواة من السلاح البحرى وأخرى من السلاح الجوى . وحقّق هذا الحجم الإسرائيلى تفوقًا عدديًا على جميع الجيوش العربية التى حاربت فى الجولة الأولى بلغ مقداره ٢,٥ : ١ لصالح إسرائيل ، وبفضل تفوقه النوعى كانت النسبة فى الواقع تزيد عن ذلك بكثير .

ويعنى ما سبق أن ما أعده الصهاينة من قوة لاغتصاب فلسطين كان يتفوق على ما أعده العرب للحفاظ على عروبتها أضعافًا مضاعفة ، ورغم تلك الحقيقة فقد ظلت إسرائيل تشكو ضعفها وقلة حيلتها فى مواجهة العملاق العربى الذى اعتزم أن يأخذ بخناقها فأذاعت على الملأ مقولة أن طالوت - العرب - يعتزم البطش بداود - إسرائيل - لتستدر عطف غالبية الشعوب بينما كانت موغلة فى البطش بالعرب ، والجموح بحدود قرار التقسيم شمالاً وشرقًا وجنوبًا ، حتى لم يسلم من عدوانها أحد من دول الطوق العربى .

وخلاصة القول إن إسرائيل قامت بالقوة الجبرية التى كان إعدادها هو شغلها الشاغل طيلة ثلث القرن الذى سبق قيام الدولة ، وأنها ستظل تعتمد على تلك القوّة فى فرض وجودها الغريب والمرفوض فى قلب الوطن العربى ، معتمدة فى ذلك على الشعار الذى أطلقته فى مبدأ مسيرة اغتصاب فلسطين والذى يقول . . . « إذا ما وقع السيف من يد إسرائيل فسوف تموت » .

الفصل الثالث

إعداد القوى العربية للمعركة المنتظرة

- في نوفمبر عام ١٩٤٧ بعد إعلان مشروع التقسيم الصادر من الأمم المتحدة أعلن الحاج أمين الحسينى مفتى القدس الحرب المقدسة ضد يهود فلسطين ، وتم تشكيل جيش غير نظامى سمى بجيش الجهاد المقدس من المتطوعين ، وعين عبدالقادر الحسينى قائداً له . .

وفى الجانب العربى الآخر تم تكوين قيادة جيش التحرير العربى فى دمشق بقيادة فوزى القاوقجى (الضابط السورى الذى كان يعمل فى الجيش التركى اثناء الحرب العالمية الأولى . .) وكان من المقرر أن تتألف قوات جيش التحرير من متطوعين من البلدان العربية ، ومن سكان فلسطين العرب . .

- وكان وجود هذين الجيشين العربيين عاملاً قويا للإنشقاق بين العرب وبين الفلسطنيين أنفسهم ، وهذا بالطبع اضعف من تنسيق الجهد العربى ضد الصهيونيين المنظمين المتحدين !! وكان الاتفاق الوحيد بين الجيشين العربيين هوتقسيم عام لمناطق المسئولية بينهما فجيش التحرير العربى فى الشمال تحت قيادة القاوقجى وقواته حوالى ٧٧٠٠ رجل ، وجيش الجهاد المقدس في الجنوب وقوامه فرقتان فدائيتان اساس كل منهما ١٠٠٠ متطوع فى الجليل والقدس .

- وتطوع مع جيش التحريرالعربى عدد من جماعة الأخوان المسلمين من مصر للقتال ضد اليهود فى فلسطين ، وقد سمحت الحكومة المصرية والملك فاروق بالطبع باشتراكهم فى هذا الجهاد التى يعتبر معاديًا أيضًا لاتجاه الملك عبدالله سرًا !! حيث قيل إن عبدالله له أطماع ضد المفتى لتوحيد فلسطين مع شرق الأردن فى مملكة أردنية جديدة .

وكانت موافقة فاروق أيضًا لسبب آخر وهو دفع هؤلاء المجاهدين المسلمين خارج مصر

لتوفير الأمن والأمان له ولأسرته ولمن تبعه داخل مصر ،وعينت الحكومة المصرية العقيد أحمد عبد العزيـز من سلاح الفرسان المصرى ليقود هؤلاء المتطوعين مع من تطوع من العرب للقتال الفدائى والجهاد ضد يهود فلسطين .

(۲۰۰۰ متطوع مصرى وسودانى وليبى مع بعض عناصر من الجيش المصرى ومدافع ماكينة وهاون) .

- وفى ٢٥ إبريل١٩٤٨ وافقت الجامعة العربية على أن تتدخل دولها الأعضاء فى القتال فى فلسطين بمجرد انسحاب القوات البريطانية منها ، وأن تحول بقوة السلاح دون تقسيم فلسطين الذى قـررته الأمم المتحدة ، وأن تكفل السيادة الـعربية على الدولة الفلـسطينية الجديدة فـى فلسطـين . وقد اعتبـر الملك عبدالـله ملك شـرق الأردن هو القائـد العام للجـيوش العربـية وهى جيـــوش سوريا ولـبنان والأردن ومصـر والعراق والسـعودية والسودان (عناصر سودانية فقط) بالإضافة إلى قيادته للفيلق العربى الأردنى والخاضع للقيادة البـريطانية ، بالإضافة إلـى قيـادته أيضًا لجيش التحـريـر العربى .. وجيش الخلاص ..

الجيش العربى السورى :

أصبحت ســوريا مستقلة عن الحكـم الاستعمارى الفرنسـى منذ أبريل ١٩٤٦ ، وطوال فترة الانتداب الفرنسـى كان عدد صغير من الوحدات السورية قد جرى تكـوينه كعناصر من الجيش الاستعمارى الفرنسى، ثم أصبحت تلك القوات هى نواة الجيش السورى الجديد .

وعندما استعدت سوريا لإرسال قواتها إلى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ لم يكن لضباطها أو جنودها أى خبرات ميدانية ، كما لم يكن عددهم يتجاوز ٨٠٠٠ فرد يشلكون :

٢ لواء مشاه

١ كتيبة ميكانيكية (تشمل سرية من الدبابات الفرنسية الخفيفة)

قوة جوية حوالى ٥٠ طائرة متنوعة (لـم يكن يصلح منها للقتال إلا ١٠ طائرات فقط) قاذفات ومقاتلات .

الجيش اللبنانى :

لم يكن فى لبنان مايمكن تسميته بجيش بل جندرمة من حوالى ٣٥٠٠ فرد فى ٥ كتائب مشاه ، وعناصر صغيرة من الدبابات والعربات المدرعة والفرسان .

الجيش العراقى :

حصل العراق على استقلاله عن الانتداب البريطانى فى ٣ أكتوبر ١٩٣٢ ورغم هذا فقد كان الجيش العراقى قليل الخبرة والتجارب ، وكان عدد هذا الجيش فى أوائل عام ١٩٤٨ حوالى ٢١ ألف فرد من المشاه والمدرعات والمدفعية ، وكان لديهم حوالى ١٠٠ طائرة متنوعة . . وكان مقرر إرسال قوة إلى مسرح فلسطين قوامها ٥٠٠٠ رجل تتضمن ٤ لواءات مشاه ، وكتيبة مدرعة ، وقوات مساعدة .

وقد واجهت هذه القوة التى - خاضت معارك قليلة - صعوبات جمّة فى الإمداد نظرًا لطول خطوط مواصلاتها عبر الصحراء من نهر الفرات إلى الأردن . . وقد تجمَّعت غرب أربد بالأردن .

الجيش المصرى :

كان الجيش المصرى حتى أوائل عام ١٩٤٧ ملحقًا صغيرًا لجيش الاستعمار البريطانى فى مصر ، ولم تكن هناك فرصة للضباط المصريين لاكتساب خبرة قيادية ميدانية تتجاوز مستوى السرية أوالكتيبة عدا قوات الدفاع الجوى المصرى وهى المدفعية المضادة للطائرات وبطاريات الأنوار الكاشفة فقد اشتركت فى الحرب فى حماية الموانى المصرية وخطوط المواصلات البريطانية بكفاءة .

وكانت أسلحة الجيش المصرى أسلحة بريطانية قديمة ، وكانت وحدات الجيش مبعثرة فى حاميات فى الدلتا وجنوب الوادى وفى مرسى مطروح بالصحراء الغربية .

وللأسف الشديد عندما قرر الملك فاروق زج الجيش المصرى فى حرب فلسطين لم تستطع الحكومة المصرية تخصيص حملة مناسبة للقتال فصار استئجار عربات من متعهد فلسطينى اسمه « باميه » . وتشكلّت القوة المصرية فى لواء مشاه واحد ومعه بعض الدبابات الخفيفة ، وكانت مصر تمتلك بعض الطائرات المقاتلة مع عناصر بحرية محدودة ، واتخذت هذه القوات العريش قاعدة أمامية لها . .

القوات العربية المشتركة فى المواجهة يوم ١٥ مايو ١٩٤٨

- العرب	٤٢٠٠٠
- جيش التحرير العربى	٥٥٠٠
- جيش الخلاص	٥٠٠٠
- لبنان	٢٠٠٠
- سوريا	٥٠٠٠
- الأردن	٧٥٠٠
- مصر	٧٠٠٠
- العراق	١٠٠٠٠

وكانت القوات الإسرائيلية المواجهة لها حوالى ٦٧٠٠٠ مقاتل طبقا لتقدير مخابرات سلطة الانتداب البريطانية على فلسطين .

إعداد القوى المصرية

قامت فى مصر الثورة العرابية ضد التدخل الأجنبى حتى تحقق للبلاد الحرية والعدل والمساواة للجميع ، ولكنها فشلت لهبوط الروح المعنوية بين الضباط المصريين أساسا وحدوث حالات تمرد وتذمر بين أفراد الجيش المصرى ولم تكن الثورة شعبية منظمة بالمعنى المفهوم ولم يشترك الشعب معها فى القتال اشتراكا فعليا . . ودخلت القوات البريطانية القاهرة يوم ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ليبدأ الاحتلال البريطانى لمصر واختير أحمد فؤاد سلطانا على مصر فى ٩ اكتوبر ١٩١٧ . قامت ثورة مصر عام ١٩١٩ نتيجة لما تحمله المصريون أثناء الحرب العالمية الأولى من صنوف شتى من المتاعب وهلك من المصريين مئات الآلاف وهم يعملون فى تمهيد الطرق ووضع قضبان السكة الحديد وفى الأعمال العسكريه المختلفه لخدمة بريطانيا ليس فى مصر وحدها ولكن أيضًا فى الشام والعراق وفلسطين . .

وتولى الملك فاروق سلطته الدستورية فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ بعد وفاة والده الملك فؤاد فى ٢٨ ابريل ١٩٣٦ ، حيث اعتلى عرش مصر فى نفس يوم وفاة والده . . . وبالطبع لم يكن هدفه هو إعداد القوى لتأمين مصر ، بل كان هدفه الرئيسي هو حماية عرشه وأملاكه

ومصالحه فاختار قادة ومعاونين وتابعين لسلطته وسلطانه وجبروته ونزواته ، ولم يهتم بإعداد الجيش المصرى اهتمامه بتأمين ملكه ، ولم يُحسن إعداد القوى أو رباط الخيل فلما حان وقت الجهاد زج بالجيش المصرى فى أتون حرب غير قادر على خوضها وزوده بأسلحة فاسدة ليقضى على خيرة قادة مصر ورجالها معنويا بالدرجة الأولى ، وارتوت أرض فلسطين بدماء مئات من شباب مصر الشهداء .

ورغم هذه الفترة وما فيها من إضعاف للقوى وليس إعدادها ، إلا أن هناك حقيقة واضحة تحتم الأمانة ذكرها بعناية ووضوح فقد كان بعض القادة العظام فى الجيش المصرى يعملون لإعداد القوى بإقامة قواعد ثابتة فى إعداد القادة الأصاغر وإعداد الجندى المصرى إعدادا تلقائيا ومن أمثلة ذلك :

فى عام ١٩٤٢ والحرب دائرة فى الصحراء الغربية وعلى مشارف الإسكندرية كان لابد من صقل القوى الوطنية والانضباط وتعليم أدب الحرب وأسلوب الإدارة والقيادة السليمة ومحاولات لحل مشاكل الجنود وتقليل المسافة بين الضابط الصغير وجنوده . .

فقد كان على الضابط الصغير أن ينتظم فى صفوف التعليم والتدريب بمجرد وصوله الوحدة ولمدة ستة أشهر مع زملائه من الجنود الجدد ليعيشوا معا عيشة ميدانية واحدة خاصة فى الطعام . كما أن قائد الوحدة كان يصل إلى الوحدة مبكرا قبل اصطفاف الجند والضباط بفترة كبيرة ويمر على الجميع خاصة طهارة الرجال ونظافتهم الظاهرية والداخلية وكل من يجده غير معتنٍ بجسمه وملابسه يجلد ٥ جلدات فورًا ، وكل من يجده نظيفًا يأخذ هدية أو أجازة فورًا !! وبالطبع كانت الطهارة هى سعى الرجال إلى نيل الإجازة ، وكان كل ضابط فصيلة مكلّف بعمل دفتر لاستحمام الجنود ويشرف على نظافتهم شخصيا . . أما طعام الجنود فكان موضع اهتمام رئيسى من القائد من مطبخ الجنود إلى نظافة أدواته وحسن طهى الطعام وحسن توزيعه ومعدلات اللحوم حتى ينال كل فرد حقه بالعدل . . أما الحملة فرغم أن العربات قديمة ومستهلكة إلا أنها كانت نظيفة صالحة للاستخدام ، مع الصيانة الكاملة والتنسيق اليومى المستمر على المياه والزيوت والوقود وإدارة الماكينات وكل ما يخص الصيانة . .

وهكذا كان القدوة تعلمنا منه الكثير من أسلوب القيادة وإدارة الرجال والانضباط ، أما حل مشاكل الوحدة فكانت تحل صباح كل خميس فى حفل إفطار بسيط فى الوحدة من طبق

واحد للجميع من العاشوراء (كان يدفع القائد تكاليفها من حسابه الخاص !!) ويدعى إلى مائدة الوحدة القادة الأكبر ومن بيدهم حل مشاكل الوحدة من رئيس أركان الجيش المصرى إلى مسئول المهمات مثلا وبعد تناول وجبة العاشوراء تحل مشاكل الوحدة . . هذه إحدى الدعائم المهمة التى شعرنا بها كدعامة من دعامات إعداد القوى ؛ فحل مشاكل الرجال يقود إلى تأمين المعنويات فتصبح الأرض خصبة لازدهار باقى القيم والمثل والنظم العسكرية مهما كانت قاسية . .

طوبى لهؤلاء الرجال العظماء فى تاريخ مصر العظيمة . .

الفصل الرابع

الجولة العربية الإسرائيلية الأولى
حرب فلسطين
(١ ديسمبر ١٩٤٧ - ١٣ مارس ١٩٤٩)

المقدمة :

لم تكن الدول العربية قد اعتنقت حتى جولتها الأولى مع إسرائيل عام ١٩٤٨ مذهبًا عسكريًا واضحًا، ولا كانت تملك أسلحة أو أساليب قتال حديثة تناسب شكل المعركة التى سوف تفرضها عليهم إسرائيل ومن يؤازرها ، بمجرد أن تبدأ تنفيذ مخطط استلاب فلسطين وتفريغ أرضها من أهلها العرب تحقيقًا للنقاء العرقى الصهيونى المنشود .

أماّ المذهب القتالى الذى صاغته جيوش صدر الإسلام وما تلاه من عصور الازدهار العربى ، التى تميزت بإعداد القوى ورباط الخيل فكان قد دخل مرحلة بيات حضارى طويل حتى سقطت الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، فوقع أغلبها تحت الانتداب البريطانى أو الاحتلال الفرنسى أو الاستعمار الإيطالى التى حرصت كلها ألاّ تجعل لها قوة حربية ذات شأن .

ومع أن المذهب العسكرى الإسلامى لم يكن قد احتجبت صورته تمامًا عن الأذهان فإن مابقى من مفاهيمه لم يعد ينسجم مع ابتكارات الأسلحة الحديثة أو صنعة الحرب فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وزاد الأمر سوءًا توقف مصانع السلاح العربى عن الإنتاج واعتماد جيوشهم على ماتستطيع أن تستورده من الخارج ، رغم ما كان يعيبه من تخلُّف وقصور . ومن الطبيعى أن يصحب تلك الأسلحة فرض مذهب القتال الذى تراه الدولة المصدِّره لها ، مما ترتب عليه أن صار الوطن العربى ساحة لمذاهب بريطانية وفرنسية وإيطالية ، فأختلط حابله بنابله ، وتعذّر

تحقيق تخطيط مشترك ، أو إدارة الصراعات المسلحة وفق تعاون متبادل ، أو حتى وفق تنسيق فعّال .

وعمد الحلفاء بعد أن خرجوا منتصرين من الحرب العالمية الأولى إلى تمزيق الشرق الأوسط إلى دويلات إقليمية ضعيفة ، تولى ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية رسم حدودها بما لايوفر لها اكتفاءً ذاتيًا أو استقرارًا سياسيًا ، ناهيك عن القدرة على صد عدوان خارجى أو إحباطه .

وفوق كل ما سبق راحت الحزازات والعصبيات تتصارع داخليًا فيما بينها ، بينما الصهيونية العالمية تضع اللمسات الأخيرة للمخطط الضخم للانقضاض على فلسطين واغتصاب أرضها ، وطرد أهلها ، وفرض خريطة جديدة وعلاقات مختلفة فى المنطقة على مراحل زمنية مدروسة .

وعندما صدر قرار تقسيم فلسطين من الجمعية العامة للأم المتحدة يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، كانت الوكالة اليهودية تملك ٦٧ ألف مقاتل طبقًا لتقرير المخابرات البريطانية ، بينما بلغ عدد الجيوش الخمسة التى دفعتها مصر وشرق والعراق وسوريا ولبنان للحفاظ على عروبة فلسطين ١٤٩٢٦ مقاتل ، بالإضافة إلى ٦٥٠٠ فرد من جيشى الجهاد المقدس والإنقاذ ، بما يعنى أن التفوق العددى تجاوز نسبة ٢,٥ ٣ : ١ لصالح إسرائيل .

وكانت الصهيونية العالمية قد كسبت تأييد أغلب حكومات العالم ومحافله الدولية ، فضلاً عن تعاطف الرأى العام العالمى معها ، بينما لم تنجح السياسية ولا الدعاية العربية فى أن تُسمع صوتها أحدًا .

ونجحت الوكالة اليهودية فى تزويد قواتها بالأسلحة والمعدات من ترسانتى الشرق والغرب اللتين أغلقتا مخازنهما فى وجه العرب ، مما أضطرهم إلى البحث عنها بين سماسرة وتجار السلاح الذين باعوهم ما عفى عليه الزمن أو تجاوزه العمر ، وبكميات شحيحة .

وعلى حين كان جنود الصهاينة محملين بخبرة الحرب العالمية الثانية فى مختلف مسارحها التى عادوا منها وشيكًا إلى فلسطين ، لم يكن أحد جيوش العرب الخمسة قد خاض حربًا نظامية على امتداد نصف القرن المنصرم .

وفى صباح ليلة قرار التسليم بدأت الأركان العامة الإسرائيلية تنفيذ الخطة « دال » التى هدفت إلى الاستيلاء على كل مايمكن أن تستولى عليه بالقوة قبل أن تدركه جيوش

العرب ، لاسيما وأن قرار التقسيم قد غفل عن تعيين السلطة التى تفرضه على الطرفين وتضمن احترامه ، ويبدوا أنه كان إغفالاً متعمدًا !

وبينما كانت الصهيونية تعرف ما تريد ، وقد حددت الطريق إلى تحقيقه ، وأعدت له القوة التى تقدر عليه ، لم يكن العرب يدركون ما سوف يحدث ، ولا هم تهيأوا للتصدى له بأسلوب مدروس ، أو بجدول بدائل على المدى القريب أو البعيد ، أو بالقوَّة المسلحة التى تقدر عليه .

ومما يبعث على الدهشة أن أعلى أصوات الحكام العرب بضرورة التدخل بالقوات المسلحة كان أقلهم حشدًا لتلك القوة ، وأضعفهم استخدامًا لها فى الميدان ، ثم أسرعهم في النكوص عن القتال .

مراحل الحرب :

رغم أن جيوش العرب الخمسة التى دفعت إلى فلسطين للحفاظ على عروبتها كانت تعمل كلها لتحقيق هدف واحد ، إلاَّ أنه لم تجمعها خطة عمل مشترك ، أو مجرد التنسيق بين أنشطتها القتالية ، وحتى تبادل المعلومات بينها كان شبه مفقود ، الأمر الذى أتاح للأركان العامة الإسرائيلية أن تنفرد بكل جيش منها بمعزل عن الآخرين ، فتهزمهم الواحد تلو الآخر ، ثم تفرض عليهم دفع ثمن الهزيمة مجتمعين .

وكانت حرب فلسطين أطول الجولات العربية الإسرائيلية زمنا ، إذ تجاوزت مدَّة القتال فيها ١٦ شهرًا ، حفلت بالمناوشات والمعارك والعمليات الحربية بدءًا بمجرد الإغارة المحدودة الهدف القليلة الأثر الصغيرة الحجم التى لم يتجاوز هدفها تدمير مبنى أو قفل طريق أو نصب كمين ، إلى الصدام الواسع الذى يهدف إلى تحقيق ميزة تكتيكية أو مكسبًا تعبويًا أو استراتيجيا ضخمًا .

وقد انقسمت تلك الحرب إلى أربع مراحل متعاقبة ضمَّتها فترة الحرب غير المعلنه بين العصابات الصهيونية والمتطوعين العرب فيما بين أول ديسمبر ١٩٤٧ و ١٤ مايو ١٩٤٨ ، ثم فترة الحرب المعلنة بين الجيوش العربية وجيش إسرائيل فيما بين ١٥ مايو ١٩٤٨ و ١٣ مارس ١٩٤٩ ، وقد اشتملت جميعها على ٦٧ مناوشة ومعركة وعملية حربية بما يزيد على مجموع المعارك فيما تلاها من جولات أضعافًا مضاعفة.

ولم يكن يغيب عن الأركان العامة أنه رغم ممالأة سلطة الانتداب للجانب الصهيونى فإن دواعى حفظ ماء وجهها كان يستحق عدم إحراجها بالعمل النشيط قبل أن يحين موعد رحيلها عن فلسطين يوم ١٤ مايو ، ولهذا فقد قيدَّت خطة العمل تطوعًا منها خلال فترة الحرب غير المعلنة فحصرته داخل إطار المناوشات فيما بين أول ديسمبر ١٩٤٧ وأخر مارس ١٩٤٨ كمرحلة أولى ، على أن يصير تضخيم حجم تلك المناوشات إلى مستوى المعارك المحدودة المدى والمجال فيما بين أول أبريل و ١٤ مايو ١٩٤٨ ، عندما تكون قبضة الانتداب قد تراخت عن فلسطين نتيجة جلاء أغلب جنود الاحتلال البريطانى عن البلاد .

وكان الاحتمال الأرجح ألاَّ تتدَّخل الدول العربية بجيوشها على نحو ما صرَّحت به حكوماتهم التى رددَّت القول بأنها سوف تكتفى بدعم المتطوعين بالسلاح والمال . إلاّ أن حكومة مصر فاجأت الجميع بالتحول عن هذا الرأى فى جلسة مجلس النواب مساء ١١مايو ١٩٤٨ ، عندما حصلت على موافقة المجلس على الزج بالجيش فى الحرب بعد أن أكدت له أن مهمة صيانة عروبة فلسطين تدخل فى نطاق إمكانيات الجيش سواء بالنسبة لكفاءته الميدانية أو وفرة سلاحه وذخائره ، بينما كان قادة ذلك الجيش قد نصحوا رئيس الوزراء فى صباح نفس اليوم ألاّ يورط الجيش فى حرب لايصلح لها ولايقدر على خوضها لنقص العتاد والسلاح والذخيرة وتدنى مستوى التدريب قرب مستوى العدم .

فلما اندفع هذا الجيش مع سائر الجيوش العربية الأربعة الأخرى داخل فلسطين صباح يوم ١٥ مايو تمكَّن من انتزاع المبادأة بفضل ممارسة العمل التعرضى على مختلف جبهات الطوق ، وتمتعه بالتفوق الجوى الذى ظل محتفظًا بهما حتى ١١ يونيو عندما قبلت الدول العربية الهدنة الأولى التى فرضها مجلس الأمن لتستغلها إسرائيل فى الحصول على المزيد من الأسلحة والذخائر والمتطوعين حتى تحقق نسبة تفوّق عددى تصل إلى ٤ : ١ على الجيوش العربية مجتمعه كما حصلت على التفوق الجوى فى سماء المسرح ولتقفز بحجم جيشها إلى ١٠٦ ألف مقاتل ، فلما تم لها الأمر عمدت إلى خرق الهدنة يوم ٨ يوليو ١٩٤٨ ، ثم استمرت فى شن العمليات الحربية الواسعة المجال حتى يوم ١٣ مارس ١٩٤٩ عندما وقعَّت مصر معها هدنة رودس ، ثم تبعتها سائر دول الطوق العربى الواحدة تلو الأخرى ، وظلت إسرائيل تقبض على المبادأة طيلة ربع القرن التالى ، فلم تنجح مصر وسوريا فى انتزاعها منها إلاّ عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ولأيام قليلة حققت فيها معجزة العبور وتحطيم حصون خط بارليف الأسطورى ، ثم فقدتها بعد ١٤ أكتوبر بحدوث ثغرة الدفرزوار .

المرحلة الأولى للحرب :

إقتصر نشاط الأركان العامة الإسرائيلية فيما بين ديسمبر ١٩٤٧ ومارس ١٩٤٨ على شن الإغارات الإرهابية ، والتمسك بالمستعمرات النائية أو المنعزلة ، وبالأحياء اليهودية فى البلدان والمدن المختلطة . وفى نفس الوقت كانت العصابات الصهيونيَّة تتأهَّب لارتكاب المذابح الدموية ضد القرى العربية العزلاء لإجبار سكانها على الهجرة الجماعية بهدف إخلاء فلسطين من أكبر قدر من أهلها وإجبارهم على النزوح إلى الدول العربية المجاورة . ونتيجة لذلك دارت عدَّة مناوشات نقتصر هنا على ذكر أهمها :

ففى ١٤ فبراير ١٩٤٨ هاجم ستون فردًا من الهاجاناه قرية سعسع قرب حدود لبنان وقتلوا عشرات من سكانها العرب كما دمروا ٣٥ منزلاً بالأحزمة الناسفة . وبعد يومين اثنين رد جيش الإنقاذ بمهاجمة مستعمرة طيرة زفى جنوب بحيرة طبرية ، وقبل أن تسقط المستعمرة أدركتها قوة بريطانية من بيسان وأجلت جنود الإنقاذ عنها . واستمرت عشرات المناوشات بين الطرفين على هذا النحو ، بينما كانت الأركان العامة تستعد وتحشد قواتها لتحول للهجوم العام تنفيذًا للخطة « دال » سالفة الذكر .

المرحلة الثانية للحرب :

وفى أول إبريل انتقلت الحرب إلى مرحلتها الثانية التى اشتملت على ١٤ إغارة ومعركة إسرائيلية مقابل معركتين عربيتين . فمن بين الإغارات والمعارك الأربع عشرة التى اشتملت عليها الخطة « دال » وقعت تسع منها خارج القسم اليهودى من قرار التقسيم ، كما دارت ثمان منها قبل أن تدخل الجيوش العربية إلى القسم العربى من قرار التقسيم ، وكانت خمس منها تهدف إلى الاستيلاء على القدس ، بينما تنقَّلت التسع الباقية بين مختلف أرجاء فلسطين شرقًا وشمالاً وجنوبًا حيث عملت اللواءات العشرة التابعة للهاجاناه ، والثلاثة التابعة للبالماخ على سبر غور المقاومات العربية ، والاستيلاء على أهم الهيئات الحيوية الأرضية التى توفر لها الوضع الأفضل فى المسرح .

فترة الحرب المعلنة (١٥ مايو ١٩٤٨ - ١٣ مارس ١٩٤٩)

المرحلة الثالثة للحرب :

بمجرد أن أتمت سلطة الانتداب البريطانى الجلاء عن فلسطين دخلتها الجيوش العربية ، حيث خاضت ١٩ معركة فيما بين ١٥ مايو و١١ يونيو ١٩٤٨ ، وقعت أربع منها على الجبهة المصرية ، وثمان على الجبهة الأردنية ، وأربع على الجبهة العراقية ، وثلاث على جبهة سوريا ولبنان .

ولم يكن نجاح جيوش العرب خلال هذه المرحلة يعود إلى تفوقها العددى بل إلى انتزاعها المبادأة من إسرائيل ، وتمتعها بالتفوق الجوى ، ومباغتتها العدو بالهجوم من عدّة اتجاهات وفق استراتيجية العمل من خطوط خارجية التى أربكت الأركان العامة الإسرائيلية وشتَّتت جهودها .

والواقع إن المبادأة والعمل التعرضى وسيطرة الطائرات المصرية على سماء المسرح كاد أن يحرز للعرب النصر المأمول الذى لاحت بوادره مع مطلع شهر يونيو ١٩٤٨ عندما كان جيش مصر على مسافة ٣٢ كليو مترًا جنوب تل أبيب ، وجيش العراق على مسافة ١٤ كيلو مترًا شمالها .

ولهذا زاد ضغط الصهيونية على أصدقائها بالعالم الغربى لحثّهم على دعوة مجلس الأمن لغرض هدنة تلتقط خلالها إسرائيل أنفاسها وتضاعف من استيراد السلاح وجذب المقاتلين المتطوعين ، وتحصل على عدد من الطائرات لتنتزع بها السيطرة الجوية من مصر توطئة لاستئناف القتال تحت ظروف أنسب فى البر والبحر والجو .

وفى نفس يوم الهدنة اجتمع قادة اللواءات الإسرائيلية الثلاثة عشر برئاسة يعقوب دورى رئيس الأركان العامة لدراسة الأرباح والخسائر بمناسبة وقف النيران ، بينما جيوش العرب قد أطبقت على تل أبيب من كل ناحية على نحو ما ذكره ملحق جريدة يدعوت أحرونوت الإسرائيلية فى عددها الصادر فى ٦ مايو ١٩٧٣ بمناسبة عقد دراسة عسكرية لأحرج مراحل حرب الاستقلال .

وسرعان ما استجابت الصهيونية العالمية فأرسلت فى منتصف يونيو ثلاث سفن ضخمة شحنتها بأدوات الحرب وذخائرالقتال ، كما وصلت عدة طائرات حربية من طراز سبيتفاير

وهارفارد ونحو ثمانية آلاف مقاتل صهيونى كمقدمة عاجلة لتدّفق أضخم سوف يعقبها .

وبهذا قفز حجم جيش إسرائيل إلى ١٠٦ ألف مقاتل مقابل ٣١ ألف عربى فكانت نسبة تفوق إسرائيل عليهم مجتمعين حوالى ٣,٤ : ١ عندما استأنفت القتال فى المرحلة الرابعة والأخيرة من الحرب بينما كان المخزون الاستراتيجى لجيوش الدول العربية قد قارب على النفاد .

ولهذا كان مدعاة للعجب أن تقبل حكومة إسرائيل مد أجل الهدنة ، بينما ترفضها حكومات العرب رغم الظروف المعاكسة التى تلوح فى الأفق .

وقد وصف أحد المؤرخين الأجانب موقف تلك الحكومات فى هذه الحقبة بقوله :

« لو كان رجال حكومات العرب أنفذ بصيرة وأكثر تقديراً للأمور لتظاهروا على الأقل بالاستجابة لإلحاح برنادوت الوسيط الدولى ومجلس الأمن لمد الهدنة الأولى ، فأبقوا بذلك على وضعهم الأفضل بفلسطين ، ولتفادوا الكوارث التى انهالت عليهم بعدئذ عندما تحوَّل الموقف بغتة - وبمجرد استئناف القتال - لصالح إسرائيل » .

ولسوف تبقى المزايدات والمهاترات سمة بارزة يفقد بها العرب كثيراً من حقوقهم وأرضهم وسمعتهم على نحو ما حدث لهم فى الجولة الثالثة صيف عام ١٩٦٧ .

المرحلة الرابعة والأخيرة للحرب:

فى مستهل هذه المرحلة الأخيرة من حرب فلسطين كانت إسرائيل قد عبأت ١٥ ٪ من جملة تعداد السكان اليهود مقابل ٠,٣ ٪ من جملة تعداد شعوب دول الطوق العربى بما يعنى إن إسرائيل عبّأت ما ناهزت نسبته ٥٠ مثل العرب . وتقول مارجريت آراكى فى كتابها سيف العدالة المثلوم إن إسرائيل كانت متفوقة عدديًا على العرب ، ورغم ذلك فقد نجحت فى إقناع العالم - وربما العرب أنفسهم - بأسطورة داوود الصغير الحجم المسلح بمقلاع ضعيف (إسرائيل) الذى يحارب جالوت العملاق (العرب) المدجج بالسلاح فيهزمه .

وجنبًا إلى جنب عمليات حشد شباب اليهود الذين وصل منهم إلى فلسطين ٧٠٠ متطوع للخدمة فى السلاح الجوى الإسرائيلى ، كان منهم ١٥٦ طياراً بعضهم من أبطال الحرب العالمية الثانية ، كما فتحت عصابة الأرجون مكاتب للتجنيد فى ٢٣ دولة ، وعملت على جباية الأموال منها وجمع التبرعات وتجنيد وتدريب المقاتلين ، فضلاً عن الحصول على

السلاح وشحنة إلى فلسطين . كما عملت الهاجاناه على تجنيد شباب اليهود ممن لهم سابق خبرة بالقتال على حروب الدبابات أوالعمل على أجهزة اللاسلكى ، وكذا طيارى المقاتلات والميكانيكين المهرة ، وغير ذلك من المهن ذات المستوى الرفيع .

ونشطت تلك الأجهزة فى التعاقد مع المئات من الضباط ذوى الكفاءة القتالية العالية من غيراليهود ، نظير المكافآت المجزية ليتولوا تدريب القوات الإسرائيلية ، ووضع مذهب القتال المناسب لمسرح فلسطين . كما نجح مندوبوهم فى التسرُّب إلى خزانة الملفات السرية للضباط البريطانيين والأمريكيين لينتقوا من بينهم الأكثر قدرة وكفاءة فى أعمال القيادة والتنظيم والتسليح والشؤون الإدارية . فقام هؤلاء الضباط المأجورون بملء كوادر الرئاسات والقيادات والإدارات المقاتلة والفنية ، وكان أبرز من لمع منهم دافيد ماركوس الذى شغل منصب رئيس إدارة الجيش فى قيادة الجنرال الأمريكى لوشيوس كلاى بجيش الاحتلال الأمريكى ببرلين .

وقد تعين ماركوس بمجرد وصوله إلى فلسطين قائدًا لمنطقة القدس ، كما كلّف بتحويل الهاجاناه إلى جيش نظامى حديث . وقد أكد موشيه ديان فى مذكراته أن ماركوس حقق فى هذه المجالات نجاحًا منقطع النظير . وقد كان لماركوس عشرات من النظراء الذين قاموا بخدمات مماثلة .

وبفضل تلك المساعدات تم إعداد وتجهيز القوات الإسرائيلية لخوض معارك المرحلة الرابعة من موقع التفوّق العددى والنوعى على العرب ، مع القدرة على انتزاع المبادأة والسيطرة الجويه منهم .

ويحق للمؤرخين أن يتساءلوا لماذا لم يحدث تدفق مماثل من الأمة الإسلامية لإنقاذ فلسطين وقدسها الشريف ، حيث أول القبلتين وثالث الحرمين ومربط البراق الذى عرج بمحمد ﷺ إلى سدرة المنتهى ، لاسيما وقد كان فيهم كثيرون من الذين عادوا لتوهم من مسارح الحرب مشحونون بنفس التجربة الميدانية والكفاءة القتالية مثل اليهود ؟

وبمجرد أن أتمت الأركان العامة خطتها بدأت فى الهجوم العام للاستيلاء على كل مايمكن الاستيلاء عليه ، وإجلاء كل مايمكن إجلاؤه من الفلسطينيين العرب على مراحل متتالية ، تفصل بينها هدنات قصيرة لإعادة فتح القوات وتوفير الميره والذخيرة وإحكام الخطط والتدريب عليها ، وصرح دافيد بن جوريون وقتئذ بأن « إقامة دولة إسرائيل لن

تعتمد على قرار التقسيم ، فدولة إسرائيل سوف تفرض نفسها بجهود أبنائها ، ونحن الذين نقرر مصير البلاد » .

ويذكر الفريق جون باجوت جلوب باشا رئيس أركان القوات الأردنية فى كتابه « جندى مع العرب » مناقشة دارت بين ضابطين يهوديين بريطانيين وبين أحد موظفى حكومة الانتداب عندما سألهما الموظف عن كيفية تنفيذ قرار التقسيم مع وجود أكثرية عربية فى القسم المخصص لدولة إسرائيل . فرد أحدهما قائلا : « لن تكون هناك مشكلة البتة ، فسوف تكفى بضعة مذابح مخططة للتخلص منهم تمامًا » .

وبمجرد أن انتهى أجل الهدنة الأولى يوم ٨ يوليو سنة ١٩٤٨ نشط القتال على جميع الجبهات لمدة عشرة أيام ، وقعت خلالها ٢٧ معركة وعملية ، منها ١٤ على جبهة مصر ، و٦ على جبهة الأردن و ٥ على جبهة العراق ، وواحدة على جبهة سوريا ، وأخرى على جبهة جيش الإنقاذ .

لقد خرجت إسرائيل من قتال هذه الأيام العشرة بعدَّة مكاسب عسكرية أبرزها تأمين طريق المواصلات بين السهل الساحلى والقدس ، واحتلال الجليل الأعلى مع تدمير جيش الإنقاذ تقريبًا .

كما خرجت أيضًا بشريحة من الأرض تربو على ألف كيلو متر مربع من الأراضى التى خصصها قرار التقسيم للعرب . وقبل أن تحل الهدنة الثانية يوم ١٩ يوليو ، والتى لم يحدد مجلس الأمن موعدًا لانتهائها كانت إسرائيل قد استولت على ٢٠١ قرية عربية من مجموع قرى العرب داخل المنطقة المخصصة لإسرائيل والبالغ عددها ٢١٩ قرية ، فى مقابل ١٤ مستعمرة يهودية احتلها العرب فى نفس هذه المرحلة من القتال .

نقطة التحول :

عندما خرقت إسرائيل الهدنة الثانية واستأنفت القتال يوم ١٩ يوليو ١٩٤٨ نجحت فى انتزاع المبادأة إلى جانبها تمامًا ، كما انتزعت أيضًا التفوق الجوى فأجتاز الصراع العربى الإسرائيلى بذلك نقطة التحول لصالح إسرائيل ، الذى ساعد عليه أيضًا خمود جبهات العرب مما ترك قلّة منها لتواجه إسرائيل المتفوِّقة عليها كمًا وكيفًا ، إلى جانب تفجّر الصراعات العربية العربية وتفاقم العزلة بينها مع سريان تيار الملل فى الجبهات الأمامية

والداخلية وانتشار مشاعر الإحباط النفسى نتيجة سريان الشائعات عن تجارة فئة من الكبراء بالأسلحة الفاسدة التى تهدد دماء جنود العرب ، وتوقع الهزيمة فى صفوفهم .

وقد تناول تقرير إدارة الاستخبارات العسكرية المركزية الأمريكية الأوضاع العسكرية فى مسرح فلسطين قبيل انتهاء الهدنة الثانية ، فأكّد على تفوُّق القوات الإسرائيلية كمًا ونوعًا ، علاوة على نجاح الأركان العامة فى تجهيز سلاح طيران قوى وحديث سوف يكفل لها السيطرة الجوية على سماء المسرح .

كما أكد التقرير نفسه أن إسرائيل استغلّت الهدنتين فى تطوير قدراتها العسكرية واستكمال مخزوناتها الاستراتيجية ، بما سوف يمكِّنها من التحول للهجوم العام لطرد جيوش العرب خارج فلسطين . ويعنى ذلك أن إسرائيل لم تكسب الحرب بالمعارك بل بالهدنات ، كما أنها لم تحصل على كيانها الدولى بفضل قرار التقسيم ، بل بفرض الأمر الواقع فى المسرح .

وفى منتصف أغسطس ١٩٤٨ أخطرت جولدا مائير قنصل الولايات المتحدة بالقدس أن إسرائيل لم تعد تقبل قرار التقسيم ، وتصر على الحصول على كل النقب فى أية تسوية مقبلة .

والواقع إن إسرائيل من الآن فصاعدًا لم تعد تعطى لقرارات الأمم المتحدة أية اهتمام ، بل وأظهرت حيالها الاحتقار والتجاهل بما دفع جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة إلى إخطار الرئيس ترومان بإصرارها على خرق الهدنات والزحف على الأراضى المخصصة للعرب ، فضلا عن تهريب السلاح والمتطوعين بأعداد ضخمة إلى فلسطين .

وبينما كان جورج مارشال يلوِّح بإعادة النظر فى الاعتراف القانونى بإسرائيل إن لم تلتزم بقرار الهدنة الثانية ، كان شمعون أفيدان قائد اللواء جفعاتى يتقدم إلى الأركان العامة فى نهاية يوليو ١٩٤٨ باقتراح فتح الطريق إلى مستعمرات النقب المحاصرة ، والقضاء على الجبهة المصرية ، بما أطلق عليه اسم « العملية جيس » وهى الحروف الأولى من أسماء اللوائين جفعاتى ويفتاح وقائد لواء النقب ناحوم ساريج .

وكانت الجبهة المصرية تتكون وقتئذ من ثلاث شرائح أرضية على شكل حرف «H» تمتد شريحته المستعرضة بمحاذاة خط المجدل - الفالوجا - بيت جبرين ، بينما تتعامد عليها

الشريحة الغربية بمحاذاة ساحل البحر فيما بين أسدود ورفح ، والشريحة الشرقية عند سفوح الجبال مارة بالقدس وبيت لحم والخليل ، حيث يتمركز المتطوعون والقوات الخفيفة بقيادة البطل أحمد عبد العزيز .

وعندما صدر أمر عمليات « جيس ١ » فى منتصف ليلة ٢٦/٢٧ يوليو انطلقت اللواءات الثلاثة سالفة الذكر فى الساعة الثالثة فجرًا ، فلم يصادف اللواء يفتاح النجاح المأمول ، كما تورّط اللواء جفعاتى فى أرض قتل تغمرها النيران الكاسحة ، ولم يكن حظ لواء النقب بأفضل منهما .

وبفشل العملية أصدرت الأركان العامة أوامرها بدفع قافلة تموين مسلّحة ليلة ٣١ يوليو / ١ أغسطس لإمداد مستعمرات النقب المحاصرة ، وقد نجحت القافلة فى الوصول إلى أهدافها .

ولم يمر أسبوعان على نجاح تلك القافلة ، حتى أمرت الأركان العامة بتكرار العملية مرّة أخرى فيما أطلق عليه اسم عملية « ديرخ لنيجف » التى تعنى « طريق إلى النقب » .

وقد نجحت القافلة التى تحركت قبل منتصف ليلة ١٨ / ١٩ أغسطس فى الوصول إلى مستعمرات النقب ، حيث أمدّتها بحمولة ٣٠ لورى ٣ طن من الذخائر ومواد الإعاشة .

وبعد أن وافقت القيادة العامة المصرية يوم ٢٩ أغسطس على السماح بتموين مستعمرات النقب المعزولة بمواد الإعاشة ظلت مشكلة تزويدها بالسلاح والذخيرة قائمة ، فتحولت الأركان العامة الإسرائيلية إلى إمدادها جوًا فيما أطلقت عليه اسم « العملية آفاك » التى بدأت يوم ٢٢ أغسطس بوصول أول طائرة تموين إلى مطار روحامه تحمل ١٤ طنًا من الأسلحة والذخائر . ثم تبعتها ٤١٧ طلعة طيران بمعدل ٨ طلعات كل ليلة ، نقلت إلى تلك المستعمرات فيضًا من الأسلحة والذخائر ، كما أعادت نحو ١٩٠٠ جنديًا من لواء النقب المنهكين من شدة الحصار ليحل محلهم عدد مماثل من اللواء يفتاح بطريق البر .

مدة القتال الثالثة :

معارك السبعة عشر يومًا الأولى :

وبنجاح الأركان العامة الإسرائيلية فى دفع الجبهة الأردنية شرقًا إلى سفوح تلال اليهودية بالعملية « دانى » لتبعد خطرها عن قلب الدولة ، لم يبق أمامها إلاّ أن تصفى موقفها فى طرفى المسرح الشمالى فى الجليل ، والجنوبى فى النقب .

وقد تمكّنت من تحقيق ذلـك بأربع عمليات حربية حاسمة هى الـعملية « يوءاب » التى رفعت الحصار عن مستعمرات النقـب الجنوبى ، وقد استغرقت المدَّة من صباح يوم ١٦ حتى صباح يوم ٢١ اكتـوبر ، ثم العملية « هاهـار » ، وهى كلمة عبرية تعـنى « الجبل » ، وقد نجحت فيمـا بين ليلة ١٨/ ١٩ ، وليلة ٢١/ ٢٢ اكتـوبر فى فتح ممر القدس والاسـتيلاء على محور بيت لحم - بيت جبرين ، ثم عملية جيـب الفالوجا ، فعملية « حيرام » التى قضت على جيش الإنقاذ بقيادة فوزى القاوقجى ، وأتمت الاستيلاء على الجليل الأعلى ، وقد بدأت عصر يوم ٢٧ وانتهت عصر يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٤٨ .

وبذلـك تمكَّنت الأركان الـعامة خلال مـدة قتال الـسبعة عـشر يومًا الأولى أن تحـقق الإنجازات التالية :

١ - فتح الطريق إلى النقب .

٢ - الاتصال بالمستعمرات اليهودية جنوب البحر الميت عن طريق البر .

٣ - إخراج جيش الإنقاذ من الحرب .

٤ - الإحاطة بالقوات الأردنية والعراقية من الشمال والجنوب والغرب .

وكان الكونـت فولك برنادوت وسيـط الأمم المتحدة قد اقترح نـقل ملكية الـنقب إلى العرب مقـابل نقل ملكيـة الجليل إلى إسرائيل ، فـكان رد إسرائيل عليـه حاسمًا وفوريًا إذ اغتالته ومعاونه الكولـونيل سيرو الفرنسى عصابة شتيرن الصهيـونيَّة داخل مدينة القدس يوم ١٧ سبتمبر ، وبعد محاكمة صورية أطلق سـراح الجناة بعد أسبوعين ، ثم صدر قرار بالعفو العام عنهم يوم ١٤ فبراير ١٩٤٩ . وكان الرأس المدِّبر للجريمة السفّاح هو اسحق شامير رئيس حكومة إسرائيـل الأسبق والذى صار من أكبر المنددين بـالإرهاب العربى فى حقبة الثمـانينات، بعد أن خضبت يداه دماء مئات الضحايا الذين اغتالهم نهارًا قبل ذلك بحقبتين .

الهدنة الثالثة :

وكانت القوات الإسرائيلية فى مسيس الحاجة بـعد مابذلته من مجهود ضخم فى معارك السبعـة عشر يومًا سالفة الـذكر إلى فترة راحة وإعادة تـنظيم ، بالإضافة إلـى قيام الأركان العامة بتعديل تمركز اللواءات الإسرائيلية بما يخدم الخطط المقبلة .

وقد أتمّت كل ذلك فى المدة من ٣١ اكتوبر إلى ٢١ ديسمبر ١٩٤٨ ، والتى توقفت فيها النيران نزولاً على أحكام الهدنة الثالثة التـى فرضها مجلس الأمن على الأطراف المتحاربة فى فلسطين .

ومع أن مجلس الأمن طـلب من تلك الأطراف العودة إلى خطوط ما قـبل خرق الهدنة الثانية في ١٥ اكتوبـر ، إلاّ أن إسرائيل لم تعر هذا الطلب أى اهتمام حـتى بعد أن اجتمع مجلس الأمن بمقره الأوروبى بباريس يوم ٢٩ اكتوبر ، ولوّح بالتهديد بفرض العقوبات على من يستمـر فى تجاهل قراراته . وقد تدخـل الرئيس ترومان بنفـسه لتأجيل هذا القـرار بغية كسب أصوات اليهود فى الانتخابات التى لم يبق على موعدها سوى أربعة أيام فقط .

وقد بلغت حركة تهريب الأسلحة والذخائر إلى فلسطين الذروة خلال تلك الهدنة ، إذ وصلت للقوات الإسرائيلـية أعداد كبيرة من الطائرات والدبابات والمدافع من تـشيكوسلوفاكيا بما حدى ببن جوريون إلى أن يبرق إلى ستالين بالشكر العميق على مساعداته .

ثم اصطبغـت الأمور بلمسة من الطـرافة عندما انتقد الاتحاد الـسوفيتى حكومة بـريطانيا لخرقها قرار مجلس الأمن واستمرارها فى إمداد العرب بالأسلحة والذخائر ، وأبدى امتعاضه من هذا المسلك المعيب !

ونتيجة لما سبق ذكره انفرد الصراع العربـى الإسرائيلى بشكل خاص ، إذ لم يعد هناك أمل فى أن يبلغ نـهايته نتيجة تدخل أطـراف خارجية فى مجرياته بفـرض الهدنات حينًا ، وبتوريد السلاح حينًا آخر ، وبإرسال المتطوعين فـى الوقت المناسب لترجيح كفة طرف على الآخر ، بما أوقع أفدح الأضرار بالطرف المقابل الذى كان دائما هو العرب .

وزاد الأمر سوءًا وقوف أغلب الجبـهات العربية موقف المتفرّج على مـا تقوم به إسرائيل ضد إحدى الجبهات الشـقيقة التى يسقط شهداءها وتفقـد أرضها ، دون أن تهب الأخريات لنجدتها ، تماما مثلما سبق أن حدث منهم فى الأندلس منذ نحو خمسة قرون .

ولمّا لم يستـطع الفريق صالح صائب الجـبورى رئيس أركان جيش العـراق صبرًا على تلك الحال ، أرسـل استقالته المـسببه إلى بغـداد يقول فيها « لـم أعد أطيق مشاهـدة تلك التمثيلية البغيضة » .

بداية النهاية :

وفى مساء الأربعاء ١ نوفمبر ١٩٤٨ نجح شبح الهزيمة فى أن يجمع رؤساء أركان الجيوش العربية لتدارك الموقف بعد أن تجاوز نقطة الانهيار . وتلخّصت توصياتهم للجنة السياسية لجامعة الدول العربية على التأكيد بأن استمرار حالة الجمود والسلبية والنزول للعدو عن المبادأة والتفوق الجوى سوف يؤدى حتمًا إلى الهزيمة .

ولم يمر على تلك التوصية أسبوع واحد حتى كان قائد منطقة القدس موشيه ديان يجتمع بقائد القوات الأردنية بها يوم ١٨ نوفمبر ، لتهيئة الجو نحو عقد اتفاق منفرد لإيقاف النيران على تلك الجبهة .

ثم اجتمع الملك عبدالله ببعض الساسة والقادة العسكريين الإسرائيليين بقصر الشونة ليلة ١٦/١٧ يناير لنفس الغرض ، ولأبعد منه ، فزاد الخرق فى الصف العربى اتساعًا لاسيما وأنه كان يشغل منصب قائد الجيوش العربية فى فلسطين !

وتحت هذه الظروف التى تدعو إلى الأسف والأسى لم يكن غريبًا أن تستغلها الأركان العامة الإسرائيلية لتدفع خطوطها الأمامية إلى حيث يستطيع جنودها أن يصلوا إليه . وقد دارت خلال تلك المدة التى امتدت من ١٥ نوفمبر إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ثمانى معارك وعمليات ضخمة ، كانت بمثابة بداية النهاية للعمل العسكرى العربى بفلسطين قبل أن تنسدل عليه ستائر الهزيمة .

وقد ختم ييجال آللون قائد الجبهة الجنوبية أمره اليومى صباح ٢٢ ديسمبر بقوله . . « من أجل القضاء النهائى على جيش مصر سنهاجم العدو » ورسم آللون خطته فى شكل حركة تطويق واسعة من الشرق للغرب مرورًا بالعوجه وأبو عويقيلة لتنتهى عند ساحل البحر المتوسط بين رفح والعريش ، لعزل القوات المصرية بفلسطين عن قواعدها فى سيناء والدلتا توطئة للقضاء عليها بعدئذ جزءًا وراء الآخر .

وبدأت « حوريب » ، وهو اسم الجبل التى ناجى عليه موسى ربه ، بقصف مطار العريش فى الساعة التاسعة مساء ٢٢ ديسمبر بقلعتين طائرتين ب - ٢٩ قفلت المطار ، بينما كانت طائرات أخرى كثيرة تقصف رفح وخان يونس والفالوجا بغاية العنف .

وبعد عدّة مناوشات استمرت لمدة ٧٢ ساعة أطلق آللون قواته الرئيسية ليلة ٢٥/٢٦

ديسمبر فى مناورة تطويق صوب العسلوج التى انقضَّت عليها عناصر من اللواء ٨ المدرع ولواء النقب فى الساعة ١١ مساءً ٢٥ ديسمبر ، فتمكَّنت من احتلالها عند الفجر بينما كانت قوات خاصة تقطع خطوط المواصلات الحديدية والطرق البرّية فيما بين غزة وبير العبد فى ٤٨ موضع ، بواسطة جماعات تخريب تسلَّلت إليها من البحر لتشيع حالة من الارتباك تسرع بانهيار الدفاعات المصرية واستسلامها .

وبمجرد أن عبرت قوات آللون حدود مصر عند العوجة ، وجد اللواء صادق قائد القوات المصرية بفلسطين نفسه أمام موقف بالغ الخطورة إذ لم تعد قواته المنتشرة بحذاء ساحل البحر المتوسط من شمال غزَّة حتى غرب العريش تستطيع مواجهة أى من احتمالات العمل الكثيرة التى انفتحت أمام آللون بعد استيلائه على العوجة .

إلاّ أن صادقًا كان على ثقة أيضًا بأن قوات آللون قد بلغت آخر المدى ، وأن التعب والإنهاك وأعباء طول خط المواصلات لن يترك لها فرصة لتحقيق ما هو أكثر مما حققته حتى ذلك الوقت . ولهذا ظل صادق رابط الجأش يشيع الطمأنينة فى مرؤوسيه وجنوده الذين هرع إليهم تاركًا مركز قيادته فى الخلف لثقته بأن وجود القائد بين جنوده لايعدله شىء ، وهو مالم يفعله أحد غيره فيما تعرضوا له من مواقف مشابهة فى الجولات التالية .

وفى صباح ٢٩ ديسمبر وبينما رتل اللواء ٨ المدرع يقترب من مطار العريش الذى أخلته الطائرات وشيكا إلى مطار الحمة اصطدم فى الساعة الثالثة عصرًا بكمين مضاد للدبابات يقوده البطل الشهيد الملازم أول عبد الحميد محمد أبو زيد ، الذى فتح نيران مدفعه البوفورز - ٤٠ ملليميترًا - - الوحيد فحطَّم جنزير الدبابة القائدة للرتل الذى توقَّف للتو ، ثم ارتد على آثاره نحو أبو عويقيلة .

ومنذ العصر كان رتل آخر ينطلق من أبو عويقيله صوب الحسنة ، إلاّ أن الطائرات المصرية انقضت عليه وأجبرته على العودة من حيث أتى .

وبذلت القوات الجوية المصرية بقيادة اللواء مصطفى الشعراوى خلال ذلك اليوم جهدًا عظيمًا فى مساندة القوات البرية التى كانت تتعرض لخطر التطويق والإبادة ، مما دفع اللواء صادق إلى أن يرسل مع غروب الشمس ببرقية يطمئن فيها القاهرة إلى أنه قد نجح فى القبض على زمام الموقف، وأن القوات الجوية قامت بعمل عظيم فى انقاذ قواته وإجبار العدو على الانسحاب خلف الحدود .

وأبدت بعض المحافل الدولية امتعاضهـا من تجاوز إسرائيل الحدود ، فصدر قرار مجلس الأمن يوم ٢٩ ديسمـبر بوقف النيران وانسحاب الـقوات الإسرائيلية إلى نفـس الخطوط التى كانت تحتلها قبل بداية عدوانها يوم ٢٢ ديسمبر ، وهو الأمر الذى لم يقبله بن جوريون حتى هـددته الولايات المتحدة يوم ٣١ ديسمبر بعزمها على إعادة النظر فـى علاقاتها معه إذا رفض الانسحاب من سيناء فانصاع على الفور

النهاية :

إلا أن بن جوريون لم يكن قد ملأ جوفه بعد من تراب فلسطين ، فاستغَّل فاصل الزمن بين توقيع مصـر على هدنة رودس وتوقيع الأردن عليها لـيستولى على النقب بالعـملية التى أطلقت الأركان العامة عـليها الاسم الرمزى « عوفـــداه » ، والذى يعـنى بالعربية « الأمر الواقع » .

العملية عوفداه (٥ - ١٣ مارس ١٩٤٩)

مع أول أشِّعة الشمس صباح ٥ مارس تحركت مقدمة لواء النقب برًا من عبدات ، بينما تحركت مقدمـة اللواء الجولانى من كرنب ، واللـواء إسكندرونى من بير الـسبع . وبعد أن اطمأنت الأركان العامة الإسرائيلية إلى أن القوات البريـطانية المتمركزة حول مدينة العقبة لن تعترض طريق قواتـها ، وأن عناصر الفيلق الأردنى سوف تتحـاشى الاصطدام بها ، أصدر يعقوب دورى رئـيس الأركان العامة إلى ييـجال آللون قائد الجبـهة الجنوبية أمره باسـتكمال تنفيذ العملية عوفداه .

وفى الساعة الثالثة عصر يوم ١٠ مارس وصـلت طلائع لوائى النقب والجولانى إلى أم الرشرش حيث أرسل الملازم أبراهام آدن برقية إلى القيادة الجنـوبية يخطرها بوصوله إلـــى « نهاية الخريطـة » وصنع من قطعة قماش علم إسـرائيل الذى رفعه على مبنى الـهجانة عند السـاحل .

وفـى يوم ١٣ مـارس أتم اللواء إسكـندرونى احتـلال عين جدى علـى البحر المـيت ، فاستكملت عوفداه أهدافها . وبعدها بعشرة أيام وقَّع لبنان هدنة رودس ثم تبعه الأردن يوم ٣ إبريل ، فســوريا يوم ٢٠ يـوليو ١٩٤٩ ، بينمـا رفض العراق الـتوقيع لعـدم وجود حدود مشتركة بينه وبين إسرائيل .

وهكـذا طويت صفـحة حرب فلسطين الـتى كانت أول وأخـطر جولات العـرب مع إسرائيل والتى اغتصبت خلالها نحو ٦٦٠٠ كيلو مترًا مربعًا من الأراضى العربية ، وضمتها إلى رقعة الدولة البالغ مساحتها ٢٠٧٠٠ كيلو مـترًا مربعًا طبقًا لقرار التقسيم ، ويعنى ذلك أن دولة إسرائيل قامـت على مساحة قرار التقسيـم « كحق قانونى » (Dejure) وعلى مساحة الأرض الإضافية المغتصبة بحق « الأمر الواقع . . . » (De Facto).

ولما لم يـكن ذلك هو كـل ما تطمع فـيه إسرائيل مـن أرض وحقوق العـرب . . فقد توالت الاعتداءات الإسرائيلـية بعد تلك الجولة الأولى حتى عدوانها الخـامس على لبنان فى عام ١٩٨٢ .

الفصل الخامس

النشيد الإلهى فى حرب فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

(سورة محمد - الآيات ٤،٥،٦)

ودق الاستعمار مسمار جحا الإسرائيلى فى هذا القلب النابض ، ورسم للجيوش العربية - غير القادرة - طريق الهزيمة والاندحار لتثبيت كيان دولة إسرائيل . وتقدمت الجيوش العربية إلى داخل فلسطين فى الطريق المرسوم لها كل في قطاع خاص ومحور معين . تنظيم وتخطيط القيادة البريطانية ، وبالطبع لم يكتب للجيوش العربية أى نصر أو نجاح إلاّ فى معارك قليلة لعدم إعداد القوى الإعداد الصالح للقتال اللهم إلا صيحات جنود الحق المؤمنة رافعة شعار الله أكبر الله أكبر وبعزيمة المؤمن وقوته نجحت قوات المتطوعين العرب المسلمين فى معظم معاركهم ضد العدو الإسرائيلى الغاصب . . . حيث كانوا يقاتلون مجاهدين جاعلين الجهاد فريضة محكمة لصيانة مبادئ الشرف والعزة والكرامة ، متبعين دعوة الإسلام ورسول السلام محمدا ﷺ حين رفع مشاعل الهداية بيد وحمل بالأخرى سلاحه للذود عن تلك المبادئ ولتحرير المستضعفين وقهر الظالمين كما ضرب أصحابه واتباعه أمثلة رائعة ورسموا صفحات لامعة من التضحية والفداء والشجاعة والإقدام ، وجاهدوا فى الله دون أن يخشوا لومة لائم ولا بطش قوى ولا مكر غادر ، ولم يرهبوا الأعداء مهما تجمعوا ولم يخافوا المتربصين وان تألبوا . . .

وعن رسول الله ﷺ قال « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

وكان ابن الأكوع يحدو ركب المسلمين إلى خيبر ، ويحرك الركاب بأراجيزه المثيرة المؤمنه وكان مما قال :

والله لولا الله ما اهتدينا	ولاتصدقنا ولا صلينا
فإغفر فداء لله ما أبقينا	وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا	إنا إذا صيح بنا أتينا
إن اليهود قد بغوا علينا	وإن أرادوا فتنة أبينا

ولما رأى اليهود جيش المسلمين قد أقبل ، ولوا الأدبار يتصايحون :

هذا محمد وجيشه العظيم ، وحين سمع الرسول ﷺ قولهم قال :

« الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

ويقول الله تعالى عن اليهود الكثير من الصفات من نقض العهود وتحريف الكلم وقسوة القلب .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾

[المائدة / ١٣]

أرسلت خمس دول عربية جيوشها لتقاتل فى فلسطين، ومعها جموع من المجاهدين وقاتلوا وقتلوا دون تنسيق بينهم أو حتى تعاون ، فلم تضمهم قيادة واحدة أو رئاسة مشتركة ولا جمعتهم وحدة هدف أو مصير ، كل يعمل على شاكلته ، وكل يعمل على هواه وعادت الجيوش العربية وقوات المتطوعين إلى أوطانها مكسورة الجناح مثقلة بالضحايا والجرحى والمصابين والمشوهين ، تاركة خلفها آلافًا من الشهداء الأبرياء الأبرار فى القدس واللد والرملة والجليل وأسدود وعراق المنشية والفالوجا وعراق سويدان ونيتساليم وغزة وبئر السبع ، وفى ضواحى حيفا وتل أبيب تشكوا أرواحهم مالمست من غدر الاستعمار وخيانة الصديق وطعنات القريب ، مع عدم الاهتمام بالإنسان الذى راح ضحية كل هذا وكان النشيد الإلهى فى حرب فلسطين هو الفاتح للنصر فى عدد من المعارك الى دارت رحاها على أرض السلام . أرض الأنبياء والمرسلين ، وهو الحافظ لكثير من أرواح عباد الله المؤمنين الذين أظلتهم مظلة الإيمان وحفظتهم عناية الرحمن . . .

فى لـيلة ١١ مايو ١٩٤٨ كانت رؤيـا من الله سبـحانه وتعالـى تبشرنى بشـىء ما فى صحراء سيناء ، وهـــــو أن أصلى بجماعة مــــن الضباط إمامًا فى الصـحراء على طريق الكونتلا - نـخل فى صحراء سيناء .. اللهـم اجعله خيرًا ، ودخلت الجيوش الـعربية فى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ثم اشتركت فى حملة فلسطين يوم ١٩ مايو ١٩٤٨ ، أما الملازم أول مصطفى كمال محمود عثمان فقد سافر إلى العريش والتحق بالكتيبة الأولى المشاة هناك استعدادًا لدخول أرض المـيعاد ، وأرسل خطابا إلى صديق له وبين سـطوره عبارة الوداع وقد استـشهد البطل المـؤمن على الأسوار الشـائكة لمستعـمرة دير سنيد شـمال غزه يوم ٢٣ مايو ١٩٤٨ أى قبل مرور سبعة أيام على وصول الخطاب الأخير ..

البطل أحمد عبد العزيز :

وبعد ظهر يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ وصلت طلائع القوات المصرية إلى مدينة غزة ، وكانت قوات البطـل أحمد عبد العزيز تمـهد لها فى كل خطواتـها بالجناح الأيمن تجاه بئـر السبع - الخليل - بيـت لحم - القدس ، ومعه متطوعـون ليبيون وسودانيون ومن الأخـوان المسلمين وكانوا يهاجمون المستعـمرات اليهودية بشجاعة وبسالة منقطعة النظـير ، تظلهم مظلة الإيمان العميق بالـنصر أو الشهادة وسلاحهم اللـه أكبر ، الله أكبر وقد أثارت بطـولاتهم إعجاب العرب وأفزعت اليهـود وفــــى أثناء المعارك الـتـــى دارت فـــى عين كـارم والملحة تقدم البطل أحمد عبد العزيز بسيارته الجيب ومعـه مساعده نحو الخطوط الأمامية ، ثم تابع السير غير عابئ بالرصاص ولما نبهه مساعده إلى الخطر نظر إليه مبتسما وهو يقول :

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة / ٥١]

ولما جاءه خبر بأن اليهـود وضعوا الألغام فى طريق الوحدات التى بعثـها للهجوم على إحدى المستعمرات اليهودية وخشى منها على جنوده ، ذهب بنفسه ليطهر الطريق قبل وصول الجنود إلى المكان ولما حدثوه عن خطورة هذا العـمل قال « أتستكثرون علىّ أن أطهر موضع اقدامكم مرحبا بالموت فى سبيل نصركم » وانتهت حياته بطلقه غادرة فى الصدر بالقرب من منطقة عراق المنشية ، واستشهد البطل ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران / ١٦٩] وقبره فى غزة مازال يزار ...

شهداء وشهداء :

وهناك على أرض السلام يرقد تحت ترابها شهداء مصر ، الذين قاتلوا لنصرة الحق تلبية لنداء الجهاد فى سبيل الله لنصرة شعب مسلم مسالم ، نهشته الصهيونية بمخالبها فى كل جسده لتحطمه . .

ونماذج الأبطال كثيرة كلها تحكى قدرة الله وعظمة الإيمان ونعيم الشهادة . . ومنهم **محمد لبيب السمادونى** الذى ورث عن جده لأمه المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان الصراحه فى الحق وقوة الخلق والإيمان الذى يرفع صاحبه إلى القمة . . . كافح البطل فى الميدان ولما اصابه الإعياء نصحه زملاؤه بالراحة فى المستشفى ، فأبى حتى حملوه إليها وفى اليوم التالى علم بمعركة محتدمة فى رفح فارتدى ملابسه وغادر المستشفى دون تصريح من الطبيب ثم توجه إلى مكتبه على الفور حيث اطلع على خريطة الموقف ، وغادر مكتبه إلى ميدان المعركة كجندى يقاتل فى الصفوف الأمامية حتى وافاه القدر فانتقل إلى برزخ الشهداء . . ومثل آخر ممن اظلتهم مظلة الإيمان فى حرب فلسطين **محمد وجيه أحمد خليل** ، فقد اختاروه فى عملية الهجوم على مستعمرة - دير سنيد - فتقدم مع الكتيبة إلى مكان اختارته له قيادته وأخذ يعمل مع قائده على تحصين مواقعه لاينام الليل ولايهدأ بالنهار ، ولما علم أن زميله اليوزباش أميل فرج جرح أثناء الهجوم على مستعمرة نجبا أبت عليه شجاعته إلا أن ينقذه بنفسه فتقدم غير هياب ولا وجل فوضعه على حمالة رجعت بالزميل المجروح تحت وابل من رصاص العدو وأخذ يجاهد الأعداء ويبعث فى جنوده روح الاقدام ، حتى أتته رصاصة طائشة فذهب إلى عليين مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أؤلئك رفيقًا . .

الإيمان حصن المخلصين

فى يوم ٦ يناير ١٩٤٩ ركز اليهود ضربات الهاون على طريق رفح العريش لقطع الطريق ومنع تحرّك أى قوات أو عربات إلى العريش ، وحدثت خسائر كثيرة فى العربات التى حاولت العبور والحمد لله سبحانه وتعالى أن مررت بعربتى الجيب رقم ١٠٣١٦ ! بسرعة ٨٠ كيلو متر / ساعة قبل القصف اليهودى بدقائق وهكذا أراد الله لى النجاة وبعدها تم قطع الطريق نهائيا وتوقفت حركة المرور تمامًا . . . وكان توقيت إيقاف القتال هو ساعة ١٤٠٠ يوم ٧ يناير ١٩٤٩ ، فسجدت لله شكرًا على نعمة التوفيق والحماية تحت مظلة الإيمان .

تعين اليوزباشى عبد المنعم خليل قائدا لسرية حراسة طريق رفح - العريش وشريط السكة الحديد الموازى له تقريبًا خلال شهرى ديسمبر ١٩٤٨ ويناير ١٩٤٩ . وقد حاولت داوريات يهودية بث ألغام على شريط السكة الحديد وعلى الطريق ، ونجحت فى بعض الليالى الحالكة الظلام فى وضع ألغام مضادة للدبابات ومضادة للأفراد على الطريق وعلى شريط السكة الحديد ، وتمكنت عناصر تتبع الأثر من رجال سلاح الحدود من تحديد المكان وتم رفع الألغام بعد تأمينها وكانت الطائرات اليهودية المقاتلة تقوم بدوريات اقتناص على الطريق ، وكان القائد ومعه بعض معاونيه من ضباط الصف يمرون على إحدى المواقع وتعرضوا لهجمات طائرتين مقاتلتين على موجات متتالية فى طيران واطئ جدًا يكاد يلمس التبة الواقفين عليها واستخدموا ما يشبه القنابل اليدوية القيت من الطائرة مع طلقات من رشاشاتها النصف بوصة ، وكانت مظلة الإيمان تنشر أجنحتها عليهم فلم يصب أحد بسوء حتى اللورى الذى كان يقلهم ظل سليما والحمد لله . .

وفى مذكرات الميدان التى كتبها اليوزباشى عبد المنعم خليل بعد انتهاء قتال فلسطين وبالتحديد يوم ٣ فبراير ٤٩ يقول :

إن الضمير الحى وتقوى الله فى كل عمل يُعمل ، يؤدى بهذا العمل إلى النجاح المؤكد .. آه لو كل إنسان فى مصر يحاول أن يعمل ساعة بإخلاص ويراعى الله فى عمله لما وصلنا إلى هذه الدرجة من الانحطاط .. إننا نسير إلى الوراء البعيد بخطوات سريعة وسريعة جداً والله يهدنا إلى الصراط المستقيم ..

إن ما يحز فى نفسى أن أرى هذا العسكرى أو ذاك الشاويش أو حتى حضرة الضابط يهمل فى عمله ولا يؤديه على أكمل وجه !! ان مصر فى حاجة إلى إخلاص ووفاء من ابنائها وإن لهم فى شهدائهم الأوفياء لمثلاً أعلى فى الإخلاص والوفاء ..

أيها الناس أرحموا من فى الأرض واخلصوا فى أعمالكم يرحمكم من فى السماء ويخلص لكم ، إن السلام حلم جميل يداعب عقول البشر ، أما الحرب فهى حلم جميل للمعتوهين !!

يوزباشى عبد المنعم خليل
رفح ٣ فبراير ١٩٤٩

وما استعصى على قوم منال　　　إذا الإقدام كان لهم رِكابا

(شوقى)

الشهيد اليوزباشى عبد المنعم حمزه من الكتيبة الثالثة المشاة ، وهو من النوع الذى تفخر به الأمم ، فقوة إيمانه تشع فى قلوب أفراد سريته الشجاعة الصادقة وتولد فيهم العزة والكرامة . وقفت بجواره أشاهد معركة بثيروت قرب غزة يوم ١٥/٧/١٩٤٨ ، ثم تركته ليتقدم صفوف رجاله إلى أن لقى حتفه أمام دشمة قوية للعدو بمستعمرة بثيروت اسحق .

الشهيد سعد حنفى حسن من سلاح الفرنسان الملكى ، ذو خلق نبيل ونفس مؤمنة ، كان دائما يبث روح القوة والأمانة فى نفوس رجاله اشترك فى معركة نيتسانيم وزرته هناك بعد الاستيلاء على المستعمرة ، وأعطانى صورته تذكارًا للمحبة ، وذهب كل منا فى طريقه إلى أن استشهد فى ٣٠/١٢/١٩٤٨ ، قبل نهاية الحرب بأيام فى معركة بين مدرعاته ومدرعات العدو بالقرب من أبو عجيلة .

الشهيد اليوزباشى جلال السيد حجاج من سلاح خدمة الجيش الملكى ، كان خلقه السمح وظرفه وابتسامته التى تصاحبه دائمًا سمة مميزة له ، وكنا نزوره فى مبنى صغير بمحطة سكة حديد غزة وننعم عنده بالمياه والكهرباء والطعام ونحسده على ما هو فيه من نعيم وتركناه فى المساء ، وعدنا إلى معسكرنا وفى اليوم التالى أغارت ثلاث طائرات سكاى هوك على المحطة وألقت قنابلها واحترقت المحطة وقطار المازوت بها واستشهد البطل وكان معه فى الحجرة زميل وهو اليوزباشى جورج واصف قفز من النافذة ونجا والحمد لله .

الآمنون من عذاب الله يوم القيامة :

الصاغ محمد السيد عبد الرحمن ، قائد قسم المشاه بمعسكر الإمداد بالرجال فى فلسطين، يمتاز بالإيمان متمثلا فى حب الخير للجميع والتفانى فى خدمة الصغير قبل الكبير . . ذو قلب صافٍ ونفس طاهرة . ولما ظهرت نشرة الإنعامات السامية لمن أبلوا بلاءًا حسنًا فى حرب فلسطين كوفئ بمنحه نيشان الجدارة الذهبى . وهو أقل مايجب نحو شخص ضحى براحته وراحة أولاده فى سبيل المصلحة العليا ، ولن أكتب عنه وعن أعمال شىء إلا كلمة واحدة . . وهى إننى أعتقد أنه أرضى الله وضميره والحمد لله . . كان كل إنسان فى

الجيش يتوق إلى نيشان وهكذا كل أفراد المعسكر ضباطًا وجنودًا ولكن ليس على حساب الغير . . ولسوء الحظ أو للأسف الشديد كان بعض أفراد معسكرنا قد أعماهم تراب الحياة القاسية عن حسنات غيرهم إليهم شخصيا فوقفوا أمام قدرة الله يائسين من الحياة دون نيشان ، ساخطين على من منحته العناية الإلهية نيشان من يد إنسان !! وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل ادعوا أنه المتسبب عن عمد فى أنهم لم ينالوا ما يستحقون !! جزاهم الله خيرًا . .

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يظهر الحق ، وأن يشعر المخطئ بأنه قد أخطأ فى حق رجل أحسن إليه واظهر الله الحق واضحا للجميع فاقتنعوا واعتذروا والحمد لله .

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرَّجة يدق

(شوقى)

الشهيد اليوزباشى بيومى على الشافعى من الكتيبة التاسعة بنادق مشاة ، أحاط به اليهود من كل جانب وسلطوا عليه وعلى رجاله نيران مدفعيتهم وقنابل طائراتهم ودباباتهم الثقيلة وقاتل بالقنابل اليدوية والسلاح الأبيض ، إلى أن لقى ربه يوم ١٩/ ١٠/١٩٤٨ .

الذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا

أحب أن أذكر فى هذه السطور القلائل بعضًا من إخوانى الأبطال الذين استشهدوا فى العمليات الحربية التى وقعت فيما بين ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى ٧ يناير ١٩٤٩ . . . إنهم حقا أبطال ومثل عليا فى الوفاء والتضحية والشجاعة ، رحمك الله يا مصطفى كمال ، ويا عبد المنعم العديسى ، ويا عبد المنعم حمزة ، ويا صلاح إبراهيم ، ويا أبو زهرة . وإنى لم انس ، يا « أبو زهرة » أنك كلفتنى عندما زرتك فى أسدود بعد المعركة الناجحة ضد اليهود الآثمين أن أعمل لك علامة تحقيق شخصية من فضة وتم عملها وأرسلتها لك !!) رحمكم الله جميعا أيها الأبطال وعاشت مصر حرة بدمائكم . . .

التواضع سلم الشرف :

قائد الأسراب محمد عبد الحميد أبو زيد من السلاح الجوى الملكى ، كنا نسميه « أبو زيد الفيوري » نسبة إلى طائرته الفيورى التى تحمله إلي السماء بخفة وجرأة ، وله قصص بطولية كلها جرأة وقوة وأمانة كنا نراه فى الجو يطارد طائرات اليهود ويلحق بها ، ويدمرها وكنا نراه يعاون المشاه فى هجومها على المستعمرات وكنا نحبه ونعجب به ونزوره فى كثير من الاحيان فى أرض الهبوط . نستمتع بقصصه الحقيقية عن البطولة . ولما تعرضت المدمرة « مصر » لقتال بحرى وجوى مع مدمرات العدو وطائراته انطلق أبو زيد الفيورى إلي السماء وأغار على إحدى المدمرات وغاصت فى الماء وانقض على طائرة يهودية فهوت إلى الأرض تحترق ، ولكن طائرته تلقت قذيفة معادية فهوت بالبطل إلى البحر محترقة رحمه الله ، فقد كان بطلاً أسطوريًا . .

عودة ابطال الفالوجا :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الفتح ١]

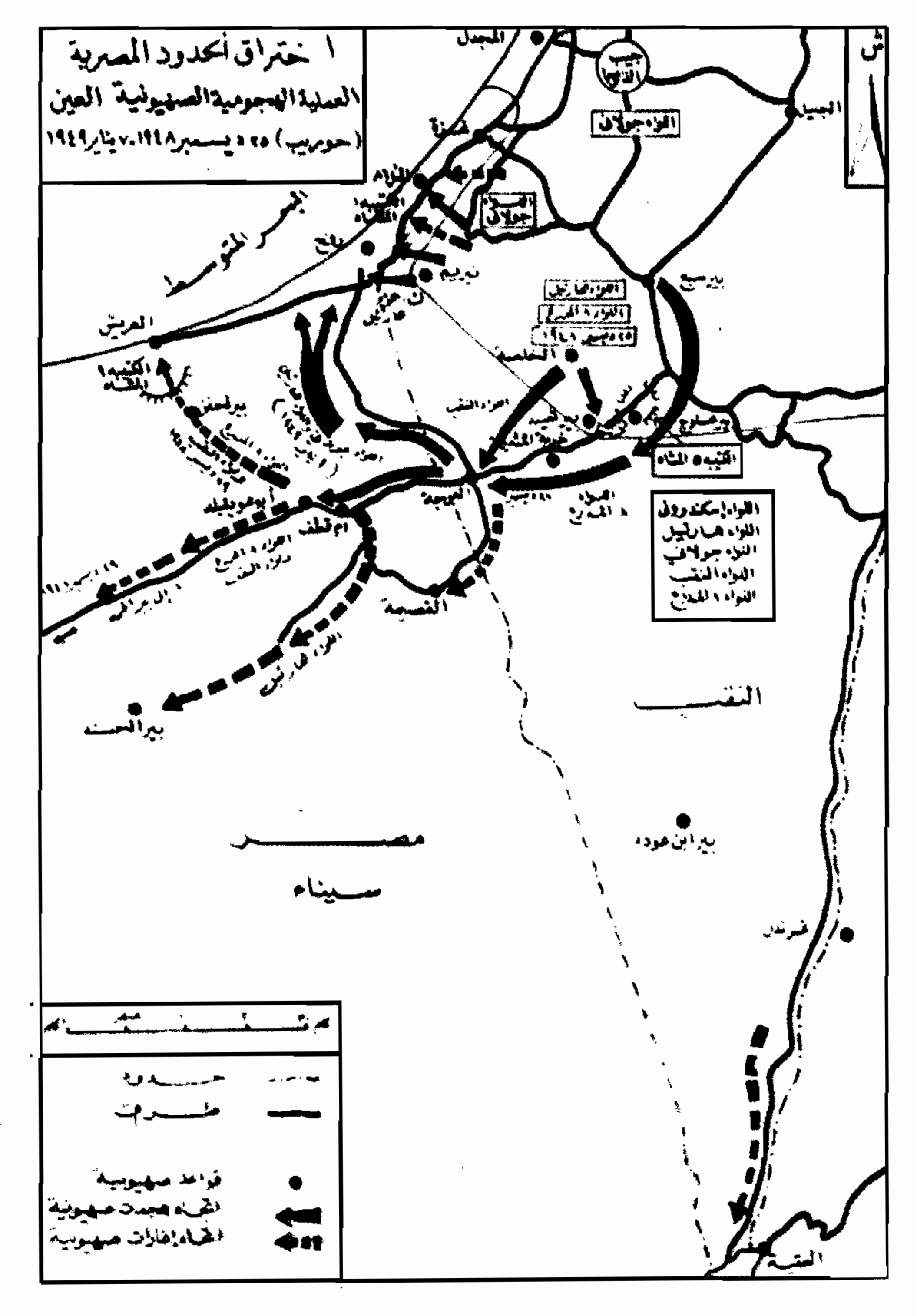
صدق الله العظيم .

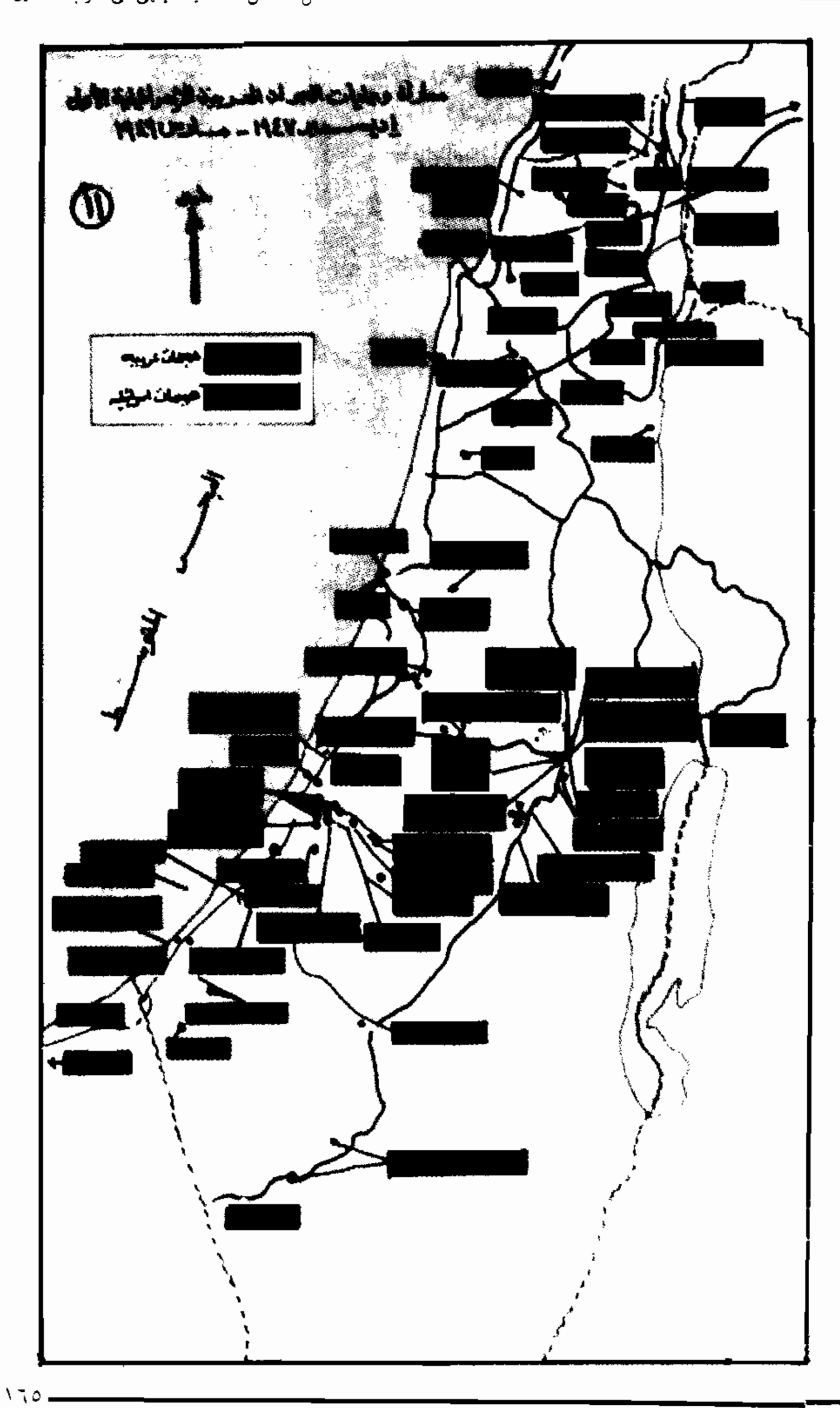
بهذه الآية الكريمة بدأ يوم ٢٨ فبراير ١٩٤٩ أول اجتماع من نوعه فى تاريخ مصر عامة والجيش المصرى خاصة ، إذ اجتمع فيه زملاء الحرب للموت والاستشهاد فى سبيل مصر ، اجتماع ضم عناصر من أفراد قوات مصر الباسلة مع ابطال الفالوجا - أعزهم الله - ولست أدرى كيف أصف هذا اليوم التاريخى ، فقد عاد الأبطال من الحصار يوم ٢٧ فبراير ١٩٤٩ .

وكتبت فى مذكراتى أصف هذا اليوم الرائع . .

إن العيون كانت تسيل دموعا أهى دموع الفرح بالحياة أم دموع السعادة لوجود أعزائنا معنا ؟! إننى عندما قابلت أخى محمد أمين أحمد اغرورقت عيناى بالدموع . . دموع لست أدرى سر انسكابها ، إنها دموع الشكر لله الكريم ، واحمده سبحانه وتعالى لأنه أعاد إلينا أبطالنا جميعا سالمين ، ألف شكر لك يارب يا كريم . . ووقف القائد العام أو القائد الصريح وبجواره السيد طه البطل الأسود والقلوب تهتف لهم بعد هتافهم لقائدنا الأعلى - أعزه الله - تكلم فؤاد صادق بأسلوب رقيق قوى ! هادئ مثير ! لماذا نحن هنا

استراتيجية مصر !! الحال الفاسد في البلد و الجيش . . الدسائس التى تحاك لنا فى مصر !! الإيمان بالملك بعد اللـه فهو قائدنا الأعلى . . تكلّم القائد كأنـه الأسد . . كان صريحا وفى منتهى الصراحة وقد ودعنا فى نهاية الحديـث قائلا السلام عليكم لأنى قد ذهبت ، وساترك لكم أنتـم تسيير الجيش لرفـعة مصر الحبيبة . . ثـم أكد قبل الانصراف أن الجيش سـيبقى بعض الوقت شرق القـنال (ربما رفح والعريش والقنطرة شرق) مـــع الاحتفاظ بعلاوات الحرب إلى حين !! وحدثت بلبلة بين الضباط وتـكهنات وإشاعات ، ولكن فى اليوم التالى حضر إلى رفح الفريق حيدر باشا وأذاع بنفسه بـعض الانعامات السامية (الملكية) على عدد من الضبـاط المقاتلين فى فـلسطين وبعد فتـرة بسيطة عادت قـوات الفالوجا إلى الـقاهرة فى احتفال شعبى رائع ، غطى على ظلمات الهزيمـة أو الهزائم الكثيرة التى ذقناها فى حرب لـم يُعدَّ لها الإعداد الضرورى .


اختراق الحدود المصرية
العملية الهجومية الصهيونية العين
(حوريب) ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ - ٧ يناير ١٩٤٩
ش
المجدل
غزة
اللواء جولاني
البحر المتوسط
العريش
بئر السبع
الخلصة
العوجة
أبو عويقيلة
القسيمة
بير الحسنة
الكتيبة ٩ المشاه
اللواء إسكندروني
اللواء هارئيل
اللواء جولاني
اللواء النقب
اللواء ٨ المدرع
النقب
مصر
سيناء
بير ابن عوده
غرندل
العقبة
حدود
طرق
قواعد صهيونية
اتجاه هجمات صهيونية
اتجاه إغارات صهيونية


١١

الجولة العربية الإسرائيلية ديسمبر ١٩٤٧ـ مارس ١٩٤٩ م
بيـــان إحصـــائى

الســـــنة	١٩٤٧	١٩٤٨												١٩٤٩		
البـــــيان	ديسمبر	ينـاير	فبراير	مـارس	إبريل	مـايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	ينـاير	فبراير	مـارس
فترات الحرب (٤٦٨ يوماً)						فـــترة الحـــرب المعلنـــة (٣٠٢ يومـــاً)										
مراحل الحرب							المرحلة الثالثة									
المبـــادأة																
عدد المعارك والعمليات	مناوشـــــــات															
الهدنـات ٢٢٤ يومـاً							٢٧ يوماً		٨٨ يومـاً			٥١ يوماً		١٧ يوميـاً		هدنة روديس
مدد القتال ٢٢٤ يومـاً	١٣٢ يـــــومـاً				٤٤ يوماً	٣٧ يوماً		١٠ أيام			١٧ يوما		١٧ يوما			٧ أيام



الزحف إلى بيت المقدس ١٩٤٨

هدف القوات الإسرائيلية



الملك فاروق فى زيارة جبهة القتال فى فلسطين

وعن يمينه اللواء أحمد على المواوى

قائد الحملة



عرفات فى جبهة القتال بالقنطرة غرب ١٩٧٠ وحلمه نحو القدس



الضبع الأسود فى الفالوجا

ديسمبر ١٩٤٨

ملحق (أ)

الفريق عزيز علي المصرى

(الجندى الذى سبق عصره)

كان عزيـز المصرى المثـل الذى
حرص أن يحتـذى به كل أفراد
القـوات المسلحـة المصريـة من
جـيـل الأربعـيـنـيات الـذيـن
عاصروه مفتشًا عـامًا للجيش ،
ورئيسًا لهيئة أركان الحرب

كانت حياة الفريق عزيز المصرى التى امتدت زهاء ٨٥ عامًا حافلة بالأحداث . وقد ولد عام ١٨٨٠ فى بـيت ذى حديقة غـناء قرب ميدان الـعتبة بـقلب القاهـرة لأب مصرى وأم شركسية . وأسماه أبوه باسم الخـليفة العثمانى تيمنًا به ، وتنسب عائلـة أبيه إلى قبيلة شاه بلو (نور الله) القوقازية .

وأظهر عزيز الـطفل نجابة غير عادية فـى دراسته الابتدائية والثانـوية ، وكان من أوائل البكالوريا عام ١٩٠٦ . فلما أراد الالتحاق بالمدرسة الحربـية بالعباسية ليصبح ضابطًا يكرس حياته فى مناضلة المحتل الإنجليزى ، رفضته المدرسة لقصر قامته .

وبنفوذ أقارب والدته فى اسطنبول أمكن أن يدبروا له مكانًا فى مدرستها الحربية وساعده اتقانه اللـغة التركية فى أن يتـخرجً منها على رأس دفعـته التى أظهر خلالهـا شغفًا بدراسة التاريخ العسكرى وفنون القتال بالقدر الذى لـفت إليه الانظار . كما أجاد اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية حديثًا وكتابة .

واكتسب خلال وجوده بـالمدرسة الحربية صداقة كثيـرين ممـــن أصبحـوا زعماء تركيا

الحديثة ، وقادة الثورات التى اشتعلت فى بلدان الوطن العربى ، فى الربع الأول من القرن العشرين .

وكانت أولى المعارك التى خاضها فى الجبل الأسود حيث حقّق نصرًا على حركة التمرد ضد الحكم العثمانى ، التى كانت تؤازرها الامبراطورية الروسية ، وتمدها بالميرة والذخيرة .

ومـا إن عاد إلى اسطنبول على رأس قواته الظافرة ، حتـى شارك الشعب فى مطالبته السلطان عبد الحميد بالدستور حتى اضطر إلى إصداره يوم ٢٤ يوليو ١٩٠٨ . ولما نقض السلطان وعده والغى الدستور هبّ الجيش الثالث بإيعاز من عزيز المصرى ، وتحرك من سالونيك إلى العاصمة حيث احتل الثكنات المحيطة بقصر يلدز ، إلى أن تم عزل عبد الحميد وتوليه أخيه محمد رشاد الخامس عرش السلطنة .

وفى عام ١٩١١ أرسلت إيطاليا جيوشها لغزو ليبيا فكان عزيز على رأس المتطوعين الذين سارعوا لنجدة الأمير السنوسى مع أنور وجعفر ومصطفى كمال من الاتراك ، وعبد الرحمن عزام وصالح حرب وحافظ عفيفى من مصر .

ونظرًا لكفاءة عزيز فقد تولى قيادة تلك المجموعة ، فنجح فى تنظيم صفوف المجاهدين الليبيين ، وألهب حماسهم حتى نجحوا فى محاصرة القوات الإيطالية ومنعوها من التوغل داخل البلاد .

ثم حقق عزيز نصرًا كبيرًا على الجيش الإيطالى في ليبيا يوم ١٦ يونيو عام ١٩١٣ تناولته صحافة العالم بالشرح ، وقارنته بإنتصار هانيبال القرطاجنى علـى الرومان فـى معركة كانـاى الشهيرة يوم ٢ أغسطس عام ٢١٦ قبل الميلاد .

وبقيام الإمام يحيى حميد الدين بثورته لتحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية ، ثم انتصاره علـى الجيش العثمانى فى معركة جيزان التى أنزل فيها خسائر فادحة بالجنود الأتراك . . بادرت الاستانة بإرسال عزيز المصرى لإنقاذ الموقف حيث نجح فى عقد معاهدة مع الإمام ، أقر فيها بسيادته على صنعاء فانتهزها خصمه اللدود أنور باشا فرصه ليلصق به تهمة الخيانة العظمى ويصدر ضده حكمًا عسكريًا بالإعدام .

كان دافع أنور باشا هو القضاء على عزيز بوصفه زعيم الحركة القحطانية التى تعمل على استقلال البلاد العربية ، فكان رد فعل عزيز هو تقديم استقالته من الجيش العثمانى .

وظل أنور باشا يتربص به حتى تمكّن من القبض عليه يوم ٩ فبراير ١٩١٤ فما كاد الخبر ينتشر باسطنبول حتى تجمهر الضباط العرب وضغطوا على أنور وطلعت وجمال - الثلاثى الذى كان يحكم تركيا فعلاً - حتى أجبروهم على إطلاق سراحه يوم ١٥ ابريل ، مع تخفيف حكم الإعدام إلى السجن ١٥ سنة .

ولمّا لم تقبل جماهير مصر وليبيا والسودان واليمن ذلك الحكم ، اشتعلت القلاقل بتلك البلاد حتى اضطرت الأستانة إلى إلغائه يوم ٢١ ابريل شريطة أن يغادر عزيز تركيا فى اليوم التالى مباشرة فلا يعود إليها أبدًا .

واشتعلت الحرب العالمية الأولى فراح البريطانيون يحضون الشريف حسين حاكم الحجاز بالثورة على السلطان الذى انحاز بجيوشه إلى جانب الألمان ، وكان ابنه الأمير فيصل قد انضم إلى جمعية العهد التى أنشأها عزيز المصرى فى البلدان العربية ، للعمل على استقلالها فنصح عزيز فيصلا ألاّ يتورّط مع الانجليز فى اتفاق ، قبل أن يأخذ منهم عهدًا صريحًا باستقلال كل البلاد العربية بعد الحرب .

وعندما شعر عزيز بالمماطلة التى يبديها المعتمد البريطانى بالقاهرة ، تحول إلى أمير نجد عبد العزيز بن سعود الذى وثق فى أنه لن تجوز عليه خديعة الإنجليز ، كما أنه لايخدع أحدًا .

وعزل الإنجليز الخديوى عباس حلمى الثانى يوم ٢١ ديسمبر ١٩١٥ ، ثم سيروا حملتهم الثانية الفاشلة لفتح مصر بقيادة جمال باشا السفاح فى أغسطس ١٩١٦ ، وكان الشريف حسين قد أعلن الثورة العربية يوم ١٠ يونيو ١٩١٦ ، ودفع جيشه بقيادة ابنه فيصل وضابط المخابرات البريطانى الشهير لورنس لمعاونة الجنرال اللنبى فى غزو فلسطين والشام بالزحف على جانبه الأيمن .

وحاول الإنجليز استمالة عزيز المصرى بالقاهرة ، كما عرض عليه بعض العرب قيادة جيش الشريف حسين فتوجه إلى الحجاز لدراسة الموقف ، فلما اجتمع بالأمير فيصل ومستشاره لورنس أحسّ بالخديعة التى تدبّرها بريطانيا للعرب ، فراح يجمع كلمة الضباط العرب ويدرّب الجيش بمنطقة رابغ ، ويبث فيه المشاعر الوطنية وحب الاستقلال .

وتطوّع أحد مرؤوسيه ، نورى السعيد ، بنقل خطب عزيز الملتهبة الوطنية إلى الإنجليز فعملوا على التخلّص منه فى أسرع وقت ، فكان أن أوعزوا إلى الشريف حسين بإيفاده إلى

مصر تحت زعم اختيار الأسلحة اللازمة للجـيش ، فما كاد يصل إلى السويس حتى أخطروه بعدم العودة ، وبأنهم يعرضون عليه قيادة جـيش الإمام يحيى فى اليمن ضد الاتراك . فلما رفض خيروه بالمكان الذى يفضله كمنفى فاختار إسبانيا .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى دعته ألمانيا لـلعمل أستاذًا فى كلية الأركان لسعة إطلاعه وتمكنّه من الـفن العسكرى ومعارك الـتاريخ الكبرى . ولمّا تكـشفت معاهدة سايكـس بيكو ووعد بالفور . . تـوجه عزيز إلى العراق يبحث عـن مخرج من تلك المحنة التـى وقع فيها العرب نتيجة ثقتهم بوعود بريطانيا وفرنسا ساعة الحاجة إلى المساعدة العربية ، وتزوج هناك من سيدة أمريكية أنجب منها ابنه الوحيد عمر .

ورغم وجود أصدقائه من أمثال ياسين الـهاشمى وأخيه طه وجميل المـدفعى وحكمت سليمان وجعفر العـسكرى الذى خلفه فى قيادة الجيش الهاشمى بالحجـاز ، وتوليهم السلطة فى بغداد فإن الإنجلـيز أغلقوا فى وجهـه كل المنافذ ، فعـاد إلى مصر حيث صـدر فى عام ١٩٢٨ مرسومًا ملـكيا بتعيينـه مديرًا لمدرسة البولـيس ، التى قفز بمناهجها وأصـول التربية الإخلاقية لطلبتها فى خطوات واسعة .

وعندما قرر الملك فؤاد إيفـاد إبنه فاروق إلى بريطانيا ليستكمل تـعليمه عيَّن الأميرالاى عزيز المصرى رائدًا له ، فأشـرف على تنشئة الأمير نشأة صالحة ، لولا تـدخل الحاشية التى كانت شديدة الحرص على هدم كل ما يبنيه .

وبوفاة الملك فؤاد عـاد فاروق إلى مصر وفى نفسه شىء من عـزيز ، إلاّ أن تولى على ماهر رئاسة الوزارة أتاح له فرصة تعيينه مفتشًا عامًا لـلجيش المصرى فى أغسطس ١٩٣٩ ، فهجر مكتبة بوزارة الحربية وراح يعمل وسط الجنود ، ويطوف بمعسكراتهم فى أطراف البلاد النائية .

وفى زيارة الملـك لمرسى مطروح بعـد اشتعال الحرب العالمـية الثانية . . حـضر مؤتمرًا حربيًا للجنرال ويلـسون الذى راح يؤكد على أن مرسى مطروح قد تحولت إلـى قلعة حربية يستحيـل اختراقها ، فارتفع صوت عـزيز المصرى ينصح بتجهـيز منطقة العلمـين بالدفاعات المحصنَّة ، حيث يـنتظر أن تحدث عندها الوقـفة الأخيرة فى الدفاع عن مـصر من الغرب ، الأمر الذى تحقق بعد ذلك بثلاثة أعوام .

ولم يكن المندوب السامى البريطانى ليترك عزيز المصرى فى منصب رئيس هيئة الأركان الذى تولاه عام ١٩٤٠ ، ولهذا فما كاد الملك يعين حسين سرى باشا الممالئ للإنجليز رئيسًا للوزارة ، حتى عزل عزيز وحدد إقامته .

وقرر عزيز أن يهرب من مصر إلى تركيا أو ليبيا ، فلما جاءت ثورة رشيد عالى فى العراق عزم على التوجه إلى مقر قيادة المارشال روميل ، الذى كان قد اتصل به عن طريق بعض الأعوان (منهم أنور السادات - من كتاب حياتى بين السيف والقلم ، للسيد حامد فرج - المراجع) بالقاهرة ليعاونه فى دحر البريطانيين فى صحراء مصر .

وتم الاتفاق على اختطافه من منطقة جبل رزّه على طريق الواحات البحرية ، إلاّ أن القدر شاء أن تتعطل السيارة التى أقلته قرب أهرام الجيزة . ولما تكررت المحاولة بطائرة مصرية سقطت قرب بنها نتيجة خطأ الطيار الذى أقفل محبس زيت التزييت بدلاً من فتحه فاحترق المحرك .

وبعد الاختفاء فى أحد المنازل بإمبابه قرابة ثلاثة شهور ، قبضت عليه الشرطة وبدأت محاكمته يوم ٩ أكتوبر ١٩٤١ ، فلما شعر الإنجليز بالتهاب المشاعر المصرية ضد هذه المحاكمة أوقفوها فجأة وتركوه فى السجن ، حتى أفرج عنه مصطفى النحاس باشا بعد توليه رئاسة الوزارة فى فبراير ١٩٤٢ .

إلاّ أن هزيمة الجيش البريطانى فى معركة الغزالة في يونيو ١٩٤٢ ، ووصول جيش روميل إلى العلمين فى يوليو جعل البريطانيون يضغطون على الحكومة المصرية ضغطًا هائلاً لإعادة اعتقال عزيز يوم ١٣ اغسطس ، حيث ظل فى السجن ٢٧ شهرًا قبل أن يفرج عنه فى نوفمبر ١٩٤٤ ، شريطة ألاّ يغادر منزله بعين شمس . ولم يكن هذا الحجز القاسى يضيره إذ كان قد تفرّغ تمامًا للعبادة والقراءة ، وكلما سأله ابنه من الولايات المتحدة عما يطلب ، طلب أن إليه يرسل آخر ما صدر من المطبعة الأمريكية من كتب عسكرية .

ومن هذا البيت ظلت أفكار الوطنية تنطلق فى كل اتجاه ، داعية العرب إلى الحركة والبذل والعطاء . وعندما سقط الدكتور أحمد ماهر قتيلاً فى إحدى ردهات البرلمان فى فبراير ١٩٤٥ كان عزيز أول المعتقلين إلاّ أن التحقيق أثبت ألاّ دخل له بالحادث فأفرج عنه على مضض .

ثم قبض عليه مرّة أخرى بعد مقتل أمين عثمان باشا يوم ٥ يناير ١٩٤٦ ، فلما تأكد

المحقق أن عزيز المصرى لاينتهج مثل هذا الأسلوب فى التعامل مع أعداء الوطن ، أفرج عنه للمرة الثالثة .

وكانت آخر مرة يقبض فيها على عزيز بعد مقتل محمود فهمى النقراشى يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، حيث ظهر أنه لادخل له أيضًا بهذا الحادث فأفرج عنه .

وقامت حرب فلسطين فاتجهت أنظار المناضلين إلى قائدهم المحبوب عزيز المصرى فجاءة فوزى القاوقجى ، قائد جيش الانقاذ يلتمس النصيحة ، فبدأ العمل الجاد لتنظيم وتدريب وإدارة العمليات الفدائية ضد عصابات الهاجاناه والأرجون ، واستجاب البطل الشهيد أحمد عبد العزيز للنداء ، فأرسله عزيز على رأس قوة المتطوعين المصريين للقتال فى منطقة بيت لحم بكتائب الأخوان المسلمين ومصر الفتاه التى أبلت هناك خير البلاء .

وأعلن عزيز المصرى أن نكبة فلسطين ثمرة طبيعية للفساد الداخلى والمؤامرات البريطانية ، وأنَّه لاسبيل للنجاح إلاّ بطرد المستعمر من القناة ، وتطهير الحكم من أدرانه . وهكذا بدأت المقاومة الأهلية ضد جيش الاحتلال بمنطقة القناة ، كما بدأت تحركات الضباط الأحرار التى قامت بثورة يوليو ١٩٥٢ بإرشاد وقيادة أبويه من عزيز المصرى .

ونظرًا لانهماكه فى كلا المجالين فقد اعتذر فى اكتوبر ١٩٥١ عن تلبية عرض كريم من حكومة الباكستان لتولى تكوين وقيادة قواتها المسلحة ، بوصفه أكبر خبير عسكرى مسلم فى الشرق الأوسط .

وبقيام الثورة اعتبرت عزيز المصرى أباها الروحى ، وعرضت عليه منصب رئيس الجمهورية فامتنع لتقدم العمر به ، فلما ألحّت عليه فى قبول منصب سفير مصر فى موسكو ليدفع العلاقات بين البلدين ، بما يضمن تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والمطالب العسكرية من تلك القوة العظمى ، قبل عن طيب خاطر .

ووجد عزيز فى موسكو تقديراً عظيمًا لشخصه الاّ أن جليد روسيا لم يناسب صحته ، فعاد إلى مصر حيث عاش عيشة هادئة فى منزله بعين شمس وعلى معاش ٧٩ جنيهًا ، الذى كان إسماعيل صدقى باشا قد قرره له عام ١٩٤٦ . ولما رفع معاش الفريق بالجيش المصرى إلى ٢٠٠ جنيه شهريًا لم يفكر أحد بتطبيقه على عزيز ، كما ترَّفع هو عن أن يطالب بحقِّه .

وكان هو الذى أشار بسحب القوات المصرية من مصيدة سيناء ، إبآن العدوان الثلاثى على مصر بهدف توحيد جبهة القتال فى غرب قناة السويس كنص تعبيره .

وفى عصر الثلاثاء ١٥ يونيو ١٩٦٥ آن للروح الثائرة أن تهجع وأن تبدأ رحلتها إلى الرفيق الأعلى . . أسكن اللـه عبد العزيز على المصرى فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا .

ملحق (ب)

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

[سورة الأحزاب ٢٣]

القائمقام عباس عبد الحميد

قائد كتيبة الخدمات العامة عام ١٩٤٢ ، كان يـصل إلى بوابة الكتيبة فى سعت ٠٧٤٥ يوميا ، وبعد أن يؤدى حرس البوابة تحية القائد ينـزل من سيارته العسكرية الفارجو ويفتش على الحـرس وغرفة الحرس وسلاح الحـرس وحتى البروجى ، ثـم يدخل إلى غرفـة سجن الوحدة حيث يفتش علـى المساجين والمنتظرين للمحاكمة أو الترحـيل للسجن الحربى ، وهم عرايا حيث يفتش على أجسامهم ثم ينتقى فانلة أو أكثر ليتأكد أنها نظيفة وياويل من يكون قد عـلقت بملابسه أو جسده أية أوساخ فـتيجته ٥ جلدات فورًا ، ثم يمر على حملـة الكتيبة حيث يصطف الســائقون ، كل أمام سيارته ويجرى التفتيـش على دورة الوقود ودورة الزيت ودورة المياه ونظافة السيـارة الخارجية والداخلية ، وبعدها يمر على خيام مـبيت الجنود ويتأكد من أن البطاطين تأخذ قسطا كبيرًا من أشعـة الشمس ، مع نظافة الخيام وانتظام أسرّة الجنود الخشبية ونظافتها ، ويمر على دورات المياه والحمامـات ويتأكد من نظافتها ، ثم مطبخ الوحدة حيث يتـأكد من تمام صرف تعيـين الصباح والشاى ونـظافة الأوانى ، واستعداد الـطباخين لتجهيز وجبـة الغذاء . وهنا نقطة مهمة تعلمـناها منه ، وهى معدل اللحوم بالنـسبة للعظم وعدد قطع اللحم وهل تكفى كل فرد له حق التعـيين أم لا ، ويفتش عليها قبل الطهى وبعد الطهى ويتذوقـها . والحقيقة أن طعام الجنود كـان ينال عناية فائقة من الـقائد ، وكان يصل إلى الجنود بدرجة ممتازة من النظافة والطهى والكمية والطعم . .

تعلمنا منه الإنضباط المبنى على الحسم ، مع العدل والرحمة والمعاقبة الفورية للمسىء ، والجائزة الفورية للممتاز من الضباط والصف والجنود .

وابتكر وسيلة رائعة لحل مشاكل الوحدة ومشاكل ضباطها وجنودها من منبعها ، فحدّد كل يوم خميس إفطارًا مجمعًا لضباط الكتيبة مع نخبة من القادة الكبار والمسئولين فى الجيش من رئيس أركان الجيـش المصرى ورئيس الإدارة العسكرية ورؤســاء أفرع رئاسة الأركان وكل من له سلطة حل مشكـلة ، يختار منهم ثلاثة أو أربعة فقط كل أسبـوع على طبق اشتهر به

وهو طبق العاشوراء المملوء بالمكسرات ، وبكميات كـبيرة وعلى نفقته الخاصة . وكنا بالطبع ننتظر يوم الخميس أسبوعيا بلهفة لتناول طبق العاشوراء وحل مشاكل الوحدة فورًا

كان قائدًا قويًا أمينًا صادق الـوعد مهاب الطلعة طيب القلب شديـد البأس ، رحمه الله فقد تعلـمنا منه كيف نحـل مشاكل الرجال ، وكيف نحـصل على محبتهـم ، وكيف نمحو عامل المسافة التى اتسعت رقعتها فيما بعد بين الضابط والجندى فكانت الهزائم !!

ملحق (ج)

تحت مظلة الإيمان فى بلاد الفرنجة

فـى الـبحرالمتوسط كـانت الباخرة الملك فـؤاد تمخر بنا البـحر فى الطريق إلـى ميناء مرسيلـيا ، حيث كانت وجهـتنا بريطانيا لـندرس فى مدرسة المشاه الـبريطانية فنـون القتال وتكتيكاته كقـادة للسرايا المشاه . وفى يـوم الخميس ١١ اكتوبر ١٩٥١ اقتربت السفـينة من شاطئ إيطالـيا وسمعنا أن الانجليـز أنذروا الحكومة المصرية وتـساءلنا هـل يا تـرى ستلغى البعثة ، ونحن مازلنا فى عرض البحر . . وصلنا لـندن بعد اجتياز فرنسا بالسكة الحديد من ميناء مرسـيليا ، وتوجهنا إلى بـلد تسمى WARMINSTER حيث توجد بهـا مدرسة المشاه وعدةّ معسكرات إنجليزية . . . ولما اكتمل عدد ضبـاط الفرقة زاد اضطرابنا نفسيا ، فقد كانوا يتحدثـون مع بعضهم البعـض ناظرين إلينا مـنهم البريطانـى ومنهم الأسكتلنـدى والهندى واليهودى . . نظراتهم كأننا أعداء لهم ومعهم جرائد متنوعه يقرأون فيها أخبارًا عن مصر ، وما بها من أحداث . وفى ليلة من ليالى أكتوبر ، وبالذات يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥١ أقامـــوا حفلاً فـــــى ميس المدرسة سموه Guest - Night واجلسونى وزميلـى اليوزباشى حسن عليش فى مكان الصداره ورفعوا الكؤوس تحية للملك انجلترا ثم للملك مصر ، ورفعت كوب ماء مجاملة لهم ولكـنهم اشمأزوا وتهامسوا واعتذرت لهم بأنى لا أشـرب الخمر وأن ديننا يحرم شـرب الخمر ، وكانت نظراتهم لـنا غير مطمئنـة . . . . ومرت الأيام وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٥١ قرأنا فى الـصحف اللندنيـة عناوين مثيرة عـن مصر وعن الإرهاب فيهـا ضد القوات البريطانية فى قـناة السويس ، وأن تهديدات وصلت إلى زوجات العامـلين الإنجليز فى مصر تحث أرواجهم على مغادرتها وإلاّ ستكون نهايتهم الإلقاء بالبحر بالأكفان .

British wives of Servicemen in The canal Jone have been warned by terrorists to influence their husbands to leave or we will ship them out in coffins

كما علّقت الصحف على يوم الصراع الوطنى فى مصر

Egypt's National struggle Day

Ismailia on tuesday

وتلبد جــو الفرقة وجو العلاقــة مع زملاء البعثة ، وتـغيرت النظرات إلى حــقد أعمق ومشاعر شك كبير وكنت أدعو الله فى صلاتــى أمامهم ، وفى ركن من أركان غرفة المعيشة أن يحمينا ويرعانا ويحفظ مصر ويحقق جلاء المستعمر عنها يا رب .

وفى يوم ٧ ديسمبر ١٩٥١ قرأت في جريدة التايمز الــلندنية أن عبد الفتــاح باشا حسن قرر إلغاء الــبعثات فى انجلتــرا وعودتها بسرعة إلــى مصر ففرحت وحزنــت : فرحت لأنى سأعود إلى الوطن ، وحزنت لأن الفرقة ستلغــى قبل أن تستكمل ، ولم تبق إلاّ عشرة أيام على نهايتها ولكن هذه إرادة الله . . والحمد لله . .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الرابع

إعداد القوى ورباط الخيل مابين

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وثورة اليمن ١٩٦٢

٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢

الفصل الأول

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

اللقاء الأول مع عبد الناصر :

- رسمت القيادة المصرية فى فلسطين بقيادة اللواء المواوى خطة للاستيلاء على منطقة حيوية فى قطاع عراق المنشية تسيطر سيطرة تامة على طرق الاقتراب إلى مستعمرات النقيب اليهودية فى الجنوب بغرض قفل طريق إمدادها من وسط فلسطين . وكان الهجوم الرئيسى تقوم به قوات مجهزة ولديها التسليح القادر على معاونتها فى تنفيذ مهامها بنجاح حيث فشلت هذه العملية مرتين قبل هذا وكانت الخطة الثالثة تستلزم أعمالاً خداعية مظهرية تسبق الخطة الرئيسية أو تلازمها ، واختير الملازم أول عبد المنعم خليل من معكسر إمداد الرجال فى غزة لقيادة هذه الأعمال الخداعية المظهرية وقوامها ٣ ضباط بالإضافة إلى ٣٠٠ صف ضباط وجندى من الجنود حديثى الخدمة والذين لم يصلوا إلى أرض فلسطين إلا منذ ٢٤ ساعة فقط وهم غير مدربين اللهم إلا أن يكون بعضهم قد وصل إلى مرحلة إمكان إطلاق طلقة رصاص من البندقية لى انفيلد الإنجليزية فردية الطلقات وزودت هذه القوة بالبنادق الموجودة فى المعسكر للتدريب وهى بنادق لى انفيلد إنجليزية مخصصة للتدريب فقط ولا تصلح لإطلاق الرصاص أو الفشنك إلا القليل منها !!

وخصصت حملة جديدة من ١٥ لورى مكشوف ، وتم تقسيم القوة إلى مجموعات كل من حوالى ١٠٠ فرد تحت قيادة ضابط محملين فى ٥ لورى وكانت الأوامر تقضى بتحرك القوة ، مع أول ضوء يوم ١٠ أكتوبر ٤٨ من معسكر الإمداد بالرجال فى غزة إلى المجدل شمالاً ثم تتَّجه إلى حصن عراق سويدان ثم الفالوجا ثم عراق المنشية حيث تصدر لها الأوامر الخاصة بتنفيذ باقى المهمة الخداعية . . . . ويكون التحرك حتى عراق

المنشيه فى وضح النهار والجنود ظاهرين رافعين أسلحتهم فى أيديهم كأنها مظاهرة . وأعطى القائد الأوامر لهم بترديد اناشيد وطنية طول الطريق زيادة فى المظهرية وتم التحرك حسب الخطة الموضوعة حتى وصلت القوة إلى عراق المنشية وتوقف الرتل على الطريق فى فواصل طويلة حتى يتلقى القائد المهمة من قائد قوة عراق المنشية وفى هذه الفترة ظهرت طائرة استطلاع يهودية فوق الرتل وأرعبت الجنود ولكنها لم تظهر بعد ذلك !! .

- قابل قائد القوة الصاغ جمال عبد الناصر رئيس عمليات الكتيبة السادسة المشاة فى غرفة ريفية فى قرية عراق المنشية ويروى القائد انطباعاته فى هذا اللقاء الأول كأنه يقابل أحد الصقور القوية ذات العيون الحادة النافذة وكان أول أوامره هو أن نقوم نحن الضباط أولا باستطلاع منطقة العملية المنتظرة فى المحجز وعيّن لنا عربة جيب وعربة لورى وضابط من الوحدة وكان من نفس دفعة عبد المنعم خليل ملازم أول محمود المنياوى وتم الاستطلاع ، وبالطبع كان استطلاعاً سريعاً ولكنه لفت نظر العدو الذى أطلق عدة طلقات من مدفع رشاش تجاه قوة الاستطلاع التى عادت إلى عراق المنشية مرة أخرى حيث كان الأمر الثانى من الصاغ جمال عبد الناصر هو أن تتحرّك القوة إلى منطقة المحجز والمبيت بها والاستعداد للعملية فى اليوم التالى . . . وبعد ٢٤ ساعة ألغيت العملية وصدر الأمر بالعودة رغم وصول أعداد كبيرة من الهاون ٨١ مم وذخيرته وبنادق لى انفيلد جديدة ولم نستطع استخدامها خوفا من انفجارها فينا لأننا علمنا أن مثلها انفجر فى مدرسة المشاة والأسلحة الصغيرة بمصر وقتل على أثرها البكباشى مهران وعدد من ضباط الصف وقيل أنها فاسدة وأن فاروق شخصيا تعاقد على شرائها من الخارج لتدعيم الجيش المصرى بها !!

اللقاء الثانى مع عبد الناصر :

فى ٢٨ فبراير ١٩٤٩ اجتمع فى رفح المصرية فى عنبر من عنابر معسكر رفح الإنجليزى جميع العائدين من الفالوجا وعراق المنشية مع زملائهم فى الكفاح ، بعد حصار دام ١٢٥ يومًا لقوات الفالوجا وعراق المنشية عقب الهجوم الإسرائيلى الكبير فى ١٦ اكتوبر ١٩٤٨ ، وعندما عقدت هدنة مصرية / إسرائيلية ، أفرج الإسرائيليون بعدها عن هذه القوة بقيادة الأميرألاى السيد طه (ضبع الفالوجا الأسود) وتم هذا اللقاء وتكلم فيه قائد القوات المصرية فى فلسطين فى هذا الوقت ، اللواء أحمد فؤاد صادق ، وحضره مع ضباط مصر

أخوانهم من ضباط الفالوجا وكان منهم الصاغ جمال عبد الناصر . وفى هذا اللقاء ظهرت نبضات الوطنية ودقت أجراس الانذار بأن في السويداء رجال من حديد وكانوا مستعدين للكفاح والثورة ضد الظلم والجبروت ، ولما عادت القوات إلى أرض الوطن بدأت عجلة التحرك للثورة تدور فى الخفاء ، وكانت المنشورات توزع بكميات كبيرة على كل ضابط الجيش المصرى توضح الفساد والاستغلال وقصص الأسلحة الفاسدة مع إنحطاط الاخلاق وتحطيم المثل العليا وهكذا انتشرت موجة الحقد الدفين وعدم الرضا ، وأشرقت شمس الأمل بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر على ثلاثة أسس بناء وثلاثة هدم وأهم أسس الإقامة كان إقامة جيش وطنى قوى وحياة ديمقراطية سليمة وعدالة اجتماعية وهى من أسس إعداد القوى وبدأت الثورة تعد لبناء قوتها الذاتية وتحقيق اهدافها وجاء عام ١٩٥٥ وقد تمكنت مصر من عقد صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية لدعم قواتها المسلحة ، ولكن قامت الدنيا ضدها ، واعلنت إسرائيل أن مصر ستستخدم هذه الاسلحة ضد أمن إسرائيل فى عام ١٩٥٦ .

وكانت حالة الحرب مازالت قائمة بين مصر وإسرائيل وقد منعت مصر السفن الإسرائيلية وحتى البضائع المشحونة على سفن أجنبية ، من المرور عبر قناة السويس إلى إسرائيل (إيلات) ، كما فرضت حصاراً بحريًا على مضيق تيران لتحقيق هذا المنع ، كما نجحت الثورة فى مفاوضتها مع بريطانيا على الجلاء النهائى عن مصر فى يونيو ١٩٥٦ ، وبهذا انتهى الاحتلال العسكرى المؤقت لمصر والذى استمر قرابه ٧٤ عامًا !

محاولة الاستعمار تحطيم إعداد القوى المصرية والعربية :

فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم الشركة العالمية شركة قناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية ، وأعلن أن مصر ستستخدم أموال هيئة قناة السويس وعائد رسوم القناة فى تنفيذ مشروع السد العالى ، الذى وافقت روسيا على إقامته بفائدة سنوية قدرها ٣ ٪ فقط . واعتبرت كل من بريطانيا وفرنسا هذا العمل تهديدًا للسلام العالمى وتهديدًا لطريقهما إلى بترول الشرق الأوسط ، فقررتا استخدام القوة عند الضرورة ليلغى

عبد الناصر هذا القرار ، أمـا إسرائيل فقد كانت تضيق بالحصار البحـرى على مضيق تيران ومنع سـفنها من الـعبورة فى قناة الـسويس ، كما خـشيت من الدعم السوفـيتى والأسلحة التشيكية التـى ستعطى مصر القـدرة على تهديد إسرائيل ، كما أنها لم تعد تحتمل الأحوال التى أصبحـت لا تطاق مع جيرانهـا العرب ، ولا يمكن تسوية هـذه الحالة إلا بالحرب ، وفعلا تم الاتفاق بين فرنسا وانجلترا وإسرائيـل علـى خطة العدوان الثلاثـى علـى مصر فـى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

فكان هدف الحلفاء الثلاثة مختلفًا من هذا العدوان إذ عملـت إسرائيل على تدمير جيش مصر ، وفك حصـار مضيق تـيران وتطوير ميـناء إيلات كمـيناء بـحرى مهم للاقتصاد الإسرائيلى . واطمأن بالها من الاعمال الفدائية طالمـا يوجد على حدودها قوات طوارئ دولية تحميهـا !! أما بريطانيا وفرنـسا فلم يحققا أهـدافهما العسكـرية كما خسرتا الموقـف سيًاسيا أيضًا . ورغم أن مصر لم تحقق انتصارًا عسكريـاً فقد نجحت فى إظهار قدرة الجندى المصرى وصموده وصـبره وشجاعته فـى صد هذا العدوان ، فى مـناطق ممر مـتلا وأبو عجيلة وفى بورسعيد . . وعادت قوات بريطانيا وفرنسا إلى أوطانها . .

سوريا :

ولـم تستـطع سوريا بعد هزائم ١٩٤٨ أن تعد القوى نظرا لكثرة القـلاقل التى لاحقتها داخـلياً وخارجياً ، وقد وقعت بها ثلاثـة انقلابات فى عام ١٩٤٩ ، ثـم انقلاب فى آخر عام ١٩٥١ ، ثـم فى غام ١٩٥٤ ، ثـم فى عام ١٩٥٥ . وكان القـادة العسكريـون هم قادة تلك الانقلابات التى أشاعت الفوضى الإدارية والقيادية فى صفوف قواتها المسلحة ، وفرّقت قواتها إلى أحزاب وشيع وجماعات متنافرة .

الأردن :

شهد الأردن بعد هزيمة ١٩٤٨ نهاية الملك عبد اللـه بإغتياله على مدخل المسجد الأقصى فـى يوليو ١٩٥١ على يد اتباع خصـمه القديم أمين الحسيـنى . وخلف عبد اللـه ابنه طلال ولكن الـبرلمان الأردنى خـلع ذلك الملـك لمرض عقلـى بعد ثلاثـة عشر شهـرًا ، وفى ١١ أغسطس ١٩٥٢ نودى بإبـنه حسين ملكا وهو فى الـسابعة عشر من العمر وتوّج مـلكا على الأردن فى مايو ١٩٥٣ ، وظلّت المـملكة الأردنية الهاشـمية بقيادة الملك حـسين تحاول إعادة تنظيم الجيش الأردنى ، مع مقاومـة الاضطرابات التى اهتزت لها عمان عام ١٩٥٤ إحتجاجًا

على اشـتراك الاردن فى حلف بغـداد . وقد اضطر الملك حـسين إلى فصل الجنـرال جلوب والضباط البريطانيين من الجيش الأردنى تحـت ضغط عربى ، وكانت قوات الفدائيين العرب من الفلسطـينيين تقوم بإغارات خاطفة داخـل إسرائيل مركزة نشاطها فـى مناطق الحدود بين إسرائيل والضفة الغربية للأردن وقد أدى ذلك إلـى اشتباكات بين القوات الإسرائيلية وقوات الحدود الأردنية .

العراق :

بعد انتـهاء حرب ١٩٤٨ استـمرت دلائل القلق الـداخلى ، وبدأ يتـصاعد مع العنف الشديد وقامت جموع الشعب العراقى باضطـرابات أطاحت بالحكومة وفى العام التالى تولى نورى السعيد رئاسة الحكومة ، وفى ٢ مايو ١٩٥٤ تولى الملك فيصل الثانى سلطاته وتم عقد اتفاقية دفاع مشـترك مع تركيا ، ثم أصبح حلف بغداد خلال عام ١٩٥٥ إطارًا لمنظمة تنضم إليه إيران وباكستان مـع بريطانيا ، ولكن زعامة عبد الناصر ونفوذه هاجمت قيام هذا الحلف فولد ميتا !!

وهكذا كانت العراق أيضا مـشغولة بمشاكلها والاستعمار البريطانـى الرابض على قلبها يمنعها من إعداد القوى ورباط الخيل لتثبت أقدامها فى مواجهة الخطر الصهيونى القادم !!

لبنان :

التهب الصـراع الدينى بين المسلمين والمسـيحيين ، ووقعت القلاقل والاضـطرابات التى أطاحت بالرئيس اللبنانى فى الثـامن عشر من شهر ٩ / ١٩٥٢ ، وبـالطبع لا استعداد ولا اعداد لاى قوى . ولم يكن لـدى الحكومة اللبنانية أية نية فى أن تتورط فى حرب أخرى مع إسرائيل .

الفصل الثانى

الجولة العربية الإسرائيلية الثانية

حرب العدوان الثلاثى على مصر

(٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ - ٧ مارس ١٩٥٧)

المقدمة :

لم تشعر حكومة إسرائيل أنها اقتنصت كفايتها من الأرض العربية ، عندما انتهت حرب فلسطين ، ولهذا ظلّت تترقّب وتتربّص انتظاراً للفرصة التى قد تسنح يوماً ما .

وعندما كسرت مصر احتكار السلاح وحصلت على الصفقة التشيكية الضخمة صح عزم إسرائيل على خوض جولة حتمية قبل أن تستوعب القوات المسلحة المصرية تلك الأسلحة الكثيرة وتتقن القتال بها فتصبح مصدر خطر عليها .

فلما أمَّمت مصر شركة قناة السويس جاءت الفرصة التى ظلّت تترقبها ثمانية أعوام .

وكانت حرب فلسطين قد أثارت فى المعسكر العربى كثيراً من الجدل ، الذى تاه بين ظلمات المذاهب العسكرية الغامضة بينما راح كل جيش عربى يضبط أساليبه القتالية بما يتسق مع وجهة نظره دون أن يمتلك فكرة واضحة عما يعتنقه من المذاهب ، أو يهتم باستخراج الدروس المستفادة عن النتائج ، أو يحاول دراسة أخطاء تطبيقها فى الميدان من خلال المعارك السبع والستين التى اشتملت عليها حرب فلسطين .

فواصل الأردن والعراق الالتزام بالمذهب العسكرى البريطانى فيما يتعلق بالمسائل التكتيكية ، دون أن يهتم بما فوق ذلك من قضايا تعبوية أو إستراتيجية ، رغم ما كشف عنه سجل حرب فلسطين من نكبات نتيجة الجهل بهذين المستويين .

وعلى حين اختلط المذهب البريطانى بالمذهب الفرنسى فى المدرسة العسكرية السورية فقد اعتنق جيش لبنان الصغير مذهباً دفاعياً منعزلاً . أما مصر الشقيقة الكبرى التى أرهقتها المشكلة الفلسطينية بالأحمال السياسية والاقتصادية والروحية فقد اجتاحتها موجات عارمة من المشاعر الوطنية مع مطلع الخمسينات ، جعلت للمسائل العسكرية المقام الأول فى اهتمامات الدولة والشعب وحاول الملك فاروق تطوير جيشه باستخدام بعض جنرالات ألمانيا للاستفادة بخبراتهم إلاّ أن تلك المحاولة لم تنجح .

وانبرى كل جيش عربى بعد هزيمة ١٩٤٨ يبحث عن السلاح دون أن يواكب هذا الاهتمام الكبير اهتمام مماثل بامتلاك نظرية قتالية أو مذهب عسكرى يناسب مسرح الحرب ، أو شكل القتال المنتظر فيه .

وفى الوقت نفسه انبرى الكيان الصهيونى فى تنشيط موجات الهجرة إلى فلسطين جنباً إلى جنب إجلاء سكانها العرب منها ، وأصبح واضحاً أن عمليَّة تهويد الأرض لتحقيق الأغلبية العددية أضحت مسألة أعوام قليلة .

وبقيام الثورة فى سوريا عام ١٩٤٩ ، ثم فى مصر على عام ١٩٥٢ جدّ البحث عن أساليب أكثر فاعلية لتخطيط وإدارة الصراع المسلح مع الصهيونية ، التى جسَّدت لأول مرة خطرًا حقيقياً من الداخل فى منطقة الشرق الأدنى ، بعد أن كانت كل الأخطار تفد إليها من الخارج .

وأصبحت شبه جزيرة سيناء الفاصل الأرضى بين العدو وقناة السويس التى لا تبعد عنه سوى ٢٠٠ كيلو متراً فقط ، والتى تعتبر الممر الرئيسى للنفط العربى بين مصادره بالخليج ومستهلكيه بأوروبا الغربية .

وعندما تصدَّت الاستراتيچية المصرية لمشكلة اختيار أفضل الخطط للدفاع عن الاتجاه الاستراتيچى الشرقى انتهجت أسلوب الدفاع الثابت عند الحدود مباشرة رغم نصيحة الخبراء الالمان بتركيز الدفاع فى وسط وغرب سيناء ، عند سلسلة المضايق الجبلية التى تبعد ٤٥ - ٦٠ كيلو مترًا شرق القناة ، وتستند إلى مستنقعات ساحل البحر المتوسط فى سهل الطينه شمالاً ، وبكتلة هضبة العجمة الصخرية فى الجنوب بما يكفى لنشر ستارة خفيفية من القوات الآلية لتوفير الإنذار المبكر باقتراب العدو .

وقد أوصى هؤلاء الخبراء الألمان بتجهيز المنطقة بين بير الجفجافة والحدود الشرقية

كأرض قتل لأية قوات إسرائيلية تخترق سيناء الشرقية فى طريقها إلى قناة السويس ، إلا أن الرئيس جمال عبد الناصر رفض تلك النصيحة وأصر على أن يستمر الدفاع فى أقصى الأمام لدواعى الهيبة ، مما كلفه فقد تـلك الهيبة مرتين فيما بين عامى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وإن جاءت الثانية أشد وأنكى من الأولى .

وليس هناك إلا ثلاثة ممرات جبلية وعرة تربط بين سيناء الشرقية وسيناء الغربية ، كان يكفى عدد قليل من الجنود والأسلحة لأن يـقام بهم هيكل دفاع حصين فى وجه العدو ، إلا أن وصول الخبراء السوفيت أجهض تلك الفكـرة إذ اعتنقوا بدورهم فكرة الدفاع قرب الحدود الشرقية ، علـى أن تكون تلك الدفاعات بعمـق كبير ، وعلى ثلاثة أنساق ، تـدعمها نيران المدفعية الكثيفـة ، وفات عليهم أن التفوق الجوى الإسرائيلى لن يتـيح لتلك الأنساق المناورة بالقوات فى الصحراء المكشوفة .

تحرير الإرادة المصرية :

تقلّص الوجود العـسكرى البريطانى فى مصـر بعد الحرب العالمية الثانـية داخل قاعدته البريّة حول قناة السويس ، مع خفض عدد جنوده إلى سبعين ألفاً فقط . وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ راحت تـنفخ في روح الشعب ضد الوجـود الاستعمارى البريطـانى علي تراب الوطن ، حتى أبرمت معاهدة ١٩٥٤ التى قضت بجـلاء كافة القوات البريطانية بعد احتلال عسكرى مؤقت جثم على صدر مصر ٧٤ عاماً .

وبالمقابل راح اهتـمام الولايات المتحدة بمصر يتنامى منذ منتصف الخمـسينات ، حيث أبدت رغبـتها فى مـلء الفراغ الذى ترتـب على جلاء الـبريطانيـين ، كما وعدت بـتقديم المساعـدات المالية ، والإسهام فـى بناء السد الـعالى على نـهر النيل جنـوب أسوان ، وهو المشـروع الذى كان المصـريون يعتـبرونه الحلـم المنشـود لحل غالبـية مشكـلاتهم الزراعـية والاقتصاديـة ، فضلاً عــن تطويـر الوطن ورفــع مسـتوى الشعب . ولـم تـكن الولايات المتحدة تغفل عـــن تطلّـــع الاتحاد السوفيتى إلى بسط نفـوذه فى مصر ، ولذا كانت شديدة الحذر من أنشطته بالمنطقة .

ومنذ أصدرت مع بريطانيا وفرنسا الإعلان الثلاثى عام ١٩٥٠ لتقييد توريد السلاح إلى بلدان الشرق الأوسط بالقدر الذى يكفى حفظ الأمن والاستقرار الداخلى فيها ، وجد الإتحاد السوفيتى فـرصته لكسب ود الدول العربية بـالاستعداد لإمدادها بالسلاح الذى منـعته عنهم ترسانات الدول الغربية .

وفى أغسطس ١٩٥٥ نجح الرئيس عبد الناصر فى عقد صفقة السلاح التشيكوسلوفاكى الشهيرة ، والتى بلغ حجم ما وصل منها إلى مصر فى يوليو ١٩٥٦ مائة طائرة ميج ، وخمسين قاذفة اليوشن ٢٨ ، وثلاثمائة دبابة ت ٣٤ ، وخمسمائة مدفع ، ومدمرتين ، وأربع سفن كاسحة الغام ، وعشرين لنشاً قاذفاً للصواريخ من طراز أوسا وكومار . وقد أحدثت تلك الصفقة الضخمة دويا هائلا وانقلاباً حقيقياً فى موازين القوى بالمنطقة لصالح مصر ، مما أثار إسرائيل وأزعج الولايات المتحدة التى بادرت بإلغاء وعدها بتمويل السد العالى ، ونوَّهت بضعف الاقتصاد المصرى الذى لا يقوى على تحمُّل مثل هذا الإنفاق العسكرى الضخم على الأسلحة والمعدات الحربية .

ورداً على ذلك أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ لتسهم مواردها فى تمويل بناء السد العالى ، ففقد السير أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا والمسيوجى موليه رئيس وزراء فرنسا السيطرة على نفسيهما وراحا يتوعدان مصر ، ويعلنان ضرورة إعادة احتلالها ، ثم بدأت بريطانيا فى تعبئة قواتها لشن حملة عسكرية ضد مصر لإسقاط الرئيس عبد الناصر ، بينما بذل الرئيس إيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس النصيحة بالتريث وضبط النفس .

تورُّط فرنسا :

ونظراً لما كانت تملكه فرنسا من أسهم كثيرة فى شركة القناة إلى جانب إشرافها المباشر على إدارتها فقد عمدت يوم ١٣ أكتوبر إلى عقد مؤتمر مشترك مع بريطانيا للبحث فى وسائل استمرار هيمنتها على شؤون القناة ومواردها .

وكانت فرنسا تعانى منذ عام ١٩٥٤ من اشتعال الثورة فى الجزائر التى أكدَّت لها مخابرات الموساد الإسرائيلية أن القاهرة تقف وراءها بالسلاح والمدربين والأموال ، فإذا ما سقط الرئيس عبد الناصر جف ذلك المعين المتدفِّق وانطفأت الثورة .

وكرد فعل على مساندة القاهرة للجزائر قامت فرنسا بتزويد إسرائيل بالأسلحة والطائرات الحديثة ، ثم راحت تحث بريطانيا على شن عملية غزو بحرى كبرى . سرعان ما بدأ الطرفان يحشدان لها القوات والمعدات فى كل من جبل طارق والجزائر ومالطه وقبرص .

إرهاصات العدوان الثلاثي :

ومع بداية خريف ١٩٥٦ تجسَّد غضب لندن وباريس على القاهرة فى شكل عملية غزو برمائى تحت اسم « موسكتير » لاحتلال مصر وإسقاط حكومتها وإعادة الهيمنة على شركة قناة السويس . وسرعان ما اقتنصت إسرائيل الفرصة السانحة فأبدت استعدادها لتوفير المبرر لهذا العدوان بشن حملة لاحتلال شبه جزيرة سيناء تستهلها بإفتعال حالة صراع مسلح على مشارف القناة تعرضّ الملاحة فيها للخطر ، مما يفتح الطريق للقوات الأنجلو فرنسية للتدخل تحت الزعم بالحرص على سلامتها واستمرار تدفق قوافل السفن عبرها .

التواطؤ :

وتحت ستر ظلام ليلة ٢٤ اكتوبر ١٩٥٦ اجتمع مندوبو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى خفية عن الأعين ليمهروا وثيقة سيفر التى وزَّعت عليهم الأنصبة فى العدوان المبيَّت على مصر ، فكلَّف الطيران البريطانى بتدمير طائراتها ومطاراتها ، والطيران الفرنسى بالدفاع عن سماء إسرائيل ، وجيشهما بالغزو البحرى ، والجيش الإسرائيلى بخلق الذريعة لشن العدوان الأنجلو فرنسى ، ثم احتلال شبه جزيرة سيناء .

ولم يقتنع بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل بشن هجوم محدود ضد مصر ، بل ظل يصر على احتلال الضفة الغربية للأردن ، ومد سيطرة إسرائيل حتى مياه الليطانى بجنوب لبنان ، إلا أن أنتونى إيدن رفض الفكرة رفضاً قاطعاً لما يربط بين بريطانيا والأردن من مواثيق سياسية وعسكرية تقف فى وجه مؤازرة مثل هذا العدوان على الأردن أو السكوت عليه .

وقد قضى التواطؤ الذى نص عليه بروتوكول سيفر سالف الذكر أن تستهل إسرائيل العدوان بضربة برية عميقة داخل سيناء ، تعرِّض قناة السويس للخطر الذى يجيز للقوات الأنجلو فرنسية التدخل الحميد لوقايتها . وبعد ٢٤ ساعة يصدر الإنذار الأنجلو فرنسى لمصر وإسرائيل بوقف القتال على مشارف القناة ، والإنسحاب لمسافة ١٠ أميال بعيداً عنها ليفسحا المجال للغزو البحرى الأنجلو فرنسى للفصل بينهما كقوة لحفظ السلام .

ولم تكن القاهرة تستطيع قبول هذا الإنذار الذى يطالبها بالانسحاب غرب القناة ، بينما يترك إسرائيل تتقدم من الحدود الشرقية إلى مشارف القناة ، فضلاً عما يحمله الإنذار أيضا من تصميم على عودة القوات البريطانية إلى قاعدة القناة التى لم يمض على انسحابها منها سوى ثلاثة شهور فحسب بعد احتلال « مؤقت » دام ٧٤ عاماً .

واهتم أطراف التواطؤ الثلاثى أن يحجبوا سرهم عن الرئيس أيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس ، خاصة وأن أيزنهاور كان على وشك خوض انتخابات الرئاسة يوم ٦ نوفمبر تحت شعار « الدعوة إلى السلام » .

وقد برز دالاس وقتها كمناوئ شديد المراس للسياسة الأنجلو فرنسية ، ومعارض رئيسى لجنوحهما إلى الحرب ، فلم يأل وسعاً فى تحذيرهما من مغبة المقامرة بالسلام الدولى ، كما أفهمها أن الرئيس أيزنهاور قد أطلق يده فى كل أمور السياسة الخارجية .

ونعلم اليوم مما تم نشره من وثائق أن مزاعم دالاس تجافى الحقيقة ، إذ ظل الرئيس أيزنهاور يمسك بدفة السياسة الخارجية بحزم ، ولم يترك لدالاس سوء مهام التنفيذ . وقد وجه إيزنهاور تحذيراً لإسرائيل يوم ٢٧ أكتوبر ألا ترتكب عدواناً على مصر ، إلا أن بن جوريون وجد أن الوقت أصبح متأخراً جداً للتراجع عما اعتزمه وتأهّب له جيشه . فلما حل مساء الأربعاء ٢٩ اكتوبر كانت كتيبة المقدم روفائيل إيتان المظلّية رقم ٨٩٠ تسقط فوق المدخل الشرقى لممر متلا على بعد ٦٥ كيلو متراً من الضفة الشرقية للقناة ، كإشارة البدء للعدوان الثلاثى على مصر الذى دمغة التاريخ باللاأخلاقية والإنتهازية الذميمة .

إستراتيجية إعداد القوى المصرية :

لم تكن القوات المسلحة المصرية تتجاوز وقتها المائة ألف جندى ، لم يستوعبوا بعد ما وصلهم من أسلحة ومعدات شرقية منذ أربعة شهور فقط . وقد تشكّلت القوات البرية فى عشرة لواءات من المشاة المترجلة ، وثلاثة لواءات مدرعّة أحدها تحت التشكيل ، ولواء مظلى واحد ، وبعض كتائب المدافع ومدافع الماكينة المضادة للطائرات ، والمدفعية الساحلية بكل من الإسكندرية وبورسعيد والعريش وغزّة وشرم الشيخ بمدخل خليج العقبة .

وكانت تلك القوات تملك وقتها نحو ٦٥٠ دبابة ، و٤٠٠ مدفع ميدان مختلف الأعيرة ، و٢٠٠ مدفع مضاد للطائرات ، و٢٠٠ عربة مدرعة طراز (BTR-40) ، و٤٠٠ عربة استطلاع صغيرة بريطانية الصنع ، وحوالى ٥٠٠ حمألة برن .

أماً القوات الجوية فكانت تضم ٢٠٠ مقاتلة أغلبها من طراز الميج - ١٥ ، وقلّة من طراز الميج - ١٧ ، و٧٩ قاذفة أغلبها من طراز اليوشن - ٢٨ إلى جانب بعض طائرات التدريب والنقل والمواصلات .

وفيما يتعلق بحاميتى سيناء وقطاع غزة فكانتا تضمان عادة أربع فرق قوامها ٦٠ الف مقاتل ، سحب أغلبها غرب القناة مع بداية تجُّمع سحب الأزمة الدولية فلم يبق منها سوى ٦ كتائب مشاة لا يتجاوز عدد أفرادها ٦ آلاف مقاتل .

هذا . . وقد تم دفع نحو ١٠ آلاف مقاتل من القوات المدرعة والخفيفة إلى سيناء خلال اليومين الأولين للحرب لتعزيز تلكما الحاميتين الصغيرتين اللتين وقع عليهما ثقل العدوان الصهيونى المسنود بالجهد الجوى والبحرى والفرنسى .

أما الحرس الوطنى المصرى فكان مسلحاً بالأسلحة الصغيرة فقط ، وقد صار نشره فى عناصر قليلة العدد على أماكن متفرّقة من سيناء . وبينما كانت حامية غزة يطلق عليها مجازاً اسم الفرقة ٨ المشاة فإن حجمها لم يكن يزيد على لواء مشاة غير كامل المرتب ، كما كانت الفرقة ٣ المشاة تحتل دفاعات سيناء بكتيبتى مشاة في كل من أبو عويقيلة ورفح والعريش ، وكتيبة واحدة بشرم الشيخ .

هيكل الدفاع عن سيناء وقطاع غزة :

تحكّمت المواقع الدفاعية سالفة الذكر فى محاور سيناء الرئيسية قرب الحدود ، إلا أن هيكل الدفاع لم يسلم من بعض العيوب ومن أهمها تعرّض أجناب ومؤخرة الدفاعات للالتفاف حولها وتطويقها ، وطول خطوط مواصلاتها مع المؤخرة ، وخلو تلك المؤخرة من القوات بصورة تكاد تكون كاملة ، وافتقار كل المواقع الأمامية إلى المرونة التى لا غنى عنها فى حروب الصحراء .

ولم يكن هيكل الدفاع جنوب القصيمة يتلاءم أيضاً مع قواعد حرب الصحراء إذ ترك الفرصة للعدو لتطويقه أو الالتفاف حوله والاستمرار فى الزحف نحو قناة السويس على نحو ما فعل العقيد أرييل شارون بلوائه المظلى ٢٠٢ ، الذى اندفع به من الكونتلا لينضم إلى كتيبته التى اسقطها عند المدخل الشرقى لممر متلا .

وفيما يختص بدفاعات منطقة شرم الشيخ ورأس نصرانى فقد كانت كافية لتأمين عملية التفتيش البحرى ، لمنع سفن إسرائيل من دخول خليج العقبة أو الخروج منه إلا أن موقفها كان بالغ الحرج عندما تمكنت قوات العدوان من انتزاع السيطرة الجوية والسيطرة البحرية على مدخل خليج العقبة ، فانعزلت تلك القوات بلا معين .

ديناميـة العدوان :

أولاً : الهجوم الإسرائيلى :

دفعت الأركان العامة الإسرائيـلية بثمانية لواءات للهجوم على شبـه جزيرة سيناء وقطاع غزة ، منها خمسة مشاة واثنان مدرعات وواحد مـحمول جواً . كما احتفظت بخمسة لواءات أخرى فى الاحتياطى العام ، ولتثبيت باقى الجبهات .

وكانت تلك اللواءات الثمانية ذات خفّة حركـة عالية بفضل تزويدها بالمركبات الفرنسية التى وصلتها قبل بدء العدوان ، وكذا سيارات الأهالى لحمل الجـنود المشاة والمخازن الإدارية والفنية .

وقد بدأ العـدوان بإسقاط ٣٩٥ مظلى عـلى المدخل الشرقـى لممر متلا فى تمـام الساعة الخامسة ، عصر يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ لـيحتلوا المضيق ويتمسكـوا به إلى أن يصلهم بـاقى اللواء ٢٠٢ المظلى ، الذى اخترق الحـدود عند الكونتـلا فى نفس الوقت متـجهاً إلى التمد فنخل فممر متلا ، وأعـلنت محطة الإذاعة الإسرائيلية أن جيشها دخـل سيناء ليتقضى على أوكار الفدائيين .

وفى نفـس هذا اليوم مـساءً زحفت اللـواءات الإسرائيلـية الأخرى صوب دفـاعات أبو عويقيلة ورفح وقطاع غزة .

ثانياً : صدور الإنذار الانجلو فرنسى :

فـى مساء الثلاثاء ٣٠ اكـتوبر ، وطبقاً لما سبق الاتفاق علـيه فى بروتوكول سيفر صدر الإنذار الأنجلو فرنسـى لكل من مصر وإسرائيل بالانـسحاب بعيدًا عن قناة السـويس بعشرة أميال . ومن الطبيعى أن تقبله إسرائيل إذ يتيح لها التقدم نحو مائتى كيلو متراً نحو القناة ، بينما ترفضه مصر التى يطالبها بالانسحـاب أكثر من مائتى كيلو مترًا من حيث توجد قواتها المقاتلة عند الحدود الشرقية لسيناء .

أماّ الـرأى العام العـالمى فقد استـهجنـه وأحس أن وراءه غدرًا مبيّتا لمصر ، فـتحول بعواطفه نحوها ، وراح ينتظر بكل الاهتمام ما سوف تكشف عنه الساعات التالية .

ثالثاً : الضربة الجوية المركزة :

وما إن حل ظلام لـيلة الأربعاء ٣١ اكتوبر ، حتى انـقضت طائرات الكانبرًا البريطانية

على مطارات مصر ، تقصفها بقنابلها فتدمرً نحو ٢٦٠ طائرة وهى جاثمة على الأرض . وقد اشتركت بعض الطائرات الفرنسية في هـذا الهجوم الجوى الذى راحت ضحيته سبع طائرات فقط أسقطتها وسائل الدفاع الجوى المصرى ، فكانت ثمناً زهيدًا لما حققته الضربة الجوية من انتزاع السيادة الجوية غير المنازعة فى سماء المسرح .

وبهذا أصبحت القـوات المصرية بسيناء دون غطاء جوى فى تلك الـصحراء المكشوفة ، بينما طائرات فرنسا تحمى سماء إسرائيل ، وأسطولها يقصف بمدافعه الثقيلة دفاعات رفح كما يقصـف أيضاً المدمرة إبـراهيم الأول ، ثم يـتيح لبحـارة إسرائيل اعتـلاء سطحهـا لأسرها والتوجه بها إلى ميناء حيفا .

رابعاً: الانسحاب العام من سيناء :

عند هذه اللـحظة فقد أحد أعضاء مجلـس قيادة الثورة السابقة زمـام أمره ونصح زملاءه بتسليم أنفـسهم للسير همفرى تريفليـان سفير بريطانيا بالقاهرة ، الذى كـان يستعد لمغادرة البلاد وقتها ، كما هرع بعض ساسة العهد الملكى إلى مبنى مجلس الوزراء بالقاهرة يطالبون بإنقاذ مـــا يمكن إنقـاذه ، وتخلى الوزارة عن الحـكم ترضية لإنجلـترا وفرنسا حتـى يوقفان الهجـوم . وكان رد الرئيس عبـد الناصر حاسمـاً إذ نحى زميله عـضو مجلس قيـادة الثورة السابقة وهدد أولئك الساسة بالاعتقال وسوء المـآل فهرولوا منصرفين . ثم صعد عبد الناصر منبر مسجد الأزهر يوم الجمعة ٢ نوفمبر ، ليـعـلن بكل إصرار وشجاعة عن عزم مصر على مواصلة الحرب حتى النصر .

وشعرت الزعامة السياسية بما يقصده العدوان ، الذى بدأ باستدراج جيش مصر إلى فخ ينصبه لـه فى أعماق سيناء لينـزل الغزو البحرى فـى مـؤخرته فيقطع عليـه طريق الاتصال بقاعدته الرئيسية بالدلتا والقاهرة توطئة لتدميره .

ولم تكن القوات الإسرائيلية قد حققت نصرًا يذكر حتى تلك اللحظة ، بل كانت أشبه براكب الدراجة الذى يصعـد التل ممسكًا بعربة تصعد أمامه علـى نحو وصف موشيه ديان ، وهو يطـمئن مرؤوسيه قـبل العدوان بسهـولة مهامهم الـقتالية بفـضل ما سوف يقدمـه لهم الجيشان البريطانى والفرنسى وسلاحهما الجوى والبحرى من معونة .

وهكذا وصلت قوات إسرائيل إلى الجفجافة عصر يوم ١ نوفمبر ، ثم إلى ممر متلا مساء ٢ نوفمبر لتـجد اللواء ٢ المشاة المصرى قد أخلاه تمامـاً وانسحب غرب القناة مثلـما انسحبت غالبية قوات الفرقة ٣ المشاة من دفاعات رفح وأبو عويقيلة والعريش .

أمّا مدخل خليج العقبة بشرم الشيخ فلم تصلـه طلائع اللواء ٩ الميكانيكى بقيادة العقيد أبراهام يوفيه إلاّ ضحى ٥ نوفمبر ، بعد أن عانت القـوات المصرية من عنف الغارات الجوية التى لم تتوقف عن قصفها على امتداد اسبوع كامل .

خامساً : الغزو البحرى الانجلو فرنسى :

قصر تخطيط عملية غزو بورسعيد بحرًا عام ١٩٥٦ عن تحقيق مثل ذلك المستوى الرفيع الذى سبق للحلفاء أن حـققوه عـام ١٩٤٤ فــى خطة غزو نورماندى ، بقـوة أضخم مئات المرات ، وضد عدو أقوى وأكـثر شراسة . كما شاب تنـفيذ تلك الخطة كثـير من الارتباك وتضارب الآراء والتوقف عن العمل ثم ، التعديل والتغيير قبل استئناف القتال .

لقد سارت عملية حشد سفن وقوات الغزو فى جبل طارق والجزائر ومالطة وقبرص على أسوأ صورة بسبب النـقص الخطير فى ضباط الأركان الاكفاء . وتدنــى الخبرة والدراية بمثل تلك العمليات المعقدة ، رغــم أنه لم يكن مضى سوى ١٢ عاماً على الـغزو البحرى الهائل لساحل نورماندى .

ربما يعود سبب ذلك إلى انشغال القوات البريطانية والفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية فى كبت حركـات التحرر التى اشتعلت فى غـالبية المستعمرات ، مما أنسـاها صنعة الحرب الحقيقية .

لقـد كـانت « موسكيتير المـعدَّلة » خطة بريطانيـة الهوية ، كمـا كان قـائدها الجنرال تشارلز كيتلى ، وقائد قواتها البرية السير هيوستوكويل ، والبحرية الأدميرال روبين سلاتر ، وقائدها الجوى الماريشال دنيس بارنيت كلهم بريطانيون ، وكان نوابهم فرنسيين ، الأدميرال بيير بارجو والجنرال أندريه بوفر ، والأدميرال لانسيلوت ، والبردجادير بروهان على الترتيب

ومنذ الاجتـماع الأول لهؤلاء القادة بمـركز القيادة بأسـكوبى بجزيرة قـبرص ، اصطدم البطء والبرود البريطانى المعهود بالعجلة والعصبية الفرنسية فكثرت المجادلات والمشاحنات ، التى سببت كثيراً من مـشاعر البغضاء حتى بلغت ذروتها ليلة ٣ نوفـمبر بما استدعى تدخل رؤسائهم ووصول أنتونى هيـد وزير الحربية البريطانى ، لتهدئة النفـوس التى ملأتها مشاعر الكراهية لزملاء التواطؤ بالازدراء ، لاسيمـا بعد أن اكتشف الجانب البريطانى أن الفرنسيين **يتآمرون مع الإسرائيليين من وراء ظهورهم !**

كما لـم يتوقف الضـباط الفرنسـيون عن الشكوى مـن كثرة التعـديلات التى يدخـلها

البريطانيون على الخطة بلا داع ، فضلاً عن تكرار التأجيل والتسويف والتعديل فى التوقيتات السابق الاتفاق عليها . كما كانت عملية الغزو تختلف فى كثير من أمورها الشكلية والموضوعية ، إذ بلغ حجم القوة الفرنسية ٨ آلاف مقاتل من أفضل الجنود ذوى الكفاءة القتالية العالية المستمدة من مسرحى فيتنام والجزائر ، بينما القوة البريطانية الأكبر عدداً والتى تشتمل على ١٣ الف مقاتل تنقصهم خبرة القتال ، والرغبة الحقيقية فى خوض المعارك .

وقد وقع الاختيار على جزيرة قبرص التى تبعد ٣٨٠ كيلو متراً شمال بورسعيد ، ومالطة التى تقع على مسافة ١٧٩٠ كيلو مترًا غربها ، وجبل طارق التى تبعد عنها بنحو ٣٥٧٩ كيلو مترًا ، ثم جنوب شرق الجزيرة البريطانية وجنوب فرنسا الذاين خرجت منهما بعض سفن الغزو ، وقد تطلّب اختلاف المسافات بهذه الصورة اتخاذ إجراءات شديدة التعقيد لضبط توقيتات عملية الغزو البحرى والإبرار الجوى ، ضمانًا لوصول مختلف القوافل البحرية إلى شاطئ الغزو فى توقيت واحد .

وما إن بدأ القصف الجوى البريطانى لمصر حتى هب جون فوستر دالاس يطالب حكومة بريطانيا بوقف العدوان فورًا . وواكب كل ذلك عدوان السوفيت على دولة المجر يوم ٤ نوفمبر الذى التى سحقها بولجانين بدباباته ، ثم تحول إلى بريطانيا وفرنسا يمطرهما بالإنذارات الملتهبة التى تهددهما بالويل والثبور ، ويمطر إسرائيل بالإهانات وبسوء المآل .

سادساً : الإبرار الجوى الانجلو فرنسى :

وإنقض على بورسيعد صباح ٥ نوفمبر نحو ٥٠٠ مظلى بريطانى و ٤٥٠ فرنسى ، كما نقلت الحوامات ٤٠٠ مقاتل من مشاة الأسطول البريطانى ، وأنزلتهم فوق أهداف منتخبة فى المدينة وحول مشارفها . وقد دخلت تلك العملية التاريخ كأول اقتحام جوى بالحوامات فى سجلات الحرب .

ولم يحل المساء حتى استولى الغزاة على الأماكن الحيوية حول بورسعيد رغم المقاومة العنيفة التى صادفتهم . ومما سجله التاريخ بطولة جماعة من ١٧ مقاتلاً مصرياً ، رفضوا الاستسلام لقوة بريطانية متفوّقه واستمروا يقاتلون حتى سقطوا جميعاً شهداء .

وكانت هناك بطولات كثيرة أخرى أثارت إعجاب المراقبين ، وتحدث عنها الأعداء البريطانيون أنفسهم بعد انتهاء القتال . والحق أن معركة بورسعيد كانت مبعث فخاز لأهلها .

سابعاً : الإبرار البحرى الانجلو فرنسى :

تعرّضت الحكومتان البريطانية والفرنسية لضغط عنيف منذ ٢ نوفمبر لوقف العدوان على مصر بعد أن صدر قرار إدانته من الجمعية العمومية للأمم المتحدة . ثم وقعتا فى ورطة حقيقية عندما أعلن مندوب إسرائيل بالأمم المتحدة يوم ٥ نوفمبر قبول حكومته وقف النيران فى المسرح ، بعد أن حقّقت كل أهدافها من العدوان واستولت على شرم الشيخ ، فوجدت الحكومتان البريطانية والفرنسية نفسيهما فى موقف بالغ الحرج ، إذ لم تعد حجة الرغبة فى الفصل بين مصر وإسرائيل تجوز على أحد بعد أن قبلتا وقف النيران .

وسرعان ما طلب السير إيدن من زميله المسيو موليه أن يستعطف بن جوريون ليخرجهما من تلك الورطة ، فقام بإدخال تعديل يحفظ لهما ماء الوجه ، بأن ربط بين وقف النيران ورضوخ مصر لشروطه ، وكان فى ذلك الكفاية من وجهة نظر إيدن وموليه لتستمر قواتهما فى العدوان على مصر .

وبعد تمهيد نيرانى فى صباح يوم ٦ نوفمبر ضد شاطئ العزو البحرى ، زحف ٨٥٠٠ جندى بريطانى و ٥٠٠٠ فرنسى فوصلوا إلى الساحل دون مقاومة تذكر . وما إن نجحوا فى تأمين رأس الشاطئ حتى اندفعوا جنوبًا على امتداد قناة السويس ، حتى جاءهم الأمر بالتوقف قرب منتصف الليل وهم على مشارف بلدة الكاب التي تقع على مسافة ٣٨ كيلو مترًا جنوب بورسعيد .

وكان جدول توقيتات الغزو يقضى بإبرار موجتين ضخمتين من المظليين فوق مدينتى الإسماعيلية والسويس فى الساعة الثامنة من صباح يوم ٧ نوفمبر ، إلا أن القائد العام الجنرال كيتلى ، صرف النظر عنهما رغم مقاومة الجنرال الفرنسى ماسو الذى حذره من أن هذا القرار سوف يؤدى إلى فشل الغزو البحرى سياسياً وعسكرياً .

وكان الرئيس الأمريكي أيزنهاور قد تحدث هاتفياً مع السير إيدن يوم ٥ نوفمبر وأبدى امتعاضه لما يحدث ببورسعيد ، كما حذّوه من مغبة الاستمرار فى العدوان . وكان أول إجراء قام به بعد فوزه فى الانتخابات مرة أخرى أن رفض اعتماد قرض كبير لبريطانيا من البنك الدولى ، لسد عجزها مالم تنزل على أوامر الأمم المتحدة بوقف النيران .

واهتز اقتصاد بريطانيا للتو منذرًا بأزمة خانقة وتدهور خطير ، لم يجد السير إيدن حياله إلا أن يرضخ لوقف النيران ، رغم إلحاح المسيو موليه بالاستمرار فى عملية الغزو مبشرًا إياًه أن النصر بات بين أصابعه إذا ما استمر فى القتال لبضع ساعات أخرى .

تاسعا : الحصاد المُرّ :

ثم جاءت النهاية الدرامية للعدوان الثلاثى بالفشل فى تحقيق الأهداف الأنجلو فرنسية من الغزو ، وببعض النصر السياسى لإسرائيل الذى تبلور فى فتح خليج العقبة لسفنها وللسفن التى تحمل إليها البضائع ، وبكل النصر السياسى لمصر التى خرج رئيسها من تلك التجربة زعيماً للعرب ولدول عدم الانحياز ، إلى جانب بعض الخطأ والقصور العسكرى الذى اهتم المسؤولون عنه فى إخفائه .

فمع ما خسرته مصر من طائرات ودبابات ومدافع وسفن ، إلى جانب سقوط سيناء وقطاع غزة فى يد إسرائيل واحتلالها لهما نيف وأربعة أشهر فإن ما تمتعت به مصر من تأييد سياسى ومعنوى عالمى ، وما أحاطها العرب به من إكبار كان أثمن كثيرًا مما فقدته مصر من أسلحة وعتاد كان يمكن أن يصبح ثمناً زهيداً لهذا النصر السياسى الكبير ، فيما لو بحثت دروسه المستفادة بصدق وجدية فالواقع أنه للمرة الثانية يحدث ذلك الإهمال فى دراسة خبرة القتال ، وذلك على خلاف شدة إهتمام إسرائيل بتلك الدراسة التى سوف تكون ركيزة نصرها صيف عام ١٩٦٧ .

لقد أجبر الرأى العام العالمى دول التواطؤ على إعادة كل ما اكتسبوه من أرض ، والانسحاب منها بلا قيد أو شرط . وسرعان ما سقط مدبرو هذا العدوان الذين كان أولهم السير أنتونى إيدن ، ثم تبعه جى موليه وجمهوريته الثالثة ، ثم بن جوريون بعد فترة طالت بعض الشئ .

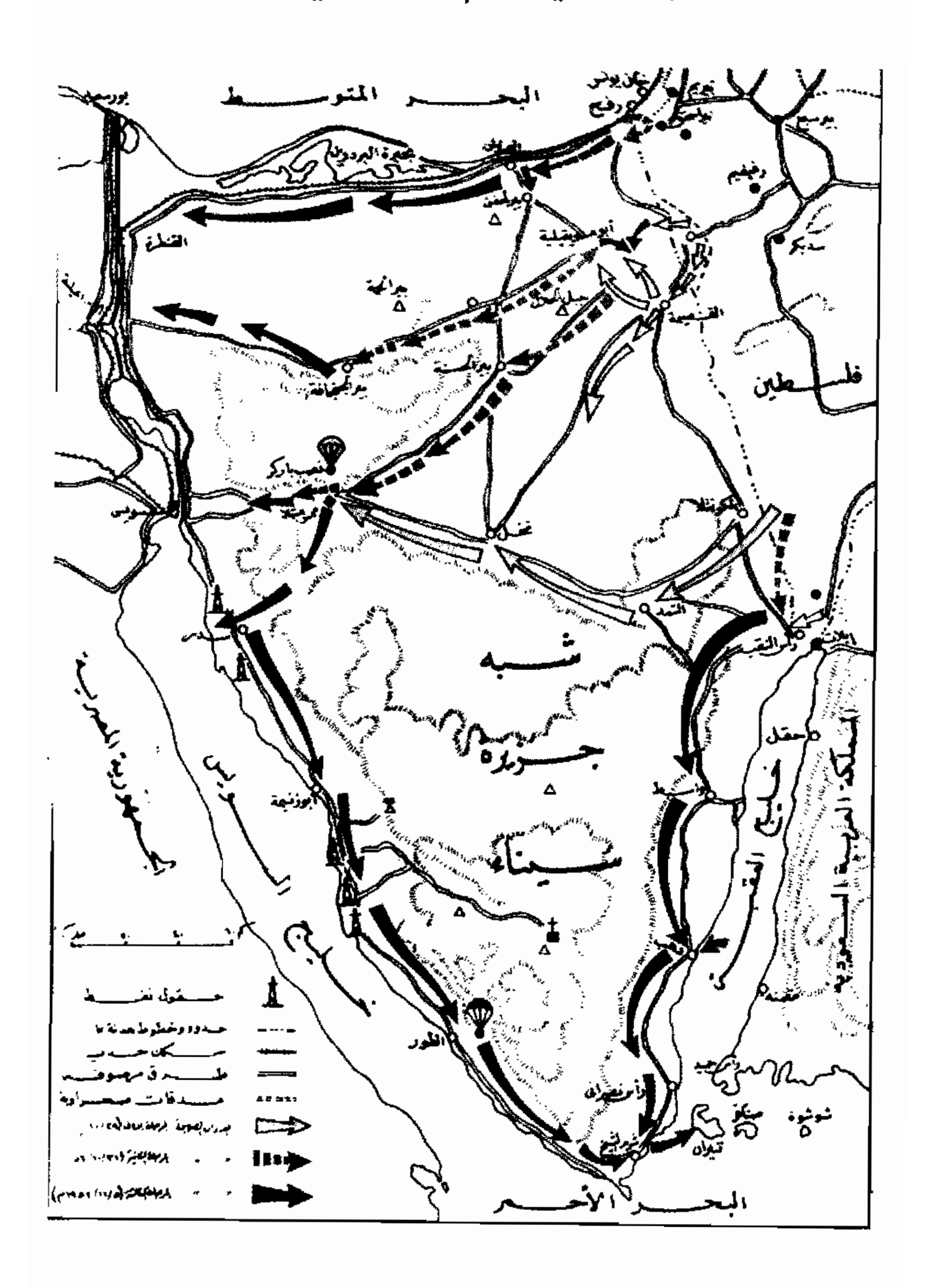
وعلى الجانب المقابل ورغم تصرفات قيادة القوات الجوية المصرية التى كانت محل الانتقاد الشديد ، إلا أن روابط الصداقة بين قائدها والقائد العام للقوات المسلحة المصرية حالت دون إجراء أية تغييرات للأفضل ، فظل الحال على ما هو عليه من قصور وإهمال حتى تكرر تدمير القوات الجوية المصرية وهى جاثمة على الأرض مرة أخرى فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ .

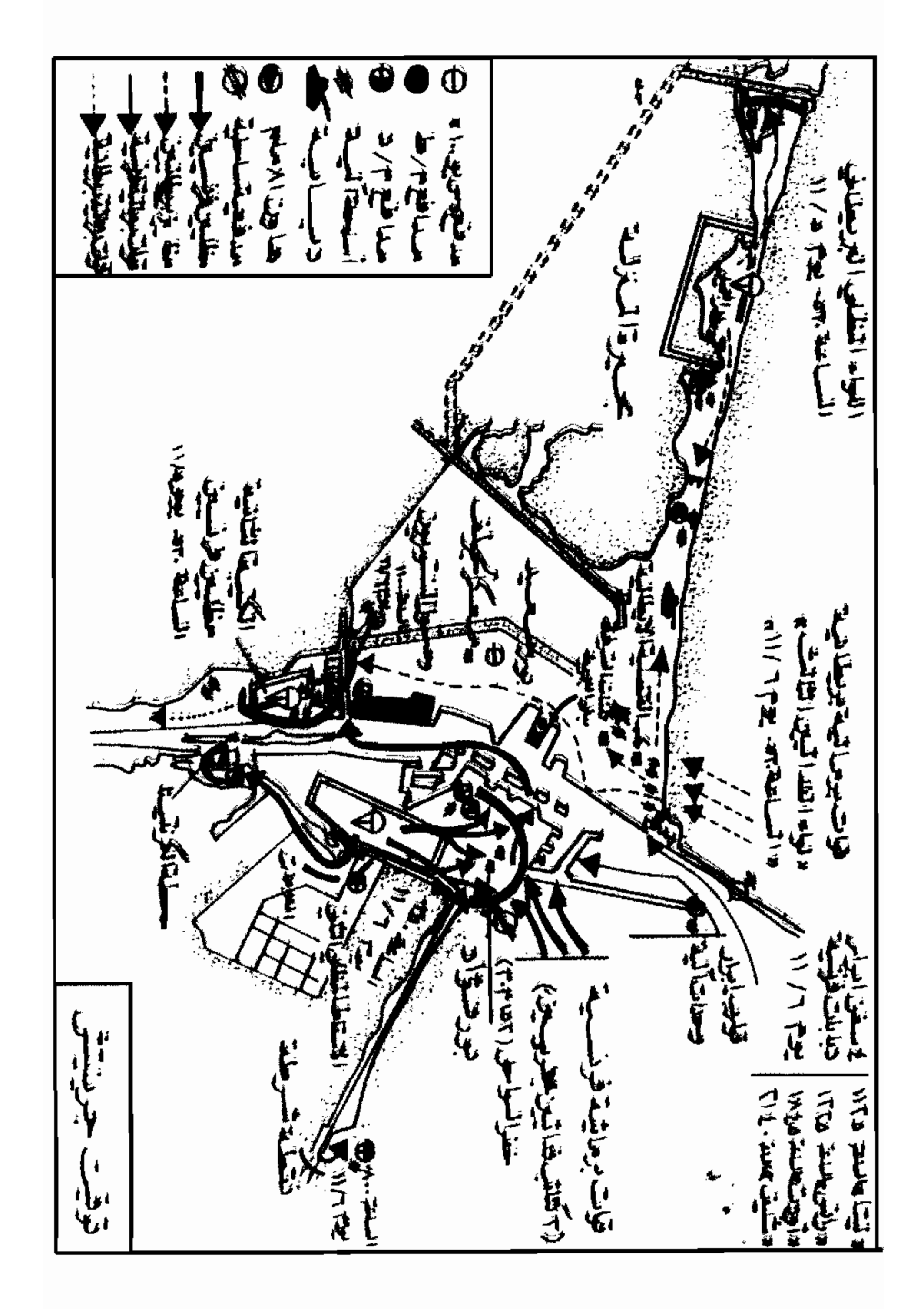
وفيما يختـص بأسلوب انسحاب القوات المصريـة من سيناء فقد شابه كثـير من العيوب التـى حـولت الانسحاب التـالى الذى جاء بعده بـأحد عشر عاماً إلـى كارثة عسكريـة بكل المعايير .

وفوق كل ذلـك تجلّت حالة الجـمود وضعف المرونـة فى القيـادات المصرية فـى أغلب المستويـات بما دفع البعض إلى الـتساؤل أين ذهبت تلك المـبادأة والمرونة التى اتصـفت بها قيادات وقوات صدر الإسلام ، وكيف ضيَّع الأحفاد تراث الأجـداد وتركوه لعدوهم ليهزمهم به فى الميدان .

أماً المؤلم حقاً فإنـه عندما وقع العدوان التـالى صيف عام ١٩٦٧ ، كانـت إسرائيل قد عالجت أغلب أوجه القصـور التى كشفت عنها الدراسات المستفـيضة لجولة خريف ١٩٥٦ ، بينمـا اكتفت مصر بتـرديد أهازيج النصر مـتغافلة عمـدًا عما ظهر من قصـور وأخطاء كان بعضها خطيرًا والبعض الآخر فـادحاً والواقع أن القيادة العسكرية أتقنت دورها فى الاستتار بفشلـها العسكرى وراء الـنصر السياسى الـعظيم ، الذى حققـته مصر فى تلـك الجولة من خريف عام ١٩٥٦ ، ونجاحه فى اجبـار بريطانيا وفرنسا على سحب قواتـهما من بور سعيد يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، ثم إجبـار إسرائيل - التى كانت قد أعلنت ضم سيـناء إلى رقعتها لإقامة الكـومنولث الإسرائيلى الثالـث - على الانسحاب منها ومـن قطاع غزة يوم ٦ مارس ١٩٥٧ .

جولة خريف عام ١٩٥٦ (سيناء)





الفصل الثالث

قيام الجمهورية العربية المتحدة
وأثر ذلك على إعداد القوى المصرية / السورية

مقدمة :

ظهرت فى الشرق دولة عربية جديدة هى الجمهورية العربية المتحدة ، التى تكونت من الدولتين الشقيقتين مصر وسوريا ، إثر الاستفتاء الذى أجرى فيهما يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨ .

وإن لهذا الحدث تأثيرا عظيما فى الموقف فى الشرق الأوسط وغير الشرق الأوسط ، من الناحية الدولية ومن ناحية النهوض الداخلى للشعوب العربية .

وتضم الجمهورية العربية الجديدة نحو ٢٧,٤٣٥,١٦٥ (احصائية ١٩٥٦) أى نحو نصف عدد أبناء الأمة العربية وأكثر من تعداد تركيا البالغ ٢٤,٧٩٧,٠٠٠ نسمة ، وإيران ٢١,١٦٤,٠٠٠ نسمة ، وإسرائيل ١,٨٧٢,٣٩٠ نسمة - فهى إذن أكبر بلاد الشرق الأوسط فى سكانها ، وتبلغ مساحة الجمهورية العربية المتحدة ٤٥٦,١١٤ ميل مربع أى حوالى المرّة والثلث من مساحة تركيا البالغ ٢٩٦,١٨٥ مبل مربع وحوالى ٦٠ مثل مساحة المنطقة المحتلة من فلسطين (إسرائيل) البالغة ٧٩٨٤ ميل مربع . وفضلا عن ذلك فإنها غنية بالموارد الطبيعية ، كما أنها تتحكم فى أهم طرق المواصلات العالمية ، وفى المعبرين الوحيدين لبترول الشرق الأوسط إلى العالم الغربى - براً بالأنابيب ، وبحراً عبر القناة بعد أن أثبتت معارك اكتوبر سنة ١٩٥٦ عدم جدوى نقله بحرا عن طريق رأس الرجاء الصالح .

ولقد انضوت هذه الجمهورية تحت لواء القومية العربية ولما للعرب كغيرهم من الشعوب العظيمة ماض مجيد فقد أسهموا إسهاماً عظيماً فى تكوين ثقافة الجنس البشرى الروحية والمادية ، وبرز منهم علماء كبار سجلت اعمالهم بحروف من ذهب .

ولكن حدث أن سيطر الترك على العرب قرابة ٥٠٠ سنة ، كما سيطر الاستعمار البريطانى والفرنسى عليهم خلال السنوات الخمس والسبعين الأخيرة فأدت هذه السيطرة الاستعمارية الأجنبية إلى وقف نهضتهم ، وتأخرهم وتخلفهم وفقرهم لأن الاستعمار كان يمص دماء الحياة فيهم .

ولقد حارب العرب الاستعمار قرونًا طويلة ، وكافحوا الظلم والاضطهاد حتى بدأت تتبلور فكرة التحرر القومى والاتحاد العربى ، أثناء ذلك الكفاح المرير الذى كان يتولاه الخلف عن السلف .

بيد أن الكارثة التى حلت بالعرب على يد المستعمرين جعلتهم يهبون من المحيط الاطلسى إلى الخليج العربى ، يطالبون بالحرية والتخلص من الاستعمار .

وقد أدى كفاح العرب فى سبيل الحرية إلى سقوط الحكومات الموالية للاستعمار فى كثير من البلاد العربية ، وظهور عدد من الدول المستقلة بعد الحرب العالمية الثانية مثل مصر وسوريا ولبنان وليبيا وتونس والأردن وغيرها وكانت النتيجة أن تهيأت الظروف للكفاح فى سبيل الوحدة العربية التى وكانت الجامعة العربية تمثل خطوة كبرى نحو هذا الهدف ، إذ حال ميثاق الضمان الجماعى العربى دون عودة الاستعمار إلى الشرق الأوسط من جديد .

وبعد أن نجحت ثورة مصر فى سنة ١٩٥٢ عقد ساسة العرب عدة مؤتمرات ، ساعدت على توحيد موقفهم من المشكلات الدولية العامة ومنها سياسة إسرائيل العدوانية وقد تجلت وحدة الشعوب العربية إثر العدوان الثلاثى الغاشم على مصر فى خريف سنة ١٩٥٦ ، كما تجلى تصميمها على مكافحة الاستعمار .

وتعد سوريا ومصر فى مقدمة الدول العربية تخلصًا من النفوذ الاستعمارى وتقدماً ثقافياً واقتصادياً ، كما بلغ شعباهما درجة من الوعى القومى أهلتهما لتزعم حركة الحرية والاستقلال والوحدة .

ولما كان التكتل القومى ليس مجرد دخول الدول التى تنتمى إلى أمة واحدة فى وحدة سياسية . بل هو تكتلها فى وحدة متحررة لا تخضع لنفوذ اجنبى ينتقص من سيادتها سواء فى المجال السياسى أو الاقتصادى ، لذلك اتجهت الدولتان بداءة إلى تحرير وطنيهما من

مظاهر الاستغلال الأجنبى ، فالغت الثورة فى مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ لتقضى على الاستعمار السياسى. وأممت شركة القناة لتقضى على الاستعمار الاقتصادى . وفى سوريا انتهى الانتداب الفرنسى وقامت حركة إصلاحية اقتصادية .

وكان لوحدة الهدف الإستراتيجى للدولتين ووحدة تكتيكهما فى الميدانين السياسى والاقتصادى أثره فى زيادة تقارب السلطتين الحاكمتين فيهما ، وفى توحيد سياستيهما الدولية ، فاعلنتا عن عزوفهما عن الانضمام للأحلاف الأجنبية واتباعهما سياسة الحياد الإيجابى . وأدَّت وحدة السياسة الخارجية إلى وحدة النظر إلى العدو المشترك .

وقد تعرّضت الدولتان لإرهاق اقتصادى متماثل كما تعرضتا أيضاً لمؤامرات دولية تحركها أيدى واحدة . وانتهى الأمر بالدولتين إلى مواجهة عدو مشترك وبالتالى إلى اتباع سياسة دفاعية متماثلة .

وهكذا تمت وحدة الظروف السياسية ، ووحدة الهدف ، ووحدة التكتيك الاقتصادى والعسكرى بصورة واقعية ، قبل أن تعلن الوحدة بصورة رسمية .

وفى نوفمبر سنة ١٩٥٧ اتخذ البرلمان السورى أثناء زيارة الوفد البرلمانى المصرى قراراً يقضى بمطالبة حكومتى مصر وسوريا بالعمل على إنشاء اتحاد فيدرالى بينهما وفى يناير سنة ١٩٥٨ تم الاتفاق فى القاهرة على إنشاء دولة موحدة ، وقد انتخب الرئيس جمال عبد الناصر لرياستها على أن يكون للدولة علم واحد وحقوق للمواطنين جميعًا متساوية فى الواجبات والالتزامات .

وقد قوبل قيام هذه الدولة بحماس عظيم فى الشرق العربى ، لانها شجعت حركة الوحدة العربية حتى أن المملكة اليمنية التى قاومت الاستعمار بكل شدة طلبت الانضمام إلى هذه الدولة وانتهاج سياستها الخارجية على أساس مبادئ باندونج .

ويؤكد المراقبون السياسيون فى مختلف أنحاء العالم أن العالم العربى كان يعلّق الأمل على قيام الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها المركز الذى تتجمّع حوله الوحدة العربية .

ولم يكن الطريق أمـام هذه الجمهورية مزركشا بالورود إذ كان عـليها أن تزيل أولا آثار الاستعمار السيئة ، وأن تنهض بالزراعة والصناعة ، وترفع مستوى المعيشة ، وكلها أمور تنطوى على صعاب جمة .

ولا شك أن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان خطوة تاريخية مهمة نحو الوحدة العربية الشاملة ، لاسيما وأن هدف هذه الجمهورية يتجـاوب مع مشاعر العرب ويتفاعل مع أمانيهم مما يعجل بتحقق الوحدة بينهم .

وستتحقق حتماً تلك الأمنية القومية لو أن حكام العرب جميعًا تجاوبوا مع شعوبهم فى هدفهم القومى ، وتمشوا مع رغبتهم فى التكتل في وطن قومى واحد كانت الجمهورية العربية المتحدة النواة الأولى له .

إن نظرة فاحصة على العالم العربى اليوم من الخليج إلى المحيط ، توضح أن هناك خلاف لا حدود له . . هناك مشكلة العراق مع دول الخليج وهناك مشكلة اليمن ومشكلة لبنان ومشكلة السودان وغيرها . . ويتردد الحديث اليوم عن الأمن العربى ، بينما يزداد التفكك والانقسام . إن إعداد القوى فى كل دولة عربية إعداد متفرقة ، ورغم سعينا لسلام عادل مع إسرائيل إلا أنه يجب أن ننظر دائما إلى المستقبل ، ونقدر الموقف تقديراً شاملاً ، لأن إسرائيل لن تسمح للعالم العربى بوحده تهددها من أى نوع ، فالوحدة والقوة هى دعامة مواجهة الخطر القريب الذى لا سبيل للتغلب عليه إلاّ بالوحدة العربية الشاملة .

أثر قيام الجمهورية العربية على المجهود الحربى للاقليمين الشمالى والجنوبى

١- الناحية الإستراتيجية :

يزعم اعداء الوحدة العربية أنه لا يمكن لأحد البلدين أن يدافع عن الآخر ولا يعللون أسباب ذلك ولكن الوحدة قد غيرت الموقف العسكرى واصبح يتجه إلى الاستقرار وقد قضت وحدة الجيشين كجزء من وحدة البلدين على إمكانية استخدام جيش إسرائيل فى أى عمل عدوانى ضد البلاد العربية كما ان الموقف الدولى اصبح يحول دون استخدام تركيا ، فقد أصبحت وحدة سوريا ومصر تمنع استخدام إسرائيل . ولقد تدعّمت القوة العسكرية لكلا الإقليمين ، وسدت ثغرات الدفاع عن الكيان العربى كله ، وأمكن الوقوف أمام المؤامرات الاستعمارية والأطماع التوسعية سواء للاستعمار أو أعوانه ، وكونت كل من مصر وسوريا جناحاً للأخرى خاصة أن موقع سوريا دقيق وحساس وبالغ الخطورة ، فتركيا من الشمال وإسرائيل من الجنوب ، ولهذا حاول الاستعمار أن يبعد مصر عن سوريا بكل الوسائل .

٢- الجيش الموحد :

مازالت مشاكل الشرق الأوسط تحظى باهتمام ساسة العالم وتنافس مختلف الدول الشرقية والغربية ومما لا شك فيه أن التنافس الشديد على هذه البقعة من العالم له نتائج بعيدة المدى على دول العالم عامة وعلى شعوب المنطقة خاصة ولقد فرض الغرب على دول المنطقة الاشتراك معه فى أحلاف دفاعية رفضها البعض وقبلها البعض الآخر كما أن الغرب زرع إسرائيل فى قلب الأمة العربية لتكون رأس حربة للاستعمار الغربى فى منطقة الشرق العربى ، تهدد كيانه وتصرفه عن التقدم الاجتماعى ، وتجعله يتوجه إلى التسلّح للدفاع عن كيانه ضد الصهيونية والأطماع الاستعمارية الأخرى من أعوان الاستعمار فى الدول المحيطة. ولكن مولد الجمهورية الجديدة استطاع عزل الاستعمار عسكريًا بإحاطة إسرائيل من أكثر من جانب باعتبارها القاعدة العسكرية التى مارس منها الاستعمار عدوانه على مصر وسوريا أكثر من مرة . كما أن إمكانيات الدولة الجديدة امتدت إلى حدود تركيا التى كانت قاعدة لحشد

القوات الاستعمارية التى قامت بتهديد سوريا بالغزو فى خريف ١٩٥٧ . وقد حقّق وضع الدولة الجديدة ميزة عسكرية مهمة لكل من مصر وسوريا ؛ إذ صار الجيش الموحد لهما أكبر الجيوش الإقليمية فى الشرق الأوسط ، بل وفى القارة الأفريقية كلها بما يتاح له من إمكانيات التجنيد من مجموع سكان الدولة الجديدة الذى يزيد على ٢٧ مليون ، بجانب توفّر القواعد الصالحة للتدريب على العمليات البرية المختلفة مثل الصحارى الواسعة (الصحراء الغربية ومنطقة سيناء) والمناطق الزراعية فى الدلتا والمناطق الجبلية فى منطقة الاقليم السورى . أما من ناحية العمليات البحرية والجوية فان اتساع رقعة الأرض أتاح لها إنشاء قواعد جوية وبحرية جديدة متفرقة تكفل سلامة الحشد للقوات وأمنها ، كما أن سياسة تكديس المعدات والتموينات فى مناطق متعددة تضع عن القوات مشاكل التعرض لنقص الاحتياجات أو قطعها أو تدميرها .

٣- اثر توحيدنظم التسليح والتدريب :

إن أهمية توحيد نظم التسليح والتدريب للقوات المسلحة فى شطرى الجمهورية يسهّل استخدام القوات بكفاءة ومرونة أكثر عما كان عليه الوضع قبل اندماج الجيشين . كما يمكن للقوات المسلحة الوقوف أمام الخطر الإسرائيلى والتهديدات الإسرائيلية التى يستخدمها الاستعمار للضغط على جمهوريتنا الحديثة وقد تمكنت قواتنا المسلحة بفضل عزمها وسرعة تصرفها من وقف عملية التوسع التى كان فى نية الصهيونيين القيام بها فى منطقة الحولة ، وكان هذا العدوان الإسرائيلى لتجربة الجمهورية العربية المتحدة ، ومحاولة معرفة مقدرتها على الرد على مثل ذلك العدوان وبأية سرعة وبأية قوة .

ولقد كانت هذه المسألة اخطر كثيرا مما صورته الصحافة العالمية والدوائر الدبلوماسية ، لأن هذه المغامرة الصهيونية كانت مقدمة لعملية حربية كبيرة ، ولولا أن هذه المحاولة قوبلت بالحزم منذ الدقيقة الأولى لما كانت توقفت .

٤- مشاكل الحدود :

وهناك فى أقصى الشمال برزت مشكلة أخرى عكّرت صفو العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وتركيا وذلك لكثرة مشاكل الرعاة عبر الحدود ، إذ إن معظم سكان مناطق الحدود المشتركة يعيشون على الرعى ، وكثيراً ما يجتازون الحدود مع ماشيتهم مما يدفع

الطرف الآخر إلى الاعتداء عليهم فيرد الطرف الثانى وهى اشتباكات تتكرركثيرًا ، كما أن حوادث التهريب وخاصة الدخان والمخدرات والعملة ، وهى حوادث تسبّب اشتباكات بين المهربين وحراس الحدود ، وتثير المشاكل بين البلدين وتؤثر على المجهود الحربى للدولة الجديدة ، وتحتم رسم خطوط الإستراتيجية الحربية على أساس قوات وقواعد عسكرية بالقرب من الحدود الشمالية لمجابهة احتمالات التعرض للأعمال الاستعمارية العداونية تجاه تركيا ، سيما وأن لواء الإسكندرونة السورى الأصل - والذى كان جزءاً من ولاية حلب فى العهد العثمانى وحرره العرب فى الحرب العالمية الأولى - يقع فى الطرف الشمالى الغربى من سوريا وأنشأت به تركيا قواعد جوية وبرية وبحرية ، وله مميزات إستراتيجية مهمة ، فهو الميناء الطبيعى لسوريا منذ القدم ، خاصة لمنطقة حلب وشمال سوريا الغنية بحاصلاتها الزراعية والاقتصادية ويشكل هذا اللواء خطراً كبيراً على منطقة حلب لأنها تقع فى بروز داخل الأراضى السورية ، وتشرف على طرق المواصلات إليها ، هذا بالإضافة إلى غنى أراضيها بالمعادن ، خاصة الكروم والبترول ذى الأثر الكبير على المجهود العربى .

٥- المواقع الإستراتيجية:

تسيطر الجمهورية العربية المتحدة على المواقع والنقط الإستراتيجية التالية :

أ - **أنابيب البترول .**

ب - **قناة السويس .**

جـ - منطقة خليج العقبة .

وإذا فقد الغرب سيطرته على الخليج العربى فسيفقد كل مصالحه الإستراتيجية والإقتصادية فى المنطقة .

وهذه المزايا الإستراتيجية تعطينا قوة مساومة مع الغرب ، وهو العدو التقليدى فى وقت السلم (سيطرتنا على قناة السويس منذ سنة ١٩٥٦) .

ولذا كان لقيام الجمهورية العربية المتحدة تأثير كبير فى استراتيجية الغرب ، وفى المجهود الحربى للدول الكبرى عامة ولدول منطقة الشرق الأوسط خاصة .

٦- السيطرة على اقتصاديات الشرق الأوسط :

كلنا يعلم أهمية الشرق الأوسط للمعسكر الغربى من الناحية الاقتصادية ، فالغرب كان فى كل وقت - ولا سيما فى زمن الحرب - يسخّر اقتصاديات الشرق الأوسط فى أغراضه الحربية . .

فقطنه وقمحه وجميع موارده الغذائية وفوق ذلك بتروله كانت كلها تحت تصرفه . ولبترول الشرق الأوسط اهمية خاصة للغرب ، وكلنا يعلم أن احتكاره كان سببًا من أهم أسباب تنافس دول الغرب على إخضاع هذا الشرق لنفوذه . . . .

فبترول العراق كان من أهم عوامل مقاومة إنجلترا لحركات شعبه الاستقلالية ، بل لقد كان منح احتكار استغلال هذا البترول للشركات الانجليزية عام ١٩٢٢ شرطًا أساسيًا لموافقة إنجلترا على إصدار الدستور العراقى ، كذلك تمكنت إنجلترا بوسائلها الملتوية من احتكار بترول إيران .

وما كاد الكشف يثبت وجود حقول بترول غنية بالمملكة العربية السعودية ، حتى سارعت أمريكا إلى الحصول على احتكاره ، وكذلك فى دول الخليج العربى وإماراته .

والواقع أن موارد البترول فى الشرق الأوسط أصبحت كلها فى يد شركات إنجليزية وأمريكية ، تستخدمها فى مد حاجات الدول المختلفة ولاسيما دول غرب أوروبا التى يتألف منها حلف الأطلسى .

وينقل البترول إلى هذه الدول إما عن طريق ناقلات البترول عبر قناة السويس ، وإما عن طريق أنابيب البترول الممتدة فى أراضى دول المنطقة .

ولما كان قيام الجمهورية العربية المتحدة فى منطقة الشرق الأدنى قد أدى إلى تحرر هذه المنطقة من النفوذ الاجنبى الغربى (إعلان الجمهورية العراقية فى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨) فإن اقتصاديات هذه المنطقة وأولها ذلك الذهب الأسود الذى يكمن فى اراضيها سيخضع استغلاله للسياسة التى تضعها دول هذه المنطقة ، وهذه السياسة ستختلف بطبيعة الحال عن السياسة الدخيلة التى يمليها نفوذ الغرب لصالحه ، إذ ستكون سياسة منبثقة من إرادة المنطقة طبقا لمصلحتها هى وليس لمصالح أجنبية .

وقد ترتّب على هذا الوضع مايأتى :

أ - سيطرة القومية العربية على وسائل نقل بترول الشرق الأوسط جميعه إلى المعسكر الغربى سواء عن طريق ناقلات البترول أو أنابيب البترول ، ولهذا أثر إستراتيجى خطير على استراتيجية واقتصاديات الدول الغربية . كما أن استخدام طريق رأس الرجاء الصالح سيحمّل الدول الغربية مجهودًا كبيرًا ويعتبر مضيعة للوقت ، كما ان تكاليفه باهظة وكلنا يعلم ما كانت عليه الحال أثناء العدوان الثلاثى على مصر (سد قناة السويس وأثره) .

ب - إخضاع استغلال اقتصاديات هذه المنطقة وعلى رأسها البترول للشروط التى تفرضها مصالح دولها الاقتصادية ، والا كان لها حق تأميم شركات البترول لتوافر شروط التأميم فيها ، إذ لا جدال فى أن البترول من موارد الثروة الطبيعية للدولة التى لها أكبر الأثر على مصالح الجماعة ، وتتوافر بذلك أسباب التأميم المتفق عليها لدى جميع الدول .سواء فى ذلك الأسباب السياسية أو الأسباب الاقتصادية .

جـ- إن الأحداث التى أعقبت الغزو الثلاثى الغادر على مصر أثبتت أن حياة دول غرب أوروبا الاقتصادية تعتمد اعتمادًا كبيرًا على بترول الشرق الأوسط . وأنه إذا تعطل نقل بترول هذه المنطقة إلى الدول المذكورة فإن إنتاجها الاقتصادى يتأثر تأثيرًا كبيرًا إذ ستضطر دول هذه المنطقة إلى استيراد البترول من أمريكا . وهذا يزيد من سعره بما لا يقل عن ١٠٪ .

فإذا ما عرفنا أن حالة الحرب تستلزم توافر كميات هائلة من البترول لتحركات معدات القتال الحديثة من سفن حربية وسيارات ودبابات وما شاكلها ، فوق حاجات الإنتاج الاقتصادى ، وإذا عرفنا أن أمريكا سوف لا تستطيع مد أوربا بطلباتها الكاملة من البترول لحاجتها بدورها إلى المزيد منه للاستمرار فى الحرب من جهة ولتعرض نقله عبر المحيط الأطلنطى الشاسع الأرجاء لغواصات العدو ،من جهة أجرى نقول إذا عرفنا كل ذلك أمحننا أن نتصور الأثر الذى يترتب على حرمان الغرب من تسخير موارد الشرق الأوسط الاقتصادية ، ولاسيما البترول فى أغراضه الحربية والاقتصادية ، وهذا يجعل ميزان القوى يكف عن الميل للغرب .

الفصل الرابع

ثورة اليمن ١٩٦٢
وآثارها على إعداد القوى العربية عامة والمصرية خاصة

فى صباح يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أذاعت صنعاء أن العميد عبد الله السلال قاد انقلابًا عسكريًا ضد الأمير البدر إمام اليمن الجديد - واستولى الجيش اليمنى على السلطة بعد معركة مسلحة ، قيل إن الإمام البدر قد قتل فيها . .

وقد اعترفت مصر بالنظام الجمهورى فى اليمن . . وقرر الرئيس عبد الناصر التعرّف على الموقف فى اليمن على الطبيعة فأرسل السيد أنور السادات ومعه السيد كمال رفعت أعضاء مجلس قيادة الثورة لاستطلاع الموقف ، ومعهما وفد من ضباط العمليات المصرية ، ولما عاد السيد أنور السادات من صنعاء بعد ٣٦ ساعة كان تحمّسه للتدخل المصرى فى اليمن واضحًا ، فقد اقترح إرسال سرب من الطائرات المصرية إلى اليمن مؤكدًا أنه وحده كفيل بإجبار القبائل اليمنية على التجمهر !!

وكانت هذه الفكرة بداية للتدخل الإجبارى الجوى والبرى والبحرى بالرجال والعتاد والسلاح والمال والذهب والفضة وكل شئ .

وكان الأمير الحسن عم الإمام محمد البدر قد عاد إلى السعودية ، واتخذ من نجران قاعدة لامداد القبائل اليمنية بالذهب والريالات اليمنية الفضية والسلاح والذخائر والمعدات والألغام للوقوف مع الملكية ضد الثورة اليمنية ، وكان للذهب بريقه الخاص فى جذب النفوس إلى تحقيق ما تريده اليد التى تعطى !! ومع بداية الثورة اليمنية لمع بريق الذهب مع قبائل الشمال أولاً فهاجمت صعدة عاصمة الشمال وخشى السلال أن تسقط تلك البلدة فى يد الملكيين ، فطلب من مصر المعونة العاجلة واستجابت مصر وجاءت القوات تحملها

الطائرات وسفن الأسطول المصرى الحربى والتجارى إلى صنعاء والحديدة فى سباق مع الزمن لدعم الثورة اليمنية ، وتسابق الجميع ضباطاً وجنوداً ومدنيون للخدمة فى اليمن .

وكان القتال فى اليمن ضد القبائل التى لم تتجمهر ، يحرك قواتنا المصرية إلى حيث ترغم هذه القبيلة أو تلك على التجمهر وإعلان الولاء بقوة السلاح أو بقوة الريال الفضى أو بقوة الذهب ، أو قد تصمد هذه القبيلة ضد هذا التيار الجديد لأن ذهب الأمير الحسن ربما يكون أكثر لمعانا وأسلحته اشد فتكاً .

وحاربت قواتنا فى اليمن أصنافا كثيرة من البشر والمرتزقة من كل مكان . . وكان المقاتلون المصريون لا يعرفون العدو من الصديق هل هذا جمهورى أم ملكى ؟ الله أعلم .

وكان الخطاط عادة تمثل هجوماً جرارًا من البشر على منطقة قبيلة أخرى تلتهم خيراتها وتنهب ما تجده أمامها وتستحيِّى النساء وتقتل الأبرياء ، وتتركها بعد فترة من ٢٤ ساعة إلى ٤٨ أو أكثر حسب خيراتها خاوية جرداء ذليلة .

وكان القات الغذاء والعشاء هو طعام كل اليمنيين يخزنوه فى أفواههم يمضغونه على مهل فيفقدهم القدرة على الحركة أو الكلام وبالطبع القتال ، إذ ترتخى عضلاتهم وتخور قواهم رجالاً أو نساءً أو أطفالاً . . . عسكريين ومدنيين قادة وجنودًا وحراس !!

ولما وصل الرئيس جمال عبد الناصر إلى اليمن فى ٢٣ أبريل ١٩٦٤ تحولت صنعاء ، خاصة مبنى القيادة العربية بالطرف الشمالى إلى قبلة يتوجه إليها كل قبائل اليمن لمشاهدة عبد الناصر ، ولو من بُعد ، وعندما طار عبد الناصر إلى تعز فى الجنوب هرع إليها أكثر من نصف سكان اليمن الجنوبى مع قبائل منطقة تعز وجوارها ، وسجَّل التاريخ نتائج هذه الزيارة وأثرها الكبير فى استقرار الثورة اليمنية داخلياً وإقليميًا ودوليًا . . وقد أبلغت إنجلترا هيئة الأمم المتحدة أن خطب الرئيس عبد الناصر فى اليمن تسبب عدم إمكان الوصول إلى حل فى موضوعات اليمن الجنوبى وباقى الولايات العربية المتاخمة !! ورغم هذا فقد نجحت سياسة عبد الناصر فى أن يجعل الاستعمار البريطانى يحمل عصاه ويرحل عن الجنوب اليمنى إلى غير عودة . .

وهكذا وقف جمال عبد الناصر إلي جانب اليمن منذ البداية كما وقف بجانب الجزائر فى ثورتها ، وفتحت مصر أبوابها للثوار اليمنيين المطرودين ، بالإضافة إلى عدد كبير من

اللاجئين . وكان الضباط اليمنيون يتعلمــون فى الكليات العسكرية المصرية ، وكان يتم تدريب لواءات يمنية كاملة فى مصر . وقــد سارت معارك السلاح فى اليمن - جنبًا إلى جنب - مـع معارك التـوعية ومحاولة إشعار المواطن اليمنى بمـدى التخلّف الذى يعيش فيه . والسعى إلى نقلـه إلى ميدان الكفاح فى سبيل حياة أفضل لتغـيير تلك الجماهير من المجتمع العربى ، ولذا فقد قامت القوات المصرية فـى اليمن بتنفيذ المهام المكلفة بها لمساعدة ثورة اليمن عـسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقـافيًا ومعنويًا . . . وهكذا نجح المواطن المـصرى فى ان يتحمـل أمانة ربه ، وأن يضحـى وفاءً للرسالة الإنـسانية والتقدم والسلام . . ولسوف يثبت التاريخ ان دور القوات المسلحة المصرية فى اليمن كان بداية للمرحلة الحاسمة فى معارك الحرية ضـد الاستعمار ومعارك التقدم ضد الرجعية ، ومحاولات إعـداد القوى الذاتية وربـاط الخيل لإرهاب عدو اللـه وعدو الناس والتنـمية والحرية .

أكبر مكسب لمصر من مساندتها لثورة الـيمن أنها نجحت فى إخراج شعبه إلى نور الحياة ونور الحركة ونور القوة ونور التقدم . ومن يزور الـيمن اليوم بعد أكثر من ثلاثين عامًا يلمس بنفسه ما أحـرزه اليمن من تقدم ونهضه في كل الفنون ، فقـد أصبح قوة يعتمد عليها ويهاب الأعداء جانبها .

قاتلت القوات المصرية المسلحة على مسرح عمليات اليمن تحت ظروف لم يسبق لها مثيل بالنسبة لأسلوب تـدريبها في الوطن وأهمها الحرب الجبلية ، وأسـلوب قتال العصابات والكمائن الجبـلية ، كما كان التسليـح لا يناسب هذا النوع من القتـال . وقد استفادت القوات من عمل ابتـكارات وتطوير للأسلحة والمعدات والمركـبات ، وكذا تعديل أنواع من الذخائر ، واكتسبـت خبرة فى استخدام الدواب بأنواعها فى النـقل بالمناطق الوعرة والجبال . وحتـى رجال المهمات تمكنـوا من تعديل وابتـكار ملابس ومهمات مـعينة ، تعـاون الجندى ضد هـذه الصعاب حـيث الحاجة شـديدة إلى الصـبر وقوة الاحتـمال والصمود وقـد ساعدت طبيعة الأرض واخـتلاف الأجواء على الاهتـمام باللياقة الـبدنية للفرد المقاتل ، اجبرته الظروف على تحسين هذه اللياقة .

شهداء فى أرض البطولة والأمجاد:

وهكذا تورطت مصر فى اليمن وبدأت في إنشاء جسر جوى ضخم عبر آلاف الكيلو مترات ، لنقل الرجال والعتاد والاسلحة والذخائر والمهمات والتعينات والذهب إلى أرض اليمن ، التى ابتلعت خيرة وحدات القوات المسلحة المصرية ، وأهلكت أفرادها ومعداتها وأسلحتها وطائراتها وسفنها واستنفدت أنفاسها وأبلت عقائدها القتالية وحولّتها إلى عقيدة مادية ، أسميتها عقيدة الريال لشدة تلهف الرجال على الخدمة فى اليمن لفترة بالواسطة لإصلاح الأحوال . وبدأت عمليات قطع الطرق على قواتنا خاصة القوات الإدارية التى كانت تتحرك علي الطرق والمدقات لنقل الإمدادات للوحدات المقاتلة فى جميع أنحاء اليمن . وكانت هذه القوات تتعرض للنهب والسلب بعد قيام العناصر المعادية بضرب عجلات السيارات برصاص القناصة ، ثم مهاجمة القافلة برجال كالجراد . . .

ورغم أن القوات الإدارية تتحرك بحراسة من بعض الفصائل المصرية ، إلا أنها لم تكن كافية للدفاع عن القافلة لكثرة القوات الإدارية وكثرة التحركات ، فكان لزاما على القيادة تخصيص قوات أكبر وأقدر على فتح الطريق للإمدادات والسيطرة على الطرق المهمة لاستمرار الإمدادات والتحركات الضرورية .

وقد ارتوت أرض اليمن سهولها وجبالها بدماء الشهداء من أبناء مصر الأوفياء ، ومازلوا هناك فى كل مكان فى اليمن وأرواحهم عند الله أحياء يرزقون وكانت مظلة الإيمان ترفرف على المقاتلين المؤمنين بالله واليوم الآخر ، والذين عاهدوا الله بصدق وإخلاص على القتال الحق واتباع أدب الحرب وسلوك المقاتل القوى الأمين ، فمنهم من قضى نحبه هناك على أرض اليمن ، ومنهم من قضى نحبه فى موقع آخر ، ومنهم من ينتظر دوره فلا تدرى نفس ماذا تكسب غداً ولا تدرى نفس بأى أرض تموت . .

وقصص هؤلاء الرجال كثيرة ، وسأختار بعضاً منها ، أقصه على القارى ليعلم بعلم اليقين أن الله دائما ينصر المؤمنين المخلصين ويظلهم بمظلة الرحمة والحفظ والصبر ، طالما أنهم يسيرون فى طريق الله .

طريق طهارة النفس والعقل والقلب واليد واللسان والجوارح

طريق الرحمة للنفس والغير

طريق اليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى

طريق القرب من الله

يد الله فوق أيديهم:

المقاتل ع. م. خ كلف بقيادة عملية فتح طريق صنعاء - جيحانة شرقاً فى رمضان ، وأختار رجاله ليشاركوه فى مهمته ، وكان حذرًا فى تحركاته خشية الألغام التى كان العدو يغرسها في الطرقات والمدقات ، واختار التحرك في مدقات غير مطروقة من قبل من القوات المصرية ودفع أمامه دبابة ت ٥٤ روسية الصنع ، ذات أذرع طويلة وجنازير لدق الأرض أمامها لتفجير الالغام ، ثم دبابتين خلفهما ، ثم ركب هو ومعه السائق وحرسه الخاص عربة مدرعة وترتيبها الرابعة بعد الثلاث دبابات الأولى ويشاء الله سبحانه وتعالى أن تمر الدبابة الدقَّاقة للألغام وخلفها دبابتين وعندما مرت عربة القائد المدرعة خلفها انفجر تحتها لغمين مغروسين فى المدق فى الجانب الأيسر ، فدمرت الألغام النصف الأيسر الأمامى للعربة المدرعة ونجا القائد والسائق ومن معه رغم تدمير عربته المدرعة ، فسجد لله شكراً وواصل التقدم فى الدبابة الدقاقة الأولى إلى هدفه وحقق الهدف ، وتم تأمين الطريق تماماً بعد غروب الشمس بدقائق وتناول إفطاره من بعض حبات الزبيب وشربة ماء هنية .

ولما عاد هذا القائد إلى قيادته استدعته القيادة فى مهمة مماثلة ، حيث تم قطع طريق صنعاء - رايدة إلى الشمال واستعجلته القيادة العامة لتنفيذ المهمة ، ووضعت تحت قيادته قواتًا جديدة ، وتحرك القائد لصلاة المغرب بجوار عربته المدرعة ، وبعد أن فرغ من الصلاة وقبل تناول وجبة الإفطار الميدانية فوجئ الرجل بشخص يعرض عليه خدماته قائلا له « أنا الرائد حمود اليمنى » ولكن منظره لم يكن كضابط فى جيش اليمنى ، إذ كان يلبس جلبابًا وجاكت ، ويعلِّق على كتفه بندقية سريعة الطلقات ، وعلى صدره الخنجر اليمنى التقليدى المعروف . . .

إرتاب القائد فى هذا الشخص ولكنه وهو مازال يفترش الأرض للصلاة شعر بأن هذا الرجل قد يكون ملاكًا أرسله الله فى مغرب رمضان ، ليكون مرشدًا له فى هذه العملية الجديدة على أرض لم يسر فيها من قبل . وعرض الرجل على القائد المعاونة فى مهاجمة إحدى القرى المختبئ بها العدو ، على أن يعطيه القائد فصيلة من الجنود يرافقها فى الهجوم . ووافق القائد وتم تنفيذ العملية بمهارة وسرعة ، أجبرت العدو فى القرية على التسليم وتم تأمين القرية واستراح القائد لهذه النتيجة ، وأخذ معه هذا الرجل فى تحركه التالى لتنفيذ المهمة وركب الرجل على دبابة القائد من الجنب الخارجى ، وسارت الدبابة فى مهمتها وخلفها باقى القوة وكتب الله لهذه القوة تأمين المنطقة التالية ، وفتح طريق رايدة -

صنعاء في لـيلة العيد الصغـير ، وكان نداء النشيد الإلـهى بالعيد فاتحة خـير وفى أول أيام العيد ، وكان يـوم جمعة ، أدى القائد صلاة الجمـعة فى مسجد قلعة زيـفان وأم المصلين ، وخطب فيهم خطبـة الجمعة لأول مرة فى حياته ، وشاهد فيها أهل هـذه القرية ومن حولها من المصلين يذرفون دموع التوبة وطلب العفو والمـغفرة من القائد بعد اللـه ، وهكذا اعطت مظلّة الإيمان هذا القائد ورجاله ظلال نصر الله للمؤمنين والحمد لله رب العالمين.

ملحق (أ)

رجل أحبته قبائل اليمن :

مقاتل آخر من نوع فريد لبس ملابس اليمنيين وتعلم لهجتهم وعاداتهم وطبائعهم فى أيام قلائل ، حتى القات كان يمثل التخزين مثلهم ولكن بحذر . وكان يأكل معهم طعامهم الدسم ويمسح بالسمن ذقنه ويديه . في بعض الأحيان قدميه . . . تراه دائماً باسم الوجه متفائل لماح ذكى كريم الخلق عفيف النفس ، راض بما قسمه الله لـه ، انه من صعيد مصر من جزيرة شندويل ، متزوج ولم ينجب ، شارك في القوات المصرية باليمن منذ اكتوبر ١٩٦٢ حتى عودة القوات نهائيا من اليمن فى ١٩٦٧ ، وكان يشغل منصب مدير شئون القبائل فى القيادة العربية باليمن . ووثق فيه اليمنيون سواءً ممن جمهر أو مازال ضد الثورة حتى الغادر ملك قبائل اليمن الشرقية وزعيم قبيلة خولان التى أعلنت عداءها للثورة والسلال جهارًا نهارًا كان يحبه ، وكثيرا ما التقى الرجلان معاً فى مخبأ الغادر في العرقوب وفى كهوف جبال خولان ، وسمح الغادر للمصورين بالتقاط صورة معه ومع اللواء عتمان نصار واللواء المسيرى . . . إنه العميد الركن محمد محمود قاسم .

وبالطبع كل ذى نعمة محسود . . وله أعداء وأذكر إنه فى مهمة مع مشايخ الجوف في بلدة المطمة وبعد تناول الغذاء مع المشايخ ، وكان يجلس بجوار شباك صغير بشرفة دار أحد المشايخ وإذا بطلقة رصاص تدخل فى فمه أثناء تثاؤبه وتخرج من أذنه فخر على الأرض تغمر جسده الدماء ، وتم نقله بسرعة إلى خيمة بجوار خيمة قائد القطاع وصار إسعافه بسرعة بواسطة طبيب القوة هناك ، واستلزم الأمر عملية جراحية دقيقة قام بها هذا الطبيب الجراح بمعدات بسيطة طلبت بسرعة باللاسلكى من القيادة العربية فى صنعاء ، وأسقطت جوًا بواسطة إحدى الطائرات الحربية المصرية للسرعة ، إذ استحال نقله إلى مستشفى صنعاء ، واستمرت العملية حتى فجر اليوم التالى ونجحت والحمد لله ، ثم نقل جوا بعدها إلى القاهرة للعلاج وعاش فترة ، ثم لحق بالرفيق الأعلى بعد فترة من الزمن . . يرحمه الله .



العميد الركن محمد محمود قاسم ، أو الشيخ قاسم اليمنى بملابس اليمن

٦ نوفمبر سنه ١٩٦٣

رجلان تحابا فى الله واستشهدا معا :

المقدم الطيَّار عز الدين ناصر قائد طائرة نقل اليوشن روسية الصنع ، كلِّف بمهمة نقل معدات إلى مطار صنعاء ، ثم العودة إلى مطار القاهرة ، ولكنه بمجرد أن وصل إلى اليمن طلب من قائد القوات الجوية باليمن التصديق له بالاستمرار مع القوات المقاتلة باليمن ، وكان عز الدين ناصر يتحدى الصعاب ، ويحرص على اختيار المهام الصعبة . ولقد طرت معه عدة مرات من مطار صنعاء إلى صعدة وإلى الحدِّيدة وإلى تعز وإلى مأرب وغيرها ، وكنت أعجب به كمواطن مصرى طيب القلب باسم الوجه ، وكطيار مصرى شجاع وجرئ ، عاقل ، متزن وصبور وكفء .. تعرَّضت طائرته عدة مرات لحوادث طلقات مباشرة على المحرك ، ورغم صعوبة الموقف وتعذر الرؤيا فقد تمكن من الهبوط فى مطار

صنعاء الجوى بسلام والحمد لله. ومرة أخرى اخترقت إحدى الطلقات المضادة للطائرات خزان البنزين فى طائراته ، ورأى أن البنزين يسيل بغزارة وكان احتمال احتراق الطائرة كبيرًا ، ولكنه كرجل مؤمن صالح وطيار كفء فقد اعتمد على حفظ الله له ولطائرته ولمن معه من الركاب . وبقدرة القائد المحنك تمكن من الهبوط بسلام رغم عدم وجود قطرة وقود واحدة فى الطائرة ولم تحترق والحمد لله ، ولن ينس التاريخ أن عز الدين ناصر هو أول طيار مصرى يطير فى سماء اليمن ليلا ، وكانت الطائرة غير مجهزة للطيران الليلى ، ولكن المهمة الصعبة كانت تنتظره ولابد من الاقلاع ليلاً فى سماء اليمن ، واتم المهمة والكل يرفع أكفه للسماء ، قائلاً « احمه يارب » ، وعاد إلى أرض المطار قبل بزوغ الفجر بسلامه الله ، وأصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارًا بترقية عز الدين ناصر ترقية استثنائية إلى رتبه العقيد طيار . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ صدق الله العظيم .

[سورة الفلق ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥]

فلم يهنأ كثيرا برتبة العقيد ، ونحن نعلم ان كل ذى نعمة محسود وكانت النهاية فى طريقه بطائرته الاليوشن من مطار صنعاء ، فى أول ضوء يوم ٣٠ مارس ١٩٦٣ متجهًا إلى الحديّدة عن طريق مطار صعدة شمالاً لتوصيل إمدادات إلى قواتنا فى صعدة ، وركب معه العقيد محمود عبد الحميد التلت ليعود إلى منطقة عمله في الحديّدة ، وقد كان العقيد التلت شابا تقيا ورعا مؤمنا ، حارب فى الحرب العالمية الثانية فى صفوف القوات المصرية التى تخصصت لاعمال التأمين والحراسة ، وقاتل فى فلسطين كقائد فصيلة مشاة ، واقتحم بفصيلته دشم العدو الخراسانية فى مستعمرة ديرسنيد فى عام ١٩٤٨ ، واستولى عليها وحارب فى أم قطف فى سيناء أثناء العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ ، وكان ضمن أفراد الكتيبة التى أوقفت هجمات اليهود على هذا الموقع ، وفشل الهجوم فى المرات الثلاث إلى أن صدرت لهم الأوامر بالانسحاب إلى الغرب ، وتعذب وتحمل كثيرًا أثناء انسحابه مع اخوانه إلى الدلتا ، ورأى الله وقدرته واستظل بمظلة الإيمان طول هدا الطريق الوعر الطويل ، وعاد إلى داره بسلام وشق طريقة بقوة الإيمان ونور الحق فى قياداته التي تولاها فى القوات المسلحة ، إلى أن اختير قائدا لقاعدة الحديّدة فى اليمن وحضر إلى صنعاء مساء

لـيلة ٢٩/ ٣٠ مارس ١٩٦٣ ، وبات معي وبـجوار فراشي وأدى صلاة الـفجر معي جـماعة وودعني وقبلته ، طالباً منه السفر إلـى الحديدة بالطائرة الـثانية المتجهة مباشرة ، ولكنه قـال لـي « افضـل الركوب مع العميد عز الديـن ناصر فهو صديق حميم وطـيار كفء وأحبه » وذهب ولم يعد . .

وروى لى الجندى الوحيد الذى نجـا من الطائرة فى سماء اليمن فى منطـقة القفلة - ما بين رايدة وصعدة شمالا - قـصة اندلاع النيران فى محرك الـطائرة وقصته وهو يلـبس مظلة الأمان ويهبط بها من الطـائرة ، وتعلق به أحد زملائه وقفزا معا . ولما فتحـت المظلة انزلق الجندى الآخـر إلى الأرض ، أما هو فقد هبـط بسلام إلى الأرض وراى الطائرة تنـفجر فى السماء ، ومازال بـها العميد طيار عز الديـن ناصر والعقيد محمـود عبد الحميد التلت ومسـاعد الطيار وآخرين ، ممن أصبحوا فى عداد الشهداء الأبرياء ، رحمهم الله جميعا وأظلنا بمظلة الإيمان .



المشير عامر والمشير السلال والسيد السادات



لواء / المسيرى - لواء / عثمان نصار - عميد / محمد محمود قاسم فى لقاء مع الغادر فى عام ١٩٦٣

ملحق (ب)

رجال أفنوا حياتهم فى حب مصر

اللواء الركن على عبد الخبير :

أبرز الصفات التى انطبعت فى ذاكرة زملاء على عبد الخبير عنه ، هى هدوءه وأمانته وشدّة انضباطه . وعندما واتته الفرصة لتولى منصب مرموق قرب مصدر السلطة العليا على القوات المسلحة فى فترة من حياته العسكرية ، ظل على العهد به من التواضع والتفانى فى أداء الواجب والعزوف عن استغلال مركزه المرموق بما يعود عليه بالنفع الشخصى .

ولعلى عبد الخبير فى مسرح الحرب عمل بطولى سجله له التاريخ الحربى للصراع العربى الإسرائيلى خلال حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ عندما كان يتولي قيادة الكتيبة ١٨ المشاه المتمركزة فى منطقة أبو عجيلة ، ضمن دفاعات مجموعة اللواء السادس المشاة المكلفة بقفل محور تقدم العدو من العوجة غرباً .

ففي فجر يوم أول نوفمبر نجح اللواء ٣٧ الميكانيكى الإسرائيلى فى اختراق بعض الدفاعات الأمامية فقام على عبد الخبير للتو بشن هجوم مضاد بعناصر من كتيبته المشاة تحت ستر نيران المدفعية والهاونات ، فنجح فيما بين الساعة السابعة إلا الربع والسابعة والنصف صباحاً ، فى أن يطرد العدو من تلك المرتفعات بعد أن كبده خسائر جسيمة .

وكان لهذا الهجوم المضاد الناجح الفضل فى استعادة اللواء ٦ المشاة السيطرة على قطاعه الدفاعى ، ورد العدو على أعقابه بعد أن تكرر فشله فى احتلال القطاع الدفاعى أو أى جزء منه .

وبعد انتهاء العدوان اختاره المشير محمد عبد الحكيم عامر مديراً لمكتبة ، فكان مثالاً للخلق الكريم والإخلاص وإنكار الذات . وعندما قامت ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وقع عليه الاختيار ليقود القوات المصرية فى مسرحها ، حيث بذل الكثير من الجهد فى سبيل

تكوين قيـادة المسرح ، وتوفير مطالـب الحكومة اليمنيـة من المساعدات المصرية فـى مختلف المجالات العسكرية والمدنية .

وبـوصول الفريق أنور الـقاضى لقيادة المـسرح عام ١٩٦٣ . . اسـتمر فى التعـاون معه كرئيس أركان القوات المصرية باليمن .

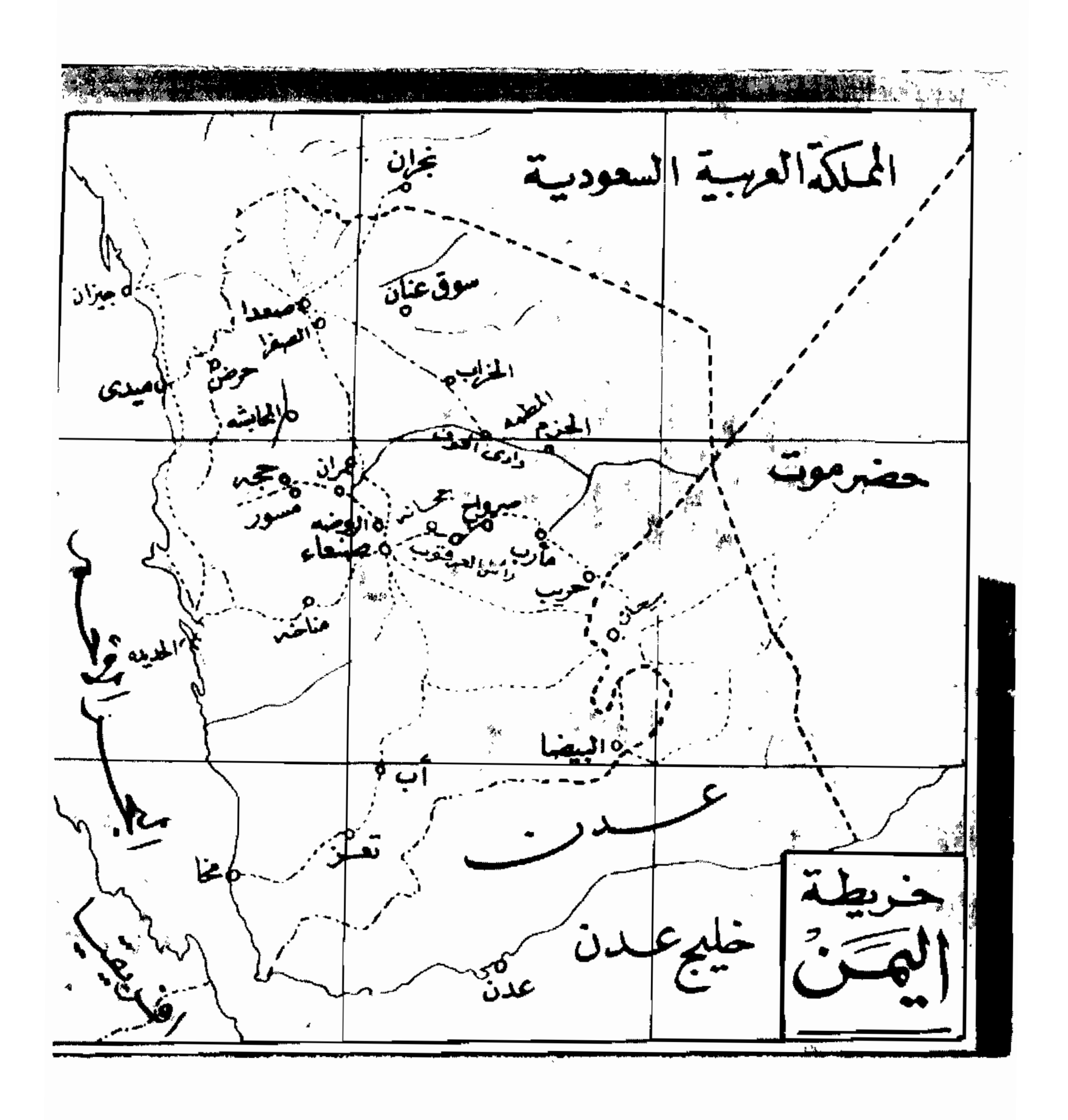
وقد ظل يتولى المناصب القيادية العليا ، حتى ختم حياته العسكرية الحافلة بقيادة المنطقة العسكرية المركزية عام ١٩٧٢ ، التى أحيل بعدها إلى التقاعد .



اللواء اركن على عبد الخير على يسار الفريق أنور القاضى

قيادة القوات العربية باليمن

١٩٦٣



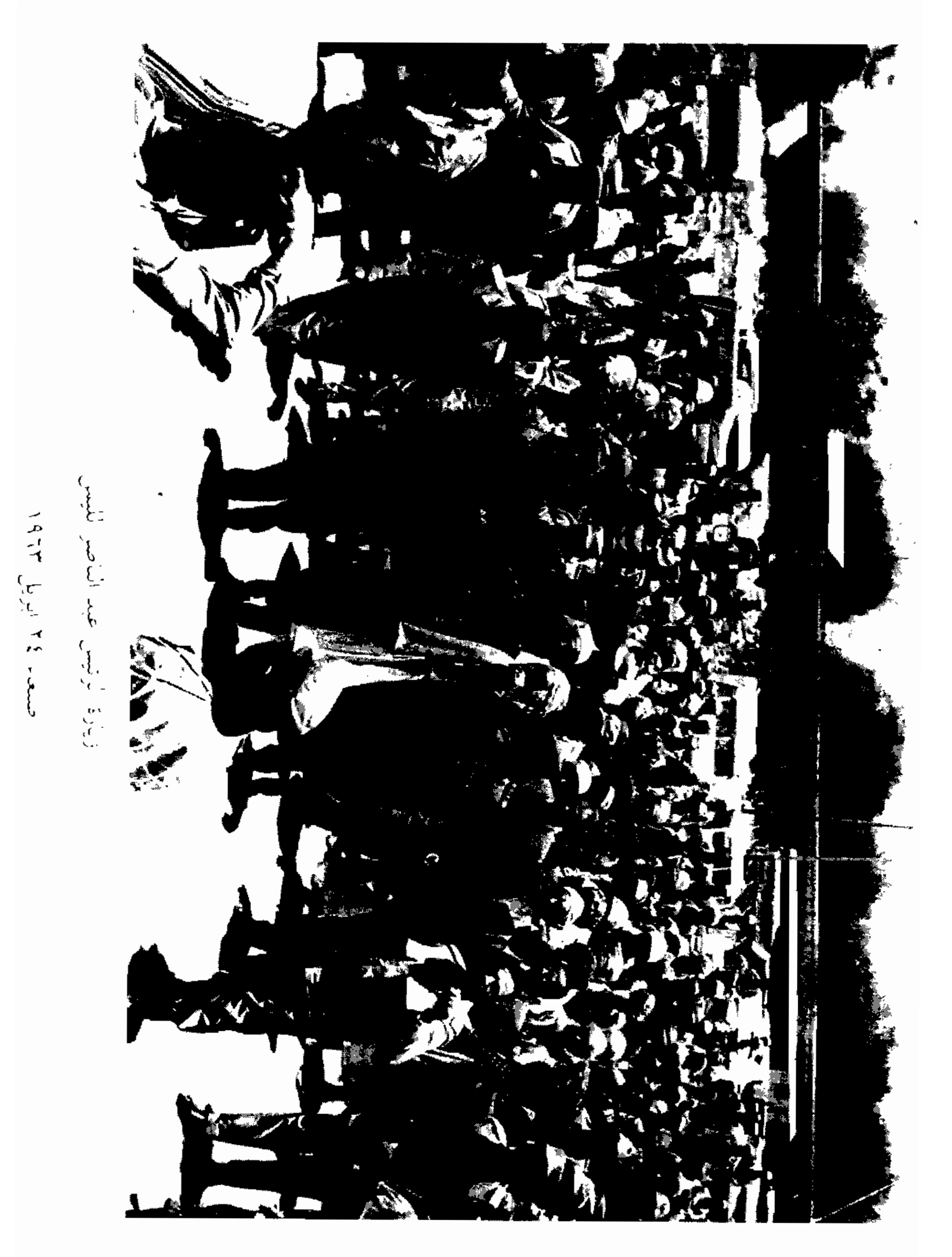
المملكة العربية السعودية
نجران
سوق عنان
جيزان
صعدا
ميدى
المحابشه
الحزم
حضرموت
حجه
عمران
مسور
الروضه
صنعاء
مأرب
حريب
بيحان
مناخه
الحديده
البيضا
أب
عدن
تعز
مخا
خليج عدن
عدن
خريطة
اليمن



مقابر الشهداء ، ٢٠ / ١٠ / ١٩٦٣



مقابر الشهداء



زيارة الرئيس عبد الناصر لليمن
صنعاء ٢٤ ابريل ١٩٦٣



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الخامس

إعـــداد القــوى ورباط الخيــل

من بعد الجولة الثانية حتى رحيل عبد الناصر ١٩٧٠

الفصل الأول

الموقف في منطقة الشرق الأوسط بين جولتي ١٩٥٦ و ١٩٦٧

تتابعت الأحداث على منطقة الشرق الأوسط في أعقاب العدوان الثلاثي بعد أن ظهرت إسرائيل أمام العالم كدولة عميلة تلبي مطالب الغرب الرأسمالي ، وتؤدي كل ما يوكله إليها من مهام ، وتنصاع لأوامره بصفة كونها جزءًا من التشكيل الحضاري الغربي .

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية - رغم ورطتها السياسية والعسكرية في مسرح جنوب شرق آسيا منذ حقبة الخمسينيات - تعزف عن متابعة مجريات الأمور بالشرق الأوسط ، بل تعمل جاهدة لترث النفوذ الإنجلوفرنسي فيه .

وقد اشتعل التنافس بينها وبين الاتحاد السوفيتي الذي كان الأكثر نجاحًا مع مصر وسوريا والعراق والجزائر ، بينما كانت الولايات المتحدة ذات النفوذ بالنسبة للمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية وجمهورية لبنان والمملكة الليبية والمملكة المغربية وجمهورية تونس .

وكان مؤتمر برمودا بين الرئيس دوايت أيزنهاور والمستر هارولد ماكميلان عام ١٩٥٧ بمثابة عملية تسليم وتسلم للهيمنة الغربية على الشرق الأوسط ، حيث اتفقا على أن تخفض بريطانيا من وجودها والتزاماتها وراء البحار ، مقابل قيام الولايات المتحدة الأمريكية برعاية وتأمين مصالح الغرب فيها .

وكان الثمن الذي تقاضاه الاقتصاد البريطاني المتدهور منذ الغزو الفاشل لبور سعيد عام ١٩٥٦، عبارة عن دعم عاجل قيمته ٤٠٠ مليون جنيه استرليني لإقالة اقتصادها من عثرته .

ومنذ ذلك المؤتمر تبلورت أهداف الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط في الآتي :

١- وقف تسرب نفوذ السوفيت إلى المنطقة ، والعمل على إخراجه من المناطق التي تمكّن من وضع أقدامه فيها .

٢- حصار بؤر الثورات التقدمية وإجهاضها .

٣- دعم المصالح الغربية بالمنطقة ، وتمتين روابط ولائها للغرب .

إلا أن العقبة التي اعترضت تحقيق تلك الأهداف هي صداقة الولايات المتحدة لإسرائيل وانحيازها الكامل إلى جانبها بما فيه الضرر المباشر لحقوق العرب ومصالحهم المشروعة .

وبمجرد أن عقدت مصر صفقة السلاح الشرقي ، بعثت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية للرئيس إيزنهاور تخطره بأن « نظام الرئيس عبد الناصر سوف يظل يسيطر على الأمور في مصر لسنوات كثيرة قادمة ما لم يهزم هزيمة ساحقة أو يتم اغتياله » ، وأن هذا النظام يضر بمصالح الغرب غاية الضرر .

ثم زاد تدهور العلاقات الأمريكية المصرية بموقف مصر من ثورة اليمن ، التي اشتعلت يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فبادرت مصر إلى مساعدتها ، ودفع قوة من قواتها المسلحة لشد أزرها .

وكان اقتراب مصر من منطقة الخليج ومنابع النفط تهديدًا خطيرًا ومباشرًا لمصالح الغرب الحيوية وتعريض لشريان مواصلاتها الحيوي عبر البحر الأحمر ، نظرًا لقبضة مصر على منفذيه الشمالي والجنوبي . وظل الوجود العسكري المصري باليمن يتزايد حتى تجاوز ٤٥ ألف جندي في منتصف ١٩٦٣ ، ثم ٧٠ ألفًا في نهاية ١٩٦٥ استنفدوا نحو ٥٤ ٪ من جملة سلاح المشاة المصري ، و ٨٠ ٪ من المدرعات ، و ٦٨ ٪ من المدفعية ، و ٨١ ٪ من المقاتلات القاذفة ، و ٧٦ ٪ من المقاتلات التي كانت تملكها مصر وقتذاك .

وكان هذا الوضع يخدم خطط إسرائيل التي كانت قد عقدت العزم ، بعد إجبارها على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة في ٦ مارس ١٩٥٧ على أن تعيد الكرة ، بعد أن تعالج أوجه القصور العسكري وأسباب الفشل السياسي الذي حرمها من أن تحتفظ بالمكاسب العسكرية في جولة ١٩٥٦ .

فمسرح اليمن يجذب أفضل الوحدات المقاتلة المصرية ، حيث تستهلك معداتها وذخائرها فوق جباله ووهاده في حرب يختلف مسرحها وأسلوبها اختلافًا تامًا عن مسرح سيناء . والنصر السياسي الذي كانت الزعامة المصرية قد حققته ببراعة في تلك الجولة

حجب الأخطاء الجسيمة وأوجه القصور الخطيرة في التخطيط والأداء العسكري ، خاصة في القوات الجوية ، وفي تخطيط وأسلوب انسحاب القوات من سيناء الذي كان مثالاً للفوضى والانفلات العسكري .

وفي منتصف عام ١٩٦٣ حل الجفاء في العلاقة بين الرئيس عبد الناصر والرئيس جون كينيدي الذي راح يثير مسألة اليمن وصناعة الصواريخ بالعلماء الألمان في مصر . ولما طلبت الولايات المتحدة حق التفتيش على المنشآت النووية بمصر انهدم صرح التفاهم بينهما ، ثم وقعت حادثة اغتيال كيندي وتولى الرئيس ليندون جونسون السلطة فدخلت العلاقات الأمريكية المصرية في مرحلة عداء وتوتر شديد نظرًا لانحياز جونسون الكامل لإسرائيل قلبًا وقالبًا .

وقامت إدارة المخابرات البريطانية برفع مذكرة للسير اليك دوجلاس هيوم رئيس الوزراء ووزير الخارجية تقترح فيها زيادة أعباء الوجود المصري باليمن إلى الدرجة التي تستهلك اقتصاد مصر في مسرح ثانوي ، يهدر قوتها العسكرية ويفسد مفاهيمها عن تكتيكات الحرب الحديثة . وقد كان طول شريان المواصلات بين مصر واليمن وطبيعة أرض اليمن البالغة الوعورة ضمانتين لسرعة استنزاف اقتصاد مصر وقواتها المسلحة إلى الدرجة التي سوف توقع بها الضرر الأكيد .

وفي مؤتمر القمة العربي الأول الذي عقد يوم ١٣ يناير ١٩٦٤ ، عادت مصر إلى ممارسة زعامتها على الوطن العربي وكتلة الحياد الإيجابي إلى جانب بلجراد ونيودلهي . وعلى الطرف المضاد زاد الرئيس جونسون من دعمه لإسرائيل فأعلن يوم ٦ فبراير ١٩٦٦ خلال حملة جمع تبرعات لمعهد وايزمان بأن حكومته قررت مساعدة إسرائيل في تحلية مياه البحر المالح ضمن سياسه استخدام الذرَّة سلميًا ، وأنها تعتزم الوقوف إلى جانب أية دولة تتعرض للعدوان في منطقة الشرق الأوسط .

وكان ذلك ردًا على رسالة ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل ، الذي خلف بن جوريون والتي أخطره فيها أن قرارات مؤتمر القمة العربي الأول قد تضمنت تهديدًا خطيرًا لإسرائيل باستخدام القوة المسلحة العربية ضدها ، وهو ما لا يجمل بالولايات المتحدة أن تتغاضى عنه .

وبمجرد أن شعرت إسرائيل بوقوف الرئيس جونسون إلى جانبها قلبًا وقالبًا . قامت

بشن غارة جوية فوق دمشق يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٤ ، أسقطت خلالها ١٥ طائرة سورية . وبإعادة انتخاب الرئيس جونسون أوقف المعونة الأمريكية لمصر والبالغ قدرها ١٠٠ مليون دولار سنويًا ، كما منع تصدير القمح إليها ، وشدد الحصار الاقتصادي عليها ، وصاحب كل ذلك حملة دعائية جائرة على مصر من وسائل الإعلام الغربية .

وفي نفس الوقت تصاعدت حدّة الأزمة بين القاهرة وبون بعد كشف الستار عن صفقة الصواريخ الألمانية لإسرائيل ، ثم اعتراف حكومة مصر بحكومة ألمانيا الشرقية . وعادت تقارير المخابرات الغربية تؤكد على ضرورة الحرب لإيقاع هزيمة مهينة بالرئيس عبد الناصر ، أو تدبير خطة لاغتياله .

وفي مطلع عام ١٩٦٧ كان الوجود العسكري المصري في اليمن قد مضى عليه خمس سنوات مضنية أضرت بقدراته القتالية ، وبمستواه الفني ، وبدرجة صلاحية معداته ، وكان عدد الضباط الذين يخدمون باليمن في إبريل ١٩٦٧ قد وصل إلى ٢٢٠٩ ، والرتب الأخرى إلى ٣٢٥٥٩ ، والمدنيين إلى ١٨١٦ ، أي ما مجموعه ٣٦٥٦٤ فردًا ، كان عدد مماثل لهم في طريق العردة لمصر بعد خدمته باليمن ، بينما عدد ثالث يتأهب للذهاب إليها كغيار للعدد الذي يخدم هناك بعد انتهاء مدة خدمته ، ويعني ذلك أن نحو مائة ألف فرد من القوات المسلحة المصرية كانوا وقفًا على خدمة مسرح اليمن بالتناوب فيما بينهم .

وبالنسبة لباقي جبهات الطوق العربي فقد كان جيش العراق يخوض صراعًا دمويًا مع الأكراد ، بينما جيش الأردن يعيد تنظيم قواته ، وجيش سوريا قد امتصت الانقلابات الكثيرة المتتالية قدرته القتالية ، وأصابته بحالة من الشلل الميداني ، أما التضامن العربي فقد اختفى من الساحة ، فكان العرب نتيجة ذلك في أدنى حالات التأهب العسكري للتورط في حرب جديدة .

ولم تكن إسرائيل غافلة عن هذه الحقيقة ، بل كانت تنتظر لحظة استفحالها وتغيّر الظروف الدولية بما يسمح لها بتكرار محاولة خريف ١٩٥٦ ، لتكون الجولة القادمة هي « الحرب التي تنهي كل الحروب » .

ولهذا شرع حكام إسرائيل في حشد الإمكانيات ، وتوفير الضروريات ، وكسب الرأي العام العالمي ، ورسم الخطط التي تحقق الهدف المنشود وتبرئته من تهمة التواطؤ ، وإقناع العالم أجمع بأنه عمل عسكري اضطراري ومشروع لاستمرار البقاء .

وفي صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت الحلبة قد تم تجهيزها من كافة النواحي لإيقاع الهزيمة الكاملة بالعرب ، هزيمة لا يعيبها تواطؤ سافر مثلما حدث عام ١٩٥٦ ، ولا يصلح معها عذر بأن إحدى أو بعض جبهات الطوق العربي قد تقاعست عن القتال وأنها لو فعلت لتغيرت النتيجة ، ولهذا كان إصرار إسرائيل على أن يكون النصر خالصًا على كل الجبهات ، وبلا أدنى شائبة عن تواطؤ . وقد تم لها ذلك في أقل من ستة أيام .

الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة
(صيف عام ١٩٦٧)

زعم الكيان الـصهيوني أنه اضطر إلى شن ضـربة إجهاض جوية ليسبق بـها ما اعتزم العرب أن يفـعلوه . وقد حسبـت الأركان العامة الإسرائـيلية توقيـتات تلك الضربـة الجوية الشامـلة بدقة بالـغة ، وصحبتـها ببلاغ كـاذب عن زحف القوات المـصرية على الـنقب ، واختراق طائراتها المجال الجوي الإسرائيلي .

وكانت الخطـة التي أطلق عليـها اسم « ضربة كولـومبس » قد تم رسمها مـنذ سنوات كثيرة ، وصـار التدريب عليها حتـى صرح اللواء مردخاي هود قائد السلاح الجوي بقوله : « لقد استوعبـنا الخطـة ، وتدربنا علـى الخـطة ، وراجعنا الخطة حتـى سـرت الخطة فـي دمائنا » .

وتحت مظلة من ٤٠ طائرة ميراج انقضت ٤٠ مقاتـلة قاذفة - أغلبها من طراز المستير - في الساعة التاسعة إلا الربع صباحًا على تسـعة مطارات مصرية في مجموعات صغيرة من ٤ طائرات ، فدمَّرت ممرات الإقلاع والهبوط وما حولهـا من طائرات . ولم تكن الخطة تسمح بأكثر من عشر دقائـق فوق كل هدف ، حتى يبقى من الوقود ما يكـفي للعودة إلى مطارات الإقلاع ، لا سيـما وقد استهـلكت رحلة الـذهاب الجزء الأكبر مـنه لحرص الطائـرات على الاقتراب مـــن فريسـتها على ارتـفاع منخـفض جدًا ، مما زاد من اسـتهلاك الوقـود أضعافًا مضاعفة .

وكانت تلك المدة الوجيـزة لا تسمح بأكثر من أربعة انقضاضات عـلى الأهداف المنتخبة مسبقًا والتي يعلمها الطيار بدقة بالغة ، فيقصفها بالرشاشات ، ثم بالقنابل لتدمير الممرات ، ثم ينشر المفرقعات الزمنية حولها لتعطيل عمليات الإصلاح وجعلها عرضة للتوقف والخسائر البشرية .

وبفضل نوع مبتكر من قنابل تدمير المـمرات التي لا تنفجر إلا بعد أن تغوص في بطن الممر بالعـمق الكافي حدثت حفـر كبيرة يحتاج ردمهـا إلى ساعات طويلة . وعنـدما حلت الساعة ١٠٣٥ تحولـت الطائرات المغيرة إلى ٨ مـطارات أخرى في العمق ، فلـم ينته يوم ٥

يونيو حتى كان ١٧ مطاراً قد تم تدميرها بكل ما فيها من طائرات ومنشآت ، إلى جانب ١٦ جهاز رادار كانت منتشرة في شبه جزيرة سيناء .

وبعد ٣ دقائق من مغادرة الموجة الأولى للمطارات المضروبة وصلت الموجة الثانية من ٤٠ طائرة أيضًا لتشن الهجوم الثاني على نفس المطارات ، ثم تلتها الموجة الثالثة بنفس الترتيب ، وهكذا حتى بلغ عدد تلك الموجات ثمان استغرق عملها ٨٠ دقيقة أعقبها فاصل مدته ١٠ دقائق قبل أن تبدأ الموجات الثمان التالية عملها تباعًا وبنفس الأسلوب والتوقيت ، وضد نفس الأهداف .

وهكذا تم الأمر فيما بين الساعة التاسعة إلا ربعًا والساعة الثانية عشرة إلا ربعًا من ذلك الصباح ، وانفرد قائد القوات الجوية والدفاع الجوي المصري بأنه الوحيد الذي فقد سلاحه مرتين خلال حقبة واحدة من الزمن (١٩٥٦ - ١٩٦٧) .

وقرب العصر راحت الطائرات الإسرائيلية تهاجم مطارات الأردن فسوريا فالعراق ، فلم تغرب الشمس حتى كانت قد امتلكت السيادة الجوية غير المنازعة في سماء المسرح .

وعلى الرغم من وجود قيادة عربية مشتركة ، وقيادة موحدة ، فإنهما ظلتا خامدتين منذ لحظة بدء العدوان حتى انتهائه ، بل كان قادتهما يتابعون أحداث القتال عن طريق المذياع . ولو مارست إحداهما مسؤولياتها لأمكن حشد أضعاف ما فقدته دول الطوق من طائرات لتواجه بها إسرائيل صباح اليوم التالي فيخيب أملها وتجد نفسها في موقف لم تكن تتوقع أن تصادفه ، لا سيما وأن أغلب ما تم تدميره من ممرات بالمطارات أمكن إصلاحه قبل أن يبزغ فجر ٦ يونيو .

ومما أثار دهشة العرب سرعة معدل الهجوم الإسرائيلي الجوي نتيجة نجاح الخدمة الأرضية في إعادة تجهيز الطائرات بلوازمها قبل إقلاعها للمرة التالية فيما لا يتجاوز العشر دقائق ، مما دفع البعض إلى الظن بسبب ذلك أن ثمة طائرات أجنبية تشترك في الضربة مع إسرائيل .

والواقع .. أن الخدمة الأرضية الإسرائيلية مكنت طائراتها من أن تحقّق أكثر من ٨ طلعات في اليوم الأول للهجوم ، بينما لم يكن المصريون يتوقعون أكثر من أربع طلعات على أسوأ الفروض .

وعلى الجانب المضاد . . لم تكن أجهزة الإنذار العربية تستطيع التقاط الطائرات المغيرة على الارتفاعات المنخفضة ، كما أن حالة التسيب التي كانت عليها القوات الجوية المصرية صباح يوم ٥ يونيو أسهمت بدورها في نجاح الضربة الجوية الشاملة التي استخدمت إسرائيل فيها ٢٦٠ طائرة ، بينما احتفظت بعدد ١٢ طائرة للدفاع عن سماء إسرائيل ، وعدد ٦٠ طائرة تدريب فوجا ماجستير بعد تسليحها لدعم التشكيلات البرية في هجومها على سيناء ، حيث كانت الطائرات الأخرى منهمكة تمامًا في تنفيذ الضربة الجوية .

لقد خطَّط الصهاينة بالتعاون مع البنتاجون الأمريكي لهذه الضربة الجوية الشاملة لعشر سنوات سلفت ، واعترف طيار إسرائيلي أسير أنه ظل يتدرب على مهمته على مجسَّم ، مماثل تمامًا للهدف المطلوب تدميره لمدة ١٦ شهرًا .

وكتمت إسرائيل النصر عن عمد حتى تفسح لقواتها البرية فرصة إنجاز مهامها القتالية ، قبل أن يتدخل مجلس الأمن أو يتحرك الاتحاد السوفيتي لنجدة حلفائه العرب . وقد أكدَّ قائد السلاح الجوي الإسرائيلي أنه دمّر ٣٠٩ طائرة مصرية ، و ٦٠ سورية ، و ١٧ عراقية ، و ٢٧ أردنية ، وواحدة لبنانية بمجموع كلي ٤١٤ طائرة مقابل ٤٦ طائرة و ١٦ طيارًا .

ورغم أن قائد القوات الجوية والدفاع الجوي المصري ظل في منصبه ١٤ عامًا متتالية ، كان قد تعرض في بدايتها لضربة جوية شاملة ليلة الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ قضت على طائراته ومطاراته . . فإن الدروس المستفادة منها لم يظهر لها أثر في تجربته الأليمة الثانية يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ . فليس هناك مبرر لترك الطائرات مصطفة على النحو الذي كانت عليه مساء يوم ٣١ أكتوبر ، ثم صباح يوم ٥ يونيو الكئيب ، كما إن ضعف الدفاع الجوي عن المطارات كان على درجة لا يصدقها أحد . فإذا أضفنا إلى ذلك حرصه الزائد على أن يحتفظ بالمركزية المطلقة في يده ، فإن أحدًا من مرؤوسيه لم يجرؤ على التصرف عندما وقعت الواقعة بينما هذا القائد في طائرة المشير المتجه إلى سيناء حيث شاهد وهو في الجو مطارات القناة وهي مشتعلة بالنيران ، فعاد لتوه إلى مطار القاهرة الدولي ليجد أن القضية قد حسمت ، وأنه لم يعد يملك سوى الانخراط في البكاء على اللبن المسكوب .

والواقع أن كل الدفوع التي أدلى بها كبار ضباط القوات الجوية والدفاع الجوي المصري ، وما ساقوه من ذرائع لا يبرر الهزيمة الفادحة التي تسببوا فيها صباح الخامس من يونيو . فلا نقص الاعتمادات ، ولا ضغط المصروفات ، ولا ترك الضربة الأولى للعدو أقنع أحدًا بتبرير ما حدث ، أو أبعد المسؤولية عمن تسبب فيه .

فهذه القيادة هي التي قدرت خسائرها - إذا ما تركت للعدو الضربة الأولى - بنحو ١٥ - ٢٠ ٪ ، وقد شاركها خبراؤها السوفيت في هذا التقدير الخاطئ ، الذي كان يجب عليهم أن يصححوه لو عادوا إلى تجاربهم المماثلة في بداية حربهم مع ألمانيا عام ١٩٤١ .

فإذا أضفنا إلى ما سبق عدم توفر وسيلة إنذار ضد الطيران المنخفض ، وضعف قدرة الدفاع الجوي من صواريخ ومدافع ورشاشات عن وقاية الأهداف الموكلة إليه ، لاكتمل أحد الأسباب الرئيسية لما انتهت إليه الجولة الثالثة من هزيمة ، والتي لو بذلوا بعض الجهد الذي بذلوه بعدها للتنصل منها في محاولة درأها بجديّة ، لما وقعت بهذه الدرجة من الشمول والدمار .

ثانيا - العمليات البرية

اكتمل لإسرائيل مع مطلع شهر يونيو ١٩٦٧ الموقف الدولي المتعاطف ، والحشد العسكري المتفوّق الذي ناهز ربع المليون مقاتل ، كان ٥٠ ألفًا منهم من الإلزاميين ، و ٢٠٠ ألف من الاحتياطي الخط الأول الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٢ و ٣٩ سنة ، ويملكون خبرة قتالية عالية من واقع ما خاضوه من حروب سابقة وإغارات كثيرة ، فضلاً عن المناورات والتدريبات الواقعية على نفس مهام القتال المقبلة ، حتى صاروا بمثابة القوة الضاربة الرئيسية لجيش إسرائيل .

وكانت تلك القوة البرية الضاربة قد نمت بفضل أسلوب التجنيد والتعبئة الذي اعتبر الفترة الإلزامية مجرد دراسة لفنون القتال ، بينما وجّه خدمة الاحتياط للتطبيق الميداني والقتال الفعلي ، فزاد بفضل ذلك حجم القوات البرية من ١٨ لواء في الجولة الثانية خريف ١٩٥٦ إلى ٢٥ لواء في هذه الجولة ، منها ٩ ألوية مدرعة و ٢ ميكانيكي و ١٠ مشاة بعضها

شبه ميكانيكي ، و ٤ مظلي ، علاوة على ١٥ لواء آخر من جنود حرس الحدود والدفاع المحلي ، يناهز عددهم ٧٠ ألفًا .

ويوضح الجدول التالي المقارنة العددية

بين تلك القوات وبين القوات العربية لدول الطوق .

بيـــــان	القوات العربية			إجمالي القوات العربية	المقارنة		القوات الإسرائيلية	ملاحظات
	مصر	الأردن	سوريا		العرب	إسرائيل		
مقاتلون	٢١٠ر٠٠٠	٥٥ر٠٠٠	٦٣ر٠٠٠	٣٢٨ر٠٠٠	١,٣	١	٢٥٠ر٠٠٠	
لواءات	٢٢	١٠	١٢	٤٢	١,٧	١	٢٥	
قطع مدفعية	٥٧٥	٢٦٣	٣١٥	٩٦٠	٤,٨	١	٢٠٠	
دبابات	١٣٠٠	٢٨٨	٧٥٠	٢٣٣٠	٢,٣	١	١٠٠٠	
مجنزرات	١٠٥٠	٢١٠	٥٨٥	١٨٤٥	١,٢	١	١٥٠٠	
صواريخ سطح جو	١٦٠	—	—	١٦٠	٣,٢	١	٥٠	
مدافع مضادة للطائرات	٩٥٠	١٤٣	١٠٠٠	٢٠٠٠	٣,٦	١	٥٥٠	
طائرات حربية	٤٣١	٢٧	١٢٧	٥٨٥	٢	١	٢٧٧	

واعتمد الفريق إسحق رابين عند وضع خطة " الملاءة الحمراء " للهجوم العام على جبهات دول الطوق العربي ، على أسلوب الحرب الخاطفة التي تلتزم بالسرعة في الزحف والسرعة في نقل ثقل الهجوم بين الاتجاهات التعبوية المختلفة في المسرح الواحد ، وبينه وبين سائر المسارح الأخرى لنشر الفوضى والاضطراب بين صفوف العرب ، وشل تفكير قياداتهم ، تحقيقًا لمأثورة الجنرال هانز جودريان قائد البانزر الألماني « احرص على المزيد من السرعة ، مع المزيد من الجرأة » .

اشكال المناورة البرية الإسرائيلية :

نظرًا لعدم انطباق حدود المناطق العسكرية الإسرائيلية على حدود جبهات دول الطوق العربية فيما عدا جبهة سيناء . . فقد كُلِّف العميد عوزي ناركيس بالهجوم على القسم الجنوبي من الجبهة الأردنية ، بينما كُلف العميد دافيد اليعازر بالهجوم على قسمها الشمالي إلى جانب الهجوم على الجولان ، أمّا العميد يشعيا هوجافيش فقد كلِّف بالهجوم على جبهة سيناء .

واشتملت خطّة الهجوم على شن ١١ ضربة رئيسية وثانوية ضد جبهات سيناء ، فوسط وشمال الأردن ، فالجولان على التعاقب وبتتابع سريع ، يهدف إلى هز اتزان تلك الجهات ، ثم اختراقها بعمق وبمعدل سريع لتطويق دفاعاتها الأمامية وحجز قواتها المنسحبة عند مانع طبيعي ضخم ، يسهل تدميرها فوقه قبل التحول لتعزيز النجاح على الخط المكتسب ، الذي يؤمّن ضم أكبر شريحة أرضية ممكنة من أرض العرب .

وكان نصيب جبهة سيناء أربع حركات مناورة التفاف وتطويق إحداها ثانوية ، ووسط جبهة الأردن ثلاثًا ، أما شمال الجبهة وكذلك جبهة الجولان فكان نصيب كل منهما مناورتان رئيسيتان . وقد اهتمت خطة الهجوم البري أيضًا برسم حركات المناورة سالفة الذكر ، بحيث تتلاءم مع تضاريس الأرض وسعة المحاور وأوضاع القوات التي تدافع عنها ، ولذلك . . فقد تمَّت أغلب تلك المناورات على امتداد المحاور التكتيكية والتعبوية التي تخترق تلك الجبهات طولاً وعرضًا ، وفي شكل حركات التفاف قريب أو تطويق بعيد . كما أخذ بعضها شكل الكمَّاشة لعزل البلدان والمدن ذات الكثافة السكانية العالية ، أو تجنُّب المناطق الحصينة بعد قطع خطوط اتصالها بالمؤخرة ، ثم تركها تسقط كالثمرة الناضجة .

ونظرًا لاختلاف السعات التكتيكية والتعبوية لتلك المحاور المتعددة . . فقد اختلف حجم القوات المخصصة لها فتراوح بين الكتيبة واللواء والفرقة ، كما بلغت معدلات انتقال الجهد الرئيسي للهجوم بين المحاور ، وكذلك بين الجبهات شأوًا كبيرًا ؛ إذ بدأت بالهجوم على جبهة سيناء صباح ٥ يونيو ، فوسط وشمال جبهة الأردن ظهر وعصر نفس اليوم ، فالجبهة السورية صباح ٩ يونيو ، ثم حسمت الحرب بالنصر مساء ١٠ يونيو أي فيما لا يتجاوز الستة أيام فقط .

فإذا ما قارنا بين تلك المدة التي تم خلالها اكتساح ثلاث جبهات بالمدة التي استغرقها الهجوم على جبهة سيناء بمفردها في خريف ١٩٥٦ ، والتي تجاوزت السبعة أيام لظهر لنا مدى التقدم الكبير الذي طرأ على آلة الحرب الإسرائيلية خلال الأحد عشر عامًا التي تفصل بينهما ، مقابل التدهور الخطير في نفس الآلة على الجانب العربي .

سير الحوادث على الجبهة المصرية :

بعد ثلاثة أسابيع من التحركات الكثيفة على غير هدى ودون هدف معلوم ، والتي راح القائد العام المصري يأمر بها تباعًا حتى أجهد القوات ، وأنهكها القيظ والعطش ، وأربكها

غموض المهام ، انتهت الحال بقوات القيادة الشرقية وقد تمركزت الفرقة ٧ المشاة على الاتجاه التعبوي الشمالي فيما بين رفح والعريش ، والفرقة ٢ المشاة على الاتجاه الأوسط فيما بين أبوعويقيلة والقصيمة ، فالفرقة ٦ المشاة الميكانيكية على الاتجاه الجنوبي فيما بين الكونتلا ونخل ، بينما احتلت الفرقة ٣ المشاة الخط الثاني في الخلف بين جبل لبنى وبير الحسنة ، وإلى الشرق منها القوة الخفيفة المشكلة من لواء مدرع ولواء فدائيين حول وادي لصان والمعين . أما الفرقة ٤ المدرعة - وهي التي كانت تشكل القوة الضاربة والاحتياط الاستراتيجي للدولة - فقد تمركزت حول بير الجفجافة على الاتجاه الأوسط .

وكان هناك لواء آخر من المظليين في منطقة شرم الشيخ لقفل خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية ، ولواء من جنود الاحتياطي في منطقة ممر الجدي ، وبهذا بلغ حجم تلك القوات نحو ١٠٠ ألف مقاتل و ٩٣٠ دبابة ، تمركز الجزء الأكبر منها في وسط وجنوب الجبهة فيما بين أبو عويقيلة على الاتجاه الأوسط والكونتلا على الاتجاه الجنوبي .

ولهذا اعتزم العميد يشعياهو جافيتش قائد الجبهة الجنوبية الإسرائيلية أن يستهل هجومه على سيناء بتطويق الدفاعات من جهة الشمال حول رفح ، على عكس ما فعل سلفه العميد عساف سمحوني إبان الجولة الثانية في خريف ١٩٥٦ ، عندما بدأ تطويقها من الجنوب حول القصيمة وأم قطف ، نظرًا لتمركز أغلب الدفاعات وقتذاك في الشمال . هذا وقد ناهز حجم القوات التي وضعت تحت قيادة جافيش ٧٠ ألف مقاتل ونحو ٧٥٠ دبابة .

ووقعت الضربة البسرية الأولى بلوائين مدرعين ولواء مظلي ولواء مشاة وفوج مدرع خفيف بإجمالي ١٥ ألف مقاتل و ٢٥٠ دبابة تحت قيادة العميد إسرائيل طال ، الذي أدار حركة كماشة حول رفح من الشمال عند خان يونس ، ومن الجنوب حول درب المصري ليلتقي فكاها خلف الشيخ زويدّ ، ثم يواصلا الاندفاع غربًا حتى العريش فالقنطرة ، بينما ينفصل قسم منها عند العريش ليتجه جنوبًا إلى المطار ثم بير لحفن فالحسنة .

ووقعت الضربة الثانية بلواء مشاة ولواء مدرع ولواء مظلي بإجمالي ١٥ ألف مقاتل و ١٥٠ دبابة تحت قيادة العميد أريل شارون الذي اندفع بها من العوجة غربًا على محورين ، هاجم المحور الشمالي دفاعات أم قطف من ناحية غرود مكسر الفناجيل ، التي كانت القوات المصرية تعتبرها غير صالحة للتحركات فكانت سببًا في مفاجأتها وهزيمتها ، بينما التف المحور الجنوبي حول أم القطف وهاجمها من الخلف عند سد الضيّقة .

أما الضربة الثالثة فقام بها العميد أبرهام يوفيه بلوائين مدرعين كل من ١٠٠ دبابة سنتوريان ، اندفعت بين قوات طال وقوات شارون عبر وادي الحريضين الذي كان يعتبره المصريون أيضًا غير صالح للتحركات الكبيرة ففاجأ قوات بير لحفن المكونة من كتيبة مشاة ، ثم زرع الكمين جنوبها حيث قضى على الضربة المضادة التي وجهها القائد العام من الحسنة لتستعيد الأوضاع على الاتجاه الشمالي ، والتي تشكلت من لواء مشاة وآخر مدرع ، ودفعت في عجلة وعشوائية غريبة لتنفذ مهمة غامضة دون أن تزوَّد بمعلومات كافية عنها .

يبقى الهجوم التثبيتي في أقصى الجنوب ، والذي قام به العقيد البرت ماندلر بلواء ميكانيكي في مواجهة الكونتلا ، لحجز القوات الضخمة أمامه ومنعها من التدخل في المعارك الرئيسية في وسط وشمال سيناء .

وفي أقصى الشمال قام العقيد يهودا رشيف باجتياح قطاع غزة من الجنوب للشمال ، على عكس ما فعل سلفه دافيد اليعازر في الجولة الثانية ، عندما اجتاحه من الشمال قرب غزة إلى الجنوب حتى رفح .

وكان على قوات العميد جافيتش بعد أن تخترق الجبهة وتهزم خط الدفاع الثاني حول الحسنة أن تندفع إلى المضايق القريبة لسيناء عند رمانة والجفجافة والجدي ومتلا لتحجز القوات المنسحبة هناك ؛ توطئة للقضاء عليها بالقوات الجوية والقوات البرية اللاحقة ، ثم تستغل النجاح حتى الضفة الشرقية لقناة السويس .

ونتيجة لعنف الضربة الجوية الشاملة ونجاحها في مفاجأة وتحطيم الغطاء الجوي العربي في المسرح ، وما تبع ذلك من مناورات برية عميقة داخل سيناء مزقت النطاق الدفاعي الأمامي فيما بين رفح والكونتلا . . فقد اهتز القائد العام ، وبادر دون استشارة هيئة العمليات الحربية ، أو قائد الجبهة ، أو قائد الجيش الميداني ، بإصدار أمره - سيء الحظ - بإخلاء سيناء من كافة القوات في بحر ٢٤ ساعة ، مع تدمير كافة الأسلحة الثقيلة ، والعودة بالخفيفة فقط .

وهكذا وقعت شبه الجزيرة كلها تحت الاحتلال الإسرائيلي للمرة الثانية في غضون حقبة زمنية واحدة تقريبًا ، الأولى للنجاة من الفخ الذي أعده العدوان الثلاثي للجيش داخل أعماقها ، والثانية ليضيع الجيش وتخسر مصر عتادها وسمعتها وأراضيها نتيجة قرار أخرق ، لم تكن تبرره الأوضاع السائدة بينما تسبب في ضياع نحو ٧٠٠ دبابة ، و ٤٠٠

مدفع ميدان وما يزيد على ١٠ آلاف عربة ومجنزرة ، فضلاً عن النزول للعدو عن نصر أطلق عليه العالم اسم « نصر الخمسة نجوم » . أما خسائر الأفراد فكانت فادحة حقًا إذ بلغت ١١٥٠٠ شهيد وجريح ، مقابل ١٣٠٠ قتيل وجريح إسرائيلي .

ثانيا : وسط الجبهة الأردنية :

حددت محاور التقدم في هذا القسم من الجبهة الأردنية اتجاهات المناورة الإسرائيلية ؛ إذ تميزت طبيعة الأرض بضيق تلك المحاور لاختراقها سلاسل جبلية وعرة ؛ مما حد من حجم قوات إسرائيل فيما لا يزيد عن لواء وأحيانًا الكتيبة ، وليس حجم الفرقة على نحو ما شهدته جبهة سيناء .

لقد تمركز جيش الأردن في الضفة الغربية داخل قطاعين دفاعيين حول بلدتي جنين ونابلس في الشمال ، والقدس والخليل في الجنوب . واحتلت الدفاعات خمسة لواءات مشاة ولواءان مدرعان تمركزا غرب جسر الدامية وشرق القدس على الترتيب .

ووقع على العميد عوزي ناركيس قائد الجبهة الوسطى مهمة شن الهجوم على مواجهة ١٦ كيلومترًا لاحتلال كل من القدس ورام الله ، ثم استغلال النجاح في اتجاه أريحا شرقًا وبيت لحم جنوبًا .

وأعد ناركيس أربعة لواءات لتنفيذ ثلاث مناورات كانت الجنوبية منها هي الرئيسية ، وقد خصص لها اللواء عتصيونى ولواء مظلي لاقتحام مدينة القدس ، ثم الاندفاع شرقًا وجنوبًا صوب أريحا وبيت لحم .

ووقع على اللواء هارئيل عبء المناورة الثانية على مسافة ٨ كيلومترات شمالاً ، وذلك بالزحف من أبو غوش في اتجاه النبي صمويل ثم تل الغول ، حيث ينقسم عنده إلى قسمين : ينطلق القسم الشمالي منهما إلى رام الله ليتم حركة الكماشة حولها بالتعاون مع القوات التي خصصت للاستيلاء عليها ، بينما يتجه القسم الجنوبي نحو الشيخ جسراح (حيث دفن الصحابي الجليل أبو عبيده عامر بن الجراح أمين هذه الأمة بعد وفاته في طاعون عمواس الشهير) ليتعاون مع اللواء عتصيونى واللواء المظلي سالفي الذكر في الاستيلاء على القدس .

أما لواء العقيد يوطفان فقد خصص له محور هجوم على مسافة ٨ كيلومترات ، شمال

محور اللواء هارئيل ، فكان عليه أن يندفع مـن رحوبوت إلى اللطرون ، فبيت نوبا ، فسر بيت هارون ليقتحم رام الله ويستولي عليها .

وقد تمت تلك المناورات الثلاث فيما بين عصر يوم ٥ وضحى يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ بمعدل تقـدم بطـيء جدًا لم يـتجاوز ١٠ كيلومـترات في اليوم ، نظـرًا لعنف المقاومـة مع وعورة الأرض . وبلغت خسائـر الأردن نحو ألف شهيد وجريح مقابـل ٢٠٠ قتيل و ٦٠٠ جريح إسرائيلي .

ثالثا- شمال الجبهة الأردنية :

ارتكزت الدفاعات الأردنية في هذا الجزء الشمالـي من الضفة حول بلدتي نابلس وجنين اللتين يـصل بينهما طـريق شرقي يمر ببلدة طـوباس ، وآخر غربي يمر بديـر الشراع . وقد احتل هـذا الجـزء ثلاثـة لـواءات مشاة ولواء مدرع ، وكتيـبتا مشاة مسـتقلتان ، وكتـيبتان مدرعتان .

وبينما كان اللـواء ٢٥ المشاة مسؤولاً عن الدفاع عن بلدة جنـين في الشمال ، كان لواء الأميرة عالية يدافع عن بلدة نابلس الواقعة على بعد ٣٠ كيلومترًا جنوبها .

وكانت الأركان العامة الإسرائيلية قد وضعت تحت قيادة العميد دافيد اليعازر قائد المنطقة العسكرية الشمالية أربعة لواءات مشـاة قرب الحدود ، أحدها في مواجهة لبنان ، واثنان فـي الجليل الشرقي مقابـل سوريـا ، والرابع جنوب الناصرة . كما احتفظ الـيعازر بفرقة مدرعـة كاملة فـي الجليل الأوسط ، تحـت قيادة العميد اليعـاد بليد كاحتياطي على تلك الجبهة .

وكان على اليعازر أن يستـولي على القسم الشمالي من الجبهة الأردنيـة حتى النهر عند جسر الدامـية ، ولهذا شن هجـومه في الساعة الثـالثة عصرًا يوم ٥ يـونيو بحركتـي كماشة بلوائين مدرعين ، تقدم كل منهما في رتلين للإطباق على بلدة جنين من الجنوب الغربي ومن الجنوب ، على أن يستغل الأول النجاح في اتجاه جسر الـدامية ، بينما ينطلق الآخر إلى بلدة نابلس ليستولي عليها .

وقامت المقاتلات القاذفة الإسـرائيلية في مستهل الهجوم بقصف المواقـع الدفاعية بتركيز شديد ، فضلاً عن إسكات سرية المدافع ١٥٥ ملليمترًا جنوب غرب جنين ، التي كانت توفر عنصر النيران الرئيسي لدفاعاتها .

وبعد معارك ضارية في كل من جنين وقباطية وزبادية ونابلس . . تمكنت قوات العميد اليعازر من اكتساح الدفاعات ، واحتلال شمال ضفة الأردن حتى النهر حيث توقف إطلاق النيران في الثامنة مساء ٧ يونيو ، بعد أن تركت القوات الأردنية وراءها ٦٩٦ شهيدًا و ٣١١٧ جريحًا ، مقابل ٥٥٠ قتيلاً و ٢٤٠٠ جريح إسرائيلي .

رابعًا- الجبهة السورية :

تشكَّلت القوات السورية في هضبة الجولان في ثلاث مجموعات عمليات ، كل في حجم الفرقة تقريبًا ، ومجموعة رابعة في الاحتياطي العام فيما بين القنيطرة ودمشق . وتمركزت المجموعات الثلاث الأمامية في مواقع مجهزة للدفاع عن محور جسر بنات يعقوب - القنيطرة ، ومحوز فيق - العال - الرشيد .

وظلت جبهة الجولان هادئة حتى ٩ يونيو فيما عدا بعض التراشقات بالمدفعية وعدد من الغارات الإسرائيلية الانتقامية ، حتى صدر الأمر للعميد اليعازر بالهجوم يوم ٨ ، إلا أن موشيه ديان أجَّله إلى يوم ٩ ليتيح للقصف الجوي فرصة أكبر لتليين الدفاعات السورية ، ونقل المزيد من القوات الإسرائيلية من الجبهتين المصرية والأردنية إلى الجولان ، علاوة على إعطاء فترة راحة أطول للمقاتلين الذين ظلوا يعملون منذ صباح ٥ يونيو .

وقضت خطة الهجوم بدفع حركتي مناورة إحداهما رئيسية في الشمال بقيادة العميد دان لانر الذي كان عليه أن يزج فرقته في اتجاه تل العزيزيات لفتح الطريق إلى بانياس ، ثم استغلال النجاح في اتجاه مسعدة وحتى القنيطرة .

أما حركة المناورة الثانية فكانت جنوب ذلك في اتجاه الدربشية وجلابينا ، حيث كان على المظليين أن يتعاونوا مع المدرعات والقوات الجوية في الاستيلاء على بلدان التوافيق وفيق والعال والبوطمية ثم فتح الطريق الجنوبي إلى هضبة الجولان .

وبدأ الهجوم في الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم ٩ يونيو بزحف الأرتال الإسرائيلية على المحورين سالفي الذكر ، وبعد صعود جرف الجولان بمساعدة مهندس الميدان والبولدوزرات اندفعت القوات نحو أهدافها النهائية بمعدل سريع ، حتى اتمت الاستيلاء على القنيطرة قبل أن تقبل حكومة إسرائيل وقف النيران في الساعة السادسة والنصف عصر ١٠ يونيو .

وقد سقط بتلك الجبهة ٦٠٠ شهـيد سوري و ٧٠٠ جريح ، مقابل ١٢٧ قتيلاً و ٦٢٥ جريحًا إسرائيليًا .

الخلاصة :

عندما توقفت النيران في مسرح الجولة الثالثة مساء ١٠ يونيو ١٩٦٧ دخل على الخريطة السياسية والعسكرية لـلشرق الأوسط تغيير كبير ، حوَّل المشكلة الفلسطـينية الإسرائيلية إلى مشكلة عربية صهيونية أضخم حجمًا وأكثر أطرافًا عما سبق .

وقد أثبتـت الأركان العامة الإسرائيـلية للمرة الثالـثة أن التفوق العددي والـنوعي الذي كانت تعززه المفاجأة والمناورات الجريئة والمعدلات السريعة تحت السيطرة الجوية ، هو الطريق السهل والأقل تكلفة لتحقيق النصر .

وعلى الجانب المضاد كانـت القيادة العامة المصرية أشد خطرًا علـى جيشها من العدو ، حيث أنهكت قواتهـا في تحركات عشوائية وتبديلات متضاربة في الخـطط ، ثم تخبطت في إدارة المعارك حتى وقـعت في سقطة أمر الانسحاب الـعام الذي كان فيه الحكم علـى جيشها بالفناء .

والواقع أن سجـل القوات المسلحة المـصرية لا يحمل في صـفحاته هزيمة بحـجم هزيمة يونيو ١٩٦٧ التي كان هو ضـحيتها ، والتي فقد فيها ١١ ألفًا من خـيرة جنوده ، وما يزيد على ٨٠ ٪ من أسلحته ومعداته على يد فرد واحـد كان يجلس فوق قمة قيادته . إلا أن ألم الهزيمة لم يـدفع أحدًا إلى اليأس كما كان يـتوقع العدو ويأمل ، فقبـل أن تمر ست سنوات كان نفس الجـنود ، يحققون بـنفس الأسلحة والمعـدات وضد نفس العدو ، نـصر رمضان المجيد الذي كان صـك البراءة مـن الأراجيف والترهات ، التي ألصقت بهم ظلمًا في صيف عام ١٩٦٧ .

الفصل الثاني

إعداد القوى العربية والمصرية
قبل يونيو ١٩٦٧

تقديم:

استغلت مصر نجاحها السياسي عام ١٩٥٧ في إقامة الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ ، والتي نجحت القوى الاستعمارية والصهيونية في تقويضها فحدث الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وحاولت مصر كسر الحصار السياسي المفروض عليها ، فعاونت الثورة اليمنية سياسيًا وعسكريًا واجتماعيًا واقتصاديًا منذ قيامها عام ١٩٦٢ ، مما كان له آثار عميقة على المخطط الاستعماري والصهيوني سبَّب سخطهما على مصر ، وكان سببًا رئيسيًا للعداء بين مصر والسعودية .

ولما قامت ثورة العراق اعترفت مصر رسميًا بالحكومة الثورية في العراق في ٨ فبراير ١٩٦٣ .. وكثر أعداء مصر ، وبدأت القوى الاستعمارية تخطط لضرب مصر في القلب والرأس ، وساعدها في ذلك أن مصر أرادت أن تقوم بمظاهرة عسكرية لإظهار القوة ، ففي يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ أعلنت حالة الطوارئ في القوات المسلحة المصرية ، ورفعت حالة الاستعداد إلى الحالة القصوى وتحركت القوات إلى أهدافها المخطط لها من قبل أو التي لم يخطط لها من قبل ...

واختل ميزان أعداد القوى المصرية واختل ميزان رباط الخيل ، وكانت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية قد وضعت خطة للإعداد المعنوي للقوات المسلحة ، ولكن ليس على أساس من تربية العقيدة الإيمانية الصادقة بحيث يقتنع بها الضابط والجندي في القوات المسلحة المصرية بالعقل والقلب ، ولكن اتبعوا أساليب الكتب والنشرات والبحوث التي تشيد بأعمال ثورة ٢٣ يوليو وقادتها ورجالها ، وابتعدوا عن معاني الإيمان الصادقة وتربية

العقيدة الإيمانية السليمة عماد قوة الجيوش في الحروب ، بل في بعض الأحيان كانت المعنويات الدينية بين الجنود تحارب في الخفاء تارة وفي العلن تارات أكثر ، وتعرض كل من ينتمي إلى الإخوان المسلمين أو إلى أي صبغات دينية إلى النقل خارج القوات المسلحة ، إما إلى وظائف مدنية أو تحت الظل . وتسببت هذه الإجراءات في ازدياد الصراع الديني في الخفاء ، وكانت هذه الصراعات المكبوتة وقودًا ذريًا لتفجير ذرات الحقد الدفين من الشعب للقوات المسلحة بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وكادت الهوة بين الشعب والجيش تزداد صراعًا ، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد لمصر الخير ، وأن تظل تنعم بظلال مظلة الإيمان التي تمسك بها شعب مصر ، وتحتمى بحبل الله المتين الذي ساعد المؤمنين على أن يخطو نحو طريق الله باتباع الطهارة ، فى القول والعمل والنوايا ، مع اليقين بالله سبحانه وتعالى والقرب منه ، فكانت معركة رأس العش نقطة تحول كبيرة تعد أول نصر مباشر بين قوة مصرية مؤمنة وقوة يهودية غاصبة .

وبدأت مصر في إعادة بناء قواتها المسلحة على أساس من مبادئ إيمانية صادقة ، واتجه الجميع إلى الله قولاً وفعلاً ، فخرقت أشعةّ الإيمان غيوم الانحلال وأنارت عقول الشباب وقلوبهم ، وبدأ القادة على اختلاف درجاتهم في الاتجاه إلى الله ومخاطبة الجنود مباشرة بما قاله الله سبحانه وتعالى ونادى به رسوله الكريم الأسوة الحسنة ، وبدأ ترمومتر الإيمان يشير إلى الارتفاع التدريجي ، ويحطم ذكرى هذه الأيام النحسات التي عشنا فيها فترة كئيبة تعيسة لا رجعة إليها إن شاء الله .

الخطة الدفاعية قاهر :

وضعت القيادة المصرية للقوات المسلحة بعد عدوان ١٩٥٦ الخطة الدفاعية قاهر ، للدفاع عن سيناء والحدود الشرقية لمصر ، وبدأت القوات المسلحة التدريب على مهامها في هذه الخطة مع الإعداد اللازم لتنفيذها ، وقد بنيت الخطة « قاهر » على أساس منع العدو من الاختراق ، والوصول إلى قناة السويس ، وتدمير قوة العدو التي تنجح في الاختراق ، توطئة للقيام بالهجوم المضاد . واستلزم الأمر تأكيد تفهم الوحدات للخطة ومعرفة موقف الاستعداد القتالي للوحدات وقدرتها ، فقامت هيئة تفتيش القوات المسلحة بالتفتيش على الوحدات برئاسة أحد الفرقاء أول ، وكان يقدم تقريره رأسًا إلى المشير عامر ، وكانت توزع الملاحظات على الأفرع الرئيسية والهيئات والإدارات للإصلاح وللإمداد وحل المشاكل .

والحقيقة كانت هناك بادرة إصلاح بدأت مع أوائل عام ١٩٦٧ ، باهتمام القيادة العامة باستكمال النقص وإعداد القوات ورفع كفاءتها القتالية .

الإعداد المعنوي :

نشطت إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة المصرية في الإعداد المعنوي للقوات ولكن كانت كثرة النشرات والمجلات والكتب التي تصدرها هذه الإدارة مثارًا لتكهنات الضباط والجنود ، وللأسف لم يحاول أحد قراءتها أو الاطلاع عليها لكثرتها ولأن موضوعاتها واحدة !! كما يجب أن تبقى الكتب سليمة وبحالة جيدة لأنها كانت محل تفتيش مستمر ، وخصصت أكبر الدرجات في تقدير الكفاءة القتالية للوحدات على حسن الاهتمام المظهري بهذه النشرات والكتب والشعارات واللوحات ، وتسابق القادة على تحسين مظهرها لتكون عنوانًا للثقة بين القائد والقيادة الأعلى !! ومن المضحك أن بعض الوحدات التي تحركت إلى اليمن أخذت معها صناديق ولوحات التوجيه المعنوي كمظهر من مظاهر الولاء .

المظاهرة العسكرية :

في يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ أعلنت حالة الطوارئ في القوات المسلحة المصرية ، ورفعت درجة استعداد الوحدات إلى الحالة القصوى ، وبدأت هيئة التنظيم والإدارة في استدعاء الاحتياط ، وعقدت عدة مؤتمرات لاستكمال النقص في الأفراد والمعدات والأسلحة والذخائر في كل وحدات القوات المسلحة ، وصدرت الأوامر بتنفيذ تعليمات الدفاع الجوي السلبي والإيجابي ، مع تحقيق الوقاية للوحدات والمعدات والعربات وبدأ إعداد القوات المسلحة لشيء ما !!

وانهمكت القيادة العامة للقوات المسلحة في تنفيذ الخطة « قاهر » ، ولكن المشير عامر راح يتدخَّل شخصيًا في تفاصيلها ويعدِّل مهام القوات وتركيبها التنظيمي واتجاهات دفعها ، مما أفقد الوحدات كثيراً من قدرتها وخبراتها التي سبق أن تدربت عليها ، خاصة وأن معظمها كان عائدًا من مسرح عمليات اليمن المختلف في كل شيء !!

فتحركت الوحدات ومعها أسلحتها ومعداتها إلى وجهة محددة حسب الخطة ، ثم تغيرت الوجهة إلى مكان آخر وتغير التنظيم ، وبدأت الأوامر تصدر لتفكيك الوحدات إلى وحدات فرعية كل في اتجاه !! ومن أمثلة هذه المهمة التي كلِّف بها قائد وحدات المظلات

التحرك جـوًا إلى شرم الشيخ ، حـيث انضمت إليـه برًا وجوًا وبحرًا عنـاصر من وحدات أخرى يراها لأول مـرة . وبعـــد وصوله إلـى أرض المهمة وصلته قوات أخـرى وهكذا كل يوم .. كما تلـقى مهامًا أخرى : مرة أقفل المـضيق ومرة لا تقفل ومرة أقـفل بشروط كذا وكذا ، ومرة لا تقفل مطلقا !! أوامر محيرة وموقف محير ومنطق محير إلى أن جاءت قافلة إعلامية ضخمـة لتصوير عمليات إنزال بـحري وتحرك بري ، صدرت بها أوامر علمـنا فيما بعد أن هذه الإجراءات كلها كانت مظاهرة عسكرية إعلامية ليس إلا ..

وبعد يوم وليلة إنهار كل شيء نتيجة ضربة ٥ يونيو الموجعة ، التى كانت زلزالاً مدمرًا ونكبة عنيفة قاسية ..

الفصل الثالث

إعداد القوى العربية والمصرية
بعد زلزال ٥ يونيو ١٩٦٧

ماذا بعد زلزال ٥ يونيو ١٩٦٧ م :

رتبت إسرائيل هدفها العسكري والسياسي من هذا الزلزال على أساس :

- تدمير أكبر عدد من السلاح السوفيتى في المنطقة .
- الوصول بالهزيمة العسكرية إلى حد الإهانة لمصر في العالم عامة والعربي خاصة .
- تحطيم معنويات الجيش المصري وإذلاله .
- هدم نظام عبد الناصر .
- احتلال الضفة الغربية والقدس العربيَّة !!

إعداد القوى المصرية بعد زلزال يونيو ١٩٦٧ م

كانت رحمة الله سبحانه وتعالى بمصر واسعة ، فبعد زلزال ٥ يونيو ١٩٦٧ بقيت قواعد البيت قائمة راسخة ، تنتظر يد البنَّاء الماهر لرفع أعمدة القوة والقدرة والصمود ، فقد تولى الرئيس عبد الناصر تحمل المسئولية كاملة وأصدر أول قراراته لإعداد القوى ورباط الخيل وأعطى التوجيهات اللازمة للإعداد الجاد الحازم ، وهي :

١- سرعة بناء مقومات الصمود العسكري أمام العدو ومنعه من استغلال نجاحه عسكريًا .

٢- العمل على سرعة ارتباط القوات المسلحة مع الشعب والحكومة .

٣- عدم قبول الهزيمة العسكرية ، والعمل في الاتجاه السلمي والدبلوماسي الذي سعى إلى انسحاب إسرائيل من الأرضي العربية المحتلة في يونيو ١٩٦٧ .

٤- التعاون والارتباط الوثيق بالدول العربية جميعًا .

٥- توطيد الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي ، ومحاولة إشراكه في إعادة بناء القوات المسلحة .

٦- التركيز على الواجب العسكري للقوات المسلحة ، هو استرداد الأرض بالقوة وتحريرها

وهذا يتطلب إستعادة القدرة الدفاعية بالتدريج لتنفيذ هذا الواجب . وعلى ضوء هذه التوجيهات بنى القائد العام الجديد للقوات المسلحة تقديراته . وليتمكّن من تحقيقها حتى يكون إعداد القوى قائمًا على قاعدة قوية وطيدة . . فقد اتخذ الخطوات التالية :

القيادات :

تم تغيير معظم قادة وحدات وتشكيلات وإدارات القوات المسلحة المصرية ، وصدرت نشرات عسكرية متلاحقة بإحالة عدد كبير ممن تأكد موالاتهم للمشير عامر سواء من أهل الثقة أو الكفاءة ، حتى يعين قادة جدد على مستوى المسئولية المطلوبة للإعداد الواقعي . ورغم أن هذه الإحالة إلى المعاش هزّت موقف الوحدات والتشكيلات لفترة ، إلا أن عجلة القيادة الجديدة في القوات المسلحة سارت على قدم وساق لسرعة بناء القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوي . وفي نفس الوقت عدم إغفال تقوية الدفاعات على الضفة الغربية لقناة السويس ، لمنع العدو من استغلال نجاحه عسكريًا نحو الغرب .

الروح المعنوية :

أهمية تواجد أعمدة إقامة الروح المعنوية لتربية المعنويات على أسس سليمة وليس بالكتب والنشرات ، ولا يمكن أن يوكل التوجيه المعنوي في الفرقة مثلاً إلى نقيب واحد بل يجب اختبار أحسن أفراد في الدولة ، عندهم وطنية وغيرة على الوطن وعلم ومعرفة وانضباط ويجندوا في الجيش للقيام بهذا العمل . . وعلى القائد تقع مسئولية غرس روح القتال العالية في رجاله ، مع مراعاة الضبط والربط وليس التحبب للضباط مع اعتبار عامل العدل أساساً لهذا الانضباط ، ويجب دراسة المؤثرات على الروح المعنوية ، فهناك خسائر كثيرة في الوحدات أكثر من خسائر الحرب !! حوادث المركبات - إطلاق النار - الإهمال - الغياب والفرار - قتل النفس - التردد في تنفيذ الأوامر . . إلخ ، وهذا هو واجب القائد ومعاونيه من رجال الخدمة الاجتماعية والتوجيه المعنوي .

وقال عبد الناصر : « وهدف العدو أيضًا هو التأثير على الجبهة الداخلية ، وفيها حالات ضيق بعد ٣ سنوات واليهود عندهم كل المزايا واحنا ساكتين ويقول الشباب فين كذا . . وفين كذا . . وقد يعمد العدو لاستخدام الغازات أو أي سلاح جديد للتأثير على معنويات الشعب عامة والجنود خاصة ، وخسائرنا كثيرة ولها تأثير كبير » .

العقيدة القتالية :

كان لابد من محو آثار الهزيمة من قلوب الرجال وعقولهم ، ومحو آثار انهيار صرح الصداقة والارتباط الذي كان قائمًا بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر وذيول هذا الانهيار وبقاياه ببناء عقيدة إيمانية صادقة ، ترتبط بالإيمان الصادق بالله والوطن مع الولاء للقائد وأولي الأمر وحب مصر وجعلها دائمًا أولاً وقبل كل شيء ، ومعرفة العدو وتحطيم جدار الخوف والرعب الذي أحدثته الجولات الإسرائيلية العربية السابقة في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ ، ثم هذه الهزيمة الأخيرة في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وإعادة الثقة في السلاح والمُعِدَّة مع الأعداد لحسن الاستخدام والتدريب الواقعي ، كل هذا في إطار من زيادة درجات العلم والمعرفة على أساس سليم قوي ، مع طهارة النفوس والقلوب والعقول والأيدي والألسنة والأعمال ، ونشر وعي أدب الحرب والانضباط العسكري القائم على العدل والحزم مع الرحمة . .

وبدأت عجلة إعداد الرجال للقتال بحل مشاكلهم وإزالة الرهبة من نفوسهم ، وتقليل المسافة بين الضابط والجندي ، وزيادة الثقة والارتباط بالمعاملة الحسنة التي تولد الثقة والحب بين الجميع . وصدرت الأوامر بأن يمر كل أفراد القوات المسلحة في ممر معنوي يحقق هذا الأمل الكبير في بناء العقيدة الإيمانية الصادقة ، خاصة زيادة الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى حيث نسي الرجال ربهم في غمرة ريالات اليمن ، أو صراعات القوى الكبرى القائدة أو في التكالب على المناصب الزائلة ، وارتبط الجميع بحبل الله القوي المتين .

التعاون المصري السوفيتي :

كان على مصر أن تختار إما أن تسير في ركب الولايات المتحدة أو تنحاز إلى الاتحاد السوفيتي . . وليس هناك حل ثالث لإعداد القوي ورباط الخيل بعد هذه الهزائم المتكررة والصراعات المريرة . وقد اختارت القيادة العليا للدولة التعاون مع الاتحاد السوفيتي ، وتوثيق هذا التعاون بكل الطرق الممكنة . .

فسارع الاتحاد السوفيتي بإمداد مصر بالأسلحة والمعدات بدلاً عما فقدته في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وبدأ الإمداد الجوي بالأسلحة السوفيتية منذ ٩ يونيو ١٩٦٧ . وفي يوم ١٦ يونيو وصل وفد عسكري سوفيتي بقيادة الجنرال لاشنيكوف للمساعدة في استقبال الأسلحة والمعدات من الموانى الجوية والبحرية ، وتوزيعها على الوحدات المصرية التي بدأت عملية إعادة التجميع ، وإعادة التنظيم ، وإنشاء خط الدفاع الأول غرب قناة السويس على الطريقة السوفيتية في خط واحد متصل .

ثم في ٢١ يونيو ١٩٦٧ وصل الرئيس السوفيتي بدجورني ومعه مارشال الاتحاد السوفيتي زخاروف رئيس الأركان ، وبدأت محادثات قمة مع الرئيس عبد الناصر بهدف إزالة آثار العدوان الإسرائيلي على مصر ، واشتراك مستشارين وخبراء سوفييت بالعدد الذي يتفق عليه بين الطرفين ، واستمر التعاون المصري السوفيتي في التقدم مع زيادة المعدات والأسلحة والمستشارين والخبرات حتى رحيل عبد الناصر عام ١٩٧٠ .

وقال عبد الناصر : « كان الواضح من زيادة الرئيس بدجورني أن مشكلتنا الأساسية هي الدفاع الجوي والطيران ، واستراتيجية إسرائيل مبنية على أساس الاحتفاظ بالتفوق الجوي لعدم إمكانها الدخول في سباق لباقي الأسلحة الأخرى ، « ويجب أن يكون المستشارون السوفيت مسئولين مسئولية مباشرة لأجل السمعة العسكرية السوفيتية وطلب من المستشارين المشاركة في تقدير الموقف الحالي ، وتوضيح نقط الضعف وكيفية التغلب عليها . وإمكانية الاستمرار في حرب الاستنزاف ضد العدو ، وإجراءات تقليل خسائر الاستنزاف المضاد والخروج بخطة واضحة للاستنزاف » . وقال عبد الناصر عن العلاقة مع المستشارين : إنها مهمة جدًا ويجب تعبئتهم معنا بأي ثمن ونحن في أمس الحاجة ، لقد أرسلوا أولادهم إلينا هنا ليموتوا ويجب تقديرهم تمامًا . . نريد أن تكون العسكرية السوفيتية معنا دائمًا . . أي مشاكل معهم يجب حلها أولاً بأول ، ونحن في يدنا كل شيء . . ولن يسيطروا علينا أبدًا . . وفكرة الخبراء هي فكرتي ، وأنا صممت على هذا لأننا نريد أن نتعلم وأمامنا معارك كبيرة جدًا وليس أمامنا إلا طريقين: أن نستسلم أو نقاتل » .

شروق شمس الأمل :

في أول يوليو ١٩٦٧ : وقعت أول معركة برية بين القوات الإسرائيلية وقوة مصرية صغيرة من الصاعقة ، ولو أن القوات التي اشتركت في هذا القتال الذي لم يدم إلى ساعات

قلائل فصيلة صغيرة العدد ، ولكنها كانت مرتفعة المعنويات جريئة قوية أمينة . . إنها فصيلة من رجال الصاعقة قوامها لا يتعدى الثلاثين رجلاً ، ومعهم بعض رجال المهندسين كلفتهم القيادة برص ألغام على الجانب الشرقي من قناة السويس جنوب بور فؤاد بحوالي ١٢ كيلومترًا أو أقل لمنع تقدّم أي قوات إسرائيلية إلى الشمال تجاه بور فؤاد ، ونجحت فعلاً هذه القوة الصغيرة في عرقلة تقدّم حوالي سرية إسرائيلية مدعمة بالدبابات والمركبات النصف جنزير ، وأحدثت بها خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات ، وأوقفتها نهائيًا عن التقدم شمالاً . وبذا حرمت العدو من مد سيطرته على كل شبه جزيرة سيناء ، إذ إن هذه المنطقة ظلّت تحت سيطرة القوات المصرية حتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، إذ تمكنت نفس قوات الصاعقة المصرية من طرد الإسرائيليين نهائيًا من مواقعهم جنوب بور فؤاد ، وحطمت حصونهم وأسرت من أسرت وقتلت من قتلت ورفعت علم مصر خفاقًا في منطقة رأس العش شرقًا . وفي يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ فوجئ العدو بتحدي القوات الجوية المصرية لقواته الجوية فكان ظهور ١٠ طائرات مصرية ميج ١٧ دفعة واحدة في الجو لاعتراض طائرات الاستطلاع الإسرائيلية وأصابت إحداها . وكان هذا العمل حافزًا قويًا لإعادة الثقة للقوات الجوية المصرية .

وفي يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ تم اعتراض وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات أمام ميناء بورسعيد ، قتل فيها ٤٧ بحارًا إسرائيليًا وجرح ٩١ فرد من إجمالي طاقمها الـ ٢٠٠ .

وهكذا أشرقت شمس الأمل في استعادة الثقة للقوات المسلحة المصرية بالكامل .

وكان نجاح هذه العمليات الثلاث مفتاح تدمير جدار الخوف ، ونقله إلى الجانب الآخر - وبدأت عمليات العبور شرقًا بقوات استطلاع ثم دوريات قتال ثم قوات أكبر ، ونجحت قواتنا في أسر أول ضابط إسرائيلي عام ١٩٦٩ وهو ملازم أول دان افيدان في قطاع شرق سيرابيوم . .

ودارت عجلة التجهيزات الهندسية باستخدام المعدات الميكانيكية وإنشاء المواقع التبادلية ، والمواقع الهيكلية للدفاعات المختلفة ومرابض الأسلحة والمعدات ، ومواقع القيادات . . إلخ .

ولقد تحطّم الروتين المعطل لكل شيء بقرار أصدره وزير الحربية ، بإعطاء قادة الجيوش سلطات تحطيم الروتين في سبيل أمن المعدات والأسلحة بعد أمن القوات ، إذ صرّح قائلاً :

« لن اعترض على أي إجراء يتم من قائد الجيش شخصيًا يعود على الوزير بتكاليف طالما أن هدفه هو وقاية وأمن القوات » .

عملية رأس غارب :

جاء الانتقام الإسرائيلي من العمليات النشطة لقواتنا شرقًا بعملية خطف جهاز رادار ب١٢ روسي الصنع من موقعه في رأس غارب بمنطقة البحر الأحمر ليلة ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ ، وتمكن العدو الإسرائيلي من القضاء على الطاقم ، وحمل الجهاز في حوامتين إلى إسرائيل .

وأضرّت تلك العملية بالروح المعنوية للقوات كما كان لها تأثير كبير على نفسية الرئيس عبد الناصر ، وكذا على العلاقات السوفيتية / المصرية ، ولكنها كانت درسًا له نتائج يجب مراعاتها في حماية الأهداف الحيوية وأسلوب نجدتها . .

تعليق الرئيس عبد الناصر :

قال عبد الناصر تعليقًا على عملية الإغارة الإسرائيلية على رأس غارب يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ ما يلي : « تعتبر عملية رأس غارب عملية فريدة في التاريخ ولكنها ليست العملية الوحيدة فعملية دييب في الحرب العالمية الثانية تشبهها ، ولكن قوة الإغارة الأمريكية لم تتمكن من سحب كل أجزاء الرادار ، بل تمكنت فقط من سحب جزء من الرادار الألماني المتطور » . .

ثم استطرد في غضب وعصبية توضح الأحزان التي مر بها ، منذ أن علم بهذا الحادث الخطير وكان قد وجه اللوم إلى اللواء أ ح أحمد إسماعيل علي ، رئيس أركان حرب القوات المسلحة في ذلك الوقت وهم يشاهدون مناورة الفرقة ٢١ المدرعة من الجيش الثاني ، وبعد ساعات قليلة أقاله من وظيفته !!

ثم قال في حزن عميق :

« هذه العملية أثرت تأثيرًا كبيرًا على الروح المعنوية . . والعدو يعرف عنا أكثر منا . لماذا نكرر ما حدث في عام ١٩٤٨ والقيادة الإسرائيلية تعمل على أساس العمليات المشتركة ولديهم مدرسة لهذا ، لأن العمليات المشتركة لها أهمية كبيرة . . ويجب علينا تكوين أركانات حرب متخصصين في العمليات المشتركة » .

ثم قال « أنا أقول إن نجاح العدو راجع إلى الاستطلاع الكامل مع التخطيط الجيد والتدريب ، ولماذا نحن عندنا قصور في هذا مع ضعف قدراتنا . . الموضوع أخطر مما تتصور !! وكانت عيون الصقر حزينة غاضبة ، ووجه إلى جميع الحضور أمرًا بأن يقول كل فرد منهم رأيه بصراحة . .

وتكلم عدد من القادة ولكنه علق بسرعة عما يجول في فكره وخاطره ، كقائد عسكري ذى خبرة ومخطط جيد قائلاً :

« يجب اتخاذ إجراءات تأمينية ضد أعمال العدو النشطة ، وأهمها - من وجهة نظري - تدعيم المناطق الحيوية بالدولة ، وإعادة توزيع القوات في المناطق على أساس كتائب مشاة مدعمة لتأمين ونجدة الأهداف الحيوية بقوة قادرة وليس قوات صغيرة ضعيفة . يجب أن يحمل كل جندي بندقية ومعه الذخيرة الكافية مهما كان وضعه في القوات المسلحة لحماية نفسه ووحدته ، وهذا الموضوع حتمي ويجب تنفيذه » موجهًا الأمر إلى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة في ذلك الوقت الفريق أول محمد فوزي .

وعاد عبد الناصر مرة أخرى للتعليق على هذا الحدث الخطير قائلاً :

« قطعًا فيه غلط في طريقة حماية الوحدات المنعزلة وهذه الطريقة الحالية خاطئة وغير واضحة . . ويجب أن تدرس خط القيادة والسيطرة تمامًا ، وألا يبقى هذا الوضع غير السليم . . لقد حقق العدو هدفه في تعطيل كتائب الصواريخ ويجب وضع حد لهذا . .

لا نستطيع أن نحارب والجميع يعملون ليل نهار !! كيف تسير الحرب ، ويجب تشكيل مجلس حرب في الجيوش الميدانية لمناقشة الموضوعات وعلى حسب قرارات المجلس يصدر القائد قراره ، فلا يمكن للقائد أن يباشر الأعمال اليومية ، ثم يفكر في التخطيط للقتال أو إدارة المعركة . . وهذه الهيئة تعتبر العقل المفكر للقائد للقتال وليس للعمل الروتيني اليومي ، ويجب أخذ الآراء بحرية وصراحة ، حتى يمكننا أن ننجح . وعلى القائد القدوة أن يزيد شعوره بالمسئولية على نفسه وعلى التابعين تحت قيادته واتخاذ إجراءات حازمة وشديدة لهذا » .

التصميم على إقامة قواعد الصواريخ المضادة للطائرات :

كان التصميم على إقامة الصواريخ المصرية رغم تدخل العدو الجوي بشدة عامل أمن

واطمئنان لقوات الجبهة ووصول السلاح السوفيتي الصغير المضاد للطائرات المسمى «استرلا» وسميناه اسم كودي « الحية » يحمله الجندي على كتفه والصاروخ منه يساوي إسقاط طائرة !!وقد ذاقت الطائرات الإسرائيلية بطشه وشدة إصابته .

كما تأكّدت أهمية الانتشار واستخدام الأرض والساتر والحفر البرميلية الفردية للوقاية من القنابل بأنواعها سواء من المدفعية أو الطائرات . .

القوات الجوية في فكر عبد الناصر :

بعد حادث رادار رأس غارب ، فتح ناصر خلال شهر ديسمبر ١٩٦٩ موضوع عدم اشتراك قواتنا الجوية في القتال لمعاونة القوات البرية وحمايتها . . وأوصى بضرورة اختيار ضباط طيارين أكفاء للاعتراض الجوي ، على أن يخصص لهم توقيت معين للاعتراض والاقتناص ، وتعيّن عناصر من القوات الجوية للدفاع الجوي بالتنسيق مع الصواريخ المضادة للطائرات ، وأشار ناصر إلى أن الفانتوم الأمريكية ستصل إلى إسرائيل في شهر ٩ / ١٩٧٠ ، ويتوقع أن يستخدمها العدو بتركيز في هذا التوقيت ، ولذا يجب اتخاذ الحيطة من الآن . وقال إنه في يوليو ١٩٧٠ سيكون لدينا ١٤٦ طيارًا مقاتلاً ، وستكون عندنا ٢٦ طائرة ميج ٢١ ، و٦٠ طائرة ميج ٢١ M ، و٢٤ طائرة لكل الأجواء . ويجب زيادة الضبط والربط في القوات الجوية وتحديد مسئولية كل قائد ، ومعرفة النقص في وسائل التدريب ، ودراسة النواحي الفنية والصيانة والتوجيه والتنسيق للعمليات المشتركة ، خاصة أن الحرب القادمة حرب أسلحة مشتركة وقال عبد الناصر محذرًا :

« في رأيي أن هناك احتمالاً واحدًا أن إسرائيل تعتقد أننا سنعبر في الصيف القادم ، ولهم هدف » . وفي النهاية نصح بضرورة تدريب الطيارين على القتال الليلي والاستعداد لعمليات التصاعد ، وقيام القوات الجوية بعمليات الاستطلاع ، والتركيز على ضرب الرادارات ومواقع الهوك بقوة .

عبد الناصر والدفاع الجوي :

كان أهم ما يشغل تفكير عبد الناصر بعد قيام إسرائيل بخطف الرادار وفكه وتهريبه جوًا إلى إسرائيل ، هو : كيف يحقق الدفاع الجوّي المتكامل عن سماء مصر ما أمكن ؟ وقد ذكر أن العدو في ٥ يناير ١٩٧٠ جعل جميع شاشات رادار الدفاع الجوي بيضاء كيف هذا ؟

وكيف نواجه الشوشرة الرادارية ؟ هل يمكن إسقاط الطائرات التي تقوم بأعمال الشوشرة مثل الحوامات المجهزة وهي تطير شرق القناة وعلى ارتفاع حوالى كيلو متر . لذا يجب استخدام القوات الجوية في الاصطياد الحر ضد هذه الطائرات .

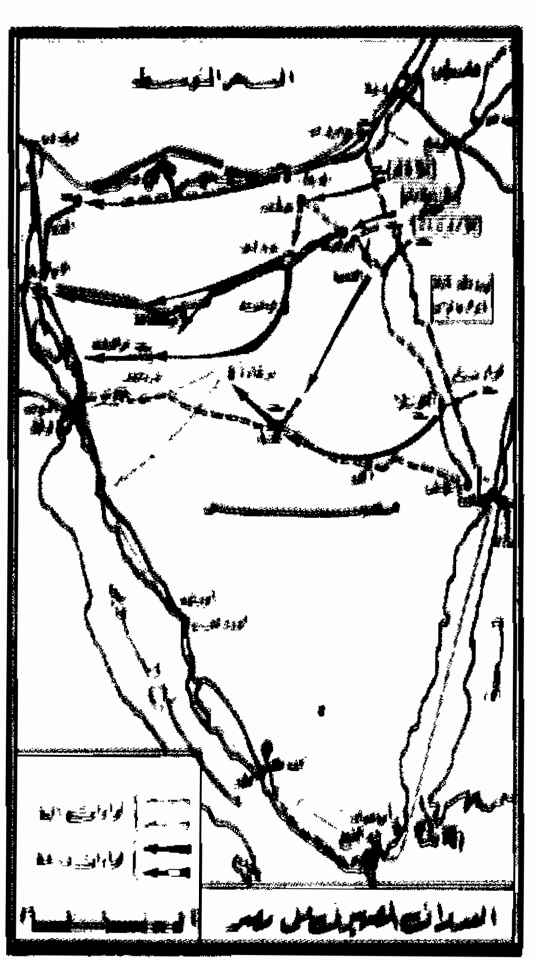
وأشار إلى أن قوات الدفاع الجوي أمكنها إسقاط ٣٥ طائرة (منها ٧ طائرات أسقطتها القوات الجوية) في الفترة من ٢٠ يوليو ١٩٦٩ حتى ٧ يناير ١٩٧٠ .

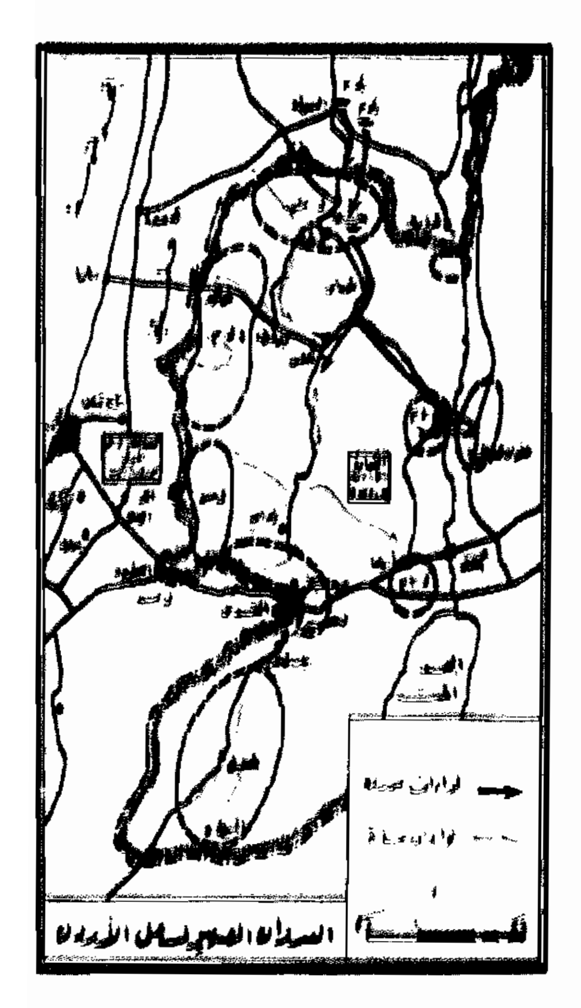
ووجه عبد الناصر اهتمامه بحماية وسائل الدفاع الجوي بالجبهة وبالعمق ، وكذا المطارات الأمامية ، حيث أنه يتوقع أن تقوم إسرائيل من يناير إلى يونيو ١٩٧٠ بضرب كل وسائل الدفاع الجوي ، حتى يطمئنوا على عدم قدرتنا على العبور ، مع استمرار حصولهم على المساعدات الأمريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية .

ويجب تنظيم التعاون بين القوات الجوية والدفاع الجوي ، وهو موضوع حيوي جداً ، ويجب وضع أسلوب لهذا التعاون والتصميم على تنفيذه واتباعه ، حتى نضمن عدم كسر دفاعنا الجوي ، ويجب أن يتم بسرعة إنشاء مواقع الصواريخ لأهميتها القصوى لنا .

عبد الناصر والقوات البحرية :

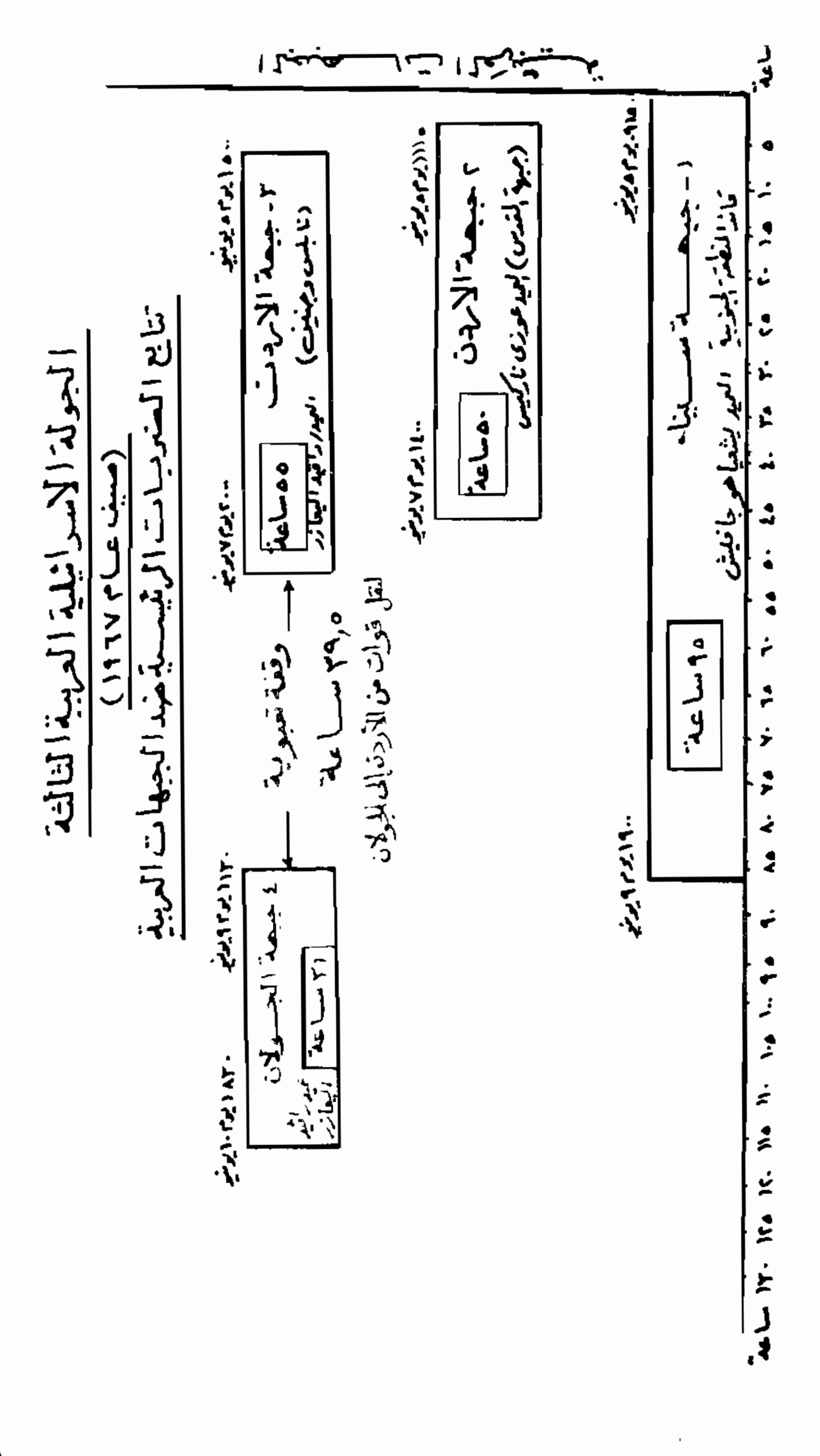
تعتبر القوات البحرية المصرية أكثر تفوقًا عن البحرية الإسرائيلية ويجب استغلال هذا التفوق في تدمير قطع العدو البحرية ومعاونة عمليات الإبرار البحري ومعاونة القوات البرية ، والسيطرة على البحر الأحمر وخليج السويس ، وأن تقوم الغواصات المصرية بأعمال سبع البحر في البحر المتوسط ، ويجب أن يعيش البحريون على ظهر السفن أكثر من معيشتهم على البر ، فذلك يزيدهم خبرة وثقة كبيرة وحسن تصرّف .





الجولة العربية الصهيونية الثالثة

صيف ١٩٦٧


الجولة الإسرائيلية العربية الثالثة
(صيف عام ١٩٦٧)
تتابع الضربات الرئيسية ضد الجبهات العربية
١٥٠٠ يوم ٥ يونيو
٢٠٠٠ يوم ٧ يونيو
٣- جبهة الأردن
(نابلس وجنين)
العميد/ دافيد اليعازر
٥٥ ساعة
وقفة تعبوية
٣٩,٥ ساعة
لنقل قوات من الأردن إلى الجولان
١١٣٠ يوم ٩ يونيو
١٨٣٠ يوم ١٠ يونيو
٤ جبهة الجولان
٢١ ساعة
١١٠٠ يوم ٥ يونيو
١٤٠٠ يوم ٧ يونيو
٢ جبهة الأردن
٥٠ ساعة
(جبهة القدس) العميد عوزى ناركيس
٠٩١٥ يوم ٥ يونيو
١٩٠٠ يوم ٩ يونيو
١- جبهة سيناء
٩٥ ساعة
قائد المنطقة الجنوبية العميد يشعياهو جافيش
ساعة ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ ٣٠ ٣٥ ٤٠ ٤٥ ٥٠ ٥٥ ٦٠ ٦٥ ٧٠ ٧٥ ٨٠ ٨٥ ٩٠ ٩٥ ١٠٠ ١٠٥ ١١٠ ١١٥ ١٢٠ ١٢٥ ١٣٠ ساعة

الفصل الرابع

الإخوة الأعداء

كان ناصر وعامر صديقين حميمين ، حملا رأسيهما على أكفهما معًا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتوطدت العلاقة بينهما أكثر خلال أيام الثورة الأولى ، واختار ناصر كزعيم للثورة زميل كفاحه عامر ليكون وزيرًا للحربية وقائدًا عامًا للقوات المسلحة ، واتفق مع زملائه في مجلس قيادة الثورة على ترقية الصاغ عبد الحكيم عامر إلى رتبة اللواء ، ليكون شغله لهذه المناصب سليما من ناحية الأقدمية والانضباط .



الأخوة الأعداد
فى احتفال تسليم العلم ١٩٥٥

ونجحا معًا في التفاوض مع بريطانيا وجلاء قواتها نهائيًا عن مصر في ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، واتجها معًا لتقوية القوات المسلحة المصرية وإعدادها لتحقيق مهامها في الدفاع عن مصر ، ورد اى عدوان عنها واستخدامها كعنصر قوة للردع والأمن ومعاونة الدول الصديقة .

ولكن كان أهل الثقة عندهما أو عند عامر على وجه أخص ، هم المختارين لتولي المناصب القيادية في القوات المسلحة في جميع أفرعها ، وكذا المناصب المهمة في الدولة سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا وحتى المناصب الفنية . وعندما احتاج الأمر إلى تدخل القوات المسلحة المصرية في السيطرة على بعض الجهات الهابطة في الدولة ، أو التي تحتاج إلى حسم وسيطرة الثورة عليها كانا يختاران معًا من هو أفضل ليتولى هذه المناصب . وفي بعض الأحيان كانت الظروف أن يعين أحدهما أهل ثقته بينما لايوافق الآخر عليه ، وتعددت مهام عامر ومسئولياته واتسع نطاق سيطرته على القوات المسلحة وكثير من أجهزة الدولة ومؤسساتها الحيوية ومصانعها وشركاتها . وحتى قطاع النقل أشرفت عليه القوات المسلحة . وهنا بدأت الدسائس والفتن والتصدعات تتسرب إلى قلوب الأصدقاء وعقولهم ، وتمس مصالحهم الشخصية وآمالهم في تحقيق أحلامٍ أكبر أو أوسع أو أكثر . . .

ورغم أن عجلة إعداد القوى كانت تسير ، ولكن على أرض لم تكن ممهدة تمامًا لسير عجلاتها ، فقد كان بها كثير من المطبات والحفر والموانع ، مما أثر على درجة تحملها والقدرة على صيانتها وكفاءتها ، ولكنها نجحت عام ١٩٥٥ في توقيع اتفاقية الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ، ووصلت فعلاً عدة أسلحة ومعدات وطائرات لدعم القوات المسلحة المصرية . وقامت الدنيا ضد مصر وضد ثورتها وأعلنت إسرائيل أن مصر ستستخدم هذه الأسلحة ضد أمنها في عام ١٩٥٦ . وبعدما أعلن ناصر تأميم الشركة العالمية شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية ، جاء العدوان الثلاثي الفرنسي / الإنجليزي / الإسرائيلي في أكتوبر ١٩٥٦ وقرر ناصر سحب جزء من القوات المصرية من سيناء لتأمين الدلتا ومدن القناة ، ولاقت القوات المصرية الأخرى في سيناء ضربات من القوات الإسرائيلية رغم شجاعة وإقدام وثبات قوات مصر في أبو عجيلة وفي ممر متلا . وتوقفت القوات الإسرائيلية أمام صمودهم إلا أن القوات أمرت بالانسحاب من سيناء ، فاحتلتها إسرائيل وسيطرت على كل أجزائها .

وحدثت أخطاء في استخدام القوات المسلحة المصرية ، حيث إنها استدرجت إلى معركة لم تكن تملك فيها كل أسباب النصر . وبالطبع أعتبر عامر أنه القائد المسئول عن كل الأخطاء التي حدثت . ثم كانت الوحدة مع سوريا وما حدث خلالها ثم الانفصال عام ١٩٦١ لطمة كبرى لمصر وزاد العداء بين الأخوة ناصر وعامر رغم محاولة ناصر مساعدة عامر بإرسال عناصر من القوات المسلحة إلى سوريا لنجدته ، ولكن هذا التخطيط لم يكن سليمًا وزاد الطين بلة المعاداة العلنية من بعض ذوي الثقة المحسوبين على عامر ضد ناصر مما زاد العداوة عمقًا . .

وجاءت مناصرة ناصر لثورة اليمن في ١٩٦٢، وتولى عامر مسئولية هذا القطاع المهم أو هذه المهمة الكبرى عاملاً آخر من عوامل التصدع بين الإخوة الأعداء . .

وبدأت روح العداء تسري بين عامر وناصر تتبعها معوقات لإعداد القوى الذاتية لكل منهما تحسبًا ليوم محتوم فقرر ناصر زيادة قدرة وكفاءة قوات الحرس الجمهوري ودعمها بالدبابات الحديثة والأسلحة المتطورة . وفي الجانب الآخر كان اعتماد عامر على قادة التشكيلات المختارين بمعرفته وعلى وحدات الصاعقة وعلى قوات المظلات الرابضين في أنشاص قرب القاهرة . .

وكان معظم القادة من مختلف تشكيلات القوات المسلحة ومن الصاعقة والمظلات يترددون يوميًا على مكتب عامر ومنزله بتخطيط ممن حول عامر من الأتباع والبطانة وكان لذلك بالطبع مغزى كبير وخطير ، يؤثر تأثيرًا مباشرًا على سلسلة القيادة وأسلوبها في القوات المسلحة .

وحاول ناصر إيجاد حلول للحد من سلطات عامر ، فقام عام ١٩٦٢ بتشكيل مجلس رئاسة لتقليص سلطاته ، ولكنه لم ينجح وتحول ذلك إلى زيادة في الصلاحيات لعامر الذي تولى منصبًا أكبر بالإضافة إلى المناصب الأخرى ، وأصبح نائبًا للقائد الأعلى للقوات المسلحة ، رغم اعتراض عدد كبير من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا يتوقعون أن يصدر ناصر قراره بإقصاء عامر ، ولكنه بحكم الصداقة والأخوة لم يصدر هذا القرار .

وفي منزل ناصر يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ اجتمع بعضًا من أعضاء مجلس الثورة ليواجهوا عامر بما أحسوا به من وجود تآمر ، بهدف الوصول إلى السلطة بإستخدام القوات المسلحة ، وقد أصروا على إقصاء عامر ؛ لأن عودة عامر إلى موقعه لن تكون فى صالح مصر لأن إسمه قد ارتبط بهزيمة كبرى ذات أبعاد خطيرة بما قد يثير الشعب .

وتمت مواجهة عامر بالحقائق من زملاء الكفاح وزملاء الثورة ، وأعتقد أن هذه المواجهة كانت قاسية على قلب وعقل عامر الذي حاول التخلص من حياته - كما يقولون - إلى أن لقى ربه بعد حوالى ١٥ يومًا من هذا اللقاء .

جولة خاصة مع عامر :

قابلت الرائد أ ح عبد الحكيم عامر ، عندما كان يشغل منصب رئيس عمليات لواء مشاة في خان يونس بفلسطين عام ١٩٤٨ ، ثم صدر قرار في عام ٥١ بنقله مدرسًا إلى مدرسة المشاة ولم ينفذ النقل ، ولسنا ندري السبب رغم أنه كان في هيئة التدريس بمدرسة المشاة في ذلك الوقت الكثير من نوايات الضباط الأحرار ، محمد السيد عبد الرحمن ، حمدي عبيد ، صلاح نصر ، كمال الحناوى ، عباس رضوان ، شمس بدران ، شعراوي جمعه ، حامد محمود ، وكانوا جميعًا في انتظاره . .

ولم يسعدنى الحظ بمقابلته بعد ذلك إلا في الكلية الحربية أعوام ٥٥ ، ٥٦ عندما كنت أعمل رئيسًا لقسم التكتيك بها ، وكان يحضر كثيرًا للمرور على الكلية أو زيارتها مع كبار ضيوف مصر من ملوك العرب والدول الصديقة ، أمثال الملك محمد الخامس ملك المغرب وهيلاسيلاسى ملك الحبشة ، وغيرهم . . ثم بعد ذلك في أعوام ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

وفي يناير ١٩٦٠ جاء المشير عبد الحكيم عامر لزيارة قوات المنطقة العسكرية الشرقية في العريش واختار زيارة الكتيبة ٥٣ المشاه في أبو عجيله ، وكنت قائدًا لها ، وكان هذا اللقاء مثار تعليق من كل ضباط القوات المسلحة ، لأنه كان بداية لإيجاد حلول لمشاكل كثيرة أمكن حلها فورًا بقرار منه ، كما زاد إعجابي به واحترامي له ، أنا وكل من تأثر بهذه القرارات أو سمع عنها . .

كانت القوات المسلحة المصرية قد بدأت في تطبيق التكتيك السوفيتي ، الذي اتبعوه في الحرب العالمية الثانية ، وقد فرض عليّ كقائد كتيبة تحديد مواقع لبعض منها في أبو عجيلة بأسلوب الخندق الأول ، ثم الخندق الثاني على مسافة حوالي ٢٠٠ متر ، ثم الخندق الثالث في الخلف إلى ٦٠٠ متر . وللأسف الشديد حضر ضابط من القيادة الشرقية لقياس مسافات هذه الخطوط الدفاعية على الأرض وتحديدها لنا للحفر والاحتلال ، ولكني بحكم خبرتي السابقة في مدرسة المشاة والكلية الحربية لم أوافق على هذه الحرفية في الاحتلال ؛ خاصة وأن هذه المنطقة شهدت عام ١٩٥٦ نصرًا أكيدًا للقوات المصرية المدافعة بها التي أرغمت

القوات الإسرائيلية على الارتداد عنها ثلاث مرات وكانت القوة تحتل مواقع حاكمة هيأتها طبيعة الأرض ، ولهذا السبب تمسكت بالأرض واستطاعت المقاومة . فقلت هذا للمشير عامر عند الزيارة وأضفت إليها إنني لم أتمسك بالخطوط المرسومة . بل اتبعت منطق طبيعة الأرض فوافق وشجعني على ذلك ، كما قلت له أنني جربت استخدام كل أسلحة الكتيبة بالذخيرة الحية لتأمين الموقع ، وتدريب الجنود ، واختبار قدرة وكفاءة الأسلحة فوافق ولم يعترض ، واعتبرت هذا تصديقًا لي بذلك .

طلبت ملابس شتوية للجنود وزيادة في البطاطين ومهمات الشتاء ، فوافق في الحال ثم طلبت أن تكون أجازة الميدان كل ٢٣ يومًا للضباط والجنود ، وعلاوة إضافية للجميع فصدق فورًا على طلباتي ، كما صدق لقائد اللواء بتركيب بيرق (علم) على سيارته كقائد للمنطقه .

والحقيقة أنني ازددت حبًا وإعجابًا واحترامًا لهذا الرجل كقائد وإنسان ، ففي أثناء احتدام القتال مع بعض قبائل اليمن كنا نراه دائمًا معنا فى الميدان ، وأذكر أن معركة كبيرة حدثت في قطاع رأس العرقوب في المنطقة الشرقية باليمن ، وحدثت خسائر كثيرة في قواتنا وأرسلنا برقية بنتائج المعركة وإذا به يحضر إلى اليمن في طائرة نقل عسكرية ، ويصل إلى مركز قيادة القوات العربية بصنعاء في لوري حوالي الساعة السادسة صباحًا ، وبالصدفة كنت في مكتبي في هذا الوقت أقوم باتصالات مع الجبهات لتقصي حقائق الموقف ، ودار بيننا حوار خاص شعرت فيه بأنه قد اطمئن للموقف الذي ظل يقلقه طيلة نهار وليله الأمس .

قرر المشير عامر أن تقوم القوات المسلحة في اليمن بعملية انتقامية لما حدث من خسائر في منطقة العرقوب على يد قبائل خولان وزعيمها الشيخ الغادر ، واجتمعت بالقيادة مجموعة تخطيط لهذه العملية ، حضرها مع فريق أول مرتجى قائد القوات مع رئيس عمليات القوات المسلحة ورئيس أركان القوات العربية ورئيس العمليات وتم التخطيط لهذه العملية ووضع الفكرة والحقيقة أن أحدًا من المجتمعين لم يكن مقتنعا ، بنجاح هذه المعركة ولكن أوامر المشير كانت صارمة بضرورة التنفيذ !! واقترحت أن أعرض فكرة القرار على المشير عامر ، وأحاول إلغاءها أو تأجيلها وصعدت إلى الدور العلوي ، حيث كان عامر في استراحته فوجدته جالسًا على أريكة ورأسه للخلف والإجهاد واضحًا على كل ملامح وجهه . . قلت له : سيادتك مجهد خد أسبرين وستستريح ، وفعلاً أعطيته قرصي أسبرين من جيبي وتناولها وقال لي : « أنت لماح » فقلت له : « الحقيقة أنا جاي أعرض على سيادتك

موضوع خطير ، وقصصت عليه ما حدث في الاجتماع من عدم الاقتناع بالعملية ، وأنني تطوعت لعرض الموضوع على سيادتك واقترح فداء الأرواح بالذهب ، وإلغاء العملية حتى لا نتحمل خسائر لا داعي لها » . وبعد تفكير بسيط وافق على إلغاء العملية . . والحمد لله . . ونجحت فكرة فداء الأرواح بالذهب ولو إلى حين . .

ومرت الأيام في اليمن إلى أن استدعاني المشير عامر مرة إلى مكتبه ، وقال لي : « ما رأيك في تجميع قوات الصاعقة والمظلات تحت قيادتك ؟ » ففوجئت بهذه الفكرة . وبالطبع وافقت ولكن بعد حوالي ثلاثة أشهر انتهت خدمتي في اليمن ، وعدت إلى مصر مديراً لمكتب قائد القوات البرية ، وبعد حوالي أقل من أسبوعين فوجئت بقرار تعييني قائداً لوحدات المظلات ، واستدعى الأمر تحرك بعض وحدات المظلات إلى اليمن وأمر المشير بسفري مع هذه القوات لليمن مرة أخرى . وبعد فترة حضر المشير ، وطلب الاجتماع بقادة القطاعات في اليمن ، وفي مؤتمر ضم معه السيد السادات وقائد القوات ، طلب المشير الرد على ٣ أسئلة :

السؤال الأول - حقيقة الروح المعنوية للقوات

السؤال الثاني - الكفاءة القتالية للقوات .

السؤال الثالث - موقف القبائل اليمنية ومشاكلها

وكان دوري الثالث في الإجابة عن هذه الأسئلة حسب ترتيب جلوسي ، فوقفت وقلت له : أما حقيقة الروح المعنوية في قطاعي فسيئة !! » ضرب المشير بيديه على المنضدة محتدًا ، وقال : « إزاي تقول الكلام ده ، إحنا أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط » وكان الغضب يملأ كل أساريره !!

وكان ردي على سيادته في هدوء « إذا كنت سيادتك زعلان بلاش أتكلم بصراحة » وجلست فرد على قائلاً في هدوء وشبه ابتسامة على وجهه « لا ، لا ، اتكلم يا منعم بصراحة » ولما شرحت له الأسباب واقتنع بها ، أوجد لها الحلول الحاسمة وارتاح قلبي ، وفي نهاية الحديث أشار إلي أنني عندي شجاعة أدبية . . والحمد لله .

- وكانت خاتمة المطاف مع عامر في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، حيث كنت قائدًا لقطاع شرم الشيخ والمكلف بتأمينها وقفل خليج العقبة وتحت قيادتي بعض من وحدات المظلات ، ووحدات متنوِّعة من الصواريخ وأسلحة أخرى وقوة بحرية ومعاونة جوية ، وكانت كل

طلباتي مجابة واتصالي لاسلكيًا مع المشير عامر مباشرة بالشفرة . وعندما أصدر لي الأمر بالانسحاب عدت مع قواتي ليلة ٦ / ٧ ، وليلة ٧ / ٨ إلى الغرب فأرسل لي رسولاً ليقابلني عند أبو زنيمة مساء يوم ٨ يونيو ، ومنه علمت بإنهيار جبهة سيناء !!

وبمجرد أن وصلت إلى الغرب فجر يوم ٨ يونيو ، اتصلت بالمشير تليفونيًا من السويس ، الذي أعطاني أمرًا محيرًا أن أعزل قائد لواء مدرع وأتولى قيادة هذا اللواء فورًا واندفع به إلى ممر متلا لتدمير قوات المظلات الإسرائيلية التي قيل إنها أسقطت غرب الممر لقفله !! واستدعاني بعد ساعة تقريبًا بواسطة ضابط نجده من الشرطة وعاتبني على عدم السرعة في تنفيذ أوامره وكلفني بمهمة كبيرة أخرى وهي أن أتولى أيضًا قيادة لواء مشاة ميكانيكي ، وأقوم بتنفيذ مهمة تدمير المظلات الإسرائيلية في ممر متلا !!

وقد نفذت ما أراد ولكن بتصرف إذ أن الموقف لم يكن يسمح بتنفيذ تلك المهمة ، وانسحبت القوات غربًا . وللأسف الشديد صدرت أوامر القيادة العامة بنسف الكباري المقامة على قناة السويس ، رغم وجود قوات لنا في الشرق ، ولم تصل أي قوات إسرائيلية إليها بعد !! وحدث في الغرب هرج نتيجة الازدحام الشديد في منطقة المعابر والكل تائه وثائر ، وكان همي هو إيجاد حل لهذه الهمجية فاتصلت بالمشير شخصيًا من تليفون عند المعبر وأنا أقص عليه الموقف ، فأمرني الأمر الثالث في ساعات قليلة أن أتولى القيادة وأسيطر على الموقف ، وكانت هذه المكالمة آخر كلمات سمعتها منه ، وآخر الأوامر المحيرة التى صدرت إليّ من قائدي !! وما زالت نبرات صوته الحزين المكتوم ترن في أذني إلى اليوم لقد كان زلزال ٥ يونيو مدمرًا حقًا للجبال الشامخة والحصون المنيعة !!.

الفصل الخامس

تقييم حرب الاستنزاف (حرب الإرهاق)
(يوليو ١٩٦٧ - أغسطس ١٩٧٠)

تضاربت الآراء حول حرب الاستنزاف التي كـانت أطول حروب العرب مع إسرائيل ، إذ استغرقت ٣٨ شهرًا بدأتـها مصر تعبيرًا عن رفض هزيمة صيف ١٩٦٧ ، وتـأكيدًا لعزمها على مواصلة النضال إلى أن تزول آثار العدوان الإسرائيلي ، وتعود الحقوق إلى أصحابها ، ولتحرم إسرائـيل من استغلال نصرها بـإملاء شروطها المجحفة من مـوقع القوة ، أو فرض الأمر الواقع بكل ما يحمله من ظلم وتعنّت للعرب .

ثم جاءت لاءات الخرطوم الثـلاث لتوصد الباب في وجه آمال الاستـسلام ، التي ظلت تداعب خيال موشيه ديان الجالس إلى جوار الهاتف يترقبها ، بينما كانت مصر تشعل حربًا طويلة الأمد بـاهظة التكاليف ، مـع حرصها على ألا تفلت مـن عقالها فتجمـح إلى مرتبة الحرب الشاملة ، أو ينطفئ أوارها فتهبط إلى درك الحرب الكاذبة(١) .

وبناء على ذلك . . كان حرص القيادة المصريـة على مداومة رفع وخفض حدة القتال ، وفقًا لخطة شاملة ذات أهداف واضحة ، تحسن استغلال الظروف المحيطة والفرص السانحة ، لتبعد القتـال عن حالة اللاحرب واللا سلم التي تخدم مصـالح إسرائيل ، وترسّخ الأوضاع الراهنة الشديدة الإضرار بحقوق العرب ، وتصرف إهتمام العالم عن متابعة القضية .

وقد تميزت حرب الاستنزاف التي استمرت أكثر من ألف يوم بأنها أول صراع يدور في مسرح الشرق الأوسط ، بين قوات شـبه متكافئة فيما تملكه من أسـلحة ومعدات ، وتواجهه من فرص قتـال ، وذلك على خلاف ما حدث في الجـولات الثلاث السابقة ، عـندما واجه ثمانون ألفًا من جنود الـصهاينة ثلاثين ألف عربي في الجولة الأولى فتجـاوزت نسبة تفوقهم

---

(١) Phoney War .

العددي علـى العرب ٦ر٢ : ١ ، ثم ارتفعت تـلك النسبة في جولة خريف عام ١٩٥٦ إلى ٨ : ١ ، عندما حشدت إسرائيل وبريطانيا وفرنسا جـنودها وسفنها وطائراتها لتسقط الحكم في مصر ، وتعيد الاحتلال الامبريالي لأرضها وتنتزع ملكية شركة القناة المؤمَّمة .

وفي الجولة الثالثة صيف عام ١٩٦٧ كان لإسرائيـل في المسرح ربع مليون مقاتل ونحو ٣٧٥ طائـرة مقابل ١٢٠ ألـفًا وما لا يزيد عـلى ١٥٠ طائرة ، يـعني أن كل دول الـطوق العربي لم تحشد سوى ٣ر٠ ٪ من تعداد شعوبها مقابل ما يزيد على ١٣ ٪ من جملة تعداد خصمهم ، أي نحو ٤٠ مـثل ما حشده العرب ، والذي دخل بعضه المسـرح بلباسه المدني ودون سلاح .

كما تمـيَّزت حرب الاستنزاف أيـضًا بتعدد حلـبات الصراع وتـنوع أشكاله مـن مجرد مناوشـات محدودة إلى اشتبـاكات عنيفة فـمعارك ضارية ، فـكانت المرة الأولى التـي أجبر العرب فيها إسرائيـل على أن تقاتل في مسرح حرب ، بعد أن استمـرأت القتال في مسارح عمليات منفصلة ، أو في أرض معركة محدودة ، لتحسم في كل منها قتالاً خاطفًا ، قبل أن تتحول إلى التالية وفقًا لأسلوب العمل من خطوط داخلية التي أتقنت تخطيطه وتنفيذه .

وكانت حرب الاستـنزاف كذلك أول صراع مسلح تـضطر فيه إسرائيل إلـى الاحتفاظ بنسبة تعبئة عالـية ولمدة طويلة ، وهـــو ما ترك آثاره السلبية على مـعنويات الشعب واقتصاد الدولة ، بدرجة لم يسبق لها مثيل في الجولات السابقة ، لا سيما وقد كان الزعماء الصهاينة قد بشروا شعب إسرائيل بانتهاء معـاناتهم ، بعد أن أكدوا لهم إن جولة صيف ١٩٦٧ هي الحرب التي أنهت كل الحروب ، وأن آلة الحرب العربيـة قد تحطمت تمامًا ولعشرات السنين القادمة .

لقد اضطرت إسرائيل إلى الاحتفاظ بنحو ٢٠ لواء في ذروة احتدام حرب الاستنزاف ، أي ما يعادل ٥٠ ٪ من جملة وعاء الـتعبئة البرية ، وكل سلاحها الجـوي ، ثم ظلت على هذا الوضع الباهظ التـكلفة حتى أغسطس ١٩٧٠ عندما توقفت النـيران في المسرح فسارعت بخفض نسبـة هذا الاستدعاء إلى ١٠ - ١٥ ٪ في القوات الـبرية ، وإلى ٢٥ - ٣٠ ٪ في القوات الجوية .

ومع أن مصـر احتفظت بـنسبة تفـوق ذلك ، إلا أن نظام الـتعبئة والـتجنيد وهـياكل الاقتصاد المـصري كانت أقدر علـى احتمال تبعات تـلك النسبة المـرتفعة عن إسرائـيل التى

يتعطل فيها دولاب العمل نتيجة استدعاء جنود الاحتياط الذين يقومون في حياتهم المدنية بشئون الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والصحة ، وغير ذلك من مجالات الحياة اليومية .

أضف إلى ما سبق أن ممارسة حرب الاستنزاف كان هدفًا يخدم مصالح العرب السياسية والعسكرية ، بينما يضر بمصالح إسرائيل التي كانت حالة اللا سلم واللا حرب تحقق لها هدف ترسيخ الأمر الواقع في المسرح ، وتنعش آمالها برضوخ العرب آخر المطاف .

وعلى خلاف ما حدث في الجولات السابقة لم تنته حرب الاستنزاف بنصر مقطوع أمره لأحد الطرفين ، بل خرجا بشبه تعادل على المستوى الاستراتيجي والتعبوي ، وبمكاسب تكتيكية كثيرة لمصر ، إلى جانب ما أحرزته من مكاسب في موازين السياسة ، بالمقارنة بما كانت عليه من اختلال صارخ في نهاية جولة صيف ١٩٦٧ .

وما إن شعرت الأركان العامة الإسرائيلية برجحان كفة الميزان لصالح مصر حتى بادرت بدفع قواتها الجوية لضرب عمق مصر ، ثم زادت توغلها فيه لتحرم مصر من مكاسب حرب الاستنزاف ، وتظهر للملأ أن أحدًا لا يستطيع أن يقف في وجهها .

ولهذا كان وقع خبر وصول قوات الدفاع الجوي السوفيتي لحماية سماء مصر من غارات العمق شديدًا على كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، التي كان أشد ما يزعجها أن ينجح الكرملين في تثبيت قدمه في الشرق الأوسط نتيجة هذا التدخل العسكري الضخم في الصراع الدائر فيه ، ولهذا بادرت إلى تعديل سياستها إزاء مصر ، ثم راحت تطرح المبادرات التي تحمل حلولاً وسطًا للمشكلة .

وبمجرد أن درأت قوات الدفاع الجوي السوفيتي خطر غارات العمق الإسرائيلية عن مصر ، انكمش تفوق إسرائيل الجوي وفقد عنفوانه في نفس الوقت الذي برزت فيه احتمالات وقوع المصادمة مع الاتحاد السوفيتي بما قد يؤدي إلى حرب عالمية . وكان هذا الاحتمال أحد الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة إلى طرح مبادرتها ، بعد أن ضعف الموقف السياسي والعسكري الإسرائيلي وسبب لها بعض الحرج .

وتكشف تلك الحقائق عن أن تدخل السوفيت كان هدفًا أساسيًا ، عمل له الرئيس عبدالناصر بكل همة ليدفع البيت الأبيض إلى إعادة تقدير موقفه من الصراع ، والعمل على

منع وقوع صدام جديد بين الخصمين ، مع الحد من استفحال الوجود العسكري السوفيتي في المنطقة ، الذي اقترب من الحصول على قواعد عسكرية فيها ، وذلك عن طريق إقناع غالبية الدول العربية بأن الولايات المتحدة هي الأقدر على الوساطة في شأن الحل الوسط الذي يرضي كافة الأطراف ، بل والأقدر على تنفيذه بما لها من دالة على إسرائيل .

ولأنها المورد الرئيسي لإسرائيل بالأسلحة والمعونات الاقتصادية والثقافية ، وبالمؤازرة السياسية ، والضامن لها باستمرار التفوق الجوي والالكتروني على العرب .. فقد نجحت الولايات المتحدة في دفع إسرائيل لبدء ديالوج التفاوض الذي مهد له وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة بالمبادرة التي حملت اسمه ، وذلك رغمًا عمًّا نصت عليه ضمنًا من قبول إسرائيل الانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، وهو ما كانت تصر قبل ذلك على رفضه .

إيجابيات الاستنزاف على الجانب العربي :

لم يأت الحكم بأن إسرائيل كانت الطرف الأكثر ضررًا في حرب الاستنزاف من داخل مجموعة الدول العربية أو المحافل الدولية ، بل من قلب المؤسسة العسكرية الإسرائيلية نفسها ، وعلى لسان أبرز قادتها ، إذ أكد اللواء عايزر وايزمان أن بلاده كانت الطرف الخاسر من الاستنزاف في كلا المجالين السياسي والعسكري ، لفشل القائمين على تخطيطه وإدارته في تجنُّب العثرات التي أدت إلى دخول السوفيت طرفًا في الصراع ، وكذلك لجهلهم بأسباب ونتائج غارات العمق التي لم تسقط الزعامة المصرية أو ترهب الشعب المصري كما كانوا يأملون ، بل كشفت عن التطرف الإسرائيلي في قصف أهداف مدنية راح ضحيتها أطفال أبرياء ، مما أثار الضمير العالمي ودفعه إلى التعاطف مع العرب .

فغياب الهدف السياسي والعسكري في الخطة الرئيسية الإسرائيلية للاستنزاف ، إلى جانب التخبُّط في إدارته ، والتقدير المتغالي فيه لنتائجه ، مقابل التحقير للأداء العسكري المصري والتهوين من شأنه ، قد أسهم كل ذلك في إهدار نصر ١٩٦٧ ، خاصة من جانبه المعنوي ، ثم جاء الفشل الأكبر في منع إقامة حائط الصواريخ المصري وزحفه إلى حافة القناة ، ثم الفشل في تدميره ، بعد أن أصبح حقيقة واضحة ظهر أثرها جليًا عصر السادس من أكتوبر ، عندما اضطر قائد السلاح الجوي الإسرائيلي أن يأمر طائراته بالابتعاد عن ضفة

القناة حتى لا تقع فـريسة لصواريخ الدفاع الجوي المصري المحكمة الـتصويب ، فترك بذلك جنود مصر يـخوضون المعركة لأول مرة ، دون أن تنـهال عليهم قذائف الـطائرات من الجو فتدمر معداتهم وتحطم جسورهم وتبعثر حشودهم .

ثم يمضـي اللواء وايزمان فـي حديثه في الصـفحات ٣١٣ - ٣١٨ من كتـابه : « هذه السماء ملكك ، وكذلك تلك الأرض » [٢] فيقول : « إن هذه الغارات العـميقة التي هدفت إلى إحراج وإسقاط نظام الحكم في القاهرة قد جـاءت بنتيجة مختلفة تمامًا ، إذ زادت قواعد هذا الحكـم ثباتًا بينمـا فتحت المجال لـدخول السوفيـيت بجحافلـهم في المسرح ، ممـا أفقد إسرائيل أهم ركائز الـتفوق على العرب ، وهو المجال الجوي الخالص لـها ، والذي لم تعد تشكيلاتها البرية تحسن القتال في غيابه » .

وينتقـد وايزمان موقف إسرائـيل من حرب الاستنـزاف عمومًا ، فيؤكد إنـها يجب أن تدخل التاريخ بوصفها الحرب التي خسرتها إسرائيل » .

أما اللواء متتـياهو بيلد فيعزو فشـل إسرائيل في حرب الاستنزاف إلى تـدهور مستوى تفوقها الاستراتيجي على العرب ، مع عدم تمكنها من وضع حد للتدخل السوفيتي في القتال سواء باستنهاض همـة الولايات المتحدة ، أو بالإقتناع عن تقديم المبرر للـكرملين بالتدخل . وفوق كل ذلك الـفشل الأكبر في عدم إسقـاط نظام الحكم في مصر ، والـذي كان الهدف الأول من غارات العمق [٣] .

ولا يماري أحد اليوم في أن إدخال الزعامة المصرية لـلسوفيت في المسرح ، يعتبر نجاحًا للسيـاسة المصرية ترتب علـيه إمكان دفع حائط صـواريخ الدفاع الجوي حتى حافـة القناع ، والذي لولاه لما استطاع التخطيط المصري أن يخوض الجولة الرابعة فى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أكد الرئيس عبد الناصر قبل وفاته بشهريـن أن المعونة السوفيتية المتنامية كمًا ونوعًا ومكانًا ، قد أسهمت في تغيير الميزان الاستراتيجي في المسرح ، كما أتاحت للقوات المسلحة المصرية أن تبدأ التجهيز الجاد لتوجيه لطمة عنيفة للعدو بمجرد أن يحين حينها [٤] .

---

(٢) Ezer Weizman, Thine The Sky, Thine The Land, MA'Ariv, Tel Aviv, 1975.

(٣) جريدة معاريف ، عدد مايو ١٩٧١ ، الصفحة الخامسة .

(٤) خطاب الرئيس عبد الناصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ، الإذاعة المصرية ، البرنامج العام .

ثم إن جذور نجاح القوات المصرية في تدمير الهجمات والضربات الإسرائيلية المدرعة على امتداد أيام ٧ ، ٨ ، ٩ أكتوبر ١٩٧٣ نبتت من تربة حرب الاستنزاف ، وما طرحته من خبرات قتالية ، وما ترتب عليها من تطوير في الأساليب والكفاءة القتالية والمعرفة الحقيقية بالعدو من واقع القتال المتلاحم معه ، وليس مجرد الاستماع لأهازيج قوته وانتصاراته .

سلبيات الاستنزاف على الجانب العربي :

لم يقتصر الاستنزاف على جبهة قناة السويس فقط ، بل شاركت فيه أغلب جبهات دول الطوق العربي بقدر متفاوت كمًا وكيفًا وزمنًا ، وكذلك المقاومة الفلسطينية من داخل وخارج الأرض المحتلة . إلا أن إهمال وضع خطة مشتركة أو تنسيق للتعاون بين تلك الأنشطة ، قلل من ثمار الجهد الكبير المبذول والدماء الغالية التي سفكت خلاله .

والواقع أن ذلك الإهمال يشكّل إحدى الظواهر المزمنة للتخطيط والأداء العربي على طول امتداد سنوات الصراع السياسي والعسكري ضد إسرائيل ، بما يعني أنه ليس أمرًا طارئًا أو عارضًا ، بما يجعل ضرورة علاجه هدفًا قوميًا من الطراز الأول .

ثم إن الخطة الرئيسية لحرب الاستنزاف التي رسمتها القيادة العامة المصرية بإشراف مباشر ومتابعة دقيقة من رئيس الجمهورية لم تحكم ضوابط التصعيد والتهدئة ، الأمر الذي ظهرت نتائجه المعاكسة ، بل والخطيرة ، خلال الفترة الأخيرة من تلك الحرب عندما دفعت الأركان العامة بسلاح الطيران الإسرائيلي في معركة ضارية داخل أعماق مصر وحيثما شاءت .

وكم كان يجدر بجهاز التخطيط المصري ، الذي أبدى براعة حقيقية في رسم بعض الخطط ، أن يتريث في سلم التصعيد حتى يؤمن عمق مصر فلا يكشف عن مدى ضعفه في وقاية الأهداف السياسية والاقتصادية ، وما ترتب على ذلك من خسائر فادحة .

اثر الاستنزاف في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية :

نشرت المجلة العسكرية لجيش الدفاع الإسرائيلي أن القوات الإسرائيلية فقدت خلال حرب الاستنزاف وبسببها أربعين طيارًا ، وأن خسائرها في التشكيلات البرية بلغت ٨٢٧ قتيلاً و ١٤١ ٣ جريحًا وأسيرًا ، وهي أرقام تقل كثيرًا عما ورد بكتاب زيف شيف ومقالة شلوموجازيت [٥] عن نفس الموضوع .

(٥) Ze'ev Schiff, Phantoms Over The Nile, Shikmonah, Haifa, 1970 .
ومجلة بامحنيه ، عدد نوفمبر ١٩٧٠ .

كما ذكر في نفس المقالة إن خسائر حرب الاستنزاف بلغت ٢٧ طائرة ومدمرة واحدة (وهي المدمرة إيلات) وسبعة زوارق وسفن إنزال ونقل بحري ، و ١١٩ مجنزرة و ٧٢ دبابة ، و ٨١ مدفع وهاون .

هذا عن الاستنزاف في المجال العسكري ، أما في مجاله الاقتصادي فقد بلغ مقدار ماتحمله كل مواطن إسرائيلي من أعباء الإنفاق العسكري على الاستنزاف نحو ٤١٧ دولارًا خلال عام ١٩٧٠ ، بينما لم يكن يتجاوز ١٣٨ دولارًا عام ١٩٦٦ ، بما يعني أن عبء الاستنزاف على الاقتصاد الإسرائيلي زاد بنسبة ٣٠٠ ٪ على كل مواطن تقريبًا .

وقد أشار موشيه ديان نفسه إلى جانب من تلك الحقيقة في محاضرة ألقاها على طلبة كلية القيادة والأركان بتل أبيب يوم ١٧ أغسطس ١٩٧٢ ، حيث قال : « إن تكاليف الإنفاق العسكري في الأراضي العربية المحتلة منذ نهاية جولة يونيو ١٩٦٧ ، حتى سبادرة روجرز في ٧ أغسطس ١٩٧٠ بلغت ١٣٦٢ مليون ليرة إسرائيلية (حوالي ٣٢٠ مليون دولار) ، وقد ذهب أكثر من ٦٠ ٪ منها في مواجهة تكاليف حرب الاستنزاف وترميم خط بارليف .

وتعكس الزيادة الكبيرة في هذا الإنفاق العسكري آثار حرب الاستنزاف على الاقتصاد الإسرائيلي من ناحية ، وازدياد الواردات العسكرية بمقدار ثلاثة أمثال ما كانت عليه عام ١٩٦٧ لتصل عام ١٩٧٠ إلى ٧٧٨ مليون دولار . وهناك ما يشير إلى أن إسرائيل أنفقت ٤١٥ مليون دولار من احتياطيها في شراء معدات حربية ، لم تسجلها في ميزان مدفوعاتها .

وعلى الجانب المصري . . لم تكن التكلفة تقل عن ذلك ، إذ اضطرت الحكومة إلى تهجير نحو ٧٥ر٠ مليون مواطن من منطقة قناة السويس إلى مناطق أكثر أمنًا بالداخل ، وفك أغلب المصانع مما حمل الاقتصاد المصري نحو ٦٣٥ مليون دولار سنويًا ، منها ٢٣٠ مليونًا خسائر مباشرة نتيجة فقد عوائد عبور السفن للقناة ، و ٥٠ مليونًا نتيجة فقد أغنى آبار البترول المصرية بسيناء الجنوبية ، و ٧٠ مليونًا إعانات للمهجرين من القناة ، و ٥٠ مليونًا نتيجة توقف عائدات السياحة ، كل ذلك بالإضافة إلى تكلفة حرب الاستنزاف نفسها ، والتي أرهقت الاقتصاد المصري ، وكادت تودي به لولا مساعدات الأشقاء العرب .

وعلى الجانب السياسي لحرب الاستنزاف . . ظهر ضعف فعالية الجبهة الشرقية نتيجة إحجام حكوماتها لعدة اعتبارات سياسية عن تسخين الجبهة ولرغبة بعض الأنظمة ترك مصر

والمقاومة الفلسطينية يواجهان إسرائيل ، بعد أن أعلنا رسميًا عن عدم التزامهما بقرار وقف إطلاق النيران الصادر في يونيو ١٩٦٧ ، وعزمهما على مواصلة حرب الاستنزاف ضد إسرائيل ، حتى تنفّذ ما عليها من التزامات بالقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن .

وقد أثار استرخاء جبهتي لبنان وسوريا ثم الأردن مشكلات عويصة لإدارة العمل الفدائي الفلسطيني من تلك الجبهات ، وما تبع ذلك من فرض قيود شديدة على حركة المقاومة الفلسطينية فيها ، ثم قيام حكومة الأردن بتصفيتها فيما عرف « بأيلول الأسود » في يوليو ١٩٧٠ .

هل كان الاستنزاف حربا محدودة ؟

لقد حدث التصعيد الأكبر في سلم الاستنزاف ، عندما دفعت الأركان العامة الإسرائيلية بطائراتها لقصف الأهداف السياسية والاقتصادية في عمق مصر . وكان الهدف من وراء ذلك هو تحطيم إرادة مصر السياسية وقدرتها على مواصلة الكفاح ، وهو ما يتجاوز الحدود التقليدية لأهداف حروب الاستنزاف ، حتى وإن ظلت الوسيلة القتالية لتحقيقه محدودة الحجم والشدّة داخل تكتيكات الضرب والهرب (Tip & Run) .

وحيث كان هدف الاستنزاف المضاد الإسرائيلي بعد دفع طائراتها لقصف عمق مصر هو إسقاط حكومة القاهرة ، فإنه يكون قد نقل الصراع إلى آفاق الحروب غير المحدودة سعيًا وراء تغيير جذري في الموازين السياسية بما لا يصح اعتبارها إحدى وسائل الاستنزاف التقليدي .

وإلى جانب هذا التصعيد الكبير في المجال والأهداف . . فإنه أجبر القوات المسلحة المصرية على أن تجنّد كل قوتها في الصراع ، بل وبجزء كبير من قواتها الشعبية ، ثم بدعوة عناصر سوفيتية لحمل بعض أعباء الدفاع الجوي الثقيلة عنها ، وكان في كل ذلك تجاوز آخر لإطار الحرب المحدودة بصورتها المتعارف عليها في المعاجم العسكرية .

خاتمة :

لقد كانت حرب الاستنزاف ضرورة لا غنى عنها لمصر والعرب ، ظهرت جدواها عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وما تلاه من أيام ، بينّت الفارق الكبير بين مقاتل صيف ١٩٦٧ ومقاتل خريف ١٩٧٣ ، وكذلك بين قياداتهما وأجهزة أركانها ، والذي يعود أغلب أسبابه

إلى الخبرة المكتسبة والدروس المستفادة من حرب الاستنزاف التي مهدت لها طريق النصر .

كما شهدت حرب الاستنزاف صراعًا محتدمًا بين الطائرة والصاروخ ، وضع حدًا للتفوق الجوي الذي انفردت به إسرائيل في الجولات السابقة ، كما شهدت أيضًا مولد الحرب الإلكترونية المصرية التي يعود الفضل في نشأتها إلى الفريق أول عبد المنعم رياض شهيد حرب الاستنزاف الغالي ، والتى لم تتم العام السادس من عمرها حتى شبّت عن الطوق .

وإذا عبرّ خروج الإسرائيلين إلى الطرقات يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ لإظهار فرحتهم بوقف نيران الاستنزاف وانتهاء كابوس خسائره التى ضاعفت من إعداد الجنازات اليومية التي تخترق شوارع المدن والقرى ، فقد جاء خطاب الفريق حاييم بارليف لمرؤوسيه الذي ألقاه بمناسبة إحالته إلى التقاعد تعبيرًا عن هذا الواقع بقوله : « إذا ما استؤنف إطلاق النيران مرة أخرى فعليكم أن تختاروا مجالات عمل وأساليب قتال أكثر تطورًا وابتكارًا عما اتخذناه نحن في حرب الاستنزاف التي خضنا خلالها قتالاً مريرًا طويل الأمد ملطخ بالدماء ، وذلك لأن ظروفًا كثيرة قد طرأت على المسرح ، نتيجة ما اكتسبه المقاتل المصري من خبرات قتالية واسعة »[٦] .

وفي هذا القول ما يغني عن كل قول في شأن حرب الاستنزاف ، التي كثر فيها القول وتضاربت الآراء .

(١) جريدة معاريف ، عدد ٨ أكتوبر ١٩٧٠ .

الجدول رقم (١) [٧]

يبين تعدد مجالات الصراع المسلح وتنوع أشكاله

خلال مرحلة الاستنزاف

السـلاح	الأسلوب	عدد أعمال القتال	نسبتها المئوية
أسلحة صغيرة وخفيفة	تراشق بالنيران	٤٢٠٦	٤٥ ٪
ألغام وقنابل يدوية ومفرقعات	بث ألغام وإلقاء قنابل يدوية	١٥٦٩	١٦ر٦ ٪
عناصر برية وفدائية	عبور القناة وتسلل إلى العمق	١٢٥٠	٩ر٤ ٪
عناصر قوات خاصة وضفادع بشرية	كمائن	٣١٦	٣ر٤ ٪
عناصر جوية	معارك جوية	٥٤	٠ر٠٩ ٪
عناصر بحرية وقوات خاصة	إبرار بحري ونشاطات بحرية	٦	٠ر١ ٪
عناصر دفاع جوي	معارك دفاع جوي	١٩٨٠	٢٥ ٪
المجموع		٩٣٨١	١٠٠ ٪

الجدول رقم (٢) [٨]

أنشطة جبهات الطوق خلال مرحلة الاستنزاف

الجبهة	عدد أعمال القتال	نسبتها المئوية	ملاحظات
لبنان	١٨١	١,٩ ٪	أقل الجبهات نشاطًا
سوريا	٣٤٦	٣,٧ ٪	
الأردن	٣٤٢٥	٣٦,٦ ٪	أغلبها نشاطات المقاومة الفلسطينية
مصر	٤٤٣٣	٤٧ ٪	أكثر الجبهات نشاطًا
داخل إسرائيل	٩٩٦	١٠,٨ ٪	أغلبها نشاطات المقاومة الفلسطينية
جبهات أخرى	—	—	—
المجموع	٩٣٨١	١٠٠ ٪	

(٧) مجلة السياسة الدولية ، حسن البدرى ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٦٧ - ٩٨١ .

(٨) المرجع نفسه ، نفس الصفحات .

الجدول رقم (٣) [٩]

خسائر إسرائيل البشرية خلال مرحلة الاستنزاف

الجبهة	قتلى	جرحى	المجموع الكلي	النسبة المئوية	ملاحظات
لبنان	٣٤	٩٦	١٣٠	٢,٦ ٪	أقل الخسائر
سوريا	٣٥	١٦٢	١٩٧	٤,٤ ٪	
الأردن	٣٣١	١٢٢٦	١٥٥٧	٣١,٤ ٪	أغلبها نشاط فدائي فلسطيني
قطاع غزة	٤٨	٣١٢	٣٦٠	٧,٣ ٪	
مصر	٥٠٢	١٣٢٨	١٨٣٠	٣٨,٣ ٪	أشد الخسائر
داخل إسرائيل	٧٨	٧٣٨	٨١٦	١٦,٤ ٪	أغلبها نشاط فدائي فلسطيني
المجموع	١٠٢٨	٣٨٦٢	٤٨٩٠	١٠٠ ٪	

(٩) المرجع نفسه ، نفس الصفحات .



المؤلف فى حفل تكريم الشيخ سعد العبد الله
خلال زيارته للجيش الثانى الميدانى



الأبطال الخمسة الذين أسروا الضابط الإسرائيلى
« دان أفيدان » سيرابيوم ١٩٦٩

الفصل السادس

جولة مع فكر عبد الناصر
١٩٥٢ - ١٩٧٠



يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ صرح النحاس باشا « وقعنا المعاهدة من أجل مصر ونلغيها من أجل مصر » وهكذا تم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وكنت وزميلي النقيب حسن عليش ندرس في مدرسة المشاة في ورمنستر بإنجلترا وكذا عدد كبير من ضباط مختلف وحدات الجيش المصري موزعين في مدارس تعليمية عسكرية ببريطانيا ، وصدرت الأوامر بإلغاء الفرق التعليمية في بريطانيا وعودة كل المبعوثين المصريين إلى الوطن .

وعملية إلغاء معاهدة ١٩٣٦ كانت عملية مظهرها وطني ، ولكن قد يكون واقعها مناورة بين الحزب الحاكم وهو الوفد في ذلك الوقت والملك ، وهذه لعبة سياسية لا تهمنا هنا كثيرًا . ولكن ما يهمنا هو أن الأحداث بدأت تتحرك بسرعة أكبر فقد تأرجح الموقف السياسي على الساحة المصرية والإنجليز يحتلون مصر وقواتهم العسكرية رابضة على أراضينا . والصراعات السياسية بين الأحزاب مستمرة وبين الأحزاب والسرايا ، وكلها صراعات على مناصب ومصالح ، وليست صراعات من أجل مصر . ثم حدث حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ثم خططت الحكومة لتشتيت بعض وحدات الجيش من القاهرة إلى خارجها بزعم الدفاع عن القاهرة إذا تحرّك الإنجليز من قاعدة القنال ، وحدثت أحداث واستشهد عدد من رجال البوليس في الإسماعيلية وصدرت عدة نشرات إعلامية ضخمة للإشادة برجال الشرطة وبطولاتهم ووزعت عليهم النياشين والجيش في مواقعه ومعظمه خارج القاهرة ، ولكنه ممتلئًا بالانفعالات للظروف السيئة التي تشتعل أحداثها في مصر .

وكان عبد الناصر مدرسًا في كلية أركان الحرب بعد أن نقل من مدرسة الشئون الإدارية بالعباسية إليها ، وكان هو القائد الحقيقي لتنظيم الضباط الأحرار ، وكان له مشجعون كثيرون وله مكانته واحترامه ، وكان اللقاء مع عبد الناصر يوحي إليك بقوة شخصية هذا الرجل ونفاذ أشعة عيونه إلى القلوب احترامًا وإكبارًا ، وكما قلت قبل هذا في اللقاء الأول كانت عيونه كعيون الصقر قوة وحدّة .

وليلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحوالى الساعة ١٩٣٠ يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ مررت ومعي أسرتي على قهوة في ركن من أركان ميدان سفير بمصر الجديدة ، حيث سلمت على القائد عبد الناصر ومعه الصاغ عبد الحكيم عامر واعتقد البكباشي زكريا محيي الدين وهم جلوس على ناصية الشارع على باب القهوة يتحدثون ، وبالطبع لم أكن أعلم بما يجيء به الغد !!

بمجرد نجاح الثورة فرضت الظروف تطورات وأحداثًا لم تكن منتظرة ، فبعد أحداث خروج الملك فاروق من مصر وإلغاء الملكية (النظام الملكي) بعد ذلك بعام تقريبًا ، تولت الثورة سلطة السيادة الكاملة على الدولة، وبدأت في تعيين عددًا من الضباط الأحرار لتولي أمر الحكم لضمان الأمان للثورة . بل وتولي أمر الأجهزة الإدارية والفنية والتجارية والاقتصادية والمالية والأمنية في كل قطاعات الدولة ، وكان التركيز على أهل الثقة قبل أهل الخبرة في إدارة هذه الأجهزة والسيطرة عليها ، وحدث هذا أيضًا في قيادة الوحدات العسكرية وما يخص القوات المسلحة من أجهزة .

واختار عبد الناصر ورفاقه محمد نجيب بعد جدل ومناقشة كرمز لعملية مرحلية ولاعتبار السن والرتبة ، ولقد كان رجلاً صادق الوعد نقيًا فالتف حوله كثير من أعداء الثورة ، فخشي جمال عبد الناصر على هذا البناء الحديث أن يتصدّع وينهار فقرر إبعاده عن السلطة وتولى هو القيادة مباشرة وليس من وراء ستار .

أعطت الثورة لجماعة الإخوان المسلمين حماية كما اعترفت بجهودها وجهادها في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وكان لها وضع متميِّز في الأيام الأولى من الثورة . ولكنها بدأت تدخل معها في صراعات عديدة ومتشعبة ، وأهم ما قيل عن الثورة أنها جاءت لتهدم الإسلام وتخرب الأزهر !! ورغم أن فكر جمال عبد الناصر كان متعاطفًا مع الإخوان المسلمون قبل الثورة وفي أيامها الأولى كأمل ، ولكن بعدما أقامت الثورة هيئة التحرير وجد الإخوان المسلمين في قيامها بداية النهاية لهم ، لأنهم تصوروا أن قيام هذا التنظيم سيغطي على أملهم الوحيد في احتواء الثورة . وحدث أنه في ١٥ يناير ١٩٥٣ تغير موقف الإخوان وحدثت محاولة انقلاب في سلاح المدفعية ، وتورطت فيه عناصر إخوانية ، ثم جاءت محاولة اغتيال عبد الناصر في ميدان المنشية بوصفه رمز الثورة ، أن القضاء عليه يهدم الثورة ويحقق للإخوان المسلمين غاية آمالهم . . وهكذا بدأ جمال عبد الناصر تصرّفه الجديد ضد الإخوان المسلمين .

كان تأميم قناة السويس في فكر عبد الناصر منذ أن تم جلاء الإنجليز عن مصر ، وخطط فعلاً لهذا وأمر بتدريب المصريين على عمليات الإرشاد في القناة حتى أتقنوا عملهم على الوجه الأكمل ، حتى إذا تحول الفكر إلى حقيقة سارت الأمور على ما يرام في قناة السويس . . ونجح جمال عبد الناصر في مفاوضاته مع الانجليز في عام ١٩٥٤ ، واتفق معهم على الجلاء وكان يعتمد في هذه المفاوضات على تمسكه وإخوانه في قيادة الثورة بحب

مصر . وكان الشعب المصري بالكامل تقريبًا شعب متماسك يساند الثورة ، مما اضطر الإنجليز إلى قبول الجلاء وتم فعلاً جلاء القوات البريطانية عن مصر بالكامل في يونيو ١٩٥٦ .

أما في الجانب العربي فقد كان فكر عبد الناصر الوقوف مع الدول العربية ضد الاستعمار في كل مكان وبكل قوة ممكنة ، وكانت الإذاعة المصرية الموجهة للجزائر لشد أزر ثورة الجزائر تسبِّب لفرنسا والنظام الفرنسي القلق المستمر . ولما أمَّم عبد الناصر قناة السويس وجدت فرصتها في إنهاء معركة الجزائر بضرب مصر ، حيث تفقد الجزائر السند المادي والمعنوي من مصر ورئيسها ، وكان هم عبد الناصر أيضًا قيام تكتل عربي يحقق أماني العرب ويهدد مصالح القوى الاستعمارية .

لقد اجتازت مصر مرحلة قبل الثورة وخلالها ، كانت فيها الفيضانات دون المستوى الذي يكفي لمتطلبات الحياة والقرآن الكريم أشار في سورة يوسف إلى أيام القحط الشديد والسبع سنوات العجاف ، فجاء فكر عبد الناصر ومن فكر معه ببناء السد العالي .

وقبل العدوان الثلاثي ١٩٥٦ جاء فكر عبد الناصر بتوقعات مهمة للأحداث وقدر موقف الجيش المصري لو قامت الدول الثلاث بالهجوم على مصر ، ورأى أن هذا الحشد للجيش المصري في سيناء قد يجعل سواحل مصر والدلتا مفتوحة أمام ضربات إنجلترا وفرنسا المحتملة ، فأمر بسحب جزء من القوات المصرية من سيناء ليحمي التجميع الرئيسي لقوات الجيش المصري ، وتم فعلاً سحب وحدات من الجيش المصري من سيناء إلى غرب القناة ، وكان لها أثرها الكبير في صد العدوان الفرنسي البريطاني فيما بعد عن قناة السويس خاصة بورسعيد والإسماعيلية والسويس . .

لم يكن في فكر عبد الناصر أن تتم الوحدة مع سوريا ، التي تلقاها الشعب السوري في سوريا والشعب المصري في مصر بالإعجاب والسعادة ، ستكون نهايتها ضربة موجعة في قلب عبد الناصر . ويقال في الأوساط السياسية إنها كانت طعم ابتلعته مصر لتتلقى طعنة كبرى في الصميم بالانفصال الذي خططه العسكريون السوريون مع أعداء مصر وسوريا والعرب عامة وأعداء عبد الناصر خاصة . فقد كان تحقيق الوحدة بالنسبة لعبد الناصر نصرًا شخصيًا لا يشاركه فيه أحد فهي خلاصة جهده السياسي وأمله في الوحدة العربية .

ووقف عبد الناصر إلى جانب اليمن منذ البداية وبارك ثورتها ضد الرجعية والظلم . وساندها بكل ما استطاع من رجال وعتاد ومال وذهب وجهد وعرق ، وقاوم الدسائس

والشراك الخداعية وكل المؤامرات ولما زار اليمن في ٢٣ أبريل ١٩٦٤ شاهد عن قرب حب الجميع له ونسى معظم رجال قبائل اليمن كل الخلافات وهرولوا إلى صنعاء ثم تعز خلف الزعيم ؛ ليشاهدوا عن قرب هذا العملاق وقال عبد الناصر أمامهم في تعز وصنعاء :

« يا رجال الجيش المصري في اليمن لسوف يثبت التاريخ أن دوركم في اليمن كان بداية للمرحلة الحاسمة في معركة الحرية ضد الاستعمار وفي معركة التقدم ضد الرجعية » .

- كان ما يعانيه الشعب المصري من فقر ومرض وجهل قبل الثورة في فكر عبد الناصر ووجدانه ، فجاءت قراراته الاشتراكية بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية ، وكان هذا هو سبيل الثورة الوحيد للعدالة الاجتماعية .

وجاءت ضربة قاضية إلى قلب عبد الناصر بعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ . وزاد الطين بله شعوره بمدى ما وصل إليه زميل كفاحه وصديق عمره عبد الحكيم عامر ، فقد كان يمثل ضغطًا على عبد الناصر بما يملكه من قيادة للقوات المسلحة التي تمثل مجال الضغط الرئيسي في يد من يتولى قيادتها المطلقة . ورغم أخطاء عام ١٩٥٦ التي تشبه أخطاء ١٩٤٨ فلم يحاول جمال عبد الناصر محاسبة المخطئين فيها ، وربما لم يستطع التدخل لأن المشير عامر كان في حصن حصين بين رجال القوات المسلحة . وفكر عبد الناصر في إيجاد مخرج للحد من سلطان عامر ، فأمر بتشكيل مجلس رئاسة ولكن انقلب الحال لصالح المشير عامر ، وأصبح بعدها نائبًا للقائد الأعلى للقوات المسلحة . وكان في فكر عبد الناصر إقصاء عامر منذ عام ١٩٦٢ ولكنه لم يستطع ومرت الأيام ثقيلة قاسية حتى عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ؛ ونتائجه الداخلية والخارجية ، وانتهت بأن لقى المشير عامر ربه في ١٩٦٧ يرحمه الله .

بعد أحداث ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ وأحداث القوى المضادة ضد عبد الناصر ، وحتى يمكن محو آثار الهزيمة تحمَّل عبد الناصر مسئولية الحكم مرة أخرى . وصمم على إعادة البناء ، وإعداد القوات المسلحة والشعب المصري إعدادًا جادًا للقتال ، واسترداد ما أخذ بالقوة . . بالقوة . .

وتركزت كل جهوده في العمل على سرعة تماسك القوات المسلحة مع الشعب والحكومة ، بهدف الإعداد السليم لاسترداد الأرض وتحريرها .

وقدر عبد الناصر الموقف تقديرًا تامًا بوضع هدف رئيسي للتنفيذ وهو : استرداد الأرض ودرس العوامل المؤثرة على هذا الهدف ، وطرق الحل المفتوحة أمامه واختار ما هو أصلح

للتنفيذ ونادى بأن تقوم يد بالبناء ويد تمسك السلاح ، مع الالتزام بالعلم والمنطق في هدوء وعلى مراحل ، مع استخدام الدبلوماسية والاتجاه السلمي ، والارتباط بدولة صديقه تمد له يد العون دون مذلة أو خضوع .

حرب الإرهاق في تقدير عبد الناصر :

- لقد بدأت مصر بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ عمليات التراشق بالمدفعية من أكتوبر ١٩٦٨ ، وكان الإعتماد الأساسي عليها . ولما حدثت عملية نجع حمادي أوقفنا التراشق بالمدفعية وركزنا الدفاع عن الأهداف الحيوية ، ثم بدأ نشاطنا مرة أخرى في مارس ١٩٦٩ . وأحدث هذا النشاط الإيجابي باستخدام حرب الاستنزاف متاعب للعدو . وما نشر عن هذه الفترة يدل على متاعبهم في جبهة قناة السويس . وبالطبع عملية الاستنزاف بالمدفعية لم تكن الوسيلة الوحيدة فقد بدأ الدفاع النشط بالقوات ، وجرت عمليات بغير خطط معينة وظلت تتكرر حتى استطاع العدو تجهيز خطة مضادة لها فأضاء أرض المعركة ليلاً بمشاعل الطائرات ، وراح يعمل باحتياطياته المدرعة بقوة . .

وبتقدير الموقف وجدنا أن خسائرنا في الاستنزاف كبيرة وأن إسرائيل تعلم هذا ، كما أن القوات الجوية الإسرائيلية أصبحت لها قدرة العمل بحرية ، وهذا يشجعها على زيادة وقت الإغارات الجوية .

وأصبح واجبًا أن نضع خطة مرنة بهدف محدد ومراحل محددة ، حتى نستطيع أن نزيد خسائر عدونا في هذه الفترة . وبالطبع لا إسرائيل ولا أمريكا تقبل أن نتفوق جوًا على إسرائيل . حتى روسيا تتحكم في كمية ونوعية السلاح إلى مصر ولا يعطونا صواريخ أرض جو !!

وإذا بقيت قواتنا المسلحة سليمة فستزداد حرب الاستنزاف ويزداد خطرها بعد الشتاء ، وتستطيع مصر الإعداد للعبور إلى سيناء بقوة أكبر وربما تصل إلى إسرائيل لتحطيم المعنويات الإسرائيلية ، ولذا ، يجب علينا تجهيز الخطة التي نواجه بها الموقف وما هي إمكانية الاستمرار في حرب الإرهاق ضد العدو ؟ وما هي إجراءات تقليل الخسائر في الاستنزاف المضاد ؟ ويجب الخروج بخطة واضحة للاستنزاف .

وبناء على هذا التقدير يجب على القادة بحث **كيفية عمل راس كوبري في الضفة**

الشرقية في شهر مايو القادم ، ويجب الحصول على معلومات أكثر من داخل إسرائيل ، يمكن الحصول عليها من أي مصدر . ويجب الحصول على أحدث الصور الجوية والمعلومات عن إسرائيل ، ويجب أن يكون لكل فرد فينا خيال للتفكير .

ويجب التصميم على التدريب الواقعي مهما كان السبب ، ونحن لم نوقف القتال حتى الآن . ولكننا لن نستطيع أن نقوم بالرد حاليًا على العدو . ولكن قد تضطرنا الظروف إلى العبور في عامنا الحالي ١٩٧٠ ونطلب من الطيران حمايتنا ، وعلى هذا فالاستنزاف الجوي لقواتنا الجوية حاليًا غير مؤثر ، ويجب عمومًا وضع خطة متكاملة لنتفوّق على العدو في الاستنزاف .

لقد قررنا حرب الاستنزاف :

هل نستطيع تحملها حيث إنها سلاح ذو حدين . . وفي حالة ما إذا كانت بحد واحد فقط فسنكون نحن عرضة له . .

وبناء على وجهة نظر الرئيس جمال عن حرب الاستنزاف . . أصدر عدة توجيهات وجوبية سبقها بكلمة **يجب** :

- ألا نسمح للقوات من القاهرة بالقيام بعمليات في الجيوش .
- تدريب القيادات عمليًا على العمليات المشتركة .
- التفكير في نقل معسكرات التجنيد من التل الكبير ، وإخلاء منطقة مطار أبو صوير المكدس بالأفراد (كانت الطائرات الإسرائيلية قد أغارت على التل الكبير وأبو صوير أثناء حرب الاستنزاف وأوقعت بهما بعض الخسائر) .
- عدم نقل الضباط من الوحدات لفترة عام أو أكثر حتى تتفرغ التشكيلات والوحدات لرفع درجات الاستعداد . أما القائد غير الصالح فيجب نقله فورًا (أثير موضوع كثرة تنقلات الضباط في الفترة الأخيرة وهذا يضعف قدرة الوحدات) .
- عدم جلوس القادة في المكاتب وأهمية المرور الدائم على الوحدات .
- حل مشاكل الجنود ونحن مستعدون لحلها .
- البحث خلف الشكاوي .

- تحسين طعام الجنود والمرور على مطابخ الجنود .
- محاولة التغلب على مشاكل العهدة لأنها تعني وجود مؤخرات للوحدات . (وهذه مشكلة من المشاكل الروتينية التي يجب حلها وإلا ستسبب خسائر في الأفراد والمعدات لا داعي لها) .
- أن تكون التجهيزات الهندسية كاملة وتحسن يوميًا .
- أن تعلموا أن الدفاع سيطول **ولن نعدي شرقًا إلا إذا كنا مستعدين .**
- أن نسير على مراحل جزء جزء ، ويكون فيه نظام سليم للعمل ، ولا داعي لأن يعمل كل القادة مرة واحدة ويجب وضع خطة للراحة ، ولن يتعطل العمل إذا غاب القائد .
- أن تعمل القوات المسلحة على أساس العمليات المشتركة ، مع الابتكار وإدخال أشياء وأفكار جديدة .
- التفكير في خطط الخداع والتضليل ورغم أن الأمثلة كثيرة من الحرب العالمية الثانية ، إلا أننا نحتاج أفكار مبتكرة في هذا النوع من الخطط . .

إسرائيل في فكر عبد الناصر :

منذ أن قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ونحن في معارك مستمرة ضد الاستعمار وإسرائيل . فقبل ١٩٥٤ كانت معركتنا مع الإنجليز في منطقة القناة ، وفي ١٩٥٥ كانت المعركة عنيفة ضد حلف بغداد حتى انتهت بموت هذا الحلف . واتجهت مصر إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٥ ومن هنا بدأت علاقتنا معهم ، وتطورت الأمور وأوقف قرض تمويل السد العالي وأممت مصر شركة قناة السويس ، ثم وقع العدوان الثلاثي قبل الوحدة بين مصر وسوريا. وقبل الوحدة تعرضت سوريا لعمليات من تركيا (كانت هناك خطة لاحتلال سوريا) ، ومن هنا أعلنت مصر موقفها وأرسلت قوات إلى سوريا عام ١٩٥٧ . وتمَّت الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ ، وتعرَّضت مصر لحرب بكل الوسائل ، وتكون اتحاد العراق - الأردن الملكيين . وفي يوليو ١٩٥٨ قامت ثورة العراق وقضت على العائلة المالكة ، وأنزل الأمريكان قوات في لبنان وأنزلت انجلترا قوات في الأردن . وأعلنت مصر أنها تقف مع العراق . وسافر عبد الناصر سرًا إلى موسكو من يوغوسلافيا وقابل القادة

السوفيت . ولما عاد إلى مصر شعر بتحول السياسة الأمريكية الإنجليزية إلى احتواء ثورة العراق !! وليس مهاجمتها وانتهى حلف بغداد نهائيًا .

وبدأت نغمة **الخطر الأحمر** وكان رد مصر على أمريكا أن الخطر الأكبر هو **إسرائيل** وليس روسيا . وفي عام ١٩٦١ حصل الانفصال بين مصر وسوريا ، واشتركت فيه كل القوى الامبريالية والرجعية ، ولكن مصر استطاعت الصمود . وفي سبتمبر ١٩٦٢ قامت ثورة اليمن وأعلنت مصر مساندتها لها وأرسلت لها قوات ، ونتج عن هذا مساعدتنا لليمن الجنوبي (عدن) حتى استطاعت الاستقلال .

وفي عام ١٩٦٧ حصل العدوان الإسرائيلي وأعادت مصر تنظيم قواتها بعد هذه العملية . . ففي جميع المعارك والجولات اعتقد الأمريكان والإنجليز أن مصر انتهت ولكن العكس ، وقال عبد الناصر : « نحن في عام ١٩٧٠ ولم ننته !! ولكن انتهت كل خطط الاستعمار في السودان وفي ليبيا » .

وتعهَّدت مصر بأن تقف مع ثورة ليبيا عسكريًا ضد أي تدخل أجنبي ، لأن مصر اعتبرت ثورة ليبيا أهم بكثير من ثورة العراق عام ١٩٥٨ ؛ حيث إن ليبيا لها أهمية اقتصادية كبيرة ، فهي تنتج ١٥٠ ألف طن بترول يوميًا برؤوس أموال أمريكية وغربية ولها أهمية استراتيجية كمنطقة تدريب على الطيران واستخدام الأسلحة . وبعد المؤامرة الأخيرة في ليبيا والتي اشترك فيها وزير الدفاع الليبي . . طلبت ليبيا من مصر إرسال قوات ، وأرسلت مصر فعلاً كتيبة صاعقة بملابس مدنيَّة ، كما طلبوا قوات مدرعة تحتشد قرب الحدود وأرسلت مصر قوات مدرعة إلى مرسى مطروح ، وطالب زعماء ليبيا بخطوات وحدوية ، واتفقت مصر وليبيا على بدء توحيد القوات المسلحة .

هذه هي التطورات العنيفة في المنطقة وموقف مصر منها . ومعناها أن مصر لم تنته بل بالعكس ، وعلى هذا لم يبق لأمريكا غير إسرائيل تستخدمها ضد مصر .

والحقيقة أن أهم مميزات إسرائيل هى جهاز مخابراتها إذ تحصل على معلومات عن مصر بكل الطرق والوسائل ، ومنها : الاستطلاع الجوي اليومي وحل الشفرة ومن الأسرى والوثائق ومن العملاء والجواسيس بالتعاون مع المخابرات الأمريكية . كما أن الضباط المصريين يمرون على المكاتب المختلفة وفي النوادي يقولوا أي كلام وأنا (هكذا قال عبد الناصر) أعرف هذه المعلومات وغيرها من ابنتى سنى التى تسمعها في نادي هليوبوليس !!

بهدف تشديد الضغط على الحكومات العربية لقبول التسوية مع إسرائيل ، وفي نفس الوقت إبعاد الخطر عن المستعمرات الإسرائيلية الشمالية .

ولقد تعاقدت إسرائيل مؤخرًا على شراء عدد كبير من الحوامات . وفي أواخر ١٩٧٠ سيكون لدى إسرائيل ٣٠٠ حوامة ، كما وحد العدو المشاه مع القوات الخاصة في قيادة واحدة .

تعمل إسرائيل بقوة وحشد . ويستطيع العدو تدمير القوات المنعزلة في حدود السرية وهذا ما حدث فعلاً وإذا اضطررنا إلى هذا الأسلوب . . فيجب أن نعتمد على الدرع وتوفير الحماية للقوات كما يفعل اليهود .

كما قامت القوات الإسرائيلية منذ حوالي ٦ أشهر بتجهيز المضايق - متلا والجدى -

إسرائيل في حالة قلق وتوتر مستمر فالوضع السياسي والاقتصادي في إسرائيل صعب ، وبالطبع لديهم خريطة اقتصادية كاملة لجميع الدول العربية ، ويعرفوا عنا كل شيء . . وهم يفضلون زيادة النشاط العسكري ضدنا لإنهاء حرب الاستنزاف ، وتقبل مصر إيقاف القتال .

وقد أوضح ناصر نقطة مهمة في عملية التخطيط الإسرائيلي أن ٥٠ ٪ من عملياته عمليات سياسية ، ويرتب لها العدو ترتيبًا كبيرًا ، وتخترع قصصًا خيالية وأسلوب الدعاية التي يتبعها مؤثر وله تأثير كبير علينا في الخارج ، ولقد نجح في عملية رادار البحر الأحمر ، وقد يعيد الكرة مرة أخرى في الدلتا . المهم أنه يريد فرض إرادته بالقوة والتأثير على الجبهة الداخلية .

وعاد عبد الناصر بالذاكرة إلى ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وقال :

- قبل ٥ يونيو كان هناك توقع ولم يكن هناك استنتاج . وفوزي وصادق كانوا موجودين وأنا قلت **يوم ٥ يونيو سيحصل شيء** ، وتقديري ليس معلومات ولكن استنتاج من تغيير الحكومة وغيره . ولم يقدر أحد أن يوم ٥ يونيو سيحدث فيه الهجوم ، ولم يكن في القاهرة أي قادة !! وتقدمت قوات العدو في الفجر دون أن يشعر بها أحد ، وكان اليهود يبنون خططهم يومًا بيوم ، ولم تستطع مخابراتنا الوصول إلى شيء !! فكيف نعتمد على هذه المخابرات . . ويجب أن تعرفوا أن العدو سيعمل خطة خداع وإحنا بنعرف

المناورات من استخدام اللاسلكي ، والعدو دائمًا يعمل مشروع بعد مشروعاتنا يفتح لاسلكي ، وقد يعمل العدو مشروعات بشبكات لاسلكية ويدخل في غرض آخر . ويجب أن نفكر في عدة وسائل لمعرفة نوايا العدو للهجوم . . ارجعوا إلى خطة خداع العلمين التى عملها مونتجمرى وإلى كتاب جينز . ونستطيع طلب أسلحة متطورة من روسيا ، وأن نعمل جيش الداخل وتوفير أسلحة مضادة للطائرات مع كل الوحدات خاصة كتائب الدفاع المستقلة ، حتى يمكن للكتائب التحرك بسهولة .

كيف تستخدم امريكا إسرائيل ضد مصر ؟

- في عام ١٩٥٦ استنكر العالم العدوان الثلاثي على مصر لأن دولتين كبيرتين تهاجم دولة صغيرة ، ولم يوافق بن جوريون على دخول إسرائيل الحرب إلا بعد توقيع اتفاق على غطاء جوي فرنسي إنجليزي لأراضى إسرائيل. وبدأ تنفيذ المخطط في البحر الأحمر . ومن الواضح أن مدمراتنا اشتبكت مع مدمرات فرنسية وليست إسرائيلية ، وبالطبع كان هناك غطاء جوي فرنسي / انجليزي / أمريكي .

ومن الطبيعي عند التفكير في عملية أخرى فسوف يقتصر على استخدام إسرائيل وحدها أنسب على أساس أنها تخدم الأهداف الأمريكية في المنطقة . . ونعتقد أن أمريكا ستدفع إسرائيل أكثر وأكثر ، وقال الجنرال بارليف « إننا حطمنا القوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٧ ، ولكن المرة القادمة سنحطم المقاومة العربية كلها » .

- كان تقدير القيادة العربية السياسية أن الهجوم على مصر سيشتد في الشهور القادمة ، فإسرائيل تعتقد أننا سنعبر القناة شرقًا في الصيف ، ولذا ستقوم بكل طاقتها بأعمال تمنعنا من بناء قوتنا وإعداد القوى باستنزاف دفاعنا الجوي وسلاحنا الجوي . . ونحن لا نحارب إسرائيل وحدها ولكن وراءها الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي . .

- ميزانية إسرائيل في العام الحالي ١٩٧٠ حوالي ١٨٠٠ مليون دولار ويستطيعوا الحصول على طيارين من كل بلاد العالم التي بها يهود مثل أمريكا وفرنسا وجنوب افريقيا وغيرها . ومعنى ذلك أن هناك في الجانب الآخر إعدادًا للقوى للقتال والعدوان . ومن الآن حتى يوليو ١٩٧٠ ستركز إسرائيل كل مجهوداتها لتمنعنا من إعداد قوانا لعبور القناة .

أمريكا لا تريد منـا إلا الاستسلام والمخطط الموضوع بدقة بيد أمريـكا وإسرائيل يهدف إلى تحقيق هذا ، ويجب علينا الحذر في تقدير عبد الناصر أن **هذا المخطط هو** :

فمن اليوم (يناير ١٩٧٠) حتى يونيو ١٩٧٠ :

ضرب كل وسائل الدفاع الجـوي بالجبهة ثم العمق وكذا المطارات الأمـامية مع استمرار قصف قوات الجبهة ، حتى يـطمئنوا على عدم قدرتنا على العبور مع اسـتمرار حصولهم على المساعدات الأمريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية . وقد بدأ العدو في حل مشاكل حرب الاستنزاف بإعادة خطوطهم الدفاعية للخلف فقلت خسائرهم .

من أول يوليو ١٩٧٠

القيام بالعمليات الخاصة لكسر الضربـات ، وللعدو هدف وخطة لتنفيذ هذا المخطط من يوليو .

- وتستطيع إسرائيل القيام بإغارات متتـالية لمدى ٢٤ ساعة أو أكثر بهدف القضاء على القوات المصرية ، وإذا نجحت فستحاول تنفيذ مخطط **ديان** :

- وهو احتلال المنطقة الشمالية من الأردن حتى العراق .
- واحتلال درعا السورية .
- واحتلال الجنوب الشرقي في لبنان .

عبد الناصر والسوفييت :

في يومـي ٧ يناير ويـوم ١٠ من عام ١٩٧٠ عقـد أول اجتماع مـشترك ، يضـم قادة القوات المسلحة المصريـة وكبير الخبراء السوفييت في مصر الجنرال كاتـشكن وكل المستشارين السوفـيت فـــي القوات المسـلحة المصريـة حتى مسـتوى مستشـاري قادة الجيوش والمـناطق العسـكرية ، والقوات الجـوية والبحرية وقـوات الدفاع الجوي ، وحضـر ناصر ومعه نـائبه السادات ووجه الرئيس جمال حديثه إلى كبير الخبراء السوفيت قائلاً له :

« نحن نقدر جـهودكم في كل شيء وفكرة الخـبراء هي فكرتي وأنا صمـمت على هذا لأننا نريد أن نتعلم وأمامنا معارك كبيرة جدًا إما نستسلم أو نقاتل . . »

وكان الواضح مـن زيارة الرئيس بودجـورني أن مشكلتـنا الأساسية هي الـدفاع الجوي

والطيران واستراتيجية إسرائيل مبنية على أساس الاحتفاظ بالتفوق الجوي لعدم إمكانها الدخول في سباق لباقي الأسلحة الأخرى .

والحقيقة أن المعركة قادمة ، وفيها سمعتكم كسوفيت لأن سمعتنا ضاعت عام ١٩٦٧ وديان يقول إنه المخطط السوفيتي !!

ويجب أن تكونوا - موجهًا حديثه إلى المستشارين السوفييت - **مسئولون مسئولية مباشرة** لأجل سمعة العسكرية السوفيتية وهذا ليس كلامي فقط ولكن الأمريكان قالوا هذا أيضًا في المجلة العسكرية الأمريكية عدد ديسمبر ١٩٦٩ Military Review ، وتوجد بيننا مصالح مشتركة نريد السلام ولكن أمريكا لا تريد منا إلا الاستسلام .

وعلى أساس هذه المسئولية المشتركة بيننا وجدت ضرورة هذا الاجتماع . . ثم كرر **انا اعتبر انكم مسئولين مسئولية مباشرة** .

ورد الجنرال كاتشكن قائلاً (إن هذا كله حقيقي ونجاح المدرس مرتبط بنجاح التلميذ) ، وكان رد عبد الناصر : (وأنا مسئول أن التلاميذ يشتغلوا كويس) وضحك الجميع .

وختم الرئيس هذه المقدمة بقوله : (مسئوليتكم ليس كخبراء أو مستشارين بل **اكبر من هذا** . . وأي مشاكل لكم أنا مستعد لحلها فورًا فالموضوع بالنسبة لنا **حياة او موت** .

ثم استمع عبد الناصر إلى تقارير المستشارين السوفييت عن القوات الجوية ، ثم الدفاع الجوي وبعده مستشار القوات البحرية ، ثم تقرير رئيس الاستطلاع ، ثم مستشار هيئة عمليات القوات المسلحة ثم مستشار الجيش الثاني ومستشار الجيش الثالث ، ثم علّق كبير المستشارين السوفيتي حتى انتهى الاجتماع التاريخي في الدقائق الأولى يوم ١١ يناير ١٩٧٠ .

وفي لقاء ثالث يوم ١٦ مارس ١٩٧٠ تحدث الرئيس عبد الناصر عن العلاقة مع المستشارين السوفييت ، وقال :

« العلاقة مع المستشارين مهمة جدًا جدًا ، ويجب تعبئتهم معنا بأي ثمن وكلامهم له تأثير على العسكرية السوفييتية ونحن في حاجة إليهم جدًا . . لقد أرسلوا أولادهم إلينا هنا ليموتوا يجب تقديرهم تمامًا . . نريد أن تكون العسكرية السوفيتية معنا دائمًا » .

أي مشاكل معهم يجب حلها أول بأول ، نحن في يدنا كل شيء . . ولن يسيطروا علينا أبدًا . .

زيارة مفاجئة للإسماعيلية وآخر لقاء ٥ يونيو ١٩٧٠

ودارت عجلة الاستعداد والتدريب ورفع المعنويات والتعاون مع المستشارين السوفييت ، تنفيذًا لقرار القائد الأعلى ، وأن نعمل على أن يكون بذل الجهد هو المسيطر على الجميع مع الجدية في التدريب والإعداد . وقام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة مفاجئة للجبهة خلال صيف ١٩٧٠ ، خاصة بعد نجاح قوات الجيش الثاني في الحصول على أسرى أحياء من رجال المظلات يوم السبت ٣٠ مايو ١٩٧٠ ، وهو يوم الحزن في إسرائيل ، ولذلك سمي بالسبت الحزين .

ومع أول ضوء يوم أول يونيو حولت القوات الجوية الإسرائيلية المنطقة من بور سعيد إلى القنطرة إلى جحيم من النيران في إغارات مستمرة نهارًا وليلاً لم نشهد مثلها من قبل ، وامتد القصف إلى كل منطقة الجيش الثاني بل والجبهة بأكملها ، والتي لم يكن لها أي تأثير أو خسائر لقواتي . وخلال هذا القصف الجوي وكنت بالصدفة في طريقي في زيارة بعض قواتي في الإسماعيلية وتوقفت عند كوبري نفيشه جنوب غرب الإسماعيلية مباشرة ، وكانت طائرات العدو تقصف موقعًا لكتائب الصواريخ في منطقة غرب واحة المنايف .

وإذا بي أشاهد عربة جيب حربي تقف أمامي ، وبها الرئيس جمال والوزير محمد فوزي واللواء البوريني قائد الجيش الثالث ، وكانت مفاجأة . . وقال لي الرئيس : « من قال لك أننا سنحضر هنا » قلت له وبسرعة « قلبي دليلي » فضحك ونزل من السيارة ومعه الفريق أول فوزي وركبنا معًا سيارتي إلى الإسماعيلية وكانت خلفنا سيارة جيب حربي بها السيد محمد أحمد ياور الرئيس وبعض الحراس . .

وبعد أن اطمأن الرئيس على موقف الجيش الثاني طلب زيارة مدينة الإسماعيلية ، ومررنا أمام المحافظة وكانت الساعة حوالي الثالثة والنصف بعد الظهر وكانت مقفلة ، ثم مررنا في طريق آخر وإذا بنا نجد فكهاني قد علق صورة جمال عبد الناصر على محله ، ووقفت أسأله عن مكان غرفة مدير الأمن وقبل الإجابة فوجئ بالرئيس جمال بجواري وكانت فرحته لا تقدر بثمن ، وظهرت صورته اليوم التالي في صدر جرائد الصباح . .

وعرضت على الرئيس جمال زيارة غرفة عمليات مديرية أمن الإسماعيلية ، وهناك قابلنا اللواء محمد السعيد وسعد جدًا بهذه الزيارة التي كانت سببًا في مد مدة خدمته عامًا آخر ، حيث طلبت من الرئيس جمال هذا لأنه يستحق أكثر من مد الخدمة فقد كان مثلاً

للإخلاص والوفاء والتعاون . . ثم في مركز قيادة الفرقة الثانية المشاة بالإسماعيلية نزلنا من السيارة سيرًا على الأقدام تحت الأرض ، حيث قابلنا العميد أ ح أحمد مراد قائد الفرقة وكانت سعادته وسعادة كل أسرة الفرقة لا تقدر وتناولنا طعام الغذاء وبعد استراحة قصيرة عاد الرئيس إلى نفيشه ومنها إلى القاهرة وكان هذا آخر لقاء لنا في الجبهة . . وبعد إيقاف القتال نجحنا في تحريك الصواريخ المضادة للطائرات إلى أقرب ما يمكن من قناة السويس وفي نفس الوقت دعمت أمريكا إسرائيل بكل ما تريد ودعمت إسرائيل خط بارليف ودفاعاته وقرأت في أحد الكتب الأمريكية حصرًا للخسائر ما بين يوليو ١٩٦٧ إلى أغسطس ١٩٧٠ ، تفيد بأن إسرائيل خسرت أمام الجبهة المصرية ١٢٧ قتيلاً ، و ٧٠٠ جريحًا وإشارات إلى أن مصر خسرت ٤٠٠ قتيل ، و ١١٠٠ جريح . .

يوم الرحيل :

في يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وصل إلى الجبهة في قطاع الجيش الثاني ١٥ وزيرًا ومعهم ٥ محافظين ، يمثلوا المحافظات الخمس الواقعة في نطاق الجيش الثاني . وكان الرئيس عبدالناصر قد أصدر تعليماته إلى وزير الحربية بمعاملتهم كالجنود في الميدان لمدة يوم كامل ، يعيشون فيه معيشة الجنود ويلبسون ملابسهم ويتناولون نفس طعامهم !

وقد استقبلتهم في معسكر الراحة بالإسماعيلية وتناولنا جميعًا طعام الغذاء في المعسكر مع مجموعة من ضباط وجنود الجيش الثاني من مختلف وحداته ، ودام هذا اللقاء أكثر من ساعتين ، وقد ساعدوا جنودي على حل كثير من المشاكل كل حسب موقعه وتحركنا إلى القنطرة غرب ، حيث تم اجتماع آخر مع عدد من الضباط والجنود . ومن مواقع الملاحظة على الضفة الغربية شاهدوا بعض مواقع خط بارليف في الناحية الأخرى من القناة ، ومن ثم وصلنا بور سعيد مع الغروب وشاهدنا موقع العدو المحصن جنوبي بور فؤاد مباشرة واجتمعنا مع رجال القطاع هناك . . وكان بعض من الوزراء يفكر في المبيت في المواقع مع الجنود والبعض يرغب في العودة إلى القاهرة . . ورجحت كفة العودة الليلة إلى القاهرة ، واقترحت العودة عن طريق دمياط ثم إلى القاهرة ورافقتهم في العودة إلى دمياط .

وفي الطريق إلى دمياط كنا نستمع إلى أخبار القاهرة من الإذاعة . وكانت الإذاعة المصرية تذيع على جميع موجاتها آيات القرآن الكريم ولم نكن ندري أنها تترحم على روح الرئيس عبد الناصر !!

وفي دمياط تم الاتصال التليفوني برئاسة مجلس الوزراء بالقاهرة ، حيث تم استدعاء الوزراء على وجه السرعة ، وعلمنا أن قضاء الله قد حل . . يرحمك الله يا جمال . .

هذه ذكريات أطول يوم في تاريخ مصر العزيزة . . .



الوزراء بالجبهة يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠

مع قائد الجيش الثانى الميدانى

من قادة مصر المعاصرين

الفريق أول عبد المنعم محمد رياض

يموت العظماء بينما تظل ذكراهم نـغمًا تردده الأجيال الصاعدة ، ومثلاً يضربه الأجداد للأحفاد علـى مر العصور وتوالي الحقـب . وكان عبد المنعم رياض واحـدًا من هؤلاء الذين تركوا بصـمتهم على نـسيج الجندية المـصرية كإنسان رفـيع الخلق ، وعالـم واسـع المعرفة ، وجندي غزيـر العطاء ، وقائـد يمتلك الخبـرة العريضة بفـنون القتال ، والحذق فـي قيادة القوات ، مع الفوز بولائهم ومحبتهم بغير حدود .

وفيما بـين ٢٢ أكتوبر ١٩١٩ و ٩ مارس ١٩٦٩ عاش عبـد المنعم رياض حياتـه الحافلة بالشجـاعة في الحق ، والتفـاني في العمل ، والإخلاص لـلوطن ، حيث قضـى ثلث قرن يمارس الجـنديـة حرفة وهواية ، فأخذها من أعـرق مدارسها ، وأعطاها ثاقـب رأيه وسحابة أيامـه .

وفي الحادي والعشرين من فبراير ١٩٣٨ تخرج رياض فـي الكلية الحربية ، فكان تقرير كبير المعلمين عنه « إنه طالب جيد جدًا من جميع الوجوه ، يمكن الاعتماد عليه ، وببذل كل جهده » .

وخدم في المدفعية المضادة للطائرات فكـان دائم الاختلاط بجنوده ، يشيع حوله جوًا من الألفة والمحبة . وكم كان يحزنـه حالة التردي التي يلمسها حوله نتيـجة الاحتلال البريطاني البغيـض ، وسيطرة بعثـته العسكريـة على شئون القـوات المسلحة ، فكـان الحل الذي ارتأه وكتب عنه إلى أحد أصدقائه .

(أنه لا خلاص من تلك الحالة السيئة إلا بالعلم والكفاح)

وسرعان ما وافق القول العـمل ، إذ حصل على شهادة الماجستير في الـعلوم العسكرية في ديسمبر ١٩٤٤ وجاء ترتيبه الأول على الدورة السابعة بكلية أركان الحـرب وبتقدير . . . « يوصى به كضـابط أركان حرب ممتاز ، مجد وذو غـيرة ، شخصية قوية وبـارزة ، يمتلك روح الابتكار ، يواجه المهام بـنشاط كبير ، دائم البحث عن الحقيقة ، سـليم التفكير ، ذو كياسة وكفاءة ، ولديه الشجاعة في إبداء الرأي » .

وعندما التحق بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات البريطانية فيما بين ١٩ سبتمبر ١٩٤٥ و ٢٠ فبراير ١٩٤٦ نال تقدير الامتياز ، وعاد ليخدم بإدارة عمليات وخطط الجيش حيث وصفه أحد قادة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بقوله . . . « كنت أحارب في الميدان في مرحلة حرجة ، وكان ارتباطي الفكري بعبد المنعم رياض في إدارة العمليات بالقاهرة له أهميته في إدارة القتال ، ولم يخيب عبد المنعم رياض ظني فيه أبدًا ، وكان رأيه صائبًا وقد كوفئ رياض بنوط الجدارة الذهبي تقديرًا لجهوده في تلك الحرب » .

وظل رياض يتدرج في مختلف المناصب والرتب ، فتولى قيادة مدرسة المدفعية المضادة للطائرات في شهر مايو ١٩٥٢ ، ثم قائدًا للواء الأول المضاد للطائرات في شهر مايو ١٩٥٣ ، فقائدًا للدفاع المضاد للطائرات في شهر يوليو ١٩٥٤ .

وجاء تقريره عن تلك الفترة يشيد به كضابط ممتاز من كافة الوجوه ، ومعلم قدير متمكن من فنه ، محب للانضباط ، يؤدي عمله بأمانة وإخلاص على الوجه الأكمل مهما كلفه ذلك من مشاق ووقت ، ورجل له كافة صفات الرجولة الحقة » .

وفيما بين أبريل ١٩٥٨ ويناير ١٩٥٩ أتم العميد أركان حرب عبد المنعم رياض دورة تعبوية بأكاديمية فرونز العسكرية العليا بالاتحاد السوفيتي ، حيث حصل على تقدير الامتياز .

وخلال عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ التحق وهو برتبة اللواء بدورة خاصة بالصواريخ الموجهة ليقف على أدق أسرارها ، كما درس الرياضة البحتة في كلية العلوم بجامعة القاهرة .

وعندما شغل منصب نائب رئيس شعبة العمليات جاء في تقريره السنوي : « إن كل ما يكتب عن اللواء رياض لا يفيه حقه ، فهو مثل يحتذى وقدوة في جميع النواحي ثقافة وذكاء وانضباطًا وقوة شخصية ، ودماثة خلق وصراحة في الحق وسعة في الأفق وإنكارًا للذات . وبمناسبة نقله من شعبة العمليات فإنني أوكد عن إيمان أن الشعبة قد خسرته نائبًا لرئيسها ، وهو خير من نرشحه ليرأسها في المستقبل » .

وخلال الفترة من مارس ١٩٦٥ وحتى يوليو ١٩٦٦ أمضى اللواء رياض الدراسة في كلية الحرب العليا حتى ترقى خلالها إلى رتبة الفريق ، وكان التقرير الذي حصل عليه ينوه بامتيازه وقدرته العالية على المبادأة والابتكار والتطبيق العملي السليم للنظريات العلمية . قادر على حل المشاكل الميدانية والتعبير عن آرائه بوضوح ، يكشف عن معرفة عميقة بأسس الفن التعبوى والاستراتيجي » .

ثم انتسب وهو برتبة الفريق لكلية تجارة عين شمس ، علاوة على الدراسة بالمراسلة بجامعة لندن فرع الرياضة والاقتصاد لثقته بأن العلم العسكري شديد الارتباط بهما .

وفي ١١ يونيو ١٩٦٧ ، وبعد ستة أيام من انتهاء جولة صيف ١٩٦٧ ، وفي ظروف حالكة السواد أحاطت بالوطن العربي ، عندما أمسى الطريق مفتوحًا إلى القاهرة لم يكن غير عبد المنعم رياض وأمثاله ليدفعوا الخطر ويعيدوا مسيرة التاريخ إلى طريقها الصحيح ، فكان اختياره لمنصب رئيس أركان القوات المسلحة ليبدأ مرحلة إعادة البناء من الأساس ، وتلك أسطورة سوف يظل يذكرها التاريخ بكل فخر وإعزاز .

وبقدر ما كان تقييم الفريق رياض لنكبة صيف عام ١٩٦٧ شديد الإيجاز ، كان بالغ الوضوح في قوله . . . « لقد كان لدينا جيش ولم تكن لدينا قيادة على الإطلاق ، وماذا يفعل أي جيش إذا ما فقد رأسه ؟ »

وفي أهمية الصلة بين القائد وجنوده لم يكن يمل من تكرار القول : « إذا حاربنا حرب القادة في المكاتب بالقاهرة فالهزيمة محققة ، فالمكان الصحيح لأي قائد هو بين جنوده ، وأقرب إلى المقدمة منه إلى المؤخرة » .

ولم يكن ذلك مجرد قول دون فعل ، فقد صدر بيان رئاسة الجمهورية يوم ١٠ مارس ١٩٦٩ ينعي إلى الأمة الفريق أول عبد المنعم رياض فيقول : « فقدت مصر بالأمس جنديًا من أشجع جنودها وأكثرهم بسالة ، رجلاً كانت له همة الأبطال تمثلت فيه خصال شعبه وأصالته » .

وكان استشهاده في أقصى المواقع الأمامية عند ضفة قناة السويس بالإسماعيلية ، حيث سقط ومن حوله جنوده يؤدون الواجب الذي اجتمعت عليه كلمة الأمة ، والتقى عليه تصميمها ، أن يكون النصر مهما غلي الثمن أو ثقلت التضحيات » .

لقد كان الفريق أول عبد المنعم رياض واحدًا ممن قادوا المسيرة نحو نصر رمضان المجيد ، وإذ شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى ألا يشهد فرحتها ، فكأنما كانت روحه الطاهرة ترقب بطولة جنوده وهم يعتلون الحوائط الترابية الشاهقة ، ويقتحمون مياه القناة ،

ويجتاحون حصون خط بارليف المنيعة على نحو ما أعدهم لتلك المهمة المقدسة ، وتعاهد معهم على أدائها حتى النصر أو الشهادة التي فاز بها قبلهم بنيف وأربعة أعوام .

واحتسبت أمة العرب شهيدها فكان مما أذاعه صديقه ملك الأردن ذلك البلاغ الذي يقول « هذا العسكري الفذ الذي يندر مثله شجاعة وخلقًا وإخلاصًا ولئن قضى عبد المنعم رياض شهيدًا فلسوف تبقى ذكراه حية » .

وأرسل الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر يقول : « .. لقد ضرب البطل عبد المنعم رياض أروع الأمثلة في الجهاد والتضحية والفداء » .

وذكرت وكالة اليونايتدبرس الأمريكية : « لقد ختم الفريق أول رياض حياته على العهد به - رجلاً مخلصًا لجنديته بعد أن شارك في عمل شبه مستحيل هو إعادة بناء القوات المسلحة المصرية . وإذا كانت مصر قد فقدت فيه جنديًا بارزًا فقد كسبت به بطلاً شعبيًا من الطراز الأول » .

وقالت صحيفة الجارديان البريطانية ... « لقد رفعت وفاة عبد المنعم رياض الروح المعنوية لشعب مصر إذ عبر استشهاده في أقصى المواقع الأمامية عن الروح الجديدة التي بثها في الجنود بعد معركة يونيو ١٩٦٧ » .

ووصفت صحيفة الديلي تلجراف البريطانية موكب جنازة الفقيد بقولها : « .. لقد كانت أكبر مظاهرة شعبية وأشدها حماسة منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، إذ كان البطل من أكفأ وأقدر الضباط المصريين » .

وقالت صحيفة بوليتيكا اليوغسلافية في رثاء عبد المنعم رياض : « بأن الشهيد العظيم كان واحدًا ممن لا يوجد كثير من أمثاله في العالم » .

وختم أحمد فؤاد نجم(*) الأقوال في هذا البطل العظيم بهذه القصيدة التى قدم فيها الرثاء إلى مصر قلبًا وقالبًا لفقد هذا الوطنى المخلص الذى أدمى فراقه قلب مصر وهزَّ مشاعرها هزًا عنيفًا حتى باتت نهارها ليلا ودموعها سيلا .... فقال :

(*) ديوان أحمد فؤاد نجم الأعمال الكاملة الجزء الثانى ص ٧٠١ دار طلاس دمشق ١٩٨٦ .

زَعَق الوابور ع السفر
أنا قلت كان بدري
نعق الغراب ع الشجر
خطف الفراق بدرى
جدع
ما شفناش جدع
فات فى البلد زيه
عيط عليه القمر
والنجمة في البدري

* * *

يا ننى عين البلد
يا بن البلد يا عزيز
بكِّيت عيون الولد
والبنت
والعواجيز
يا قلب مصر النقي
وقلب مصر بياض
عزيز علينا اللقا
بعد الفراق يا رياض
يا عترة الحراس
يا بو الإِدين تنباس
يا ريتني كنت معاك
وشربت نفس الكاس

* * *

هطّال يا دمع البكا

واللي بكى لم طال

دم الجدع

يا جدع

سال ع الكنال

هطال

يروي على أرضنا

حدوته بالموّال

بعد الصلا ع النبي

ياليل يا عين يا نضال

ملعون ياداء البكم

ملعون ياطول البال

بعد الوطن ما اندهس

وصار ترابه حلال

للغاصب الأجنبي

والجبنا والأندال

يا حرّ قلب الناس

على رنة الأجراس

الشعب كله رياض

ورياض مثل

يا ناس

* * *

يا نني عين البلد

يابن البلد

يا شجيع

دمّك عزيز ع البلد

عمر العزيز ما يضيع

كلمة وقالتها البلد

في لحظة التوديع

بالدم نفدي البلد

لا سلم لا تمييع

وان كان طريقك سفر

تفنيه خطاوينا

ونغوص في جوف السحر

وعقولنا تهدينا

وان كان طريقك حجر

حتبشبشه أيدينا

رحم الله عبد المنعم رياض وجزاه بما قدمه لدينه ووطنه من خدمات وتضحيات أوفى الجزاء ، وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء ، وحسن أولئك رفيقًا .



الفريق أول عبد المنعم رياض

فريق أول محمد فوزي

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية

بدأت حياته العسكرية منذ عام ١٩٣٤ ، وانتهت عام ١٩٧١ ، وبالتحديد يوم ١٤ مايو ١٩٧١ . واشترك في الحرب العالمية الثانية في وحدات الدفاع المضاد للطائرات عن القواعد البحرية والجوية في الإسكندرية وبورسعيد وقناة السويس عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢ ثم في الجولة العربية الإسرائيلية الأولى ثم في معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ وانتهت الخبرة العسكرية الميدانية بحرب السنوات الثلاث ١٩٦٧ - ١٩٧٠ ، وكان مركزه القيادي في الأخيرة يسمح له بالاشتراك في صنع القرار الاستراتيجي للدولة .

ولما حلَّت نهاية الصراع على السلطة بوفاة المشير عبد الحكيم عامر وإعادة الأوضاع غير العادية إلى وضعها الطبيعي ورفض الشعب الهزيمة وتمسكه بالقائد الرئيس عبد الناصر الذى بدأ تنظيم الإدارة الحكومية وترأس مجلس الوزراء ووضع إستراتيجية جديدة وحدَّد هدف الشعب والقوات المسلحة بالصمود والتحدي ومواصلة القتال مع إسرائيل . قاد الفريق أول فوزي سفينة إعادة بناء القوات المسلحة من جديد واندفعت عجلة بناء وتنظيم وتسليح وتدريب وإعداد القوات المسلحة مع عمليات الصمود بالقتال مع العدو . كما تم لأول مرة في القوات المسلحة المصرية دخول الجندي المثقف خريج الجامعة والمعاهد العليا في صفوفها ، مع وضع الأسس والمبادئ العملية لتطوير أسلوب إعداد المقاتل معنويًا .

ونجح الفريق أول فوزي في تنظيم أضخم تجمع دفاع جوي غرب قناة السويس وحول المدن والمطارات والأهداف الحيوية . ووصلت مصر إلى قدرة تحدي إسرائيل وانتهت حرب السنوات الثلاث يوم ٨ / ٨ / ١٩٧٠ بمكاسب سياسية لمصر ، كما أن القوات المسلحة محت الهزيمة وتكاملت قدراتها على تنفيذ خطة تحرير سيناء بالقوة .

وجاء في مذكرات الفريق أول فوزي – حرب الثلاث سنوات – الفصل الثالث ص ٥٦ :

وحتى بدء القتال في ٥ / ٦ / ١٩٦٧ كانت حدود أعمالي ونشاطي في مهمات القوات المسلحة محض شكلية وهو رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في هذا الوقت !! .



الفريق أول محمد فوزى على شمال الرئيس عبد الناصر
فى عربة قائد الجيش الثانى الميدانى
٥ يونيو ١٩٧٠



الفريق أول محمد فوزى فى حفل تخريج بالكلية الحربية ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب السادس

إعـــداد القــوى وربــاط الخيـــل

ما بين رحيل عبد الناصر ١٩٧٠ وعام الحسم ١٩٧١

الفصل الأول

جولة خاصة مع السادات



شارك فى القضيــة المصرية وسجن عام ١٩٤٢ بتهمة العمل لحســاب ألمانيا ، ثم سجن مرة أخرى عام ١٩٤٥ فذاق طعم الوطنية وحب مصر فى السجون . واعجبت به واعجب به كل شاب وطــنى . ورأيته أول مرة وهو بــرتبة اليوزباشــى فى مدرسة المشاه فــى أوائل عام ١٩٥١ ، حيث حضر فــرقة تعليميه كنت مــدرسا بها ثم اختفى من أمامــنا . ولكن ذكرى وطنيته كانت تطيب بــها ذاكرتنا إلى أن سمعت صــوته صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يذيع بصوت جهورى بيان الثورة ، وانضم للحياة الــقيادية فى مصر وزارنى وهو فى منصب نائب رئيس الجمهورية . وأنا قائد للفرقة الثالثة المشاه بجبهة قناة السويس .

واذكر أنه فــى اللقاء مع الضباط قــالوا له يا سيادة النائــب نحن هنا بالجبهــة فى حالة تأهب مستمر وقتال لاينتهى ومعرضين للموت فى كل لحظة ، ونسمع إذاعة القاهرة فى أغان ركيكة وخليــعة بعيدة كل البعد عن جو المــعركة تصوّر عدم الاهتمام بنــا !! وحتى فى أثناء

نزولنا للأجازات نجد النـاس فى عالم آخر غير عالمنا ، فلماذا لا نبدأ فى تـعبئة هذا الشعب للقتال ليـشعروا بنا ويحسوا بما نحن فـيه من متاعب ؟! فرد السيد أنـور السادات ردا حكيمًا اعجبنى وقال موجها حديثه لنا جميعا :

« شوفوا يا أولاد إذا حشدنا وعـبأنا الناس للقتال اليوم ولم نـحارب غدًا ماذا نفعل . . حانعمل زى حكاية الذئب والغنم . . نحشد ولا نـحارب مرة بعد أخرى سيفقد الناس الثقة فينا . . » والحقيقة أنها حكمة ، وقلت لنفســى وقتها لعل هذا الرجل سيكون يوما ما رئيسا للجمهورية ويتذكر هذا الحديث وما دار فيه . .

عندمـا قامت ثورة اليمن عام ١٩٦٢ ، وشاركت فيها كرئيس لعملـيات القوات العربية فى اليمن عام ١٩٦٢ واللقـاء بيننا مستمرًا ، حيث كان السادات يحضـر برفقة عامر فى كل زياراته لـنا فى اليمن ، وكـنا دائما نراه يـجلس مع شيـوخ قبائل اليمــن ، ويتكلم مـعهم بلهجتهـم ، وفى بعض الأحيان كان يحضر مع المـشير عامر اجتماعاته مـع القادة والضباط ولكنه كان لايغادر صنعاء كثيرًا .

وعندما وصل عبد الناصر لليمن عام ١٩٦٤ رافقه فى الزيارة لصنعاء وتعز . وفى جلسة بمكتب الفريـق أول مرتجى قائد القوات العربية بالـيمــن حضرها مع الرئيـس جمال المشير عامر ، والسيد صلاح نصـر كلف الرئيس جمال السيد السادات بوضــع دستور لليمن ، إلا أنه جاء بنســخة من الدستور المصرى ورتب أوراقـها وغيّر فى صفحاتها والـله اعلم اذا كان دستور اليـمن الحالى هو الذى نـسَّقه ووضع لمساته أو غـيره . وقد حضر الســادات اجتماع المشير مع القادة عام ١٩٦٥ فى قيادة القوات العربية بصنعاء ، عندما أثار المشير عامر موضوع الروح المعنوية للقوات وردى عليه أنها فى قطاعى سـيئة وغضب عامر وقتها ولكنه استمع لما قلت واقتنع به .

فى أوائل ١٩٧١ رأى أحد أئمة المسلمين رؤيـا خير لمصر والرئيس السادات ، وأراد أن يوصــل هذه الرؤيا كـبشرى خيـر إلى الرئيـس وأرسل لى مـن يخبرنــى بأمر هذه الـرؤيا ومضمونـها . وبالطبع لم أتصـور أننى كقائد جيش اسـتطيع أن أقص على القـائد الأعلى للقوات المسلحة مثل هذه الخصوصيات وفجـأة وجدت نفسى مدعوًا إلى لقاء خاص فى القيادة العامة للقوات المـسلحة ، ومعى عدد من ضباط وقادة وحدات الجيـش الثانى وزملاء من قادة وحدات الجيش الثالث ، ومدير المخابرات الحربية واعتقدت أنه لقاء مع وزير الحربية وإذا بى

أفاجأ بالرئيس السادات يحضر هذا الاجتماع ويطلب منا تقريراً عن موقف المعنويات والاستعداد للقتال في الجيش ، ووقفت لأجيب عن تساؤلات الرئيس ، ولكنى تذكرت فجأة رؤيا النصر فقلت له لو سمحت لن اتكلم الآن كقائد جيش ولكن كوطنى مصرى ، وأحب أن ابشر سيادتك بالنصر فى رؤيا رآها لك أحد الأولياء وهى « أنك تقف بملابس الاحرام وسط عدد كبير من الرجال بنفس ملابس الإحرام فى مكان أشبه بمنى أو عرفات بالحجاز والجميع سعداء بوجودك معهم وقال لك هذا الشيخ فى الرؤيا شوف كل الناس فرحانة بك وسعداء ، وده دليل أن ربنا بيحبك علشان دول كلهم بيحبوك ، وربنا حينصرك وينصر مصر » انتهت الرؤيا ، وهز الرئيس رأسه بطريقته المعروفة دون أن يرسم على وجهه سوى ابتسامة غير كاملة !!

وأكملت حديثى وقلت له « يا سيادة الرئيس إنى أطلب منك إعادة اسم مصر مرة أخرى فمصر مذكورة فى القرآن فى خمس آيات » فرد بسرعة قائلا « فى سبعة آيات » فأومأت رأسى موافقا وأنا طبعا متأكد أنها خمس فقط ، ولكن ليس هنا مكان المجادلة . ثم وجدت نفسى أتحدث عن الرديف بالقوات المسلحة عامة والجيش الثانى خاصة ، حيث إنه مضى ما يقرب من ٥ سنوات ولم تخرج دفعة رديف ، واقترحت أن نبدأ فى تسريح دفعات رديف ونجند بدلها جنود عادين رفعا للمعنويات ، ثم بدأت التحدث عن الاستعداد القتالى للجيش الثانى . .

وعن العدو الإسرائيلى وجدت نفسى أتحدث عن آية فى القرآن ، تنير لنا طريقة قتال اليهود ، وقلت للرئيس السادات لو سمحت اكتب هذه الآية وقرأت الآية رقم ٢ من سورة الحشر :

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾

والحقيقة أننى وجدت نفسى مندفعا أكثر من اللازم ، وسيادة الرئيس لم يبد أي اهتمام ظاهرى بحديثى ولم يعلق حتى انتهى الاجتماع حيث قال « إن شاء الله سنستخدم المفاجأة فى قتالنا مع اليهود أما بخصوص اسم مصر فسنعمل اتحاد ثلاثى بين مصر وسوريا ولبيا ونعيد اسم مصر مرة أخرى ونسمى جمهورية مصر العربية ، أما الرديف فالوزير يدرس هذا الموضوع . . إلخ » .

وقلت فى نفسى الحمد لله . .

وجاءت رؤيا أخـرى مـن نفس هـذا العالم الجليـل فى أوائل مارس ١٩٧١ أو اوائل مايو ، وهو يـرى الرئيس السادات جالـسا فى حجرة صغيـرة بها طاقة فى الحائـط ، يسمع ويرى ما يقوله أناس كثـيرون فى اجتماع وهم لايرونه وهو يراهم ويسمـعهم ، ودخل عليه هذا الشيخ الجليل وقال له « أنت يا راجل ولى . . الناس دول بيتكلموا عليك وأنت شايفهم وسامعهم ، وهم لايدرون . . روح ربنا سينصرك » .

وطلب منى الشيـخ أن اخطر الرئيس السادات بهذه الرؤيا أيـضًا . . . ولكن لم تسمح الظروف لى بهذا رغم أننا اجتمعـنا به فى اجتماع موسع فى بلبيس فى ١٢ مايو ١٩٧١ قبل ثورة التصحيح بحوالى ٤٨ ساعة . وتذكرت الرؤيـا ولكنى كنت بعيدًا عن أحداث مايو ولم أشعر بـها أو حتى بـحديث عنـها لا من قريب أو بـعيد فلـم اهتم . . . ثم حـدثت ثورة التصحيح كما سماها الرئيس السادات فتذكرت الرؤيا وعندما حضر لزيارتنا فى الجيش الثانى الميدانى فاتحـته فى الموضوع وهو فى سيارتى الحـربية ومعنا الفريق أول صـادق وزير الحربية الجديد فى ذلك الـوقت ، وقصصت عليه الـرؤيا ولم يعلق سوى ردا علـى سؤال لى « هل سيادتك يـوم بلبيس كنـت عارف ما حدث ؟ قال نعم » وكـان هذا فى حوالى شهـر يوليو ١٩٧١ .

وأخيرًا وفى عام ١٩٩٣ قرأت كتابا عـنوانه بعد ١٨ عامًا من الصمت بقلـم الصحفى صلاح الإمام عن حـسين الشافعى ، وفيـه يقول الكاتب على لـسان السيد حسين الـشافعى تلميحات تخص الرئيس السادات ومنها مثلا فى ص ١٥٥ أن السيد حسين الشافعى يذكر أنه فى عام ١٩٦٤ قال لجمال عبد الناصر .

« إحنا كلنا كأعضاء مجلس قيادة الثـورة حصلنا على درجة نائب ماعدا أخونا أنور . . ليه مــــا تعملوش نائب . . فـإذا بجمال يقول لى بالحرف الواحـد : « إنت جرالك أيه ياحسين . . عايـزنى أعين واحــــد زى ده نـائب رئيس جمهورية إنت عايـز الناس تاكل وشنا . . واللا أنت ما تعرفش سمعته شكلها إيه فى البلد !! »

والحقيقة أن أنور السادات بعد القضايا التى تعرض لها فى المجال السياسى قبل الثورة ، أصبح له اسما وأصبح مـادة للأخبار وينظر إليه على أنه يقاوم الاستعـمار بصرف النظر عن الأبعاد الحقيقـية التى كانت وراء ذلك ، ولكن كنـا نشعر بوطنيته . ورغم مـا قيل عنه أنه

كان عضوا بالحرس الحديدى الملكى فى عهد فاروق وتلميحات أخرى . . إلا أن عبد الناصر اختاره كعضو له قيمته فى تنظيم الضبـاط الأحرار وعهد إليه بحكم أنه ضابط إشارة بتعطيل تليفونات القاهرة ، بحيث تتعذر عملية الاتصال بين الوحدات بعضها البعض ليلة الثورة .

اختاره عبد الناصر من بين جميع أعضاء مجـلس قيادة الثورة نائبا له إلى أن لقى ناصر ربه عام ١٩٧٠ ، وتولى السادات حكم مصر فى اكتوبر ١٩٧٠ بموافقة جميع أعضاء اللجنة العليا تقريبًا ، وباركت القوات المسلحة المصرية هذا الاختيار وكذا الشعب المصرى .

الفصل الثانى

تقدير موقف إعداد القوى ورباط الخيل بعد رحيل عبد الناصر

العدو الإسرائيلى

بدأ العدو الإسرائيلى فى رفع كفاءة الوقاية لقواته فى المواقع الأمامية ، وأضاف مواقع جديدة وموانع للحد من أعمال داورياتنا ولإخفاء مواقعه وتحركاته شرقا عن ملاحظة قواتنا . وأدى إجراء زيادة الوقاية لقواته إلى عدم تأثير قصفات المدفعية وحتى الطيران وبالكاد تكون القنبلة ١٠٠٠ رطل مؤثرة . . ودعمت النقط القوية إلى ٢٢ نقطة قوية (موقع حصين) .

كما نشط فى إنشاء شبكة من المدقات العرضية والطولية والطرق فى العمق القريب ما بين ٨ إلى ١٢ كيلو مترًا كما أوصل أنابيب المياه إلى مواقعه الأمامية . .

يحتمل أن يستخدم العدو قنابل شرايك أو قنابل وول أى (منزلقة) كما وصله ٥٠ مدفع ١٧٥ مم ومداه يصل إلى ٣٢,٧٠٠ كم ويمكن للعدو استخدامها ضد مواقع الصواريخ والرادارات لإرباكها .

العدو مستمر فى الاستطلاع الجوى والاستطلاع الالكترونى ، ويتدخل إيجابيا على الرادارات أثناء استطلاع طيارينا .

من صالح العدو الإسرائيلى فى هذه الفترة تهدئة الموقف ومن المرجح ألا يبدأ فى كسر إطلاق النيران . ومن الأعمال المحتملة فى حالة استئناف القتال .

١ - توجيه ضربة جوية قوية فى منطقة حتى عمق ٣٠ كم مع الاستفادة بمدفعية الـ ١٧٥ مم .

٢ - الحصول على السيطرة الجوية فى قطاعات من الجبهة لمدة حتى ٢٤ ساعة ، ثم تدمير القوات المصرية التى بدأت حرب الاستنزاف .

٣ - قد يقصف العدو بعض أهداف حيوية فى العمق .

٤ - فى حالة نجاح قواتنا فى العبور شرقًا قد يدير العدو معركة هجوم مضاد عنيفة ، أو يدير معركته الرئيسية غرب المضايق .

والحـقيقة أن إسرائيل اتخذت الدفاع من أغسطس ١٩٧٠ ولكنها مستعدة للدفاع الوقائى لإحباط استعدادنا للهجوم ولديها أسلحة كيميائية وبيولوجية ، ويمكنها أن توفر حتى ٢ قنبلة ذرية حسب المتوفر فى ديمونا . .

قواتنا :

هل بدء الاستنزاف فى صـالحنا ؟ سؤال دار فى تفكير قادة القوات المسـلحة المصرية فى هذا الوقت ، وكانت الإجابة واضحة من معظم القادة .

وكان رأى قادة الجيوش ألا نبدأ فى حرب الاستنزاف ، مع رفع درجات الاستعداد لجزء من القوات والـتركيز على الـتدريب وإعداد القوى لرفـع الكفاءة القتـالية وتحسين التـجهيز الهندسى .

وحتـى القوات الجوية ترى أن بـدء عمليات الاستـنزاف فى ٥ نوفـمبر ١٩٧٠ فـى غير صالح القوات الجوية ، ويجب استكمال أجهـزة العمل ضد الشوشرة وإخلاء القوات الجوية للإعداد القتالى بأكبـر عناصر ممكنة ، وهكـــذا أكد قائد قـوات الدفاع الجوى وقائد القوات البحرية .

أما النواحى الإدارية . . فإن الحملة غير متوفرة وقد استهلكت الحملة فى أعمال التجهيز الهنـدسى ، ولـم تتـدرب الوحدات الإدارية عـلى عملـيات العبـور بعد ومازالــت روسيا لا تتجاوب معنا فى موضوع وقود الطائرات والأسطول البحرى . .

ما زال التأثير المعنـوى لفقد القائد الراحل الرئيس عبد النـاصر له أثره ، بالإضافة إلى عدم استعداد الجبهة الداخلية معنويا لطبيعة الحرب العنيفة والطويلة . .

ويمكن لقواتنـا الجوية الحصول على تفوق جـوى محلى عام ١٩٧١ ، والقيام بـعمليات جوية عام ١٩٧٢ ويمكننا بالأعمال الجوية وبالروح الـهجومية وتعريف الجندى لماذا نقاتل بأن نـعمل أعمال حاسـمة عام ١٩٧١ رغم أن موقف الجبـهة الشرقيـة قد ضعف بتوقّف الـعمل الفدائى الفلسطينى !! وذلك باتباع الآتى :

* الضبط والربط .
* التوجيه المعنوى والتركيز على الناحية الدينية وحب الوطن .
* زيادة السيطرة على القوات .
* تطعيم المشاه والدبابات ضد الهجمات الجوية .
* استكمال الدفاع عن الجمهورية خاصة الجزء الجنوبى .
* تطوير فنى فى الصواريخ والأسلحة والطائرات .
* زيادة قدرة الحرب الإلكترونية .
* زيادة كفاء القوات البحرية بغواصات جديدة حديثة .
* استكمال حجم القوات الجوية قبل منتصف ١٩٧١ .
* تغطية جزء من قطع الغيار .
* استكمال النقص فى المعدات الطبية خاصة معدات العمل الليلى واستطلاع المدفعية وإدارة النيران والدفاع المضاد للدبابات .
* التدريب الواقعى المستمر ، مع الاستمرار فى التجهيز الهندسى المخطط .

ثم إعداد خطط عمليات عام ١٩٧٠ ، تشمل :

* خطة دفاعية جديدة (٢٠٠) .
* خطط استنزاف وردع .
* خطط عمليات محدودة .
* خطط تطوير القوات المسلحة .

المشاكل الرئيسية التى تؤثر على إعداد القوى ورباط الخيل :

* إعداد اقتصاد الدولة للحرب .
* إعداد مسرح العمليات .
* إعداد الشعب للمعركة .

* إعداد القوات المسلحة للمعركة واستكمال حجم القوات المصرية وإمكانياتها .

الخطة الدفاعية وخطط العمليات التعرضية

أثير سؤال من الجنرال ششمورف كبير الخبراء السوفييت ، وجهه إلى قائد الجيش الثانى وإلى قائد الجيش الثالث . قال الجنرال :

« توجد ثغرة كبيرة بين الجيشين فى منطقة الدفرزوار - فايد ، ما هى خطتكم لتأمين نقط الاتصال بين الجيشين حيث إن العدو يستطيع استخدامها بسهولة ؟

وشرح قائد الجيش الثانى والثالث خطته فى تأمين الثغرة بالتعاون بين الجيشين وقوات الدفاع الجوى .

- وصارت مناقشة خطة العمليات التعرضية التى تلخصت فكرتها فى الآتى :

- إنشاء رؤوس كبارى فرق والسيطرة على الضفة الشرقية للقناة .

- استغلال رؤوس الكبارى وتركيز الجهد الرئيسى فى الشط - الدفرزوار - الفردان .

- وبعد تمـهيد نيرانى لمدّة ٤٥ دقيقة بالمدفعية وبمعاونة القـوات الجوية وقبل آخر ضوء تعبر لواءات المشاه ولواء مدرع مستقل فى قـطاع الجيش الثانى ، لتدمير العدو فى المواجهة وتوسيع رؤوس الـكبارى المستولى عليها وتكـوين رؤوس كبارى فرق فى كل مـن الشط - الدفـرزوار - الفردان ، مع الاسـتيلاء علـى القنطـرة شرق ، وتوسيع رؤوس الـكبارى فـى جنـوب البحيرات لتصبـح بعمق من ٨ إلى ١٢ كيلو مترًا.

- لتأمين رؤوس الكبارى تدفع وحدات فرعية كنـقط قتال خارجية على طول المواجهة لمسـافة ٤ - ٥ كيلـو مترًا ويسـتمر نشـاط قواتنا بـالـدوريات والمفارز المـدعمّة والصاعقـة ؛ لتدمير نقط العـدو القوية فى نطاق الأمـن والسيطرة عليه وتـصفية العدو به .

- يتم العبور على المـعديات ووسائل العبور المختلفة والمبتكـرة ، ويقام معبر كوبرى واحد لكل رأس كوبرى فرقة .

- ثم تأتى مرحلة الانطلاق .

تلك كانت فكرة إحـدى الخطط التعرضية التى وضعت ، وصار تدريـب القوات عليها والاستعداد لتـنفيذها بما توفّر من إمكانـيات ، وبمعاونة الاتحاد السوفيتـى فى نواحى الإمداد بالأسلحة وقطع الغيار الضرورية ومعدات العبور خاصة الكبارى ، وكان الرئيس السادات قد طلب عقد معاهدة صداقة مع السوفيت ، لحاجته إلى معدات المعركة وإمكانية المعاونة فى بناء الدولة الحديثة .

الفصل الثالث

إعداد القوى ورباط الخيل
فى تقدير الرئيس السادات حتى ٥ فبراير ١٩٧١

- قبل صدور قرار وقف إطلاق النيران بليلة واحـدة أصدر وزير الحربية أوامر عاجلة بنقل النسق الأول من كتائب الصواريخ المضادة للطائرات إلى قرب الشاطئ الغربى للقناة ، وأمكن التـنفيذ بنجاح قـبل أول ضوء يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ وهو المـوعد الذى حددّه مجلس الأمن لوقف إطلاق النيران المؤقت بعد حرب الاستنزاف .
- وفى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وصل إلى قيادة الجيش الثانى والثالث عدد كبير من الوزراء بأوامر من الرئيس عبد الناصر بهدف المعـيشة مع الضباط والجنود بالجيش يوم كامل ، ليتعرفوا على معـيشهم ويحلّوا مشاكلهم وكانت لفتة كـريمة ، كان المفروض أن نشعر بها فورًا ولكن الـقدر كان أقوى من كل شيء . . فقد أذيع فى المســاء أن الرئيس عبد الناصر لقى ربه وأسدل الستار عن حقبة حافلة من تاريخ مصر .
- وتولى **الرئيس السادات مسئولية الحكم فى اكتوبر ١٩٧٠** ، وكان محور السياسة المصرية بعد وقف اطلاق النيران المؤقت يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ هو :
  * استمرار سياسة التعاون مع الاتحاد السوفيتى .
  * تهديد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط .
  * الصمود والاستمرار فى الاستعداد للمعركة .

ولكن هنـا كان محور معادلة الموقـف بين التدريب والاستعداد ، وبـين البدء فى حرب الاستنزاف مرة أخرى ورأى بعض القادة ألا نبدأ فى حرب الارهاق أو أى نشاط معادٍ لـنركّز علـى الـتدريب ورفع الكـفاءة القتالـية للوحدات ، وكـذا كفاءة التجـهيز

الهندسى ، والبـدء فى إنشاء ساتر ترابى على الضـفة الغربية للقناة لإخـفاء التحركات عن نظر العدو الإسرائيـلى ، مع استكمال نسب الأفراد فى التشكـيلات وكذا استكمال المهمات والمعدات والأسلحة . وانتظرنا حتى تنتهى فترة إيقاف القتال المؤقت .

- أما الجبهة الشرقية فقد كان موقفها يشكل نقطة ضعف فى إعداد القوى ورباط الخيل !! إذ توقف العمل الفدائى وتصدعت قوى هـذه الجبهة . . . . منذ رفضت العراق أن تضع قواتها التى تشترك فى الجبهة الشرقية تحت قيادة الملك حسين بالأردن ، واقترح تمركز ٢ فرقة مشاه بالإضافة ٢ فرقة مدرعة فى إربد شمالا كجبهة منفصلة .

وكانت القـوات السورية تمثّل الجبهة الـشمالية ، ويمكنـها القيام بعملـيات الدفاع النشط اذا توفر لها عنصر دفاع جوى جيد . وأى عـمليات استفزاز أو نشاط ستكلفهم كثيرًا من الأرواح ،بمايجعل الهدف هو الإبقاء عـلى قواتهم سليمة وليس الاستنزاف . وبالطبع كان الموقف الاقتصادى به هزات وضعف والناحية السياسية الداخلية غير جاهزة لأى عمـليات قبل حوالى ٣ أشهر . والحقيقة الواضحة أن أحدا فى الجبـهة الشرقية لم يكن يريد القتال وقتئذ .

- وبعد وفاة عبـد الناصر طلب القادة السوفـييت الاطمئنان أولا على الموقـف الداخلى فى مصر، فـقام وفد مصرى بزيـارة الاتحاد السوفيتـى وأقر الماريشال زوكوف بـأن القوات المسلحة المصرية تطورت تطورًا يمكن الاعتماد علـيها حسب تقارير المستشارين السوفييت الموجودين فـى كل وحدات وتشكيـلات القوات المسلحـة - كان حجم القوات المـسلحة المصرية قد بلغ حوالى ٣/٤ مليون فرد ووعد السوفيت بدعم مصر بطائرات للردع سوف تصل وتوضع تحت تصرفنا فى ساعـات !! ، إلى جانب إمدادنا بأسلحة جديدة بسرعة .

- **ولقد أوصى بريجنيف الوفد المصرى بالآتى :**

  * الضبط والربط .
  * التوجيه المعنوى .
  * زيادة السيطرة على القوات .
  * تطعيم عناصر الدبابات ضد هجمات الطائرات .

* استكمال الدفاع الجوى عن الجمهورية خاصة الجزء الجنوبى .
* زيادة قدرات الحرب الإلكترونية .
* زيادة كفاءة القوات البحرية ، وسوف يقوم الجانب السوفيتى بتغيير غواصتين .
* استكمال حجم القوات الجوية قبل منتصف عام ١٩٧١ .
* تغطية جزء من قطع الغيار المطلوبة واستكمال النقص فى معدات العمل الليلى ، واستطلاع المدفعيةوإدارة النيران ، وزيادة قدراتنا فى تصنيع قطع الغيار .

- **ثم صدرت توجيهات الرئيس السادات إلى وزير الحربية لإعداد القوى ورباط الخيل** بالتركيز على الآتى :

* اعتبار التوجيه المعنوى هو العامل الحاسم . ويجب أن يشعر الرجال والشعب بفاعلية الدفاع الجوى وإعداد الجبهة الداخلية بعد وفاة عبد الناصر لطبيعة الحرب المنتظرة كحرب عنيفة طويلة وإقناع الجنود صراحة بالموقف .
* ويجب أن نختار توقيت حرب التحرير وليس حسب عواطف الشعب أو الرأى العام ولا نقاتل حتى نستعد تمامًا .
* الاستمرار فى التدريب والتجهيز الهندسى ، واستمرار المشروعات وعدم تأجيلها .
* وافقت مصر على مد فترة وقف القتال الذى كان ينتهى يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٠ إلى ٥ فبراير ١٩٧١ .

- وكان الرئيس السادات قد تسلم الامانة وأسدل الستار على فترة السنوات الثلاث الحاسمة فى تاريخ مصر اذ استعادت مصر ، ثقتها فى نفسها بعد عدوان ١٩٦٧ وتمكنت القوات المسلحة المصرية من تصدير الخوف إلى قلب العدو الإسرائيلى ، وحققت عدة انتصارات فى البر والبحر والجو ، كما تمكّن الدفاع الجوى من تدمير ٨ طائرات إسرائيلية فانتوم وسكاى هوك وأسر ٥ طيارين فى يوم واحد ، وهو ٣٠ يونيو ١٩٧٠ .

إعداد القوى الإسرائيلية حتى ٥ فبراير ١٩٧١

- وصل حجم القوات المسلحة الإسرائيلية أمام المواجهة المصرية إلى ٣ لواءات مشاه و ٣ لواءات مدرعة و ٥ كتائب نحال ، وإجمالى الأسلحة ١٤٠٠ دبابة شيرمان وباتون م

٤٨ و ٦٠ م و ٤٠ سنتوريان ، بالإضافة إلى ٢٠٠ دبابة شرقية مما كان قد استولى عليه من قواتنا عام ١٩٦٧ . وبلغ عدد المدفعية حوالى ٢٢٠٠ قطعة مدفعية وهاون ، ونحو ١٤٢٠ قطعة مدفعية مضادة للدبابات .

أما قوات العدو الجوية فهى حوالى ٤٠٩ طائرة تفصيلها كالآتى :

٧٤ فانتوم ، منها ٦ طائرات استطلاع

١٠٠ طائرة سكاى هوك

٥٠ طائرة ميراج٣ فرنسية

١٨٥ طائرة فوتور واوريجان وفوجا ماستر

٦٨ حوّامة منها ١٢ سيكورسكى ٥٣ ، و١١ سوبر فيريلون

وكان توزيع قواته الجوية فى مواجهة القوات المصرية فى سيناء كالآتى :

فى مطار المليز من ٤ - ١٠ طائرات لمدة شهر ، بالتناوب مع بعض الحوامات والنقل الخفيف ، ولها قدرة ٢٠٠٠ طلعة طائرة فى المرحلة الأولى من العمليات ، على أساس أن الطيار يقوم بعدد ٤ - ٥ طلعة/يوم ، والطائرة من ٥-٦ طلعات يوم .

وله قدرة نقل وإسقاط حتى اثنين كتيبة مظلات فى الطلعة الواحدة ، وحتى لواء إبرار جوى رأسى .

أما قوات العدو البحرية فكانت كالآتى :

٢٧ مدمرة وفرقاطة ، و٣ غواصات و١٢ زورق فرنسى ، و٩ طوربيدات مولان وغيره

١٣ سفينة انزال (٣ ناقلة كبيرة فى البحر المتوسط ، ٢ ناقلة متوسطة فى البحر الأحمر)

إمكانيات الدفاع الجوى :

٣ كتائب صواريخ هوك فى ٢٤ موقع ، منها ٨ مواقع فى سيناء ، و٣ مواقع فى إسرائيل ، وكانت مقاتلات الدفاع الجوى تدار من أربعة غرف عمليات رئيسية

وامتلك العدو معدات إعاقة إلكترونية سواء فى طائرات مختلفة الأنواع ، أو فى مراكز إعاقة أرضية ، أو فى مراكز استطلاع لاسلكى .

الإمكانيات غير التقليدية :

توفرت لدى العدو أسلحة كيميائية وبيولوجية ، ولم ترصد أى تفجيرات ذرية فى النقب وإن كان الاحتمال إن العدو يستطيع توفير حتى ٢ قنبلة ذرية حسب الوقود المشع بمفاعل ديمونا الذرى .

ولقد وضع العدو براميل على أجناب المواقع الحصينة نعتقد أنها مملوءة بالنابالم جاهزة دائمًا للاشتعال .

وتلخصت فكرة العدو الإسرائيلى للاحتفاظ بسيناء فى الآتى :

- تأمين خط وقف إطلاق النيران فى سيناء بنقط قوية محصنة ، وبمعاونة الطائرات ، وقد خصص ٣ لواءات مشاه و٣ لواءات مدرعة أمامنا . يدفع كل منها أمامه كتيبة فى النسق الأول لدعم اللواءات المشاه .

ويغطى طرق الاقتراب الجوية إلى سيناء بواسطة ٨ مواقع هوك للدفاع الجوى ، مع وجود حتى ١٠ طائرات للدفاع الجوى فى المليز .

وفى النسق الأول التعبوى : ٣ لواءات مشاه ، و٢ لواء مدرع احتياطى تعبوى ، ولواء مدرع فى رفح ، وتبلغ قوة العدو على كل محور من المحاور الثلاثة الحجم الآتى قوة :

المحور الشمالى لواء مشاه وكتيبة دبابات

المحور الأوسط لواء مشاه وكتيبة دبابات فى المليز

محور ممرا الجدى ومثلا لواء مشاه وكتيبة دبابات

- ويقوم العدو بتغيير قواته فى الجبهة مرة كل ٣ شهور ، وتغيير الاحتياطى مرة كل شهرين
- اتم العدو إنشاء دفاعات ونقط حصينة ما بين ١٧ و ٢٢ نقطة قوية ، كما أقام الملاجئ الثقيلة وملاجئ العمق ، وجهز الدشم لمدافع الماكينة وحفر للرشاشات ، وموانع أسلاك شائكة وألغام .
- ويقوم العدو بمد خط أنابيت مياه إلى الحد الأمامى للدفاعات

- إنشـاء طرق عرضية ومدقات ، بـلغت إلى ١٤٧ كيلو مترات طولاً وعـرضًا على طول المواجهة والعمق .
- زاد نشاط العدو فى الاستطلاع الجوى والاستطلاع الإلكترونى .

فكرة عن أعمال العدو المحتملة :

- لقد اتخذت القوات الإسرائيلية وضع الدفاع من أغسطس ١٩٧٠ ، فإذا قمنا بفتح النيران من يوم ٥ فـبراير ١٩٧١ ، ستقـوم إسرائيل باتـباع الدفاع الوقـائى لإحباط استـعدادنا للهجوم ، وعلينا تحطيم الهجمات المفاجأة وإيقاع الخسائر بالعدو .
- واذا اكتشفت إسرائيل جدّية أعمالنا فيحتمل أن توجه ضربة جوية مفاجئة مصحوبة بشن عمليات داخل مصر !! أمآ أسوأ الاحتمالات فهى :
  * ضربة جوية مفاجئة .
  * إسقاط جوى وابرار بالحوامات شرق القاهرة .
  * عزل الجبهة وضرب الطرق مع استخدام القنابل الزمنية .

خطوات إعداد القوات المصرية لإزالة آثار العدوان وتحرير الأرض :

- سارت خطوات إعادة الـتنظيم على أساس عـلمى وتطورّت حسب الموقـف وصدر قانون رقم ٤ لعام ١٩٦٨ ، الذى حّدد اخـتصاصات القائد الأعلـى للقوات المسلحة لـلسيطرة على شئون الدولة ، وبنيت القيادة والسيطـرة على أساس خبرة القتال ، واعتبر التوجيه المعنوى والانضباط العسكرى أساس القدرات القتالية .
- **حجم القوات البرية** (١٠ فرق منها ٥ مـشاه ، و٣ مشاه ميكانيكـية و٢ فرق مدرعة ، و٦ لواءات مشاه ومدرعة مستقلة) (و٢ لواء إبرار جوى ، ولواء مظلات ، و٣٢ كتيبة صاعقة)
- **وبلغ حجم القوات الجوية** ٨ أسراب مقاتلة ، و٧ سرب مقاتلات قاذفة و ٦ حوامات ، و٤ أسراب ، و٢ لواء قاذفات .

- **حجم الدفاع الجوى** للحماية الجوية ٥ لواء مقاتلات جوية

وعند العبور سوف يضاف لواءان مقاتلات جوى ، واحد لكل جيش

٤ فرق دفاع جوى مختلطة تربطها مراكز عمليات رئيسية

٢ لواء دفاع جوى مستقل

٣١ فوج دفاع جوى ، و٣٣ كتيبة مواسير ، و٥ كتائب شيلكا .

- **القوات البحرية** لواء مدمرات

غواصات

لنشات صواريخ

وحدات خاصة

- **أهداف خطة بناء القوات المسلحة :**

* إعادة تشكيل القوات المسلحة لتكون قادرة علـى الدفاع ، وتتطور مستقبلا لتمتلك الكفاءة القتالية العالية .
* دمج القوات المسلحة داخل إطار واحد مع الدولة .
* رفع مستوى الفرد المقاتل فى كافة النواحى .
* رفع مستوى القوات المسلحة للقتال وتطوير أساليب تدريبها .
* الإعداد المعنوى للقوات وتحقيق الولاء للقائد والدولة والشعب .
* تطوير أساليب التعبئة .

إلا أن بعض المشاكل ظلّت تـؤثر على خطة بناء القوات المسلـحة ، التى كان من المحتم أن تسير جنبا إلى جنب مع خطة الإعداد للحرب اقتصاديا

وإعداد مسرح العمليات

وإعداد الشعب للمعركة

فضلاً عن باقى المشاكل الرئيسية الأخرى التى يأتى على رأسها استكمال حجم القوات المسلحة ، لتكون قادرة على تحقيق المهام القتالية فى الجولة القادمة .

أفكار الرئيس السادات حتى ٥ فبراير ١٩٧١ :

- وافقت مصر على مد فترة إيقاف القتال حتى ٥ فبراير ١٩٧١ ، وستحاول أمريكا وإسرائيل مـــــد فترة إيقاف القتال مدة ثالثة ، ونحن لن نوافق إلا إذا وجدنا جدولاً زمنيًا (لم يوضح الرئيس ماذا يقصد بهذا الجدول الزمنى المقترح) .

- وعمومًا . . يجب علينا الاستعداد للقتال فى أى وقت حتى ٥ فبراير ١٩٧١ ، ويجوز أن يقوم اليهود بعمل وقائى للمفاجأة تحت أى عمل ، ونعتبر الـ ٦ شهور القادمة شهور حاسمة فى المعركة : إما سنتحدث جديا فى تحقيق السلام ، أو نعلن أننا غير ملتزمين بوقف إطلاق النيران حسب خططنا .

- لقد كسبنا معركة إغارات العمق بفضل المعاونة الروسية ، ونحن نقف اليوم ، ونقول لا ونحن فى موقف قوة حاليا . . ويجب أن تثقوا أن الروس معقدين من عام ١٩٦٧ ، ولكن عند أى معركة جديدة سيقفوا إلى جانبنا ، حتى دون معركة . وأى معركة نعملها يجب أن نضمن لها النجاح وكل فرد عارف أنه بعد العبور لتأدية المهمة ، ويجب أن يؤديها أو يموت ولايعود دون ذلك . ويجب أن نقاتل وجها لوجه مع اليهود فبقدر شراستنا سننهى المعركة .

  ويجب ألا نتسبب فى أى شقاق مع روسيا أو مع المستشارين السوفيت . . . .

- أما الشعب فسيكون جاهزًا للمعركة ، وقبل ٥ فبراير ١٩٧١ سيكون شعبكم مشعلل للمعركة من خلفكم ويقبل أى شىء ، ولا تنظروا للخلف مهما حدث ، وسأتكفل أنا بالجبهة الداخلية ، وسأسير بنفسى مع جميع القيادات ، وستعرفوا بلدكم أكثر فى المعركة القادمة .

- **وأعطى السادات أفكاره عما حدث فى ٥ يونيو ١٩٦٧ قال :**

« إنه درس فالقيادة عام ٥٦ وعام ٧٦ كانت مذعورة خصوصًا أركانات حرب القيادة ، ويجب أن تكون **الأعصاب هادئة جدًا** ، ثم قال :

ولم أر غير محمد فوزى هادئ والباقى فى انهيار ، أو منظرهم يثير الانهيار!! ويجب الهدوء على جميع المستويات ، ونقابل كل شىء بهدوء .

أما أسباب هزيمة ١٩٦٧ كانت :

* ضعف القيادة والسيطرة على الوحدات .
* نقص المعلومات عن العدو .
* عدم التفرغ .
* عدم تناسب حجم القوات مع المهام المكلفة بها .
* عدم الاهتمام بقدرة الدفاع الجوى والقوات الجوية .
* انخفاض مستوى الكفاءة القتالية والفنية والإدارية .
* ضعف الانضباط العسكرى .
* سوء نظام التعبئة .

وجاء ختام حديث الرئيس السادات إلى القادة بهذا التصميم فى ٣٠/ ١٢/ ١٩٧٠ :

« سنحارب بإذن الله وسننتصر ونحن الآن وبعد ٣ سنوات أقوياء ، رغم أن أصدقاءنا الروس قالوا : يلزمنا ١٠ سنوات . ويقصد لن نستطيع أن نعيد تنظيم قواتنا واعدادها قبل ١٠ سنوات » وكسبنا معركة سياسية ضد أمريكا لأول مرة

ثم قال موجها حديثه إلى القادة :

« عندكم الكثير وخططكم عظيمة وأقوياء ، وليس لنا حجة لازم نعمل معركة كويسة بالفكر الهادئ والتخطيط السليم والأعصاب الهادئة ، ونقابل كل موقف بما يستحقه . لاتخلوا بى يوم ٥ فبراير . . أو تخلوا بالشعب وشعبنا سيكون جاهزًا لتلقى أى صدمات وإننى أقوم بتجهيزه لأسوأ الفروض » .

مواصلة الإعداد لفترة القتال من ٥ فبراير ١٩٧١ :

- اعترضت القوات المسلحة المصرية مشكلة التغلب على الموانع الكثيفة التى أقامها العدو لحماية نقطه الدفاعية الحصينة كمرحلة أولى ، ثم بحث أنسب وسيلة لاستغلال هذا النجاح بقواتنا . وقد بدأنا فى ابتكار عدة وسائل لنقل أكبر كمية من المتفجرات إلى الضفة الشرقية لإحداث خسائر فى النقط القوية بدلا من المدفعية والطيران ، حتى نهزّ

ثقة العدو فى تحصيناته التى قال عنها Unpreached ، أى لايمكن عبورها أو اقتحامها وهذا بالطبع سوف يهـز معنويات العدو وبالتدريب المستمر والإعـداد الجيد مع الشجاعة نستطيع الوصول إلى هدفنا .

وقد قام الجيش الثانى بعمل تجارب مع ابتكارات كثيرة ، أهمها :

* رمى براميل نابالم من الطائرات ثم إشعالها بالمدفعية بواسطة دانات حارقة .
* أثناء التراشـقات تدفـــع جـماعات مهندسين لفـتح الثغرات ، وتعطيـل براميل النابالم (كتدريب واقعى) .
* استخدام الصاروخ أرض أرض ٢١٦ مم ، ومداه حوالى ٦٠٠ متر ، ويمتاز بمنطقة تأثير كبيرة .
* استخدام الصاروخ « قدرة الـله » الذى ابتكره اللواء عبد الرحمـن فهمى ، رئيس أركان الجيش الثانى ، وله قدرة تدميرية هائلة وتمت تجربته فى قطاع الجيش .
* استخدام مضخة وابور الإطفاء المدنى لضخ سولار لمسافة ٣٠٠ متر .
* استخدام البنجالور الطائر .

(أثير هذا الموضوع مـع المستشارين السوفيت، وعـلمنا أنه يوجد فى الجيش الـسوفيتى وسائل أكثر تطورًا يمكن استخدامها وطلبناها منهم ولكنهم لم يستجيبوا لنا أو يردوا علينا !!

- واستمر التدريب العملى بكل جدّية على خطط الـعمليات المحتملة لفترة ما بعد ٥ فبراير ١٩٧١ .

قياس درجات الاستعداد قبل ٥ فبراير ١٩٧١ :

- فى أول فبراير ١٩٧١ اجـتمع وزير الحربية مع قادة الـقوات المسلحة ، للاطمـئنان على درجة الكفاءة القتالية والاستعداد للقتال من ٥ فبراير ١٩٧١ ومهّد لذلك بأن قال :

واجبنا هو القتال الشامل ولا نعرف متى ينتهى

تصميمنا هو تحقيق رغبة الشعب وهى التحرير

هل سيكون ٥ فبراير بدء القتال أو الاستنزاف أو العبور أو تحرير الأرض ؟

قد فضلنا أخيرًا **أسلوب الحل السلمى** ، وإذا لم يتحقق فلن يكـون أمامنا سوى القتال لنحقق هدف الشعب .

- ما هى كفاءة الخطة ٢٠٠ !
- هل درجة استعداد القوات للعمليات المحدودة كاملة ؟
- هل توجد شكوك فى قدرة الفرق على اتمام العمليات المحدودة بنجاح أم لا ؟
- إذا لم تنجح محاولات فتح الثغرات فما العمل ؟
- ما هى حقيقة موقف الروح المعنوية ؟
- ما هى قدرة القيادة على تحقيق القيادة والسيطرة على الجيش الميدانى ، بالتعاون مع الدفاع الجوى والبحرية والقوات الجوية فى وقت المعركة ؟

والحقيقة أن هذا كان تمهيـدًا من وزير الحربية والقائـد العام للقوات المسلـحة ، لمد فترة ايقاف القتال فتـرة أخرى ، حيث أشار إلى أن **أسلوب الحل السلمى** هو الذى فضلته مصر أخيرًا .

وفعلاً اجتمع مرة أخرى بالقادة يوم ٣ فبراير ١٩٧١ وأوضح الآتى :

* انتهاء فترة إيقاف القتال وإيقاف إطلاق النيران الأولى والثانية .
* قبل عبد النـاصر المبادرة الأمريكية حتى نـتمكن من بناء قواعد الصـواريخ لحماية التجميع الرئيسى .
* تدرك مصر أن واجبها الرئيس والمقدس هـو تحرير الأرض المحتلة بكل الوسائل ، مع مسئولياتنا فى تحقيق السلام .
* قبلت مصـر قرار مجلس الأمن فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وتعاونت مع يارنج وارتضت مصر بالجهود الـدولية لتحقيق التسويـة السلمية ، على أساس تنفـيذ قرار مجلس الأمن ، وقبلت قرار الجمعية العامة فى ٤ نوفمر ١٩٧٠ .
* تقدمت مصر فى ١٥ يناير ١٩٧١ بالخطة المصرية التى تكفل تنـفيذ قرار مجلس الأمن ، والتى اشتملت على الآتى :

١ - إنسحاب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ .

٢ - تعلن إسرائيل سياستها بنبذ التوسع الإقليمى على حساب الدول المجاورة .

٣ - ضرورة التوصل لتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، واحترام حقوق الشعب الفلسطينى .

٤ - إنهاء حالة الحرب وكفالة حرية الملاحة فى الممرات المائية .

٥ - إحترام وإقرار بالسيادة وسلامة الأراضى والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة ، والعيش فى سلام داخل حدود آمنة لكل دولة وعدم استخدام القوة أو التهديد بها .

٦ - ضمان السلام والاستقلال السياسى لكل دولة ، وعدم الاعتداء عليها .

٧ - مجلس الأمن يضع ترتيبات أمن تشمل :

* إنشاء قوة دولية للسلام تشترك فيها الدول الأربع الدائمة فى المجلس .
* إقامة مناطق منزوعة السلاح على جانبى الحدود .
* وضع جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الأمن

(منها السماح بإعداد قناة السويس لاستئناف الملاحة الدولية بها ، كدعم سياسى ، يعاون بعض الدول على حل مشاكلها الاقتصادية) .

ملحوظة : ٢٠ ٪ نقص بترول غرب أوربا = ٢٠ بليون جنيه إسترلينى تحملته دول غرب أوربا عام ١٩٧١ / ١٩٧٢ .

وهكذا استجابت مصر لنداء السكرتير العام للأمم المتحدة **وأعلنت استعدادها للامتناع عن إطلاق النيران لمدة شهر ، اعتبارا من ٥ فبراير الحالى حتى ٥ مارس ١٩٧١**

والحقيقة أن وراء هذا الإعلان عدم استكمال إعداد القوى ورباط الخيل

* فقد زال تأثير وفاعلية الجبهة الشرقية ، بخروج الجيش الأردنى والجيش العراقى والعمل الفدائى من المعركة العربية.
* لم تستكمل القدرة الدفاعية عن البلد بالكامل .

* الدعم السوفيتى الضخم الموعود سيصل كاملاً خلال شهر فبراير ١٩٧١ .

* هناك توقيتات التزمت بها القوات المسلحة لاستكمال واتقان عملياتها .

كما أن هناك أسبابا سياسية أخرى دعت مصر إلى ذلك ، ومنها :

* اعطاء فرصة للعمل السياسى ليستنفد وسائله كلها .

* روسيا تكتسب من سياسة السلام فى العالم وتريد مصر استغلال السلام .

* أمريكا والصهيونية العالمية تعلن على العالم . إن من يطلق الطلقة الأولى فى الشرق الأوسط سيكون هو المعتدى .

الفصل الرابع

أوامر إعداد القوى ورباط الخيل
بعد ٥ فبراير ١٩٧١ حتى نهاية ابريل ١٩٧١

- **لاتفتح النيران لمدة شهر** اعتبارًا من سعت ٠٠١ يوم ٦ فبراير ١٩٧١ حتى سعت ٢٤٠٠ يوم ٥ مارس ١٩٧١
- **يستأنف القتال** سعت ٠٠١ يوم ٦ مارس ١٩٧١ .

مهمتنا :

* استمرار رفع الكفاءة القتالية والاستعداد لصد أى عدوان مفاجئ .
* استكمال تدريب الوحدات على مهام العملية ٢٠٠ ، وتنظيم التعاون عمليًا على الأرض .
* رفع كفاءة الوحدات والوحدات الفرعية الصغرى واختبارها ؛ وخاصة فى العمليات الليلية .
* يستمر التجهيز الهندسى للموقع ، ومناطق التمركز والرئاسات ، ومناطقها التبادلية .
* رفع الكفاءة الفنية للمعدات واستكمالها طبقا للسياسة المقدرة .
* الاهتمام بالانضباط العسكرى ، وتعليم أدب الحرب مع رفع الروح المعنوية .
* تدريب القادة والضباط الأركان على المباداة عمليا .
* الربط الاجتماعى والتقاليد العسكرية بين القائد والجنود ، وزيادة الوعى عن اقتناع .

- **مطلـوب من كل قائد أن يـعطى شهادة أن الـقوات علـــــــى اسـتعداد للقـتال يوم ٥ مارس ١٩٧١ .**

وتم إرسال هذه الشهادات من القادة إلى القائد العام .

قصة اشعلت النيران مع المستشارين السوفيت

فى يوم ١٧ فـبراير ١٩٧١ اجتـمع الفريق مـحمد صادق ، رئـيس هيئـة أركان حرب القوات المسلحة بالقادة ، ومعهم المستشارين السوفيت ، وبدأ حديثه قائلا :

اللهم إنى بلغت واليوم ١٧ فبراير فإشهد

قال أوكينيـف مـستشار وزير الحربية أن الجـيوش غير جاهزة للعمـليات المحدودة يوم ٧ مارس ١٩٧١ (أى بعد انتهاء فترة ايقاف النيـران الثالثة) ، ثم قال رئيس الأركان : القيادة الـسياسيـة تطلب الحـرب يوم ٧ مـارس ، ولدينا خـطط للعـمليات المحـدودة ومن ضمنـها الاستيلاء على النقـط القوية ، ولكن أنا كرئيس هيئة أركان حـرب القوات المسلحة أرى ألا اصطدم بفشـل أو خسائر ضخمة فـى بدء الـقتال ، واقترح . كوجهة نظر خـاصـة أن نبدأ عملياتـنا المحدودة بإنشاء رؤوس كبارى كتائـب فى المناطق الخالية من العـدو ، أو التى بها عدو ضعيف ، على أساس عـبور قناة السويس ودعم الكتائب بقوة واخـتيار الأرض المناسبة لإعطاء ميـزة للدفاع ومعاونة العـملية من الضفة الـغربية ، ولا ابدأ أساسًا بالاستـيلاء على النقط الـقوية مثلا نقط الـعدو الحصينة فى الدفـرزوار ، ونحن تنقصنـا طريقة سليمـة لفتح الثغرات فيجب تركها حاليا ، ونستولى على رأس شاطئ ليس به عدو » .

ومصر تطلب السـلام ولم يحدث تحسن فى موقف إسرائيل خـلال الـ ٧ أشهر وتطلب حاليا أرض مصرية وتحتفظ بها ، وقال موشـى ديان ذلك ، وأمريكا تطالب بضم قطاع غزة إلى إسرائيل !! ولا أمـل إلا القتال والسيد وزير الحـربية يؤكد ذلك وطلب تجـهيز القوات المسلحة للعمليات المحدودة .

وعمومًا . . فإن العملية فيها مستقبل مـصر وأفضل البدء فى العمليات المحدودة الصغيرة لتسخـين القوات المسلحة ، ولـقد ابديت رأيى أمام مجـلس الدفاع ونقط القـوة والضعف ، وتقدمت بطـلبات من الأصدقاء ونحن نـتبع القيادة السياسـية ، ولكننا جاهزيـن للحرب بما لدينا والأصدقاء السوفيت يعلمون ما ينقصنا ، وما هى نقط الضعف والقرار للقائد الأعلى ، وعلينا تحقيق أهداف القيادة السياسية بنجاح ، بأقل خسائر ممكنة !!

واعتبارًا من الليـلة . . فإن قادة الجيوش والقوات الخاصة يعطون للإعـداد للتدريب لهذه العمليات ٨٠ ٪ من الوقت، وباقى المسئوليات بما فيها العمل الهندسى مع احترامى ٢٠ ٪ .

وأنا أقول هذا وعلى مسئوليتى الخاصة !!

وجاد رد الجنرال شوشمورف مستشار رئيس الأركان ، قال بخبث :

« هـل قـــــادة الجيوش جاهزين للـعمليات المحدودة أم لا . . حسب تقارير مستشارى قائد الجيش الثانى والثالث يقول إنهما غـير جاهزين ، وحسب ما شهدت فى الجيش الثانى فالمنطقة الابـتدائية للهجوم للمرحـلة الأولى غير جاهزة ؟ وكذا مرابض الضـرب المباشر غير جاهزة تمامًا ؟ . . . إلخ . »

كيف يقول قائد الجيش الثانى إنه جاهز !

اقترح إنـشاء لجنة خاصة لمـراجعة هذا الموقف ، ويـجب الاهتمام بالـتجهيز الهـندسى للعمليات المحدودة ؟!

واعترض كبير المستـشارين على رأى الفريق صادق فى مـوضوع أخذ رأس شاطئ بين النقط القوية ثم مهاجمتها ، وقال لا داعـى لفصل المرحلة الأولى إلى مرحلتين ، ويجب أن تكون مرحلة واحدة !! وتتم فى وقت واحد .

ثم قال المستشار السوفيـتى « الفريق صادق يقول إمكانياتنا حاليا لمهـاجمة النقط القوية غير كاملة ؟ وكل فـرقة أمامها نقطة قوية ويمكنها عمل ٢ رأس كوبرى وقد تفشل فى بعض النقط الـقوية ولكن الأكيـد هو النجاح فيـما بينها ، وكـل فرقة وضعت خطـة قد تعدل أو تصلح طبقا للموقف على أساس تدمير كل وسائل النيران . وتحت ستر النيران يعمل ثغرات فى الموانع ثـم مهاجمتها مـن الأمام والأجناب بمجموعـات عاصفة ، وقد نفكـر فى أسلوب التطويـق من البحيرات أو الإبـرار خلفها بـــــاستخدام الحوامات ، ولمــــاذا نمتنع حـاليا عن مهاجمة النقط القوية !!

وبدأ النقـاش بينهما وكـل له وجهة نظره ، وظهـرت وجهة نظر الفـريق صادق وهى سبب هذه الاختلافات أن النـقط القوية تحتاج إلى معدات وأسلحة متطورة لـلتعامل معها ، وهى موجودة عند الـسوفيت ولكنهم يغمضون عـيونهم ويقفلوا أذانهم عن إجابـة طلباتنا ، وكان هذا بداية الصراع !!

وقد أنهى الفريق صادق هذه المناقشة مؤقتا بأن قال :

« قادة الجيوش والمستشارين وقادة الفرق يدرسون الموضوع على أساس فكرة الجنرال شوشمورف كمرحلة واحدة أو لا ثم نجتمع مرة أخرى للدراسة .

حول فكر وقرار الرئيس السادات عن ٧ مارس ١٩٧١ :

زيارة سرية خاصة :

بناءً على دعوة خاصة طار الرئيس السادات إلى موسكو يوم أول مارس ١٩٧١ ، وكان الهدف :

١ - التأكيد على تطبيق ورسم السياسة المستقبلية شعبيا وسياسيا وعسكريا .

٢ - طمأنة السوفيت بأن هدفنا السياسى والعسكرى هو إزالة آثار العدوان ، وليس تدمير إسرائيل .

٣ - تحديد موقف مصر يوم ٧ مارس ١٩٧١ .

٤ - معرفة موقف روسيا عن أسلوب وطريقة ردع إسرائيل ، إذا قامت بضرب عمق مصر .

والحقيقة أن الرئيس السادات بدى متفائلاً بالوعود السوفيتية الاقتصادية التى ستتم يوم ٩ مارس (بعد انتهاء فترة إيقاف النيران المؤقت) ، والتى تتضمّن ٥٠ عملية صناعية كبيرة لها شأن وكفاءة فى التصنيع الحربى ، وزيادة قدرة الشعب المصرى اقتصاديا ، وبالطبع أخذ السوفيت تأكيدات عن إشاعات غير سليمة كانت قد وصلتهم ولمسوا بعض نقاط القوة ونقاط الضعف !!

وقال الزعماء للرئيس السادات : **لكم الحق فى فتح النيران يوم ٧ مارس ٧١ عسكريًا ، مع عدم الانقطاع عن السير فى الحل السياسى**

وأوضح لنا الرئيس السادات قصده من القتال والسياسة **يوم ٧ مارس ، وصرح بأنه** سيصدر يوم ٦ مارس قراره السياسى مع كتمان هذا الخبر حاليًا !!

وأكّد الرئيس السادات مطالب القيادة السوفيتية ، وتأكيدها بعدم البدء فى العمليات العسكرية أولا ، وهذا يكسب مصر عطفًا سياسيًا .

والحقيقة أن الرئيس السادات لم يوضح لنا علنا قراره ، ولكن اتضح أنه قبل امتداد إيقاف النيران بعد ٦ مارس وليس القتال ، ولسنا ندرى لماذا أخفى عنا هذا ونحن فى يوم ٣ مارس !! رغم أنه أكد أهمية حشد الدولة للمعركة وقيام نشاط إيجابى بواسطة الاتحاد الاشتراكى لصالح المعركة والنصر ، لأن قضيتنا عادلة وقوتنا ذات كفاءة جيدة وشعبنا قوى . . وفهمنا أيضًا أن السوفيت لايريدون لنا السير فى الحل العسكرى الآن ، وقالوا إنهم دعموا القوات المسلحة المصرية بأسلحة لم تدخل أى دولة اشتراكية أخرى مثل سلاح البتشورا ، وأنهم لم يطلبوا منا أن نستخدم أسلحتهم بكفاءة وثقة أفضل وأن أى كلام عن قدرة الأسلحة السوفيتية هو مثبط للعزيمة ، والاستعمار يحاول الإيقاع بين مصر وروسيا ، ويجب أن نعلن للعالم قدرة الأسلحة السوفيتية وكفاءتها !!

الدعم السوفيتى المزعوم :

ألمح الرئيس السادات خلال هذا اللقاء بعد عودته من زيارة موسكو أنهم لم يطلبوا مساعدات للأسطول الروسى بحرا وبرًا فى البحر المتوسط ، وأشار إلى مرسى مطروح ، وأنهم طلبوا تبادل الزيارة والمعلومات والتقديرات مع أهمية وجود لقاء سياسى بين وزيرى الخارجية للبلدين . وطلب منهم الرئيس السادات تسليحًا متساويًا مثل إسرائيل ، وضرورة وجود طائرات ردع سياسية (قارنوا بين قوة مصر وإسرائيل على أساس أننا أكثر من ٣٠ مليونًا ، ولدينا ٥٠٠ طائرة وإسرائيل لديها ٣٧٣ طائرة منها ٥٧ فانتوم فقط ، ومدفعيتنا ضعف إسرائيل عددًا ، ولديهم ١٢ هوك فقط) **وعموما قال الرئيس السادات إنهم وافقوا على دعمنا بالآتى :**

الدفاع الجوى :

سرعة وصول كتائب البتشورا بأطقم روسية يوم ٢٠ مارس ٧١ لتقوية الدفاع الجوى عن نجع حمادى وأسيوط ، وتقوية الدفاع الجوى عن أسوان بسلاح صاروخى جديد يسمى **مربع**[١] ، بالتعاون مع الشيلكا الإستيرلا والصواريخ .

القوات الجوية :

صرف النظر حاليا عن طائرة الردع لاختلاف وجهة النظر فى أسلوب الاستخدام،

(١) يضرب نيران مباشرة من ٥٠ متر إلى ٥٠٠٠ متر ، وله ٤ مواسير (١٥ وحدة فى ٥ كتائب) .

وفضلوا بـدلها طائرة استطلاع فولاذية (قـاذفة جديدة تصل إلـى إرتفاع ٢٠ كيلـو مترًا ، وسرعة ٢,٨ إلى ٣ ماخ ، يمكنـها الطيران فوق إسرائيل والعودة ، كمـا أن لها قدرة كبيرة جدًا على الاستطلاع ، وتستخدم مبدئيا كسلاح نفسى ومعنوى !! وتحتاج إلى ٥ أيام تحضير (سوف يصل من هذا النوع ٤ طيارين يخدمهم ٢٠٠ فرد) وتتمركز فى قاعدة أسوان ومعها ميج ٢٣ فى مكان مؤمن للغاية !!

وسترسل روسيا طائرات أخرى حديثة على التوالى ، اعتبارا من آخر مارس ١٩٧١ .

١٧ طائرة تى يو ١٦

ميج ٢١ متطورة حتى ٣٧٠ كم مدى

سوخوى ٧

القوات البرية

٣٠ مجموعة هـاون قنطرة لإزالة الألغام (أخيرًا اعـترفوا بوجودها عندهم ومـستعدين لدعمنا بها !!) وسيتم تدريب الأفراد عليها فى مصر بواسطة السوفييت . .

أجهزة رادار استطلاع أرضى

٨٠ جهاز قيادة مدفعية POV

معدات عسكرية سبق الاتفاق عليها .

وعلق الرئيس السـادات على هذا الدعم المزعوم أن السوفييـت عندهم كل شىء ، ولن يصل لنا الدعم إلا اذا عرفوا أننا مقاتلون حقيقيـون ومصممون على القتال ، وعندما يطمئنوا على حرصنا على سمعة سلاحهم وتأمينه والثقة به . .

ثم ختم حديثه يوم ٣ مارس ٧١ ، قبل انتهاء فترة إيقاف القتال بحوالى ٧٢ ساعة قائلا :

- لا استعجلكم ولكنى أطلب النصر علما بأن قـاعدة العدو النفسية والاقتصادية والسياسية ليسـت فى صالحها ويجـب أن نخوض معركـة ناجحة ولو صـغيرة ، فإسرائيـل تريد استكمال خططها الـتوسعية على حساب العرب وبناء قدرتها الـذاتية ؛ ليكون الصراع المسلح التالى معتمدا على نفسها فـقط . وفى نفس الوقت . . فإن الحلول السلمية اليوم تجعل هناك خطين عكسيين .

* خط العنجهية الإمبريالية التى تفرض إرادتها على كل العالم .

* خط مصر الذى يكتسب قواعد ومعنويات وقناعات جديدة ، تضاف إلى قوتها الذاتية ؛ نتيجة اتباعها سياسة السلام .

- ثم قال « المعركة صعبة وطويلة وعنيفة ويجب توازن خط القيادة والسيطرة على هذا المستوى وبلا سلبيات . . يتم اليوم ٣ مارس رفع درجات الاستعداد . . ويجب إيضاح الحشد الحقيقى للأسلحة والمعدات والمعنويات حتى تعرف إسرائيل أننا مستعدون للقتال »

وفى يوم ٦ مارس ١٩٧١ صدرت الأوامر بعدم فتح النيران إلا بأوامر خاصة ، مع اتخاذ جميع الاحتياطات والإجراءات لمواجهة الموقف ...

تقدير موقف الرئيس السادات وقراره فى مارس ١٩٧١ :

فى يوم ١٧ مارس ١٩٧١ كان لنا لقاءً خاصًا مع الرئيس السادات ، حضره الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والفريق محمد صادق رئيس الأركان ، وعدد من قادة تشكيلات الجيشين الثانى والثالث ، ومدير المخابرات الحربية اللواء محرز مصطفى عبد الرحمن .

والحقيقة أنه اتضح فى هذا اللقاء فكر السادات عن معركة اكتوبر ١٩٧٣ ، ويمكن استخلاص هذا الفكر مما قاله لنا فى هذا الاجتماع حتى اتفاق السلام فى كامب ديفيد كان له فى هذا اللقاء خيوط ؟! « تم تغيير الموقف السياسى فى صالحنا وأمكننا استغلال قرار مجلس الأمن بالكامل . . . . وقمنا بالمناورة فى حدود القرار **باتفاقية سلام** .

وتم تغيير الموقف السياسى كاملاً وأن إسرائيل فى الدفاع . . **وأريد العبور دون معركة** . . . وتصريحات روجرز وخاصة جلاء إسرائيل ، ونحن موافقين على وجود قوة دولية فى شرم الشيخ ، وموضوع غزة هو تقرير مصير فقط لهم وحسب ميولهم الاستقلال أو الانضمام إلى أى دولة عربية . **أما نزع سلاح سيناء فهو أمر مرفوض شكلا وموضوعًا** إلا بمناطق متساوية على الحدود من ناحيتين . **لن أوافق على نزع سلاح سيناء إطلاقًا** .

وهدف **أمريكا** هو تسوية الموقف بين مصر وإسرائيل ، وتنفصل مصر عن العرب !!

وإذا جلت إسرائيل عن سيناء ففي النهاية ستجلون عن الباقى خاصة سوريا ، التى قد تعرض موقفها على مجلس الأمن ونقف معها . . » .

ثم تساءل الرئيس السادات قائلاً « هل هناك أمل في موقف أمريكا اليوم ؟ أنا لاأستطيع بناء خططى على ذلك ، ولكن هذا يوضح حقيقة أنه يجب أن **اعطى الحل السياسى بعض الوقت** ، ثم قال لنا : هذا سينعكس عليكم . . لاتقلقوا أبدا ويجب أن نحرر الأرض مهما كان وهى رسالتنا » .

أما عن موقف روسيا فقال الرئيس السادات :

« يجب أن لا نوزع الاتهامات هنا وهناك فقد تم تعزيز جديد لقواتنا وبدأ يصل الدعم فعلا ، وهم معنا سياسيا . وبعد خمس سنوات ستتطور اقتصاديا وصناعيا وسيتم تصنيع حوامات طراز مى ١٤٥ **ومصانع بمجمَّع الحديد وبترول سيوه** قد يغير الموقف فى مصر فى المستقبل القريب هل هو حقل بترول ضخم ؟ لم يظهر بعد .

وعمومًا . . يجب علينا إعادة بناء كل شىء فى البلد على مستوى علوم العصر الحاضر . . وبعد أن قارن الرئيس السادات ما كنا عليه فى يونيو ١٩٦٧ وما حدث حتى اليوم ، وقارن بين ما تعطيه أمريكا لإسرائيل من دعم خاصة الفانتوم ، ويجب إفهام الناس أن الفانتوم ليس شبح رهيب ، ولكنها حمولة ومدى وسرعة تطول أى مكان فى عمق بلدى ولكن لو الميج ٢١ طالت الفانتوم فستدمرها . . . وظهرت الميج ٢٣ وهى أروع من الفانتوم . .

ويجب أن يعلم الجميع أن روسيا خلفنا وستدعمنا .

وبنغمة حاسمة قوية قال الرئيس السادات

معركتنا القادمة ١٠ ٪ عسكرى

ولو ١٠ سم فقط شرقا والباقى سياسيا

ملاحظة : (هذا ما تحقق فى حرب رمضان ١٠ كيلو مترات شرقا والباقى سياسيا)

ثم قال « **ولدينا السلاح الذى يكفى لهذه المعركة** »

ولن أخطط لحرب خاطفة حاليًا

ولا يهمنى رمل سيناء ولكن معركة واحدة تثبت التحدى وتغيّر الموقف

(وجاءت فعلا حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ تثبت التحدى وتغيّر الموقف)

وفى نهاية هذا اللقاء التاريخى الذى لم يسجل حيث كانت الجلسة مفاجئة وغير متوقعة أجاب الرئيس السادات **عن تساؤلاتى السابقة** قائلاً :

يوم ٢٢ فبراير ١٩٧١ سوف يتم فيه إعلان الدولة الاتحادية بين مصر وسوريا وليبيا ، ونسمى نحن جمهورية مصر العربية . . وهكذا عاد اسم مصر مرة أخرى .

ثم قال والحقيقة أن سوريا ألزم لنا فى المعركة المقبلة ، ورغم كل العقبات . ولإيقاف المناورات السياسية لم أوافق على هذا اليوم ٢٢ فبراير ١٩٧١ ؟! وسيعلن عن شكل الدولة الاتحادية على أسس واضحة قريبًا جدًا ومعنا ليبيا وسنحاول إدخال السودان أيضًا . . .

وعن **المفاجأة** قال الرئيس السادات **المفاجأة فعلا هى أساس عملنا فيما بعد ، وسأختار المكان والزمان الذى سنبدأ منه أعمالنا** ، ويجب **إحداث ذعر داخل إسرائيل** ولكن لا يمكن الثقة إلا بما هو معى وفى يدى فقط .

وقد تحققت المفاجأة التامة فى حرب رمضان وحدث الذعرالذى وصفه الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم ليس بين جنود خط بارليف فقط ، ولكن فى كل إسرائيل قيادة وشعبًا !!

والحمد لله

الفصل الخامس

فترات حرجة فى خطط إعداد القوى ورباط الخيل
مايو ١٩٧١ م

إظهار وجهة نظر القوات المسلحة :

« مساء يوم ١٨ ابريل ١٩٧١ ، أى قبل ٢٥ يومًا من ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، كانت بداية العد التنازلى لأحداث ، قد تكون هادمة لإعداد القوى ورباط الخيل أو قد تكون أساس جديد لها والله وحده أعلم . جمع الفريق أول محمد فوزى المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى دعوة خاصة بمبنى القيادة العامة بمدينة نصر ، بخصوص أخذ الفكر ممثلا فى القوات المسلحة ، فيما يخص جمهوريتنا **سياسيا واقتصاديا وعسكريا واجتماعيا** حتى نمثل جميعا وحدة فكرية واحدة . المطلوب الاستماع إلى الرأى الصريح عن ماهية الأمر الذى حدث أمس ١٧ أبريل (نيسان) ١٩٧١ فى بنغازى **وهو اتحاد الجمهوريات العربية** ويشمل مصر وسوريا وليبيا نستمع ونسجل الرأى للجميع » .... هكذا بدأ وزير الحربية والقائد العام هذا اللقاء .

ثم قال وزير الحربية « الانسحاب الجزئى من سيناء لايحقق فائدة لمصر أو للقوات المسلحة ، ولذا نرفضه وحتى نزع سلاح سيناء . »

ثم قال « فى ٢٦ نوفمبر ٧٠ وقعت مصر اتفاقية مع سوريا ووقعها الرئيس الأسد .

* **قيادة سياسية للمعركة من الرئيسين .**

* **قائد عام للدولتين المتعاقدتين** وهو وزير الحربية فى مصر ، وهو مسئول عن القيادة والسيطرة ووضع الخطط والإشراف على تنفيذها .

مطلوب **معرفة الرأى الـعام فى الجيش وهل المجلس الأعلـى يمثل القوات المسلحة فعلا** . . »

ونقط البحث هى :

* غير موضح قوة فرض الأحكام !
* ما هى فوائدة على مصر ومضاره .
* الوحدة الفكرية .
* الارتباط والتماسك مع القادة .

وضعت هذه الأسـئلة أمامنا وكـنت وبعض زملائى فى مـفاجأة تامة لهـذا الاجتماع ، ولهذا الموضوع فهذه أول مرة يجتمع المجلس الأعلـى للقوات المسلحة لأخذ الرأى ، ومناقشة هذه الموضوعات التى تعتبر سياسية بالدرجة الأولى . .

وتكلـم بعض القادة لمـناقشة الموضوع ، ثـم أخذ الوزير رأى الأعضـاء فردًا فردًا . . . ومعظمهم لـم يوافق إلا اللواء سعد الشاذلى قائـد منطقة البحر الأحمر العـسكرية (فى ذلك الوقت) الذى أقر هذا الاتحاد وعندما جاء دورى لأخذ الرأى سألت الفريق أول فوزى سؤالاً قلـت فيه : « اذا كـنت سيـادتك كقـائد عام للـجيش المـصرى والسـورى ، وتملك فـعلا استخدامهما بأوامرك ، وتحت قـيادتك الفعلية . . فإنى **أوافـق** . أما اذا لم تستـطع حسب تجارب الماضى فـلا أوافق » وكانت هذه هى إجـابتى عن هذا الاتحاد بـصفتى قائدًا لـلجيش الثانى الميدانى وعضو المجلس ؛ فلم أتلق من الفريق فوزى إجابة عن إستيضاحى للموقف ، ومعنى هذا **أنه لايملك** وبالتالى انضم إلى زمرة **غير الموافقين** على الاتحاد . وانتهى اللقاء فى جو شعرنا فيه جمـيعًا بأن فى الجو شيئًا ما لم نفهم أو لا أتذكر شخـصيا فى هذا الوقت ما قاله الرئيس السادات فى لقاء **يوم ١٧ مارس ١٩٧١ ، أنه فى يوم ٢٢ فبراير كان سيعلن قيام الدولـة الاتحادية** ، وأنه شعـر بمناورات سيـاسية وأحس بوجـود عقبات ، فـأجل هذا الإعلان إلى فرصة أخرى حتى يبطل المناورات السياسية ويتخطى العقبات !!

وعندما أحلل هذا الموقف وارتباطـه بمواقف أخرى متتالية حتى يوم ١٢ مايو ١٩٧١ . . تتضـــح صـــــورة حية لمـا دار بفكر الســادات عن إحباط المناورات الـسياسية ، وتـخطى العقبات .

وفى يوم ٢٤ أبريل ١٩٧١ .. كنا نـعرض على وزير الحـربية والقـائد العام لـلقوات المسلحـة خطـط الأعمال التمـهيدية فى الخطة « جـرانيت » ، وكذا خطط التطـوير وأسلوب القيادة والسيطرة ، وقال الوزير والقائد العام فى نهاية هذا العرض :

« التخطيط المسبق لجميع الاحتمالات يعتـبر جيدًا ، وسأصدر قرار المرحلة التمهيدية فى آخر لحـظة ، واذا **وُجدت سنـحدد أيامها أو تـلغى** . وفى هـذه الحالـة **تحقق المهـام أثناء الاستطلاع بقـــوة** ، **وأؤكد** أن المرحلة الـثانية ستتلو الأولى مـباشرة وكذا الثالثة سـتتلوها مباشرة . . . »

ثم قال « العمل العسكرى الذى سنقوم به يهم العالم كله ، ويتوقف عليه تاريخ شعب مصر والسرية الكاملة مطلوبة ، وأذكركم أن الروح القتالية الهجومية معنويا تعطى ٧٥ ٪ من الكفاءة القتالية للقوات » .

وفى حزم وقوة قال وزير الحربية والقائد العام:

« **اعطى التصـرف المطلق فى حدود التخطـيط العام المصدق عليـه إلى قادة الجيوش** - وليس للقيادة العامة للقوات المسلحة - خـاصة فى عمليات تأمين أعمال قتال القوات ، سواء فى الدفاع أو الأعمال التعرضية » .

وكان هذا آخـر لقاء رسمى مـع الفريق أول محـمد فوزى وزير الحـربية والقائـد العام للقوات المسلحة المصرية حتى يوم ١٢ مايو ١٩٧١ ، حيث دعى الرئيس السادات قادة القوات المسلحة إلى اجتماع فى قاعدة بلبيس الجوية ، حوالى الساعة التاسعة صباحًا .

١٢ مايو ١٩٧١ :

وصل عدد كبير من ضباط القوات المسلحة المصرية إلى صالة الاجتماعات بقاعدة بلبيس الجوية تلبيـة للأوامر القاضية بحضور قادة الجـيوش الميدانية وقادة التشكيـلات حتى مستوى اللواءات ، وقادة القـواعد الجوية وقادة الأسراب ، وقادة التـشكيلات البحرية ، وتـشكيلات الدفاع الجوى، وعدد كبير من ضباط الجيشين الثانى والثالث والمنطقة العسكرية المركزية . . .

وانتظرنا وصول الرئيس السادات فى قلق إلى أن وصل حوالى الساعة ١٢ يرافقه الفريق أول محمـد فوزى وزير الحربيـة والقائد العـام والفريق محـمد أحمد صادق رئـيس الأركان وكنت أول من استقبلـهم بحكم أقدميتى كقائد للجيش الـثانى ، وأقدم الحاضرين ، وسلّم

علىّ وعلى وجهه ابتسامه ساخرة لاتشعرك إلا بالقلق ودخل إلى قاعة الإجتماعات وتوجه مباشرة إلى المنصة الرئيسية وجلس وبجواره الفريق أول محمد فوزى على الجانب الأيسر ، أما الفريق صادق فقد اختار الجلوس معنا فى الصف الأول ولست أدرى لماذا لم يجلس على يمين الرئيس ، كما يحدث فى كل المؤتمرات وحسب المراسم العسكرية !!

وبدا الرئيس باسم الله يتحدث وشرح الموقف السياسى ، ثم عرج إلى قصة حدثت له وهو يوزباشى (نقيب) فى سلاح الإشارة وكان معسكر الإشارة فى منطقة ألماظة ويجاوره معسكر وحدة مدفعية ميدان ، وكان جنود معسكر المدفعية يسرقون بعض معدات الإشارة وأهم ما سرقوه جهاز لاسلكى كان فى عهدة اليوزباشى محمد أفندى أنور السادات (هكذا قال) ثم نظر إلى يساره حيث يجلس الفريق أول فوزى وزير الحربية والقائد العام وهو أصلاً ضابط مدفعية وقال بسخرية : « كلهم كانوا حرامية » ، وابتسم ابتسامة صفراء وضحك جميع الحضور بصوت مرتفع ، واستمر المؤتمر أكثر من ٣ساعات فى موضوعات سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية ، ثم تناولنا طعام الغداء حوالى الساعة الرابعة فى نادى كلية الطيران ، وجلسنا على مائدة واحدة تصدرها الرئيس السادات وعلى يمينه اعتقد اللواء طيار حسنى مبارك ، ثم عن يساره الفريق أول فوزى، ثم الفريق صادق وأقدم ضابط بحرية ، واللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى ، وقائد الجيشيين الثانى والثالث ، وكان الطعام فخمًا منظرًا ورائحة - ولكن لم يكن له طعم . فالجميع كانوا فى صمت مخيف . لم يتكلم الرئيس كلمة واحدة أثناء الطعام لمدة ساعة وبعدها غادر المكان وركب معه الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية ، وكان هذا آخر عهدنا به كوزير للحربية ثم تبعه الفريق محمد صادق فى سيارة الوزير محمد فوزى متجهين إلى القاهرة . . . .

وانفض الاجتماع ولكن كلمات السادات واتهامه لرجال المدفعية أنهم حرامية كانت مسار غمزات ولمزات بين الجميع فى ضحكات منوعة المعانى ، وكنا لاندرى أنه كان نهاية هذا الضحك علقة . على رأى المثل . . وفى صباح يوم ١٣ مايو ١٩٧١ فوجئنا بخلع الفريق أول محمد فوزى من الوزارة ، وتعيين الفريق محمد صادق وزيرا للحربية ، وتعيين اللواء أ ح سعد الشاذلى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة .

الفصل السادس

فكر وآراء واتجاهات الرئيس السادات
بعد ثورة التصحيح حتى نهاية عام الحسم ١٩٧١



الرئيس السادات فى حديث مع قائد الجيش الثانى الميدانى

فايد - يونيو ١٩٧١

دولة العلم والإيمان :

تولى الفريق أول محمد صادق وزارة الحربية والقائد الـعام للقوات المسلحة خلفا للفريق أول فوزى ، وبذا صعد إلى الـدور الأول من مبنى وزارة الحربية بكوبرى القـبة وترك مكانه إلى اللـواء أح سعد الحسينـى الشاذلى الذى تعـين رئيسا للأركـان (أشيع أنه تعين رئـيسا للأركان بعد موقفه الـذى وافق فيه على الاتحاد الثلاثى بين مصر وسوريا ولـيبيا عندما أخذ الفريق أول محمـد فوزى رأى المجلس الأعلى للقوات المسلحـة فى اجتماع يوم ١٨/ ٤/ ٧١) وفى أول لقاء به بعد تولى مـنصبه الجديد يوم ١٤ مايو ١٩٧١ قص علينـا ملخص ما حدث فى الأربع والعشرين ساعة الماضية واستقالة وزيـر الداخلية السيد شعراوى جمعه وآخرين ، ثم تكلم عما حدث فى جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ١٨/ ٤/ ٧١ بخصوص أخذ رأى المجلس فى قرار سياسى ، وقال إنه لايوافق أن يعمل الضباط فى السياسة ، وأن واجبنا هو الاستعداد للقتـال ثم إن التورط فى السياسة ونحن فـــى حالة حرب يعتبر نوعًا مـــن الخيانة .

ثم أشار إلـى موقف الفريق أول مـحمد فوزى فى هـذا الاجتماع ، وأنه يأسـف لعدم نجاحه فى اثنائه عن غرضه وهو دفع القوات المسلحة إلى ميدان السياسة ، ثم قال :

« القادة مسئولـون عن وحدة الفكر فى وحداتهم وأى تـشكيل فيه بلبلة ، فـالقائد غير صالح للقيادة ووحدته ليس بها وحدة فكر » .

واعتـــقـــد أن هذا كان بـداية لأحداث تغييـر فى بعض المنـاصب القيادية فـى القوات المسـلحة ، ان لـم يكن اليـوم فغدا وهـو ما حدث فـعلاً . وبعد أن اسـتقرت آراء وأفـكار واتجاهات الرئيس السادات عن مستقبل الأشهر الباقية من عام الحسم .

عادت عجلة إعداد القوى والاستعداد للقتال تدور فى طريقها المرسوم ، دون توقف رغم اعتراض طريقها من عقبات أمكن تخطى بـعضها وظل البعض الآخر فى طريق الحل ، كما كان هناك ما يحتاج إلى حلول من القيادة السياسية العليا .

وكان أول لقاء لـنا مع الرئيس الـسادات يوم ٣ يـونيو ١٩٧١ بـعد الثورة التى قـام بها وارتبطت باسـمه وأسماها هـو شـخصيا ثورة التصحيـح ،فقص علينا قراءة مـلخصا لأقوال السيد أحمد كامل مدير المخابرات العامة سـابقًا ، وكذا بعض تسجيلات المتآمرين ثم عرض إلى الموقـف السياسى والـعسكرى ، قال : « عـن المعركة إنهـا واجبنا الأول ونسـير فى ٣ خطوط متوازية » :

١ - البناء العسكرى للمعركة .

٢ - الجهد السياسى فى كل الميادين لخدمة المعركة .

٣- بناء الدولة الحديثة على العلم والإيمان .

المعاهدة المصرية/ السوفيتية :

لقد طلبت المعاهدة بناءًا على شيئين :

عاجل وهو حاجتى إلى معدات للمعركة ، وهذا يربط الشرف الروسى بالمعركة .

آجل وهو ، بناء الدولة الحديثة .

ثم قال « نحن لانملك أن نتخلف أبدًا . . الحرب الحديثة . . العلم الحديث . . وكل يوم فيه تقدم ، وأنا فى حاجة إلى العلم الحديث وهو متكامل فى روسيا وأمريكا ليس فقط للحرب ، ولكن للسلم والصناعة أيضًا وبهذا سأنتج هنا الذخيرة . . وفى الخمس سنوات القادمة سأستكمل صناعتى تمامًا . .

أنا محتاج للروس ليس فقط إلى ١٥ سنة ولكن إلى ٣٠ سنة . ونحن فى حرب صليبية جديدة قد تطول إلى أكثر من خمسين سنة . **ولكن علينا إعادة إسرائيل إلى حدودها ، وبناء الدولة على العلم الحديث والإيمان .**

ولاتخشوا من النفوذ الروسى . . لايمكن للمصريين أن يتحولوا إلى شيوعيين . يستحيل أن نذوب فى أى شعب . . ولا يستطيع أحد أن يملى علينا أى شىء مهما كان ، وقد قال نيكسون « إن أمريكا تضمن تفوق إسرائيل إلى الأبد ! » وبهذه المعاهدة سنقول لأمريكا لا . . سنبنى الدولة العصرية ندًا للند . »

الموقف مع امريكا ومحادثات روجرز وسيسكو[1]

الحقيقة أن الرئيس دخل فى هذا الموضوع بطريقة محيّرة حقا ، فقد قال « إنى مؤمن بأنه لابد من المعركة يوما ما ، ولكنى لو تمكنت من عبور قواتى دون دم ثم اقاتل فى سيناء فهو ما أعمل به الآن واستكمل مع روسيا كل شىء ينقصنا . »

(١) فى ١٥ يناير ١٩٧١ تقدمت بخطة تكفل تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر فى نوفمبر ١٩٧٠ ، وقرار الجمعية العمومية فى ٤ نوفمبر ١٩٧٠ ، وقدمت هذه الخطة إلى السفير يارنج .

هنا تذكرت ما قاله لنا قبل ذلك أريد من روسيا أن تعطى

وأريد من أمريكا أن تحل

واعتقد أنها معادلة صعبة أن يكون لرجل قلبان فى جوفه !!

ثم قال : « وحاليا يجب إعادة إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ - وقد قبلت قوات من الدول الكـبرى كقوات أمن ، ثم أبنـى الدولة البناء الحديث بمـا فيها قواتنا المسلحة ، ويجب أن تكونوا جـاهزين فى كل وقت والمعركة . . يجب أن تـنتهى خلال عام ٧١ (**لذا سماه الرئيس السادات عام الحسم**) ولكن لن أقول إلا بعد الهجوم وسأختار الظرف السياسى والعالم كله معى مثل ما حدث فى المعاهدة الأخيرة مع روسيا ، حيث فهم الغرب أن القوة فى مصر وليـس للروس ، وسأختار وقت المعـركة حتى أول السنة لا إذاعة أو دعـاية لهذا الموضوع » .

ثم عاد الرئيس إلى تصريحات الرئيس نيكسون الذى قال :

« **يجب أن تكون قناة السويس هى المفتاح الذى تحل به القضية كلها** »

وشروطى هى . . هكذا قال السادات ردًا على تصريحات نيكسون :

* **عبور قواتى قناة السويس .**
* **وقف إطلاق النيران ٦ أشهر .**
* **الحدود الدولية الأصلية .**

ثم قال « ولكن لابد من **المعركة** إما **فى** العبور أو بعده » .

وهنا يـرى أى محلل عسـكرى أن هذا ينطبـق على تصريـحاته السابقـة أنه لايريد إلا ١٠ سنتيمـترًا فقط من الضفة الشرقية والباقى يحل سيـاسيا أى عملية عبور قناة السـويس حتى عمق ١٠ كيلو مترات وهو ما حدث فعلاً فى حرب رمضان .

ثم أنهى الرئيس السادات هذا الاجتماع بوضع استراتيجية المرحلة القادمة .

١ - ضرورة الحرص على علاقتنا بروسيا

واحملكم كقـادة مسئولية المستقبل لبـناء هذه الدولة بحسن علاقتنا الـوطيدة مع روسيا لأجيال مقبلة ، حتى تزول الهجمة الصهيونية .

ثم علق على هـذه العلاقة بالآتى « لقد بلغـنا سن الرشد وقرارنا فى يدنا وحـريتنا فى يدنا . . لكم دينكم ولى دين . . . » .

٢ - الوحدة العربية

منطقتنا هدف للأطماع الخارجية لأهميتها ، وهناك مثال

(التتار والصليبيين ٨٠ سنة ولم نصد الـهجمة إلا باجتماع مصر وسوريا) ولو اتحدت الـدول العربية كلهـا بمرونة وعدم حساسية سنحقق الوحدة ، ونبنـى لكل بلد وحدة قوية فى ذاتها . .

ثم قال وعلينا إنجاز مهام الدستور للاتحاد الثلاثى

وأضاف بندا مـهمًا يريد إضافته للدستور الجـديد ، الـذى يجب أن يتم قبل ٢٣ يوليو ١٩٧١ وهو بند **باب الأخلاق** . .

وبعد أن غـادر الرئيس الاجتمـاع أخذ الفريق أول صادق الـكرة ، وأعطى توجيـهاته كوزير للحربية كالآتى :

* يجب غسيل موضوع العمل السياسى وهـو ملك لكل فرد كمواطن ، ولكن ليس محل مناقشة القوات المسلحة بينها .
* واجبنا هـــو كسب المعركة والثأر لكرامـتنا ، ويجب أن يشعر الجميـع بأننا جاهزون للقتال .
* مطلوب من الجميع إذا سئلوا عن آرائهم السياسية لايجيبوا أبدا ، وواجبنا هـــو المعركة فقط .
* يجب حسن اختيار الضباط والقادة وعدم المجاملة لصالح المعركة .
* أهمية الضبط والربط واحترام تقارير الشرطة العسكرية والاهتمام بالتقاليد العسكرية .
* أهمية العناية بالجندى والضابط الصغير .
* استدعاء الضباط المحالين للمعاش .

وهـذه بالطبع خطـوات مهمة من اعمدة إعداد القوى ورباط الخيل ، استـعدادًا للمرحلة القادمة .

تحليل وتعليق :

لم تحقق مصر مكاسب عسكرية بعد إيقاف القتال ولكن المكاسب السياسية كانت كثيرة ولقد اعترف العالم بحقنا وكان إعلان المبادرة المصرية بفتح قناة السويس بشروط له أثر كبير فى دول غـرب أوربا . أما مـوقف **روسيا** فهم يميـلون إلى **الحل السلمى** حتى بعـد معاهدة الصداقـة التى وقعت بين مـصر والاتحاد السوفيـتى ، ويتضح هـذا أيضًا من طلبهـم خططًا لتحريـر الوطن ، وعـدم موافقـتهم على العمـليات المحدودة مع إصرارهم علـى وضع خطة كاملة ، تقسم إلى مراحل . وكانت لهم مطالـب فى استخدام مطار مرسى مطروح وميناءها البحرى ، كمـا أن طائرات الميج ٢٥ المتطورة وواجـبها الاستطلاع فوق إسرائـيل وسيناء ، ولكنهـم رغم وعدهم لم يوفـوا بالعهد للآن حـتى طائرات الردع لم تـصل !! وحدث أن اخترقت الطائـرات الإسرائيلية المجال الجوى المصرى داخـل منطقة عمل الطائرات الـسوفيتية حسب تنظيم التعاون بينهم وبين القوات المصرية فلم يتحركوا لمقابلة الطائرات الإسرائيلية !!

وحتى **موقف الدول العربية مع مصر** ما زالت به عقبات ، أولها لـيبيا فقد حدث سوء فهم لبـعض المواقف العسكـرية ورغم هذا ففى صالح مـصر أن تكون ليبيـا آمنة ، وجارى الاتصالات على مستوى القـمة لتحسين الموقف . أما السعودية فالملك فيصـل متفهم للموقف ومقتنع بالحـرب ومستعد للمساعدة المالـية ووعد بتجميع الدول العـربية فى صف واحد وراء مصر .

وبالنسبة لسوريا فما زال وزير الحربية والـقائد العام المصرى هو القائد العـام للجبهتين رسميا ، والمفروض أن تحارب معنا والله أعلم مـاسيحدث اذا دخلنا الحرب . . كما أنهم لم يسمحوا للمقاومة الفلسطينية بالعمل إلا من لبنان . **والمقاومة الفلسطينية** هادئة الآن بعد قضاء الأردن عليهـم ، وذهبوا إلى سوريا وخيـروهم بين أن يكـونـوا بعثيين أو يمـوتوا ، هكذا أشيع . . كل هذا وعدونا سعيد ، وتنهال عليه المساعدات من كل مكان خاصة أمريكا . .

والقرار السـياسى واضح تمامًا ويؤكـد أهمية الاستعـداد للقتال ، ثم وضـع خطط عن العمليات المحتمل القيام بها . . ولكن هناك **أعمدة مهمة فى إعداد القوى**

كيف نقاتل ولم تصلنا الأسلحة والمعدات التى وعدتنا بها موسكو !!

هل نقاتل بما لدينا ولا ننهزم ، كيف نحقق ذلك ؟

هذه هى تعليقات ما كان يدور فى عقول قادة القوات المسلحة آنذاك ، عندما كنّا على أبواب النصف الأخير من **عام الحسم** حسبما أسماه القائد الأعلى للقوات المسلحة . .

وكان هناك لقاء بيننا قادة الجيوش والرؤساء ووزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، وحضره قادة القوات البحرية والجوية والدفاع الجوى بالكلية البحرية بأبى قير يومى **٥ و ٧ / ٧ / ١٩٧١** ، وأثيرت فيه الموضوعات الآتية ، كما حضر الاجتماع عدد من القادة والرؤساء ، وقال الوزير الفريق أول محمد صادق :

* الاستعداد للقتال خلال شهر أغسطس ١٩٧١ .
* تهيئة الأذهان لإزكاء روح القتال دون تحديد موعد .
* التدريب الواقعى على ما فى أيدينا من أسلحة ومعدات .
* إقناع كل فرد بأننا سنقاتل بما لدينا !!
* يجب إشعار الأصدقاء السوفيت بأننا سنقاتل ونقاتل ، ومصممين على القتال فى أقرب فرصة وليس هناك حل آخر .
* إخفاء التخطيط الحقيقى الذى سيستخدم فى العمليات ، وإظهار التخطيط المطلوب إظهاره مثل ما تم قبل ذلك .

حدث خلاف بين الفريق أول صادق والمستشار الروسى أوكينيف عن الخطط المصرية ووضع خطط بمعرفتهم لم يقتنع بها الفريق صادق وسافر أوكينيف إلى موسكو ، أعتقد أنه غاضب من الوزير .

وأبدى الوزير فكره الذى بنى عليه قراره بعد دراسة موقف القوات الثلاث البرية والبحرية والجوية ، وبالطبع كان يعتبر الدفاع الجوى ضمن القوات البرية ، وقال :

- لاعبور لأكثر من ٣ فرق من كل القوات فى وقت واحد ، على أساس كوبرى فى كل جيش ، وهذه هى إمكانياتنا .
- مطلوب الف عربة لاستكمال حملة القوات للتحرك والإمداد .

- كمية الذخيرة المتيسرة للعمليات الهجومية مقدر لها أقل حد ممكن ، لوجود نقص فى الذخيرة [1] الموجودة لايكفى للقيام بعملية هجوم شامل !! .

ولكن هذا القرار الذى اصدره الوزير صادق تعرّض للمناقشات التالية من القادة والرؤساء ، ولم يحضر معنا أحد من المستشارين السوفيت .

اللواء أ ح سعد الحسينى الشاذلى رئيس الأركان

أشار اللواء الشاذلى إلى ما قاله بريجنيف للدكتور رياض بخصوص موقف الذخيرة ، وأنها لاتوصلنا إلى أكثر من ٢٠ كيلو مترًا فكيف نحارب فى أغسطس ١٩٧١ !!

واقترح الشاذلى **فكرة الخطة التالية :**

* تقوم القوات المسلحة بتدمير النقط القوية للعدو شرق بورفؤاد ، وتأمين الضفة الشرقية للقناة حتى مسافة ١٠ كيلو مترات بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى .
* تجنيب القوات الجوية المعركة الرئيسية وترغيب العدو الجوى فى مهاجمة قواتنا واسقاط أكبر عدد ممكن من طائرات العدو ، وعلى القوات الجوية تركيز الدفاع الجوى عن بورسعيد والمناطق التى ليست بها صواريخ .
* القيام بعمليات إغارة متفرقة فى العمق .
* تجنيب القوات البحرية المعركة فى هذه الفترة ، ويقتصر عملها على الغواصات لتدمير عائمات العدو فى البحر المتوسط والبحر الأحمر .

لواء أ ح بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية :

أرى أنه يجب إشراك القوات البحرية والجوية فى يومى ى١ ، ى٢ أى يقصد اليوم الأول واليوم الثانى قتال بأقصى قدرة ممكنة ، ويجب معرفة نقط الضعف عند العدو .

لواء أ ح محمد علي فهمى قائد قوات الدفاع الجوى

* ليست لدينا القدرة على تأمين السيطرة فى العمليات الهجومية .

---

(١) قال بريجنيف للدكتور رياض :

« كيف تهجمون فى اغسطس وليس لديكم ذخيرة توصلكم ٢٠ كيلو مترًا !! » .

* يجب إشراك القوات الجوية فى الدفاع الجوى .
* الذخيرة وقطع الغيار غير كاملة لوحداتى .
* كل مايمكن عمله هو **حماية القوات شرق القناة من الغرب حتى عمق ١٠ كم شرقًا فقط .**

لواء أ ح علي عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية :

* لن يتورط الروس فى العملية مهما كان .
* ستستنزف القوات شرق القناة بما فيها القوات الجوية ، ويجب تطوير العمليات إلى عمق سيناء .
* خسائرنا ستكون أكثر لأن شعبنا يعتبر غير مشارك فى الحرب .
* يجب تحقيق السيطرة الجوية المحلية على الأقل .
* ينبغى توفير أسلحة ومعدات لفتح الثغرات والألغام وشق الساتر الترابى .

الفريق أول محمد صادق وزير الحربية :

روسيا تمنع عنا كل شيء لنمشى فى خط معين ولو تمردت وقامرت هل سيتركونى !! أو أجبرهم على أن يعطونى . هل سيشترك الروس معنا فى الحرب . . هل وحداتهم الموجودة ووحدات الدفاع الجوى والطيران السوفيتى ستشترك معنا ؟

لواء أ ح محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة تدريب القوات المسلحة :

- لدينا تخطيط أو إمكانيات لتحريك الموقف سياسيا . والعمل عسكريا وأرى أن تقوم لجنة تخطيط للوصول إلى أحسن الحلول .

لواء أ ح سعد الدين مأمون رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة :

أمام القوات المسلحة أربعة احتمالات :

١ - عمليات شاملة .

٢ - الاستيلاء بالقوات الرئيسية على المضايق (داخل) .

٣ - رؤوس الشــواطئ ما بين ١٠ - ١٢ كيلو مترًا فى الـشرق ، والسيطرة علــى نطاق أمن حتى المضايق (خارج) .

٤ - عمليات استنزاف دون عبور قوات رئيسية .

ويفضل هو شخصيا الحل الثالث .

لواء أ ح نوال سعيد رئيس هيئة إمدادات وتموين القوات المسلحة :

- الأسلوب المحدود هو الأنسب للحلول الإدارية حتى يمكن بناء الاحتياجات المطلوبة .
- أهمية التدريــج من مرحلة إلى أخرى أكبر ، وقد تـصلنا معدات متطورة تسـاعدنا على تحقيق الهدف .
- ضرورة استكمال الذخيرة والوقود الخاص بما يحقق القتال المحدود وشهرين بعد ذلك .
- لدينا مايكفى عملية كاملة لمدة ١٢ يوم عدا الذخيرة .

أما العمليات والمناوشات لها أسلوب آخر .

لواء أ ح عمر جوهر رئيس هيئة التنظيم والإدارة :

- أهمية دراسة نقط القوة والضعف فى العــدو وفى قواتنا ، وأهم ما عند العدو هو القوات الجوية والإلكترونية ؛ لذا يجب استخدام كل الوسائـل المتيسرة لتكبيده خسائر فى قواته الجوية .
- بعد تنفيذ المهام ما هو شكل قواتنا وأوضاعها لتكون مؤمنة تمامًا .
- اتباع مبادئ الحرب وأهمية المفاجأة والحشد .

لواء أ ح شهدى مدير الشئون المعنوية للقوات المسلحة :

- ما هو الأسلوب غير النمطى فى القتال .
- أهمية استخدام الصاعقة وقفل المضايق وعمل الكمائن . .
- أهمية عمل خطة إعلامية .

لواء أ ح عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميدانى

- القيام بعمليات محدودة أى نصل إلى ١٠ كيلو متر ، أو إلى المضايق ، ويجب أن تكون لدينا خطتان .
- لانبنى خططنا على إشراك الروس .
- تكون مهمة الجيش الوصول إلى المضايق تسبقها عمليات محدودة .

لواء أ ح ممدوح تهامى نائب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة :

- أن استراتيجيتنا العسكرية هى تنسيق الأداء العسكرى .

شكل العملية يتفق مع القرارات والإمكانيات .

تكييف العملية حسب الموقف الدولى .

لا اتباع لسياسة الاستنزاف .

الحد من استخدام القوات الجوية والبحرية إلا ضد الأهداف الحيوية وبتركيز .

يقترح عمل متكامل فى شمال سيناء .

وعمليات إغارة واستنزاف جنوب سيناء وهذا يتطلب استكمال النواقص التكتيكية والتعبوية

لواء أ ح محرز مصطفى مدير المخابرات الحربية :

- السيطرة على الضفة الشرقية للقناة على المحاور الرئيسية ، ثم السيطرة على المنطقة بعد ذلك ، واعتبار طريق رأس سدر كمحور رئيسى أيضًا .
- أهمية السرية والمفاجأة .
- أى طلقة منا هى **حرب شاملة مع إسرائيل** ، كما قالوا : إذا استأنف المصريون القتال فالحدود الحالية ستثبت !!
- وما هو موقف السوفييت فى هذا الموضوع ؟

لواء أ ح عبد القادر حسن نائب وزير الحربية :

- إمكانياتنا لا تتعدى عمليات محدودة ولو أنها أصعب مرحلة . ويجب إدخال أقوى عناصر من المدرعات والعناصر الميكانيكية ومالودكا وبرمائيات . . إلخ ؛ بهدف تدمير أكبر حجم من قوات العدو . وفى تعزيز المواقع المكتسبة هل أدافع فى رؤوس كبارى ؟ وكيف انطلق منها ؟ هل من الأجناب . وهل هذا أفضل !! . .

وعمومًا . . يجب عمل حساب موقف إسرائيل بعد هذا .

لواء أ ح طيار على بغدادى قائد القوات الجوية :

- يجب القيام بعملية عسكرية حسب القدرات .
- أهمية عامل المفاجأة (يمكن نقل قوات بالحوامات حتى ١٠٠ طلعة هليوكبتر شرقًا) .
- بدء الردع مع بدء العملية جويًا (يقصد بالقوات الجوية) ، وضرب أهداف عسكرية ومدنية خطأ .
- عمليات الردع أهم جدًا لنا من العبور .
- يجب أن يكون موقف الاتحاد السوفيتى واضحًا فى الطيران والدفاع الجوى .

وبعد هذا أخذ رئيس الأركان الكلمة مرة أخرى ، قائلا :

لواء أ ح سعد الشاذلى :

- المهمة تأمين الضفة الشرقية للقناة وليس رؤوس كبارى محدودة .

لواء ممدوح يقترح أن تكون حتى ٥ كيلو مترات

لواء عبد المنعم يقول من ٥ - ٧ كيلو مترات

وأنا أطلب حتى ١٠ كيلو مترات حتى انقل بعض كتائب الصاعقة شرقا حتى ٥ كيلو مترات .

ثم فى نهاية هذا اللقاء الذى تم على مرحلتين : مرحلة بالقيادة العامة بكوبرى القبة ، ومرحلة بالكلية البحرية بأبى قير . . قال الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة مختتما هذا اللقاء التاريخى :

« هل أفهم رغم ما وضعته أمامكم من عراقيل أنه فى إمكان القوات المسلحة القيام بعملية حربية نستأنف بعدها الحرب ضد إسرائيل دون أى مساعدة من أى جهة أخرى عسكرية عربية أوغيرها .. أى إمكانياتنا تسمح بعملية بشكل ما » .

ثم قال الفريق أول محمد صادق :

« قبل تخصيص المهام سأقول بعض النقط

* سيدور بيننا وبين اليهود نوعين من المعارك :
* خطتهم الدفاعية قائمة على خط بارليف واحتياطى مدرع

هل إذا سقط خط بارليف يقبل العدو المعركة غرب المضايق ؟

* أوافق على المفاجأة واستخدام الطرق الحديثة

أمامنا مهمة .. مطلوب من هيئة العمليات وباشتراك مع قادة الجيوش وبالإمكانيات المتيسرة الوصول إلى **أسلم الخطط** مع **ابتكارات جديدة ، واختيار مكان يصعب على العدو الهجوم المضاد عليه** .

* مثلاً شمال القنطرة (يمكن استخدام كتيبة صاعقة شمال القنطرة والقتال لقفل الطرق) .
* هل أقوم بهجوم برمائى بوحدات ميكانيكية عبر البحيرات .
* الاستخدام الجرئ للبحرية والطيران .
* الابتكار .
* الخداع .

ويجب أن نقدر تمام التقدير **أعناق الزجاجة** أمامنا :

الذخيرة - معدات العبور - الوقود - المشاكل الهندسية - إلخ .

* ما هو أنسب وقت للعمليات ؟
* يجب المحافظة على سرية التخطيط .
* يجب أن نعبئ الجنود للمعركة وقرب المعركة .

* أهمية الاستعداد التام للمعركة .

ودارت بين المجتمعين بعض المناقشات التكتيكية التى تخص مشاكل الساتر الترابى ، والألغام ، والمدة اللازمة لفتح الثغرات وأسلوب عبور الدبابات وأنواعها .. إلخ .

ثم أصدر الوزير **الهدف من هذه العملية ، وهو :**

* تدمير قوات العدو المواجهة فى النقط القوية واحتياطاته القائمة بالهجمات المضادة والضربات المضادة ، وتأمين الضفة الشرقية للقناة بكاملها ، والاستيلاء على رؤوس كبارى فرق ولواءات ، والسيطرة على نطاق أمن بعمق ٣٠ إلى ٤٠ كيلو مترًا بأعمال المفارز والداوريات

يجب أن يتم التركيز قبل أول ضوء يوم ى ٣ ، أى ٣٦ ساعة .

المطلوب : فكرة القرار ... فكرة العبور ... فكرة العدو وتوقيتاتها ، مع أهمية المفاجأة والخداع ، وانتهى هذا الاجتماع التاريخى الخاص .

وبعد حوالى شهر من آخر لقاء - وخلال الأسبوع الأول من شهر اغسطس الذى كان حدد فيه القتال - ناقش وزير الحربية مع القادة بعض الأفكار الخاصة بالتخطيط المسبق ، منها بعض أفكار قد يتبعها العدو وآراء أخرى أكثر تطورًا من الخطط السابقة ، وهو إضافة اقتراح من الوزير صادق أن نعمل التخطيط إلى المضايق ، ولو نجحنا فى واحد منها نستولى عليه بالكامل ونستغل النجاح والمفاجأة ، واذا نجحنا فى إنشاء رؤوس كبارى والتمسك بالمضايق : « سأندفع للسيطرة حتى غرب المضايق .... » ثم أضاف : « يجب أن نفكر أيضًا فى سرية التخطيط ، كما يجب أن تغنى الجنود للمعركة وقرب المعركة والاستعداد لها .. » .

وتم وضع خطة متكاملة سميت **المآذن العالية** وتمت مناقشتها من جميع القادة والرؤساء مع المستشارين السوفييت . والحقيقة أن المناقشة كانت مثمرة وأوضحت كثيرًا من نقط القوة والضعف ، كثيرًا من الآراء والابتكارات ، وكانت عمليات الاستعداد للقتال تسير بخطى جيدة على قدر ما لدينا من إمكانيات .

وكانت أهم المناقشات التى دارت توضح موضوعات مهمة منها :

* يجب تواجد قوات كافية غرب قناة السويس للدفاع واحتياطى .
* عدم تفتيت التشكيلات لتقاتل معا متكاملة .
* يجب دعم الابرار الجوى بقوات لاحقة بأسرع مايمكن .
* تركيز العمليات غرب المضايق إجراء سليم ، ويمكن التمسك بغرب المضايق ، ولاداعى للتورط فيها ، لأن العدو قطعًا مؤمن المضايق تمامًا .
* يستحسن أن يكون توقيت العبور قبل آخر ضوء بساعتين على الأقل ، واستغلال ضوء القمر بعد ذلك فى التعزيز .
* أثير موضوع وجود القوات السوفيتية فى مصر والتنسيق معها .

ولقد قال اللواء أ ح سعد مأمون رئيس هيئة العمليات :

وزير الحربية ليست له سيطرة فعلية على هذا الموضوع .

وطائرات الردع ليست تحت قيادتنا

ولاتوجد حرب فى الصحراء دون غطاء جوى

وموقف الروس غامض وخطير

وأنا اعتبر هذا التخطيط مشكوك فيه .. »

كانت هذه هى الحقائق ، ورغم هذا فكان التدريب مستمرًا وعجلة الأعداء للقتال تسير ، وتطورت الأمور فى نهاية عام الحسم تطورًا كبيرًا فى النواحى السياسية الدولية والمحلية وكذا فى النواحى العسكرية ؛ مما دعى الرئيس السادات إلى عقد لقاء حاسم يوم ١١ نوفمبر ١٩٧١ .

الحسم فى فكر السادات وتصوراته :

قبل انتهاء عام الحسم ١٩٧١ بحوالى ٤٥ يومًا أراد السادات أن يوضح فكره وتصوراته عن الحسم فى اجتماع قال عنه إنه **سيسجل تاريخيا** ، حيث شرح الموقف السياسى والوضع العسكرى ، ثم اعطى تصوراته بعد أن شرح الموقف قبل ٥ فبراير ١٩٧١ عندما جمع مجلس الدفاع الأعلى واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، وقالوا يجب إطلاق

النيران فى ٥ فبراير . . ولكنه حاول توضيح الموقف ؛ لأن أمريكا تقول والعالم معها : من يطلق النيران أولا يعتبر هو **البادئ**، والقضية تحتاج تحريكًا جديدًا ، كما قال لهم إن الروس يراوغون ، وكان هدفهم أن لايتم شيء قبل مؤتمر مارس ١٩٧١ .

وذكر السادات أنه سيتقدم بمبادرة ، خاصة وأننا كان لدينا جمال عبد الناصر وله شخصية عالمية متحررة وهذا مصدر قوة . وكانت قوتنا العسكرية واضحة ثم قناة السويس وأهميتها للاقتصاد العالمى ، وكان هذا له تأثير أيضًا على العالم العربى وخصوصا لما لمصر من مكانة كبرى ولها القيادة . . . . وقد فقدنا هذا كله بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ نتيجة الهزيمة .

وكان هدف السادات فى هذه المبادرة إيجاد حل حاسم للموقف حيث المفروض أن تقبل إسرائيل الانسحاب خلف الممرات وتعود إلى الشرق حتى ١٠ كيلو مترات وتفتح القناة للملاحة . . وكان موقف إعداد القوى فى مصر ينقصه صواريخ العمق وطائرات الردع .

ونوّه السادات عن استعداده لعقد **اتفاق سلام** ، وليس معاهدة سلام ، وكان المفروض تسميته اتفاق هدنة . وقد طار السادات إلى موسكو يومى ١ ، ٢ مارس ١٩٧١ ولكن انتهى الاجتماع باختلاف رسمى ؛ خاصة وأنهم كانوا يتوقعون ألا يطول حكم السادات لمصر .

ورغم أن الرئيس السادات حدد عام ١٩٧١ كعام حسم ، وبالطبع لم يكن يقصد الحسم عسكريا ، ولكن اعتقد أنه يقصد حسم الموقف سياسيا لأن ما حدث من تطورات من قصة الخلاف مع روسيا ، وقال إنه اختلاف رسمى ومن محاولات الحل سياسيا مع أمريكا باتفاق السلام الذى نادى به السادات . . وأراد أن يبرهن لأمريكا بحسب نواياه فى أنه اذا تمت المرحلة الأولى من اتفاق السلام ، وعبرت القوات المصرية القناة دون قتال سيستغنى السادات عن القوات الروسية الموجودة فى مصر ، التى تسمى acting force . . وأكد هذا فى خطاب رسمى خاص إلى نيكسون حسب ما قال السادات . ولما كان الموقف الداخلى فى مصر يجد فيه الرئيس السادات قيودًا على سلطته وأفكاره وتصرفاته ، فقد أمكنه تصفية كل شيء ، وأخذ فرصة بناء الدولة على أسس وأفكار وضعها بحيث لايقبل أن يبدأ المعركة إلا بعد أن يخلو له الجو وحده . وقد نجح فى حسم الموقف قبل النصف الأول من عام ١٩٧١ حسما داخليا فقط ؛ ممّا اتاح له التفكير بعمق وحرية فى حسم الموقف خارجيا فى النصف الثانى من عام ١٩٧١ إن امكن ، فبعد ٧٠ يوما من رسالة السادات إلى نيكسون ، رد عليه برسالة يقول له فيها « إن أمريكا قررت أخذ دور جدى فى المشكلة وليس كساعى بريد ، ولكن

هناك ٣ استفسارات يستفسر عنها الرئيس الأمريكى رغم أنه سبق الاتفاق عليها . . إلا أنه يؤكد أنه إذا كان قرار السادات بالنسبة لها لم يتغير فأمريكا **موافقة** .

أولاً : **هل غيّرت المعاهدة السوفيتية المصرية العلاقات مع ما حدث من عهود مع روجرز .**

* **وكان جواب الرئيس السادات :**

إن هذه المعاهدة إطار لعلاقات قائمة ولم يزد أو ينقص عليها شىء ، ودليلى (هكذا قال السادات) هاتوا اتفاقًا على الأسس التى قلتها لروجرز ومستعد لتوقيعها .

ثانيًا : **هل أنت عند كلمتك أن تعيد علاقتك الدبلوماسية معنا اذا تمت المرحلة الأولى ؟**

* **وكان رد الرئيس السادات :**

نعم إذا تم الاتفاق

ثالثًا : **هل أنت عند كلمتك لروجرز أن عساكر وضباط الجيش الأحمر يمشوا ؟**

Acting Force

* **وقال السادات ما يأتى ردًا على البند الثالث :**

أنا غير منتظر أن يقول لى أحد هذا - سأطلعهم من البلد دون شىء ، ثم قال لنا « وهذا وضع داخلى ، وأنا وقت ما أريد أن يمشوا - سأخرجهم عندما لا أريد أن يكونوا هنا » .

ثم استطرد قائلا « الحقيقة أن رجالنا [1] سيصلوا قريبا خلال نوفمبر ، ويعود اللواء الروسى إلى بلده » ونحن قد دفعنا ثمن هذه الأسلحة بالعملة الصعبة »

ورغم هذا ورغم رد السادات بالإيجاب وتوضيح موقفه لأمريكا بجلاء إلا أنه مر شهر أغسطس وشهر سبتمبر والموقف كما وصفه السادات بأن موقف القوتين منا واحد **عدونا** أمريكا **وصديقنا** روسيا

فجلست (هكذا قال الرئيس السادات) أحسب موقف الروس والموقف المتساوى

(١) يقصد الرئيس السادات برجالنا القوات المصرية التى ارسلت إلى روسيا للتدريب على سلاح من أسلحة الدفاع الجوى ، وتم وصولهم فى وقت قصير إلى مستوى ، يسمح لهم بتسلم هذه الأسلحة من الوحدة الروسية الموجودة فى مصر .

للكـتلتين ضدى مـاذا أعمل ؟ أمريكـا قلت فيها مـا قاله مالك فـى الخمر ، ولكنـى يجب استخدام الأسلوب العنيف مع روسيا ، وقلت لهم أنى فى غَيْر حاجة إلى المعاهدة معكم . . وسأعلن هذا على الشـعب كله والقوات المسلحة سأقلبها معـركة قومية . . وحددوا زيارة فى ١٣ اكتوبر ١٩٧١ وحــــدث تغيير كامل عكس الزيارة الأولـى التـى كانت تسفيهًا فى كل شىء .

تقدير الرئيس السادات للموقف السوفيتى والأمريكى فى عام الحسم

موقف الاتحاد السوفيتى :

فى أول مارس ١٩٧١ زار الرئيس السادات الاتحاد السوفيـتى ، بعد أن تلقى منهم دعوة خاصة واستغرقـت الزيارة حوالى ٤٨ ساعة ، وعاد مـنها مكسور الخاطر ، واعتـبر الرئيس السادات **أن الأختلاف أصبـح رسميا** . ورغم هذا الاخـتلاف إلا أنه صرح بوصول أسـلحة بحوالى ٢٠٠٠ مـليون جنيه استرلـينى ، وأنّه من الوفاء أن نقف مـعهم فهم معنا سـياسيا واقتصاديـا ، وأراد السادات فى حسابـاته مع روسيا تفـويت هذه المرحلة ووقـف مع الجانب الروسى بعضا من أعضاء اللجنة المركزية العليا للاتحاد الاشتراكى، وحلل السادات الموقف .

وقال فى نـفسه « طالما أنـا أحكم هذا البـلد فلن يكـون إلا قرار سياسى واحـد منى ، وليس هنـاك قرار آخر ، ولايمكننى دخـول المعركة وأمامى كـتل ومحاور تعرقل تصرفاتى وقراراتى »

ومما حز فى نفسى أن القادة السوفييت يقولون له « استأذن منا قبل عمل أى شىء » لأن عدد كبير من جنود الجيش الأحمر كانوا مـوجودين فى عمق مصر ، فى مواقع صواريخ سام ٣ المتطور وسماهم السادات acting force وتدفع مصر مرتباتهم بالـعملة الصعبة . . وفكر السادات وصرح للقادة قائلا **سأخرجهم عندما لا أريد أن يكونوا هنا** . . ولكنى لم أقرر بعد متى ذلك ، وسأعطى روسـيا تسهيلات فى البحر المتوسط وفاءًا ، وشـرفًا لما أعطوه لنا من أسلحة وساحتفظ بمستشارين advisors فى الجيش ، وليس قوات عاملة وكان هذا طعم حلو ليستمروا فـى إرسال الأسلحة التى نحتاج إليـها ، ونستطيع بها إعداد القـوى وتحقق قدرتنا على رباط الخيل . .

وخطط السادات للتغلب على العقبات الداخلية التى تقف فى طريق تفكيره وقراراته ، فلما نجح فى ١٣ مايو ١٩٧١ وأصبح لامنافس له واعتبر أن حكمه لمصر قد استقر ، لعب لعبة الحظ المضمون بالاتصال العلنى مع أمريكا واستمرار العلاقات مع روسيا ، ولكنه قد ملك زمام الموقف فى يده ، ورأى استخدام أسلوب العنف السياسى والدبلوماسى مع روسيا ، وكانت أولى ضرباته العنيفة هو أنه قال للقادة السوفيت رسميا : « **أننى لست فى حاجة إلى المعاهدة معكم** . . وسأعلن هذا على الشعب والقوات المسلحة وسأقلبها معركة قومية وعندما تعرف الحقيقة سنقف معا ، فحددّ القادة السوفيت موعدا للسادات لزيارة موسكو فى ١٣ اكتوبر ١٩٧١ . وكان هناك تغيير مطلق بعد أن كانت الزيارة الأولى تسفيه فى كل شىء . . . واستقبل السادات فى موسكو بالحفاوة التى تفوق العقل – على حد قوله – وفى المحادثات شعر الروس بأن السادات « **مستبيع » إذ فكّر فى داخلية نفسه** (أنه قادر على أن يعلن وهو فى موسكو أمامهم إنهاء المعاهدة ويبقى الاحتلال الإسرائيلى إلى أن نستطيع بسلاحنا تحرير الأرض) .

ولكنه قال لهم : « انتم اضعتم علىّ فرص كثيرة من يوم ٢ مارس إلى الآن .. ونحن كما كنّا ... خطوتين خلف إسرائيل لماذا ؟! »

وحتى يمكن للقادة السوفيت الرد على الرئيس السادات بالمواجهة اعطوا الكلمة إلى **الجنرال جريتشكو** الذى بدأ يحلل الموقف العسكرى من وجهة نظر السوفيت قائلا :

« أى معركة تعتمد على ثلاثة أشياء : كمية التسليح ، الروح المعنوية ، وحجم القوات »

ومضى جريتشكو يحلل هذه النقاط الثلاث ويقارن بين ما عندنا وما عند إسرائيل بفكر الرجل العسكرى وكانت مقارنة القوى كالآتى :

القوات البرية المصرية ٧٦٠ ألف ٢٠٠٠ دبابة

القوات البرية السورية ١٥٠ ألف ١٥٠٠ دبابة

أى مجموعهما ٨٠٠ ألف وأمامكم إسرائيل ٣٦٠ ألف مقاتل تصل ٤٠٠ ألف بالتعبئة وإجمالى الدبابات ٣٥٠٠ مقابل ١٥٠٠ عند إسرائيل .

عندكم التفوق الضعف

عندكـــم ٣٦٠٠ قطعـة مدفعية وهاون وسـوريا حوالى ٨٠٠ تستكمـل معكم ٥٠٠٠ قطعة ، ولدى إسرائيل ٢٢٠٠ قطة منها ٣٠٠ هاوتزر.

لديكم ١٨٠ صاروخ مضاد للطائرات وإسرائيل لديها ١٠٠ هوك .

لديكم ٣٦٠ مدفع مضاد للطائرات ولليهود ٧٥٠ مدفع مضاد للطائرات

والطيران

لـديكم ٢٥٠ طائرة ميـج ، وسوخوى ، بالإضـافة إلى ٥٠ طائرة سـوفيتيـة بمصر ، ومجموعكم مع سوريا ٧٤٠ طائرة

وإسرائيل ٣٨٠ طائرة عبارة عن ٧٤ فانتوم ٥٠ ميراج والباقى قديم

البحرية

لديكم تفوقًا بحرى ولن أتناقش .. هكذا قال جريتشكو للسادات

المهندسين

لديكم ٩ جسور (كبارى) طول ٢٥٠ متر

٣٠ طاقم فتح الثغرات روسى

٣٠٠ قطعة تفجير الألغام بعرض مترين (للثغرات)

الإلكترونى

الأقمار الصناعية الروسية تعطيكم صورًا عن المناطق التى تحتلها إسرائيل .

هذا معناه - حسب مافهم السادات - ما هى حجتكم ؟

متى ستحاربون ؟

أثبتوا ذلك ..

واتفق السوفيت على إعطائنا الآتى فى تواريخ محددة

١٠ طائرة ردع قابـلة للـزيادة وصواريخ يـبلغ مداهـا من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلو مـتر

ويتدرب عليها المصريون (وصل منها فعلا يوم ٨/ ١١/ ٧١ ثلاث قطع)

١٠٠ طائرة مقاتلة حتى النصف الأول من عام ١٩٧٢ من طراز ميج ٢١ الجديد يصلكم منها ٥٠ عام ١٩٧١

سرب طائرات ميج ٢٣ فى النصف الثانى ١٩٧٢

مدفعية وهاونات ١٨٠ مم / ٢٤٠ مم عام ١٩٧٢

٣ وسائل للعبور منها كوبرى يتم تركيبه فى ٤٠ دقيقة فقط ، يرسل فى نهاية ١٩٧١

هذه تقريبًا كل الأسلحة التى قرروا إرسالها لنا حتى الآن .

وفى تقدير الرئيس السادات : أن العسكريين السوفييت يقفون معنا ولهذا أمر بأن نعاملهم بالحسنى ولا نأخذهم بجريرة أفكار السياسيين

وفى نهاية اللقاء ذكر جريتشكو أنه سيرسل إلى مصر ٥ كتائب صواريخ كوادرات للدفاع الجوى من عائلة سام بالأطقم الروسية ويدربوا عليها قواتنا .

عاد الرئيس السادات من موسكو بعد هذه الزيارة ، ويبدو أنه مطمئن إلى موقف السوفييت ولكنه أعلن الحذر ، حيث إنه قرر مباشرة القيادة فى مصر ، وأن تصله الأسلحة المتفق عليها فى موسكو بالتوقيتات وإلا سيعلن على البلد وعلى الملأ الموقف . .

وكان قرار الرئيس السادات بخصوص الموقف السوفيتى هو استمرار التعاون ، وأن نتعلم منهم ، وننتظر وصول امدادات الأسلحة فى توقيتاتها ، ونتدرب عليها ، ونحافظ على اتفاق الصداقة مع الاتحاد السوفيتى .

ولما انتهى عام الحسم ١٩٧١ ولم يصل ما سبق الاتفاق عليه من الإمدادات حتى أنهم أجلوا بعض أصناف المفروض وصولها عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٧٣ . . رأى السادات - رغم هذا - استمرار التفاهم مع روسيا ومراجعتهم فيها بهدوء ، وقرر السفر إلى موسكو مرة أخرى لإيجاد حل جذرى خاصة لخط الإمداد بالأسلحة .

الموقف الأمريكى فى ميزان السادات :

أراد الرئيس السادات أن يملأ الفراغ الشخصى الذى تركه الرئيس الراحل عبد الناصر ذو الشخصية العالمية المتحررة ، ومصدر قوة ترهب العدو وتطمئن الصديق . . فوجد فى يده

ورقة رابحة هى التلويح للروس بقوته ونفوذه ، وأنه قادر على أن يطردهم من البحر المتوسط بخطبة واحدة . ويكسب نتيجة هذا أمريكا لتـحل المشكلة المعقدة عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا وكان فى قرارة نفسه يـريد أن تعبر القوات المصرية القناه دون إراقة دمـاء أو فى قتال مفاجئ قليل الخسائر إلى عمق لايتعدى ولو شبر واحد من الأرض ، وأن الحل العسكرى والسياسى والسلمى فى يد أمريكا فيجب أن يبادر بكـل الوسائل إلى تحويل القدرة الأمريكية تجاه مصر لتحل المشكلـة ، وبهذا أصبح السؤال **كيف يحـقق ذلك ؟** ، ودارت عجلة الإعداد السياسى والدبلوماسى للحل الـسلمى ، فتقدم بمبادرة تتمشى مع جزء من رغـبة أمريكا ، وتحقق حلم أوروبا فى فتح قناة السويس للملاحة ؛ نظرًا لأهميتها للاقتصاد العالمى . . .

وأدار الرئيـس هـذا الصراع بكـفاءة وقدرة وخبث وحـذر وسرية ، وفى خطوات ثـابتة أسميتـها « لعبة الحظ المـضمون » ، ولعب الحظ لـعبته وتبادلـت القيادة الأمريكـية الرأى والمنـاقشة مع الـرئيس الســادات واقتنعـت ، وقد ساعد الســادات ظروف أحداث حـدثت بالسودان ، وقـفت فيها مصـر مع السودان ضد الحزب الـشيوعى ، وهذا أعطـى وزنا أثقل للسادات فـى الميزان الأمريكى ، ولـكن أحداثًا عالمية أخـرى حدثت هزت الميزان أو تـركته مذبذبا لفترة طويلة .

فالحرب بـين الهند وباكـستان الهبـت الموقف الدولـى فأمريكا مـع باكستان فـى حلف مركزى ، والصين مع بـاكستان أيضًا لعدائها الشـديد للهند ، واختار الاتحاد السـوفيتى شبه القارة الهندية ميدانًا لاختبار القوة للتأثير على الصين وأمريكا وتحركت روسيا بسرعة .

لتبرير الموقف فى أوربا الغربية

وتهدئة الموقف فى الشرق الأوسط

وتسخين الموقف فى القارة الهندية

فتراجعت أمريكا ثم طلـبت أمس فقط من السادات يوم ٨ نوفمبر ١٩٧١ - مندوبًا عن من مصر وآخر عن إسرائيـل (اذا وافقتم) للحضور إلى أمريكا للتفـاهم ، وستقوم أمريكا بدور ساعى البريد النشط .

هذا يعنى من وجـهة نظر الرئيس السادات أن المبـادرة التى وافقت عليها أمريـكا مسبقًا ووعودها بالسير **فى الحل السلـمى اتلحس** (حسب ما عـبر عنه السادات) ، وقـفل الباب

السياسى . وأشار السادات إلى أن الحل السياسى انتهى أمره. وسيذهب إلى الأمم المتحدة فى شهر ديسمبر ، ولكن **ليس هناك مناص من المعركة ؟**

وأعلن الموقف الذى سيتخذه لإثبات أن المعركة فى الطريق . . .

قال السادات عن إعداد الدولة للحرب أو المعركة المنتظرة مع إسرائيل :

* سننسق الدفاع الشعبى فى المحافظات .
* ثم اتحدث مع الصحفيين وأوضح الصورة كاملة .
* سنبدأ التدريب العسكرى .
* الدفاع المدنى سوف يستكمل فى كل الأجهزة .
* **وبعد رمضان** سابدأ فى تجارب ميدانية كاملة .
* سأعطل المدارس وأطلب التطوع واقلل الإضاءه .
* واضع البلد فى العيد فى الوضع السليم .

ويرى المحللون لأفكار السادات وتقديراته أن هذا طعم للاثنين الكبار . . . . **فروسيا** الآن تريد الحل السلمى أو تهدئة الموقف فى الشرق الأوسط ، حتى ينتهى الصراع فى القارة

الهندية وأمـريكا أيضًا فى نفس الاتجاه . . فهـى ضربة معلم لن يخـسر السادات من ورائها شيئا بل ربما يكسب ود أمريكا أكثر لـتعمل على استمرار السير فى طريق مبادرة السلام التى اقترحها الرئيس السادات مسبقا . . .

وفى قرارة نفسه رأى السادات أن يستمر فى مسـك خيوط الحل السلمى مع أمريكا ، مع الشد والجذب والإرخاء لـيصل إلى ما تصبو إليه نـفسه (عبور قواتنا دون معـركة على قدر الإمكان أو بمعركة تحقق فقط العبور إلى ١٠ سنتمترات شرقاً !!) .

وأرسل السادات رسالة إلى روجرز فى واشنطن قال فيها :

إنى فقدت الثقة فيكم ١٠٠ ٪ كل ما دار بيننا هو فـعل ماضٍ ، لاوجود له ، وسأبقى متمسكا بمبادرتى فلن أقبل المناقشة مع أحد ، إلا اذا ردّت إسرائيل على ما أرسله إليها يارنج فى ٨ فبراير ١٩٧١ .

كان هذا هو تقدير موقف السادات لموقف أمريكا وأسلوبه فى التعامل معها .

ورغم أن أمريـكا طلبـت من مصر أن تجـلس مع إسرائـيل على مـائدة واحدة فقد ردَّ السادات بأن هذا لايمكن حدوثه ، وتراجع من أمريكا عن الموقف وعما اتفقنا عليه .

* وجود قواتنا فى سيناء واليهود أمامنا .
* منطقة بها قوات دولية .
* وقف إطلاق النيران ٦ أشهر .

وعن إسرائـيل قال الأمريكـان للسادات فـى شهر ١٩٧١/٩ إن موقـفنا بيـننا وبيـنكم وإسرائيل هو Catalist (عامل مساعد فى التفاعل الكيميائى) ، ثم قال السادات

(إنها لعبة استغماية مع أمريكا)

الرئيس السادات فى ٢ يناير ١٩٧٢ بمنزلة بالجيزة .

ملحق (أ)

رجال أحبوا مصر

الفريق أول محمد أحمد صادق

رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية

١/ ٩/ ١٩٦٩

وزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة

١٣/ ٥/ ١٩٧١ إلى ٢٦/ ١٠/ ١٩٧٢

- تولى الفريق أول محمد أحمد صادق عدة مناصب مهمة فى القوات المسلحة ، إلى أن وصل بعد ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ إلى منصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية ، خلفا للفريق أول محمد فوزى الذى ترك منصب وزير الحربية نتيجة لثورة تصحيح قام بها الرئيس السادات . وكان اللواء أ ح محمد أحمد صادق مديرًا للمخابرات الحربية فى أثناء حرب الاستنزاف ، وبعد استشهاد الفريق عبد المنعم رياض وأثناء اجتماع الرئيس عبد الناصر مع أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومعهم المستشارون السوفيت وجه الرئيس سؤاله عن كيفية مواجهة الشوشرة الرادارية فالعدو الإسرائيلى يوم ٧ يناير ١٩٧٠ جعل جميع شاشات الرادار بيضاء ؟ هل يمكن إسقاط الطائرات التى تقوم بأعمال الشوشرة مثل الحوامات المجهزة وهى تطير شرق القناة وعلى ارتفاع نحو كيلو متر تقريبًا لذا يجب استخدام القوات الجوية فى **الاصطياد الحر** لهذه الطائرات . . ولكن مستشار قائد الدفاع الجوى رد على الرئيس عبد الناصر قائلا « أن هذا صعب على الطيران نظرًا لاختلاف السرعات ، ويمكن استخدام محطات رادار ب ١٢ وتغيير الأشعة . . وسؤال آخر من الرئيس عبد الناصر : « لماذا لاندمر رادارات العدو كما يدمر ما عندنا ؟ » فرد مستشار الدفاع الجرى قائلا « بالجهود المشتركة يمكن عمل هذا ولكن فى المنطقة الأمامية لايوجد للعدو رادارات » .

وهنا التقط مدير المخابرات الحربية الكرة وقال فى ثقة رجل المخابرات المحنّك « سأعينها لك بالشعرة . . يقصد تعيين محلات رادارات . العدو بدقة !! » وضحك عبد الناصر وضحك باقى الحضور .

وقبيل نهـاية عام الحسم وبالـتحديد فى أواخر اكـتوبر ١٩٧١ ، أرسل الوزيـر رسائل شفهية ومكتوبه عبارة عن اسئلة محددة يطلب الإجابة عنها من قادة الجيوش الميدانية ، فأرسل اللواء أ ح محمد حسن غنـيم نائب رئيس هيئة عمليات القوات المسلـحة برسالته إلى الجيش الثالث الميـدانى ، وأرسل اللواء أ ح محمد عبد الـغنى الجمسى رئيس هيئـة تدريب القوات المسلحة برسـالته إلـى قائد الجيش الثانى المـيدانى فـى ذلك الوقت اللـواء أ ح عبد المنعم خليل ، وكان مضمون الرسالة الرد على ثلاثة أسئـلة شفهيا لاتخرج عن كونها تأكيد لموقف التدريب والاستعداد القتالى ، على أن يكـون الرد شفهيا إلى مندوب الوزير ، وقد احتوى الرد على إضافة من قائد الجيش الثانى الميدانـى يقول فيها للسيد وزير الحربية : « ارجوا ألا تنقلنى من الجيش الثانى حتى يتم العبور » .

وعاد اللواء أ ح الجمسى إلى القاهرة حاملا رسالة قائد الجيش إلى وزير الحربية ، وجاء الرد مفاجأة فى اوائل ديـسمبر ١٩٧١ فى مشروع استراتيجى / تعبوى قام به الجيش الثانى ، وكان يدير المشروع نيابـة عن قائد الجيش الثانى اللواء أ ح عبد الرحـمن فهمى رئيس أركان الجيش . وحضر الفريق أول صادق إلى قيادة الجيش الـثانى ومعه اللواء الجمسـى ، واللواء أ ح سعد مأمون رئيس هـيئة عمليات القوات المسلحة فى ذلـك الوقت ، واللواء أ ح خيرى حسين كبير المحكمين للمشروع وأعاد قائد الجيش الثانى طلبه بعدم نقله من الجيش الثانى ، وفى نفـس الوقت أخطر الوزيـر أنه متأكد أن الوزيـر سينقله مـن الجيش إلى هيئـة تدريب القوات المسلحة رئيسا وسينقل أيضًا العمـيد أ ح عادل سـوكه قائـد الفرقـة ٢١ مدرعة ، ويعين بدله العميد أ ح إبراهيم عبد الغفور العرابى .

ودار نقاش بين الوزير والـقائد ، وقال الوزير « ومن تراه يعين قائد الجـيش الثانى بدلا منك » قال قائد الجيش « سـتعين اللواء أ ح سعد مأمون قائدا للجيـش الثانى » وهنا ظهرت على وجه الـوزير علامات التعـجب وقال للقائـد « تفكيرك شمـال خالص » . . . وفى ٣١ ديسمبر ١٩٧١ اتصل الـوزير بالقائد قائلا له « يا عبد قـد اجبتك لطلبك وتعـينت رئيسا لهيئة تدريب القوات المسلحة ، وتعين اللواء سعد قائدًا للجيش الثانى بدلا عنك - مبروك .

قال له القائد الحمد لله . . . . ولكن هذا لم يكن طلبى . . »

وفى عام ١٩٧٢ وبالـتحديد يوم ٢ يناير ٧٢ بمنـزل السيد الرئيس السـادات بالجيزة قال الفريق أول صادق فى الاجتماع « كل الموجودين ربما أكثر منى رغبة فى القتال وإنهاء المشكلة

عسكريا ونحن مؤمنين بالله أننا سننتصر نصرًا عسكريًا ، سوف يكون نقطة تحول فى تاريخ هذا البلد ، لابد من الحرب ونحن ننتحر كدولة اذا لم نحرر الأرض » ثم قال : « أريد أن أصل إلى المضايق لاستند إليها أما الاستنزاف فليس فى صالحى ، وأريد أن احقق هدفى من ١٠ إلى ١٥ يوم قتال وأساوم بعد ذلك » . .

ورغم هذا الإصرار على تحرير الأرض والوصول إلى المضايق . . فقد جاء يوم ٢٤ أكتوبر ٧٢ فى نفس المكان بمنزل الرئيس السادات ، وأشار الرئيس السادات فيما معناه أن الفريق أول محمد صادق ليست له رغبة فى القتال . . وقام بإقالته وتعيين الفريق أول أحمد إسماعيل على وزيرا للحربية من يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٧٢ .

كان هناك خلاف فى وجهات النظر بين الفريق أول محمد صادق والمستشارين السوفيت وصل إلى مرحلة حرجة وعلنية ؛ مما اضطر الفريق أول صادق إلى التصريح قبل إقالته بأيام :

« نحن مسئولون أمام الله عن مصر ، وكل ما أقوله صادر من قلب كل نقطه دم فيه متجهه إلى الله ومركَّزة فى سبيل مصر . . . ولتنجو مصر »

يرحمك الله يا صادق . . .



الفريق أول محمد أحمد صادق

لقاء فى نقطة إتصال الجيشين الثانى والثالث الميدانيين بفايد ١٩٧١

اللواء الركن عبد المنعم واصل	الفريق أول محمد صادق	اللواء الركن عبد المنعم خليل
قائد الجيش الثالث	القائد العام للقوات المسلحة	قائد الجيش الثانى

ملحق (ب)

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر ٣]

صدق الله العظيم

بطل من أبطال اكتوبر ١٩٧٣
الفريق سعد الحسينى الشاذلى

كان سعد الشاذلى عريف طالب بالكلية الحربية وعزل إلى طالب لشهامته وهو دفعة ١/٧/ ١٩٤٠ ، حيث التحق بسلاح خدمة الجيش ، ثم تحول إلى ضابط مقاتل بسلاح المشاة ثم انخرط فى سلك رجال المظلات إلى أن تولى قيادة وحدات المظلات فى ١٩/٦/١٩٦٧ خلفا للعميد الركن عبد المنعم خليل ، وانضمت إليه وحدات الصاعقة حيث تجمعت هذه الوحدات الخاصة لأول مرة تحت قيادة واحدة بعد هزيمة ١٩٦٧ وفى التخطيط الجديد لإعادة بناء القوات المصرية المسلحة .

وقد اشترك الشاذلى فى حرب اليمن كقائد لقوة خاصة فى الجوف (الربع الخالى) حيث شعر الجميع بنجاحه فى السيطرة على مجريات الأمور فى منطقته بغاية الحزم والمهارة الميدانية ، كما اشترك فى عمليات ١٩٦٧ بقوة خاصة حاربت فى صحراء سيناء .

وفى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ربيع ١٩٧١ بقيادة الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية ، الذى عقد المجلس لاستطلاع رأيه فى موضوع الاتحاد الثلاثى المصرى السورى الليبى الذى دعى إليه الرئيس السادات كان سعد الشاذلى وهو الوحيد الذى وافق على هذا الاتحاد عند استطلاع الرأى ، وكان وقتئذ قائدا لمنطقة البحر الأحمر العسكرية التى ضبط أمورها بمهارة بعد حادثة اختطاف جهاز الرادار المؤسفة. وبعد أيام قليلة من هذا الاجتماع التاريخى اختير رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية متخطيًا عددًا كبيرًا من قادة القوات المسلحة الأقدم منه وقتذاك .

والحقيقة أنه نجح فى إدارة القوات المسلحة فى تلك الفترة ، وكانت اللقاءات الشهرية مع قادة القوات المسلحة برية وبحرية وجوية ودفاع جوى لها طابع يتميز بالبحث العلمى والتدقيق والمتابعة كما نجح فى إصدار منشورات تعليمية وتوضيحية وآخرها كان المنشور رقم ٤١ الخاص بتنظيم عبور القوات لقناة السويس ، وبفضل هذا التنظيم الدقيق نجحت القوات

المصرية فى عـبور قناة السويس نجاحـا منقطع النظيـر ، ليس له مثيل فى الـتاريخ القديم أو الحديث، ويحـق لسعد الشاذلى ومن عاونه فى إعداده ثم إصدار هذا التوجيه أن يفخروا به .

كما تميّز الشاذلى أيضًا بكثرة تفقده للقوات فى مواقعها الأمامية ، أثناء التحضير لحرب أكتوبر ، وخلال الـقتال . وكان يبدى كثيـرًا من ضروب الشجاعة فى المـرور على الأماكن المشتعلة بالقتال .

وفى اول اجتماع بعد المعركة فى أوائل نوفمبر ١٩٧٣ قال الرئيس السادات :

(لقد أزلـنا إلى الأبد مـا حدث فى ١٩٦٧ ، وتوجد سـخافات ورذالات فى الـسويس ولاانهيار أبدا . . فقد ضاعـت ليلة بالكامل فى الدفرزوار ليلة مـا سافر سعد إلى هناك فلماذًا ضاعت ؟!)

وبعد هذا الاجتمـاع للمجلس الأعلى للقـوات المسلحة برئاسة الرئيـس السادات ، عقد اجتماع ثـلاثى بينه وبين الـفريق أول أحمد إسمـاعيل علي والفـريق الشاذلى بمكـتب وزير الحربية بكوبرى القبة ، وخرج الشاذلى من الاجتماع موجها حديثه إلى اللواء أ ح عبد المنعم خليل قائد الجيش الـثانى قائلا له : « الحق يا منعم دول ناويين يلـبسوك الثغرة !! » وبعد الاجتمـاع قابل قائد الجـيش الثانى وزيـر الحربية وقـال له : « ما صحة هـذا الأمر الخاص بالثغرة . » فرد وزير الحربية على قائد الجيش قائلا : « لأ هو اللى لابسها » .

وعن موضوع الثغرة قال الرئيـس السادات (الساعة ١٢ مساء يوم ١٩ اكتوبر ١٩٧٣ ، طلب منى المشيـر الذهاب إلى القيادة ، وأرسلت سعد الشاذلى يوم ١٨ للجيش الثانى وعاد يوم ١٩ وقال لابد مـن حل سياسى وهو مرتعـد ثم عقب على هذا قائـلا : (أنا أحذر من التدخل فى السياسة وأحمـــد إسماعيل كان جنديًا وعسكريًا فقط وهى ميزة) ، ثــم قال : (قال الشـاذلى : لابد من سحب الـشرق ولابد من حل سيـاسى وسمعت كلام الجـمسى وكان مدير الـعمليات ، وشفت المـوقف ، وأعطيت تعـليمات بعدم انسـحاب أى شىء من الشرق ، ونتـعامل نحن مع الـغرب ، واتخذت قرار وقف النـيران رغم أنه لم يطـلب منى وهذه وظيفتى أنا) .

ثم قال : (ومنذ ذلك اليوم عينت الجمسى رئيسا للأركان وعزلت الشاذلى جانبا بدون أن نعلن ذلك فى هذا الوقت) .

وللحقيقة والتاريخ أن اللواء الركن عبد المنعم خليل قال : « استدعاني الشاذلي إلى مركز القيادة بالقاهرة بعد ظهر يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ وكلفني بالتحرك الفوري إلى قيادة الجيش الثاني بالإسماعيلية لتولي القيادة نظرًا لإصابة اللواء مأمون وأصدر اللواء عبد المنعم أول أمر بإعادة اللواء ١٥ المدرع من الشرق إلى الغرب ، ولم يوافق وزير الحربية على هذا القرار ، وهو قرار قائد جيش للمناورة بالقوات وهو صحيح تمامًا ويتطلبه الموقف القتالي دون شك ، ولكن الفريق الشاذلي هو الوحيد الذي وافق على هذه المناورة بالقوات علمًا بأن المناورة بالقوات هي جوهر الحرب . أما القول بأن الشاذلي كان مرتعدًا فليس من الحقيقة في شيء ، بل هي عكس ذلك على خط مستقيم ، إذ ظل طيلة الحرب شديد التماسك بادي الشجاعة والإقدام ، والتفكير بذهن صافٍ وعقلية مستنيرة .

- وتعين الشاذلي سفير لمصر في بريطانيا ثم في البرتغال ولما أصدر مذكراته الثمينة عن حرب اكتوبر ١٩٧٣ بدأت الحرب بينه وبين الرئيس السادات وظل بعيدا عن مصر إلى أن عاد إليها مرة ثانية قبل سقوط الحكم الغيابي عليه بيوم واحد فتنفّذ فيه حكم المحكمة العسكرية ثم أفرج عنه بعد انتهاء المدة .



الفريق سعد محمد الحسيني الشاذلي
(الجالس في أقصى يسار الصورة)

قصة الجنرال المؤمن باريس زنتيسوف

تعين الجنرال السوفيتى باريس زيتسينوف مستشارًا لقائد الجيش الثانى الميدانى فى أوائل عام ١٩٧١ ، ولقد سميته المؤمن لأكثر من سبب

أولها أنه من أصل شرقى ، فأجداده من المسلمين وفطرته تقوده إلى حب الإسلام والكتاب المبين ، وكنت اصحبه معى أثناء مرورى على وحداتى الأمامية فيرانى ويسمعنى أتحدث إلى رجالى . ورغم عدم معرفته بالعربية فقد تسرّبت كلمات عربية وكلمات القرآن التى كان يستمع إليها بشغف منى ووصلت قلبه وتفهّم معانيها بفطرته المؤمنه ، رغم أنه شيوعى المولد والحياة والنشأة ، ولا يستطيع أن يميل عنها قيد أنملة وإلا فمصيره إلى سيبيريا وقال لى ذات يوم :

« يا جنرال عبد المنعم إن جنود مصر من ذهب أنهم يعيشون فى خنادق على خط النار وتحت سيطرة ونظر العدو ونيرانه وطعامهم جاف ونومهم متعب وحياتهم هنا قاسية ورغم ذلك أرى بسمة الرضا على شفاهم ، ونظرات الإيمان تشع من عيونهم وهم يستمعون إليك تحدثهم بلغة القرآن ولغة الحب لمصر ولغة الوفاء للقائد ، ويطلبون منك شيئًا واحدًا هو : متى العبور يا افندم . . . نريد العبور . . . ويستعجلون ذلك منك ، حقيقة جنودك من ذهب . . »

ولم يعطنى فرصة للتعليق ، إذ استمر يتكلم بلهجة بها كلمات إنجليزية وبعض العربية مع اللغة الروسية التى كنت استطيع تجميع كثير من عبارتها بحكم دراسة سابقة قصيرة فى فرقة تعليمية بالاتحاد السوفيتى ، حاولنا فيها تعلم اللغة الروسية ولكنى لم أتقنها . . . . المهم أنه استطرد قائلا :

« يا جنرال عبد المنعم إن الجندى السوفيتى عندنا لايطلب من قائده إلاّ الفودكا والنساء ، وفرق كبير بيننا وبينكم . . وأريد منك نسخة من القرآن آخذها معى إلى وطنى الأصلى فكلهم مسلمون . . » وتم له ما أراد وقلت فى نفسى

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة القصص ٥٦]

صدق الله العظيم



الجنرال المؤمن

الجنرال باريس زينتسوف

مستشار قائد الجيش الثانى الميدانى

٥ يناير ١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب السابع

إعـــداد القـــوى ورباط الخيـــل

فى عام إعداد القوى ١٩٧٢

الفصل الأول

بـــداية النهـايـــة

عرض الفريق أول محمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة فكرته أمامنا بحضور الرئيس السادات يوم ٢ يناير ١٩٧٢ ، بمنزل السيد الرئيس السادات بالجيزة ، حيث طلب الكلمة فى نهاية الاجتماع وقال :

« كل الموجوديـن - ربما أكثر منى - لـهم رغبة فى القتـال وإنهاء المشكلـة عسكريًا ، ونحن مؤمنين بـالله اننا سننتصر نصرًا عـسكريًا يكون نقطة تحول فى تاريخ هـذا البلد بعون الله ولابد من الحرب فسوف ننتحر كدولة إذا لم نحرر الأرض .

مصر لاتحتمل هزيمة أخرى مهما كانت بـسيطة ، ولن يحتملها أى شخص ، ولابد أن نضمن معركـتنا من ٦٠ إلى ٧٠ ٪ مع الأخذ فى الاعتـبار أهمية وجود طائرة بـعيدة المدى لتصل إلى أرض العدو أو يقوم الطيارون برحلة واحدة يموت أو يهبط بالمظلة من ينجز منهم مهمة القتال على الوجه المأمول (حسب مدى قدرة الطائرات الروسية الموجودة عندنا) .

أما الـعبور فتقدر خسائـره بنحو ٣٥ ألف شهيد إلى رابـع يوم المعركة طبقًا للـحسابات السوفـيتية فـــى المـشروع ، ورغم هذا نقـبل ولاداعى لضـياع أرواح الناس دون مـقابل ، والروس يعلموا ذلك .

وقد طلبت ٣ كـبارى وهى أقل عدد يكفيـنى ، ويمكن أوفر توباز (عربـات برمائية) لعبور لواءات النـسق الثانى ونقتصد فى الـكبارى . . واذا لم يتجاوب الروس معنـا سنقاتل ولكن يجب الحصول على الضرورى من أى مكان . . ونستعد جيدًا ونتخذ كل إجراء يكفل لنا النجاح .

ولـــن يستـسلم العـدو بعد نجاحـنا فى معـركة واحدة ولكـن هناك مشـاكل الإمداد بالذخيرة ، واذا عبرت وليـس عندى ذخيرة كافية للوصول إلى الحدود ولكـن للدرجة التـى تجعلنى أطمئن على قدرتى على الاستمرار فى تحقيق الهدف .

وإذا تمت بعملية عبور صغيرة فسيقضى عليها ، واذا انهزمنا سنقبل أى شروط .

أريد أن اصل إلى المضايق لاستند إليها ، أما الاستنزاف ليس فى صالحى إذ أن مواقع العدو لن تؤثر عليها المدفعية بأثقل عيار عندى .

أريد أن أحقق هدفى فى ١٠ إلى ١٥ يوم قتال وأساوم بعد ذلك .

ولو حدث ولا قدر الله فشل القوات المسلحة - ولايمكن أن نسمح بـه - ستصبح مصر فريسة لكل الناس ودون قوات مسلحة .

ولما انتهى الوزير صادق من هذه الأفكار ، لم يعلق الرئيس السادات على ما قاله سوى أنه قال « **من اليوم عامل الوقت ليس فى صالحنا** » .

ولكنه كان قـد ألمح فى وقت سابق عن أن القـادة السوفييت يكرهـون الفريق صادق ، خصوصا السياسيـين وبريجنيف أساسا ، وقال بريجنيف للسـادات « إن صادق قال للضباط المصريين لاتتحدثوا مع الروس ! »

وهكذا كانـت بداية عدم الثقـة بين الروس ووزير الحربيـة ، فكيف نبنـى إعداد القوى معتمدين عليهم !!

وبدت فى الجو علاقات عدم ثقة بين المستشارين السـوفييت فى مصر ، وبالتالى قيادتهم فى موسكو وبين الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، الذى أعاد مرة أخرى تلميحات عن كراهيته هو الآخر للروس عندما كان يقص علينا رده على الاشاعات وبلبلة الأفكار ، التى بدأت فى أواخر عام الحسم ١٩٧١ .

ملخص لقاء نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية والإنتاج الحربى

مع القادة سعت ١٩٠٠ يوم ٢٤ يناير ١٩٧٢

بدأ السـيد الفريق أول محـمد صادق الاجتماع بـفكرة عامة عـما يمر بمصر اليـوم على الساحتين الخارجـية والداخلية ، وأنه توجد إشاعـات وبلبلة كثيرة ومنهـا لماذا لم نحارب ، ونبدأ القتال عام ١٩٧١ ؟ ثم قال « كان تقدير جمال عبد الناصر أننا نستطيع استرداد الأرض فى أواخر عام ١٩٦٩ أو اوائل عام ١٩٧٠ .. ثم حدث ما حدث وقاتلت القـوات المسلحة بكل بسالة وقاتل كل فرد فى مكانه .. وسافر جمـال إلى روسيا بعد نصرنا الكبير وهز ثقة

العدو ، وعاد من روسيا **حزينًا** ، ومن ثم وافق على إيقاف القتال لفترة محدودة لبناء الدفاع الجوى .

ثم قال الفريق أول صادق « فى عهد أنور السادات سافر إلى روسيا كما حضر وفود منهم إلينا وجرت مناقشات بيننا ، وكان هناك عدم راحة فى إجابة مطالبنا . وفى أكتوبر الماضى (١٩٧١) طلبنا أقل القليل - **عيش حاف لسد الرمق** لنعبر ونغيّر الموقف ونحقق هدف بسيط وليس تحرير سيناء .. ولدينا أكثر من ١٨ خطة لتحرير الوطن وكل هذا لم يعجب الروس ؟ ثم قال **الفريق أول صادق فى ٢٤ يناير ١٩٧٢** « تكلموا عنى كثيرًا وكانوا يسفهون فى كل شىء ، واتفقوا على جزء من الطلبات تصل عام ١٩٧١ وفى النصف الأول من عام **١٩٧٢** ، وطلبنا حق صناعة بعض أنواع الأسلحة والذخيرة وخلافه فى مصانعنا .... » وكرر الفريق أول صادق مثل هذه القصص أكثر من مرة وفى ١٨ مارس ١٩٧٢ زادت حدة الإشاعات عنه وعن خلافاته مع الروس روجها الشعب عامة والقوات المسلحة خاصة ، وعن خلاف بين وزير الحربية والسيد عزيز صدقى رئيس الوزراء ، وخلاف بين الوزير صادق والاتحاد السوفيتى ، وهنا **رد الفريق أول صادق :** « الخلاف خلاف مبادئ فقط وعمل فى القوات المسلحة وسبب هذا أن الرئيس السادات سافر إلى موسكو بدونى (وزير الحربية) وقيل إن السبب أنه يرغب فى مناقشتهم فى النواحى الاستراتيجية والسياسية بدونى .. **وقال أنهم وعدوا بإعطاء مصر** ٢٠٠ دبابة ت ٦٢

٦٠ طائرة تى يو ١٦ متطوره

١٠٠ طائرة ميج ٢١ إلخ .. »

وحضر الماريشال جريتشكو بعد ذلك وزار جبهة قناة السويس وخطب هناك وقال إنه وافق على إعطائنا أسلحة كذا وكذا ، وسافر إلى موسكو بدون خلاف **ثم حصل ما يأتى :**

(طلبوا ثمن الدبابات ت ٦٢ مضاعف وللطائرة ٥,٦ مليون روبل !! وجميع الذخائر والمعدات إلخ .. بالعملة الصعبة والدفع فورًا .. وعرضت الأمر على رئيس الجمهورية وقلت له لاداعى للأسلحة الجديدة يكفى شراء القديم وما نحتاج إليه فقط . كما قلت للمستشار السوفيتى أوكينيف هذا أيضًا (مستشار وزير الحربية) وبالطبع معناه أنه لن يصلنا صواريخ متحركة أو شيلكا .

وطلبت توفير الاطقم الـروسية هنا فى الدفاع الجوى . . نتسلم منهم ١٨ كتيبة ورجالنا جاهزين لاستلامها) .

« ومن هنا بدأت الاشاعات والتفاهات » هكذا قال الفريق أول صادق . . ثم عقب على هذا بأن **الجو خطير** ، **وقال** : « نحن مسئولون أمام الله عن مصر وكـل ما أقول صادر من قلب كل نقطة دم فيه متجهة إلى الله ومركزة فى سبيل مصر ومصر تنجو . . » .

وألخص هنـا أهم ما جاء فى حديث الفريق أول صادق للقادة يوم ١٨ مارس ١٩٧٢ أمام قادة القوات المسلحة والرؤساء ، ويعتبر هذا الحديث الخطير بداية النهاية لأحداث مهمة ، ستظهرهـا الأيام وفيها **حذر رجـل المخابـرات وتحذير الـوزير ، وفـيها وعـد ووعيـد وإثارة وغموض وسم ودواء** . . . . قال : « هناك مؤامرات تحاك ضد مصـر مؤامرة حسين وتصفية الكيـان الفلسطيـنى ضدنا . . وتريد إسـرائيل استمرار احـتلال العريش وأبورديـس ونحن محرومين من مقاتلة قـاذفة قادرة ، ويضحك علينا الروس كالبلهاء حـتى الحرب الإلكترونية يعملوا علينا تـشويش ونحن نريد الحرب ولكنها ستكون جريمـة . . . ثم قال ولو أننا محل إسرائيـل لابد أن أدمر القـوات المسلحة المـصرية أولا قبـل أى حل سلمـى . . . حتى دول الاستعمار تريد أن تدمر قـواتنا المسلحة . . ولذا اقول احذروا أن تدمر قواتنا المسـلحة بعملية استدراج . . ونحن أقوياء وقادرين على الدفاع عن مصر .

لذا يجب أن نحافظ على القوات المسلحة ، فهى أثمن ما فى مصر ومن يريد أى مطامع ينتظر الزمن فسيعطيه الزمن ما يشاء . .

ديننا يُسَب . . نبْينا يحقّر . . فى هذا الوقت وربنا يُنْعلَ . .

كرامتكم وكرامة جنودكم من كرامتى لماذا نحن أذلاء لست أدرى!! »

ثم انتقل إلى أسلوب عملنا فى الفترة القادمة قائلاً :

« لا دبابات جديدة ولا اسلحة جديدة فما هو وضعنـا بالنسبة للمعركة . . . نحن بهذه الطريقة **غير قادرين عـلى المعركة** ما هو الهدف النـهائى الروس يطلبون ٣٢٠ ضابط روسى ومعهم ٤٠ مترجم فى حالة ارسال ٢ طيارة تدريب تى يو . .

أنا أقول لكم ولست مسئولا أن أقول للنـاس ، يجب أن تسيروا على خط الوطن وكل من يخرج عنه يكون خائنًا . .

التشكيك فى أنفسنا وقدراتنا ، وفى القادة المباشرين ، وفى القيادة السياسية ، وفى قدرتنا على الحرب ، وفى ديننا .

هذا معناه **ضياع** ثم نكون فريسة لأى رأى !

كيف اسمح للجندى المصرى أن ينسى دينه وحتى الديانة البهائية تحاربنا !!

وغرضهم السيطرة على القوات المسلحة فتصرفوا بوحى وطنيتكم »

ثم قال عن السوفيت أيضًا :

هم يريدون مرسى مطروح كقاعدة روسية ، تقفل الطريق للغرب وإلى الشرق أيضًا وإذا فرطنا فى أى جزء من مطروح معناه أننا نفرط فى البلد . . . »

ثم اعطى أوامر بعدم توزيع أى كتب روسية أو تبادل أى شىء من هذا !! (وكان المستشارون السوفيت يعطون القادة والضباط هدايا عبارة عن كتب عسكرية تمجِّد الجيش الأحمر والشيوعية) ، ثم استمر فى إعطاء توجيهات عن أسلوب التعامل مع السوفيت ، فقال :

يمكن أن يكون الروس أصدقاءنا ولكن لانكون عبيدًا لهم . لماذا ننكّس الرأس هل لأننا انهزمنا ؟ غيرنا انهزم ويجب أن نحافظ على وضع هذا البلد وندافع عنها ونضرب المثل لرجالنا ، واذا اخطأ المستشار يجب وضعه أمامى ولاتسمحوا بأى ثغرة بينكم ينفذوا منها ويكلف المستشار بما تراه أنت ولايقدم توصيات ملزمة ويجب تقليل أعداد المستشارين والخبراء . . لاتطلبوا امتداد الخدمة لأى خبير تم تخفيض ٢٢٥ مستشار حتى ١/ ٤/ ١٩٧٢ ، ولايصرح لأى فرد فى القوات المسلحة بطلب مستشار أو خبير إلا بتصديق الوزير شخصيا » .

ثم اختتم هذه التوجيهات بالآتى :

« يجب أن يفهم الجميع أن الصداقة مع روسيا هى خط استراتيجى لمصر ، وإذا خسرنا هذه الورقة - الروس - سنخسر !! لقد أخذنا الكثير ، وكان هناك أسلوب دفع ويجب أن نعمل على بقاء الصداقة !! »

ثم قال : « مطلوب استقصاء رأى عام فى القوات المسلحة أن الروس طلبوا قواعد وطلبوا ١٠٠٠ مليون دولار فورا ؟! »

وهمس فى الآذان : « لاتلقين فى هذه الموضوعات »

وفى ٢٧ مايو ١٩٧٢ اعاد الفريق أول محمد صادق نفس أفكاره السابقة بحضور الآتين بعد :

الفريق عبد القادر حسن نائب وزير الحربية .

اللواء أ ح بحرى محمود فهمى عبد الرحمن قائد القوات البحرية .

اللواء أ ح محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى .

اللواء أ ح طيار محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية .

اللواء أ ح على عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية .

اللواء أ ح محرز مصطفى عبد الرحمن مدير المخابرات الحربية .

اللواء أم ح محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة .

اللواء أ ح عبد المنعم خليل رئيس هيئة تدريب القوات المسلحة .

اللواء أ ح نوال سعيد رئيس هيئة امدادات وتموين القوات المسلحة .

اللواء أ ح عمر جوهر رئيس هيئة التنظيم والإدارة .

(ولم يحضر الاجتماع قائدا الجيشين الثانى أو الثالث)

وقد أثار الفريق صادق موضوعًا اضافيًا جديدًا يخص الذهب الذى يشتريه السوفيت من أسواق مصر بكثرة ، وأن الروس قالوا إن الوزير صادق هو سبب هذه الزوبعة ضد الروس ، واضاف موضوع المعاهدة مع روسيا وضرورة تجديدها سنويا (هذا رأيه الخاص) وقد تمكنّا من التصديق على إعادة النظر فيها كل سنة . .

ثم قال : « الحرب قرار سياسى ، ونحن نضع أمام السياسيين الحقائق ، ومن يعطى القرار هو الرجل السياسى .

والأوامر أن نكون مستعدين للقتال بما لدينا من أسلحة ومعدات فى أكتوبر القادم ١٩٧٢ » .

وقرر الوزير صادق تشكيل لجنة برئاسته ، ومعه الفريق عبد القادر ومعه قادة الأسلحة ، وباقى الموجودين ، واللواء على عبد الخبير يمثل القوات البرية

ومطلوب من هذه اللجنة تقدير موقف عسكرى عن الاستعداد القتالى للقوات ، وحالة القوات المسلحة حتى أكتوبر ١٩٧٢ .

خطوات إنهاء مهمة المستشارين السوفيت

١٧ يوليو ١٩٧٢

بناء على اتفاق الرئيس السادات وبريجنيف على الخط الاستراتيجى ، قبل السادات أن لايقوم بأى أعمال عسكرية قبل ٧ نوفمبر ١٩٧٢ ، وهو موعد الانتخابات الأمريكية ونأخذ ٥ أشهر لتشوين مانريد للمعركة حتى ٣١ اكتوبر ١٩٧٢ ، وبذا تقف مصر على أرض صلبة استعداداً للحل السياسى . وفى مايو ١٩٧٢ حضر جريتشكو وعرض الطائرة ميج ٢٣ ومعه بيان مكتوب لإذاعته بشأن زيارته لمصر (عملية سياسية دعائية) ، ووافق الرئيس السادات على نشره واعطى جريتشكو نيشانًا ، واحتفلوا به ، وكان هذا البيان السياسى الروسى لإعطائهم مركز قوة فى شهر مايو مع نيكسون .

ورغم هذا فقد أعطى السادات إلى جريتشكو رسالة مكتوبة محددة إلى بريجنيف من ٧ **نقاط عن الميج ٢٣ ، وعمرة الموتورات ، والدفع بالعملة الصعبة** ، ومدى احتياجنا للحرب **الإلكترونية والبحرية إلخ .. ثم بند ٦ الخاص بالقيادة والسيطرة** ، وفيها أساسًا أن السادات لايسمح مستقبلا أو فى المعركة أن تكون فى مصر وحدات سوفيتية ليست تحت القيادة .

وانتظر السادات رد بريجنيف الذى وصل يوم ٦ يونيو ١٩٧٢ ، ولكنه كان كلامًا شكليًا . . . ورد السادات عن طريق السفير أن هذه المسائل يجب الانتهاء منها قبل ٣١ أكتوبر ١٩٧٢ . وانتظر السادات الرد حتى ٢٥ يونيو ، ولم تصل مواعيد المراكب للتشوين حسب الاتفاق . ولما لم يصل الرد . . قرر السادات يوم ٧ يوليو ١٩٧٢ إنهاء مهمة المستشارين السوفيت فى مصر ، ولكنه لم يعلنها إلا للوزير صادق والفريق حسنى مبارك والفريق محمد على فهمى لموضوع الطيران والصواريخ فقط ، ويوم ٨ يوليو ١٩٧٢ قابل السادات السفير السوفيتى وقال له قراراته

* إنهاء مهمة المستشارين حتى ١٧ يوليو ١٩٧٢ .
* الوحدات السوفيتية توضع تحت قيادة مصر أو تعود .
* أملاكهم هنا تباع لنا أو تعود .

* جولة مفاوضات قادمة بعد تنفيذ هذه القرارات بناءً على المعاهدة للمستقبل . وبعد هذه القرارات ، والتى ظن الروس أنها عملية تهويش . . بدأ الرئيس السادات يستكمل حساباته . وعلى حد قوله بدأ يتنفس فى هدوء ، ولكنه أخذ يفكر فى الصورة التى ستحدث بعد انتخابات أمريكا ، علما بأن روسيا ستحاول الحفاظ على صداقة مصر وبضياع مصر ينهار موقفهم ولذا قالوا إن سياستهم مساندة مصر على أساس الآتى :

لاعسكرى سوفيتى يحارب معركتنا

لانسعى لمواجهة بين روسيا وأمريكا

ولما استجاب الروس لإمدادنا ووصلت عناصر منها قبل أن يعلن السادات القرار الخطير فى ٣١ اكتبو ١٩٧٢ بإنهاء المعاهدة وإنهاء التسهيلات كورقة أخيرة فى العلاقات الروسية - المصرية ، ولكنهم تعهدوا بالتعاون كأصدقاء على قدم المساواة وبالشروط التى تطلبها مصر .

وبدأ الرئيس السادات تنفيذ مخططه للإعداد للحرب والسلام :

* على أساس تحريك الموقف وإشعال الحريق حتى يكون كلامه مع أمريكا والعرب له قيمة ، كذا مع روسيا وشعب مصر .

يجب أن تتحرك روسيا لتعطى

وأمريكا لتحل

وإلا فى اوائل ١٩٧٣ تنتهى القضية بالكامل ويفقد الشعب ثقته فينا .

* بنى السادات مخططه على أساس :
  * إحداث تغيير فى القيادة والقيادات التى يراها تعرقل مخططه .
  * تعيين من يراهم أقدر على تنفيذ مخططه كما يرى ويريد .
  * اتباع استراتيجية لإعداد القوى سياسيًا وعسكريًا فى البر والبحر والجو ، وفى تطوير الحرب الالكترونية .
  * الذهاب إلى آخر الدنيا حتى لايموت جندى مصرى ، والسير فى جميع الاتجاهات.

وكانت هذه الإجراءات فى ميزان السادات لتخطى العقبات والقضاء على العراقيل ، وفتح طريق الانطلاق الحر لثورة تصحيح ثانية اشعلها السادات فى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢ بمنزله بالجيزة .

الفصل الثانى

ثورة التصحيح الثانية ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢

دعى **الرئيس السادات** أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة للاجتماع بمنزله بالجيزة فى الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم ٢٤ أكتوبر ، الموافق ١٧ رمضان ١٩٧٢ . واكتمل وصول أعضاء المجلس إلى غرفة المؤتمرات بالدور الثانى من المنزل ودخل الرئيس القاعة وهو يلبس بزة القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وعلى رأسه الكاب المزركش وعلى صدره علاّقة النياشين والميدليات والأوسمة وفى يده عصا الماريشاليه ، وفى فمه البايب الخاص به ، وتصدر المائدة ثم جلس وطلب دخول المصورين قائلاً **هذه جلسة تاريخية** . وبعد التقاط الصور لسيادته ولأعضاء المجلس مجتمعين دار السفرجية بكوب شاى أحمر صغير ، وجاء السفرجى الخاص بكوب شاى أخضر لسيادته ، وشربنا الشاى بسرعة ، إذ لم يستغرق **دقيقتين** ، أشعل خلالها الرئيس السادات غليونه عدة مرات بالكبريت . . . . . .

وبدأ الرئيس هذا الاجتماع التاريخى بالحديث الآتى :

لم نتحرك منذ اجتماع مارس ١٩٧١ تحركًا أساسيًا مع روسيا ، وكان خلافى معهم وقد أثبته فى المحضر نحن مختلفين ، وهم يضعوننا خلف إسرائيل بخطوتين ولا اطلب التفوق ولكن اطلب التساوى معهم . أنا لا أريد الخسائر فى العبور . . وألقيت طُعم إلى أوروبا الغربية بفتح قناة السويس ، وكنت أحب أن اكسب الوقت . وكدت فى آخر ديسمبر ١٩٧١ آخذ موقف منهم . . عملت تغييرًا وزاريًا فى يناير ، ثم سافرت إلى موسكو فى فبراير ، وقلت لهم إن وضعهم حاليا خطر عليهم وعلينا ، ولكن شعوبنا تنتظر كل هذا . وبعد اجتماع فبراير وفى أوائل أبريل ، قال لى السفير « إن القادة السوفييت يرجونك السفر إليهم » وسافرت فى أواخر أبريل ٧٢ وَعِدْنا الكلام كله من الأول ، وكانوا قلقين على الموقف العام والموقف الداخلى ، وما الحل « نريد ما طلبناه منكم فقط وأن نتساوى مع إسرائيل » .

- وتحدثت مع بريجنيف على الخط الاستراتيجى .. وحرب الهند وهجوم فيتنام ، ويجب أن نأخذ درسًا ... هل ستتحرك القضية سياسيا قبل أن تتحرك عسكريا !! لا

ثم قال السادات وقد ارتشف شفطة من كوب شاى أخضر آخر ، أحضره له السفرجى الخاص :

« كما تم التشوين للهجوم فى حرب فيتينام لمدة ٦ أشهر استعدادا للهجوم ، ويجب أن نفعل هذا هنا ... وقبلت أن لانفعل شىء قبل ٧ فبراير ١٩٧٢ موعد الانتخابات الأمريكية ونأخذ ٥ شهور حتى ٣١ اكتوبر لتشوين ما نريده للمعركة . وبذا نقف على أرض صلبة استعدادًا للحل السياسى ...

وفى مايو حضر جريتشكو والطائرة ميج ٢٣ وعرضوها ، ومعه بيان مكتوب لإذاعته بشأن زيارته لمصر (عملية سياسية) ، ووافقت على نشره وإعطاؤه نياشين حتى يمكنهم التحدث من مركز قوة فى مايو مع نيكسون . وأعطيت جريتشكو رسالة محددة إلى بريجنيف من ٧ نقاط محددّة :

الميج ٢٣ ... عمرة الموتورات الخاصة بالطائرات ... الدفع بالعملة الصعبة ... ما طلبناه للحرب الإلكترونية والبحرية إلخ .. ثم البند رقم ٦ الخاص بالقيادة والسيطرة .

وهنا وضَّح الرئيس السادات مايقصد بهذا البند السادس فى رسالته إلى بريجنيف أنه لايسمح مستقبلا أو فى المعركة أن تكون هنا وحدات سوفيتية ليست تحت القيادة .

وانتظرت - هكذا قال الرئيس السادات - ماذا بعد اجتماعهم مع نيكسون وما نطلبه من سرعة التشوين والاستفادة من الخمسة أشهر ونكون فى ٣١ اكتبو السنة دى جاهزين .. ومرت الأيام .... ويوم ٦ يونيو وصلتنى رسالة من بريجنيف وبها تحليلات عن الرجعية والاستعمار ، وأن موقف أمريكا هو هو .. عموما كان كلام شكلى ، وقرأها السفير السوفييتى ولمدة أربعة ساعات إلا ربع .. وكان موجود معى حافظ إسماعيل وأرسلت رد إنى موافق على التحليل ، وكذا وكذا ولكن أطلع بالآتى :

إن القضية لن تتحرك سياسيا إلا إذا كنا جاهزين عسكريا

وفيه درس من حرب فيتنام ، وهو أهمية التشوين للدخول من أرض صلبة . وقبل ٣١ أكتوبر ١٩٧٢ وصلت الرسالة فى ٦ يونيو وانتظرت حتى ٢٥ يونيو ، وكنت فى مطروح فى

اجتماع مجلس الرئاسة ، ولم يصلنى الرد وكنت منتظر تواريخ وصول المراكب ، وقلت لعزيز صدقى أن يخطر السفير لماذا لم يصل الرد . . واتضح لى أن موقف الفصل هو اجتماع موسكو مع نيكسون وإنهم يفرضوا أننا مجانيين !!

وفى ٥ يوليو كنت جاهزًا بالقرارات فى شكلها الكامل ، وكنت أعرف ما هو الرد استنتاجًا للخبرة معهم أشهر القرم حتى اكتوبر الصيف والأجازات (يقصد قضاء الصيف لهم فى شبه جزيرة القرم) ويوم ٦ يوليو طلب السفير السوفييتى مقابلتى ، ولكنى لم اوافق وتأجل ليوم السبت ٨ يوليو ، وكنت مشدودًا وعصبيًا جدًا ومنفعلاً من الإهمال وعدم الاهتمام ، وهل يصل إلى هذا الحد !! ويوم ٧ يوليو قلت لمحمد صادق قراراتى ولايعلم بها إلا حسنى ومحمد على فهمى فقط لموضوع الطيران والصواريخ فقط . . وسأخطر السفير غدًا ٨ ولايحس بها أحد حتى ١٧ يوليو . . . وقد كان يوم ٨ قابلت السفير ولم يأت بجديد ، ولم يذكروا شيء مما قلت لهم ، وهدفهم الدخول فى عملية الصيف ورفضت الرسالة وأسلوبها وقلت له قراراتى :

* إتهاء مهمة المستشارين حتى ١٧ يوليو .
* الوحدات السوفيتية تحت القيادة أو تعود .
* أملاكهم هنا تباع لنا أو تعود (يقصد الصواريخ المتطورة والطائرات وبعض الأسلحة المسيطرين عليها هنا فى مصر تحت قيادتهم) .
* جولة مفاوضات قادمة بعد تنفيذ هذه القرارات بناءً على المعاهدة للمستقبل ، وطلبت من عزيز صدقى السفر إليهم ولكنهم لم يفهموا ما اقترحته بإصدار بيان مشترك (كانوا فاكرين العملية هنا تهويش) واستمروا فى ذهول . .

استكمال الحسابات والتنفس بهدوء :

بعد هذه القرارات عملت **استكمال للحسابات ، وبدأت اتنفس بهدوء** ، ولكن ما هى الصورة حتى بعد انتخابات أمريكا . . إسرائيل تتلقى أسلحة ومعدات من أمريكا وتعربد فى المنطقة وأمريكا تريد إذلالنا والروس أيضًا لماذا يا روس تذلوننا ؟ ونقف موقف الدفاع ولانستطيع الرد . . . أمريكا تقول الحل معنا ياتيجى معنا يا . . . وهذا بعد اجتماع

موسكو .. وظهر أيضًا أنهم دخلوا فى سياسة الوفاق وليس حرب باردة .. وهم سابقين أمريكا فى ميادين ، ولكن أقل منهم فى ميادين أخرى وبهذا سيدوسوا علينا .. »

ثم اعتدل الرئيس السادات وأشعل الغليون ، وقال :

« نحن الآن لدينا حرية حركة وطلبوا التفاهم ولكنى أخذت إجازة فى اغسطس ... واتصل بى الأمريكان والانجليز وتكلموا معنا ، **وتحركت القضية مع أمريكا وروسيا والعالم كله** وعرضت على أمريكا **حل جزئى** نفس شروطى السابقة **وسنحاول** وانجلترا أيضًا تقدمت .. وأرسل لى بريجنيف رسالة فى ٣١ يوليو ، وتجاهلتها وكنت استطيع اتخاذها للقطع .. ولكنى فى ٣١ اغسطس أرسلت له جواب شخصى منى من ١٠ نقط به الموقف كوثيقة للمستقبل بوضوح ، ولم يردوا عليها إطلاقا إلى اليوم .. كانت عنيفة وأرسلت صورتها إلى حافظ الأسد ، واتصلوا بحافظ الأسد للدخول فى النُص (يقصد بيننا) وطلب حافظ الحضور لى من موسكو وهو له ظروف معينة وأعطوا له معاونات ٧٠٠ مليون دولار ، وعليه الاستمرار فى العلاقة معهم ولكن خد بالك سيلعبوا معكم بديل سوريا والعراق كبديل لمصر فقال ، « تمام ولن أعمل معهم معاهدة » .

وأرسلت عزيز وعليه أن يتكلم فى المبادئ هل مازلتم معنا ما دمنا على أرض غير صلبة لن يحدث تطور سياسى ، وسافر عزيز وتكلم معهم ودخلوا فى مناقشات عنيفة .. والسؤال الملح

لماذا تمت العملية (الخبراء) بهذا الشكل ؟

- روسيا تحاول الحفاظ على صداقة مصر وبضياع مصر ينهار موقفهم ، وقد اعترفت أمريكا لهم بوجودها وسياستها فى الشرق الأوسط ، وكان هذا لم يحصل سند عهد القياصرة .. واتفقوا أن كلاً منهم يحترم وجود الآخر ، ونحن كنا سبب فى إنهاء هذا الوجود .. وقال الروس سياستنا مساندة مصر ونحن حريصين على مصر .. **وعلى أساس المبدأين تقوم علاقتنا معهم :**

* لاعسكرى سوفييتى يحارب معركتى
* لانسعى لمواجهة بين روسيا وأمريكا .

وجاءت زيارة عزيز صدقى لموسكو بالآتى ، هكذا قال الرئيس السادات :

١ - التعاون كأصدقاء على قدم المساواه بالشروط التى نطلبها .

٢ - تعهد للمرحلة القادمة وبناءً على هذا طلبنا منهم الآتى :

* طلبنا ميج ٢٣ وسرعة توريدها والتدريب عليها هنا فى مصر .

فقالوا إن بها أخطاءً وسيبدأ إنتاجها الجديد فى مايو ١٩٧٣ ، وفى سبتمبر ٧٣ سيعطوا لنا سرب منها ، وسرب سوخوى ٢٠ ونحن لانوافق على السوخوى !!

ولم يوافقوا على تدريب الطيارين فى مصر ، ويسافروا فى مايو للتدريب ويعودوا لمصر . .

* صاروخ أرض أرض برأس ذرية ، ولكنهم قالوا فى أوائل ١٩٧٣ سنخطركم بميعاد توريد الصاروخ (٣٠٠ كم) .

ثم علق الرئيس السادات على هذا بقوله :

« الموضوع ليس موضوع توقيتات ، ولكنى اطلب منهم **هل أنت جاهز لتقف معى وتعطينى أسلحة جديدة تماثل ما تأخذه إسرائيل ؟**

وبعد هذه الزيارة أصبح الإمداد مستمرًا وكنت فى ٣١ اكتوبر سأعلن إنهاء المعاهدة وإنهاء التسهيلات » .

والموقف اليوم هكذا قال الرئيس السادات :

« تكلمت مع صادق فى الصيف . . يجب تحريك الموقف عسكريا فى الجولة الثانية أمريكا تلوى مبادرتى وتحولها كحل جزئى ومبادرتى معروفة » .

« **أمريكا** تقول **نحن جاهزين لفتح القناة وعبور القوات وإسرائيل جاهزة**

وطالما هناك جو سلام لماذا لانجعل **الحل النهائى** لمفاوضات تعقد فى المرحلة الثانية .

. . . . وهذا الكلام سيلاقى إذنًا صاغية فى أوروبا الغربية ويقولوا لماذا لاتوافق . . »

ثم قال الرئيس السادات

« يجب أن نكون واضحين مع أنفسنا بأنه **لاحل سلمى** ، ويجب أن نبدأ ،حيث إنه بعد سياسة الوفاق بين روسيا وأمريكا **أصبح** الحل **فعلاً فى يد أمريكا وروسيا لا قيمة لها فى هذة العملية** ، ولكن روسيا ستبارك أى حل تنفذه أمريكا .

لذا يجب **بعد الانتخابات الأمريكية تحريك القضية عسكريا** بما نستطيع وبما نملك .

وأكد الرئيس السادات هذا بقوله : « **وقلت هذا لصادق على أساس أنى ساقطع مع روسيا فى ٣١ أكتوبر ..** »

ثم قال « روسيا تريد حل سلمى ، ولو بتنازلات من جانبنا ، وقد اتفقوا مع أمريكا على كل شىء لحوالى ٢٠ سنة قادمة » .

تصور الرئيس السادات للدخول فى الجولة الثانية

قال الرئيس السادات

« التصور والأحداث تثبت أن لاندخل الجولة الثانية من السكون

أنا أعرضه عليكم هذا لأنه أمر حيوى لآخذ رأيكم فيه فهو مصير بلد . . فإسرائيل تعربد كما تشاء ، ونحن لانستطيع عمل شىء كأنها طلسم أمامنا . . وإذا قبلت هذا لماذا لانختصر الطريق ، ونقبل حل أمريكا وندجِّل كالسياسيين العرب !!

لا . . نحن أمام امتحان كقوات مسلحة . . لقد عملت كل ما أستطيع . . صبرت على روسيا ، وغطيت موقفهم ودافعت عنهم من ١٤ مايو ؛ أملا فى استراتيجية ٥ شهور للتشوين ، ثم وقفت معه بنفس الشراسة عندما لم يستجيب . .

أنا أعمل بسياسة **الباب المفتوح** ، ولكن كنت اقرأ فى عيونهم متى تحاربوا متى تكونوا رجال !!

وأمريكا وروسيا وغرب أوروبا تقول لا فائدة من العرب ، لن يحاربوا حتى إذا أعطيتهم سلاح . . »

ثم قال السادات فى إصرار وحزم :

« لن أقبل حلول استسلام

لن أجلس على طاولة مع إسرائيل وهى محتلة أرضى .

ماذا بقى أمامنا وأمام شعبنا وأمام العدو والصديق **إلا النضال ، ونقبل التضحيات بتخطيط تام** ... »

« وكلامى مع الروس والعرب والشعب فى المعركة القادمة لن يكون له قيمة ، طالما نحن واقفين ، يجب أن نحرك الموقف ونشعل حريق ، وسيكون كلامنا مع أمريكا والعرب له قيمة كذا مع روسيا ومع شعبنا » .

ثم كرر ما قاله قبل هذا

« يجب أن نحرك روسيا **لتعطى وأمريكا لتحل** »

ثم علّق على هذا بقوله - بعد أن اشعل الغليون وشرب كوب شاى أخضر لثالث مرة وحده - « وإلاّ ففى اوائل ١٩٧٣ تنتهى القضية بالكامل والثقة فى شعبنا !! »

ثم قال : « وهذه جلسة تاريخ لازم نفكر فى المستقبل كما هو الحاضر ، وننهى المعركة فى أى وضع ، ولن نكون فى وضع أسوأ مما نحن فيه الآن بإرادة الله » . .

وبعد ثوان صمت ، قال الرئيس السادات :

« لقد صدقتم إننا انتصرنا فى ١٩٥٦ ، والحقيقة لا فقد انتصرنا سياسيا فقط وعدونا لم يسكت تطوّر ، أما نحن فلم نتطور وعشنا على التهريج . . »

ثم قال : « فكروا فى أسلوب علمى وللمستقبل والتاريخ ، يجب أن نكون أمناء ولنا **استراتيجية مبنية على أربعة أسس** :

الجو حقيقة أنه ليس الحاسم فى كل شىء ويجب تصنيع المقاتلة القاذفة والحوامة .

البحر زوارق لها قوة نيران مدمرة ولاداعى للقطع الكبيرة ونصنفها محليا ونسلحها من الخارج .

الأرض الجنزير ونصف الجنزير يصنع فى مصر .

الحرب الإلكترونية معظم الدول جاهزة لمعاونتنا فيها .

هذا يجعلنا نقف على أرض صلبة ونتطور ...

وبعد أن طرح الرئيس السادات تصوره للإستراتيجية التى يريدها للقوات المسلحة فى الجو والبحر والبر والحرب الإلكترونية لاهميتها ، نظر إلى اللواء أ ح محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ، ومسئول التنسيق عن الاتحاد الثلاثى مصر وليبيا وسوريا قائلاً :

« **ما هو موقف سوريا وليبيا بالنسبة للمعركة ؟** فقدَّم اللواء الجمسى تقريرًا بسيطا ثم علّق الرئيس السادات : « **حافظ** مقتنع باتحاد الجبهتين وفى حالة تحرك العمل جاهزين لكل شيء ولكل تضحية ، ولو كمصلحة وبقاء له وسوريا مردها إلينا وليبيا لديها ٥٠ طائرة ميراج وجاهز الآن سرب تقريبا ، وطلبت منهم عند تطور الأمور أن تصل الطائرات إلى مطاراتنا بعد ٦ ساعات لنعمل فى العمق . . وعندهم ٢٤ مدفع ١٥٥ مم أمريكى وهاون على دبابة وعندهم أيضًا ١٠٠ ناقله مدرعة أمريكى . . **عموما** ليبيا لن تتأخر ويوم ما يتحرك الموقف لن يتأخر شيء منهم » .

وهنا توقف ودار السفرجي بكوب شاى رمضانى صغير أيضًا وأخذ الرئيس السادات يشعل الغليون وإذا بالفريق صادق يتحدث بقوة (اعتقد أنه استأذن من الرئيس وأراد أن يرد على ما قاله الرئيس السادات عنه) .

قال الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية ، والقائد العام للقوات المسلحة ، والذى يجلس بجوار الرئيس السادات ، وعلى جانبه الأيسر الفريق عبد القادرحسن نائب الوزير :

« **فى تقديرى** أن أمريكا فى **إمكانها وتخطيطها تدمير مصر** حتى ولو **كان هناك حل سلمى** وهدفهم تحطيم مصر . . ولذا يجب أن نفكر أنهم قد يقوموا بشيء مثل ضربة مفاجأة وقد نخوض قريبًا معركة دفاعية ، تستخدم فيها إسرائيل سلاحها الجوى بمفاجأة . . . »

وتدخل الرئيس السادات بسرعة ولم يكمل الفريق أول صادق كلامه بعد أو ربما كان قد انتهى من إلقاء هذه القنبلة ، التى اعتقد أنها فجّرت فى نفس السادات رواسب كثيرة سابقة منذ ١٤ مايو ٧١ مع الوزير صادق الذى شارك السادات فى ثورة التصحيح الأولى وتولى الوزارة بعد الفريق أول محمد فوزى ، وقد يكون فى رأس السادات وتفكيره شيئا ما الله اعلم . ولقد شعرت وشعر معى بعض الزملاء بأن الوزير صادق وجه طعنة لأراء السادات ولكنه فى أول الأمر عندما نظرنا إلى وجه الرئيس السادات ، لم نر ملامح الغضب ظاهرة حتى الآن واطمأنت قلوبنا ، عندما رد **السادات قائلا** : « أنا قلت هذا الاحتمال ولو محلهم (قد يقصد أمريكا أو إسرائيل) أنا أضرب قبل الانتخابات الأمريكية فعلا » ، ثم غير الموضوع إلى أن قال : « هناك لحظات يجب أن نوضح فيها القدر وبالتخطيط السليم نسد الفجوات ونَفهم ونُفّهم طبيعة المعركة ، وأن روح الجندى وروح الاستبسال والتشبث بالأرض هو الذى نواجهه . » ، ثم استطرد قائلا : « أنا أخذت وقت

عام ١٩٧١ ، وبذلت كل مايمكن بذله والموقف ملخصه هو هل نحن موجودن أم نحن غير موجودين ؟ . . »

وعن مصر قال السادات : « الدولة يوم أن نتحرك عسكريا ستقلع هدومها معكم . . والتساؤل موجود فيه معركة أم لا . . نحن نواجه قدر وهناك خطر محسوب نقبله أم لانقبله . . حاولنا وجاملنا . . نحن أمام قدر حاليا » .

ثم وجه حديثه إلى الفريق أول صادق ، وقال : « أنا قلت لصادق من أغسطس **كسر وقف إطلاق النار** ، واذا تصورنا أن فى العملية المحدودة لن نضرب عمق إسرائيل فهذا ليس فيه أى فاعلية **ولو لى ١٠ سم فى سيناء** أشرف لى ألف مرة من موقف السكون الحالى ، ويجب **أن نضرب عمق إسرائيل وبعنف** .. » .

وحتى هذه اللحظة كان الجو المحيط عاديًا ولم نلاحظ أى تغيير على وجه السادات إلا أن وجه الفريق أول صادق كان يدل على القلق الشديد . .

وطلب الفريق عبد القادر الكلمة ، وسمح له الرئيس السادات بإشارة بوجهه وهو يشعل الغليون . . .

قال الفريق عبد القادر حسن :

كان الفريق عبد القادر قد تحدث فى اجتماع يوم ٢ يناير ١٩٧٢ فى منزل الرئيس أيضًا ما ملخصه أن السوفييت هدفهم التسويف ، وهم مصممون على أن لانحارب . والاتفاقية بنيت على ٥ سنوات معناها حسب قوله أننا لن نحارب قبل ذلك . . وقد طلب فى نهاية الحديث الكلمة وأضاف فيها أنه يريد أن نطلب من روسيا دعم بدفاع جوى قوى . . هذا سيساعدنا .

قال الفريق عبد القادر استكمالاً لموقفه السابق فى ٢ يناير بعد عودته من موسكو معلقا : « الذخيرة غير كافية للوصول إلى المضايق . . ويمكننا دخول الحرب ولكن صعب انهاؤها . . وأرى أن نتروى و إلا سنضطر لاستخدام خط ونصف ذخيرة فى بداية الحرب ، ولكننا لانستطيع الخروج منها . . .

وفجأة اكفهر الجو ، وانطلق الرئيس السادات كمدفع السحور ينذر الناس بالتوقف عن الطعام والكلام . وفى حدة وانفعال قال الرئيس السادات :

« أنا مسئول عن استقلال هذه البلد . . » ووجه كلامه إلى الفريق عبد القادر قائلا له فى غضب : « لاتتدخل فى عمل غير عملك ولا أسمح بأى خطأ من أى شخص مهما كان . . دى ثانى مرة تغلط أمامى . . »

وتجمد الموقف وكأن على رؤوسنا الطير ، فلم ينطق أحد بكلمة أو حركة إلا **اللواء أ ح محمود فهمى قائد القوات البحرية** ، الذى قال ردا على وجهة نظر الفريق عبد القادر :

« أنا شايف سيادتك زعلان والفريق عبد القادر لم يقل شىء خطأ فهو . . . . »

وكان اللواء محمود قد أثار فى مؤتمر يوم ٢ يناير عن وسيلة للضغط على الاتحاد السوفيتى ، وهو وجودهم فى البحر المتوسط ، ويطلب الحد من وصول الأسطول إلى موانينا وتحديد الموانى التى يدخلها ويمكن منعها أيضًا ، وقال للسادات « بكلمة من سيادتك يمكن عمل شئ »

فكتم الرئيس السادات أنفاسه وقال له بالاسم وفى وجهه :

« هل محمود فهمى بيدافع عن عبد القادر حسن »

ثم وجه الرئيس السادات الكلام للجميع فى حدة وقسوة ظاهرة

« أنا أعطى لكل فرد صلاحياته ولايتجاوز أحد صلاحياته أو يخرج عن حده ولايعرفنى واجبى . . ليس أمامنا حل آخر . . ونحن أمام اختبار قدر . . ويفعل الله ما يشاء وليس لدى ما أقوله لكم بعد هذا ، ومستعد لأذهب لآخر الدنيا حتى لايموت جندى ، ويعلم الله أنى لا أريد ان أدخل موسكو إلى أن أموت ، ولكن فى سبيل هذا أعمل أى شىء »

ثم قال : « ويجب أن يعلم الجميع أننا نعوض نقص كبير من ذاتنا ولايخذلنا الله مادمنا مؤمنين وعلى حق . . ومصيرنا التآكل إلى مالانهاية من العام القادم ونحن فى وضع سيء . . »

« وأنا قلت لصادق (هذه ثالث مرة يعيد تكرار هذا القول عما قال لصادق) :

« اذا كان الوضع ميؤس منه ومعروض علىّ حلى جـزئى فلنَ أقبله .. حد غيرى يقبله » ثم قال فى حزم مختتما حديثه التاريخى الخطير :

« أنا مؤمن أننا نستطيع عمل شيء . . نموت ورأسنا فى آخر سماء وخاصة بعدما بذلنا كل ما نستطيع وبإخلاص ولم أنام فى ليالى طـويلة . . شعبنا مؤمن وطيب وأصيل وصلب وأعطى ثقة ثمنها كبير . . وممكن أدخل فـى الناس أى مزايد أو تهريج ولاقيمة للكرسى إذا لم يكن لى كرامة » .

وانتهى الاجتماع والساعة تقترب من منتصف الليل . . . .

وخرج الرئيس السادات مـن قاعة الاجتماعات إلى طرقة خارجيـة ، ووقف يتحدث مع الفريق أول صادق ومعه الـفريق الشاذلى ونزلت إلى الدور الأرضى على الـسلالم الرخامية الجميلـة ، متجها إلى باب الخـروج ولكن أحد أفراد الحرس الخـاص استوقفنى حتـى انتظر نزول الرئيس إلى الطابق الأرضى فى المصعد وتم ذلك . ونزل الرئيس السادات ودخل غرفة مكتبه فـى الدور الأرضى ومعه الفريق أول صادق والـفريق الشاذلى ، وقفلـوا باب المكتب ونحن جلسنـا جميعا فى البهو ننظر إلـى بعضنا البعض بنظرات نود أن نـقول أشياء ولكن السكوت من ذهب . . وفجأة اكفهر الجو الداخلى فـى غرفة مكتب الرئيس السادات وسمعنا ضربة قوية تمثل غضبا دفينا وصوت الرئيس السادات يـلعلع بقوة لم استطع معرفة مضمونها الحقيقى ولكنا جميعا عرفنا ، وفهـمنا أن فى الجو زوبعة وعدم ثقة واهتزاز . . فخرجت إلى باب الدار مسرعًا إلى منزلى . .

ولكن فى الغد الساعة العاشرة صباح يوم ٢٥/ ١٠/ ١٩٧٢ اجتمع بعض القادة مع وزير الحربية بمكتبـه تكملة لاجتماع اتفقوا عليه بـعد منتصف الليل عندما اجتمـعوا - بعد اجتماع منزل الجيزة - فى القيادة العامة للقوات المسلحة بـكوبرى القبة بناءً على تعليمات من الفريق أول صادق ، ولـم يخطرنـى أحد بهذا الاجتماع أو اجتماع الصبـاح إلا صدفة ، وعلمت أن وزير الحربية أصدر تعليماته فى هذا الاجتماع التى تتضمن النقاط التالية :

- إبلاغ تحليل الرئيس للموقف إلى مستويين أقل .
- الزمن آخر نوفمبر وربما آخر ديسمبر (يقصد زمن الاستعداد للقتال) .
- القيام باستطلاع على طول المواجهة .
- الاستعداد لمواجهة الضرب الجوى بالدفاع السلبى أساسا .

هذا كل ما وصلنى كرئيس لهيئة تدريب القوات المسلحة من تعليمات الفريق أول محمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية حتى يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٢ ، وكانت هذه آخر تعليمات منه قبل إقالته وتعيين الفريق الشاذلى للقيام بأعماله إلى أن حلف الفريق أول أحمد إسماعيل اليمين ، وتولى أعمال وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة .

وهكذا نفذ الرئيس ثورة التصحيح الثانية بتغيير وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، وبعض القادة والضباط الذين تحدثوا فى الاجتماع يوم ٢٤ اكتوبر مؤيدين لما قاله الوزير صادق أو تبين للرئيس السادات أنهم يقفون بجانبه والله اعلم .



لقاء الفريق أول أحمد إسماعيل على
القائد العام للقوات المسلحة
بالفريق محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية
نوفمبر ١٩٧٢

الفصل الثالث

تغيير القادة والقيادات

ما زالت كلمات الرئيس السادات فى اجتماع ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢ بمنزله بالجيزة ترن فى الآذان ، ونسمع صداها فى كل وقت ، خاصة عندما قال :

(يجب أن نحرّك الموقف ونشعل حريق وسيكون كلامنا مع أمريكا والعرب له قيمة كذا مع روسيا ومع شعبنا . . يجب أن نحرّك روسيا **لتعطى** وأمريكا **لتحل** وإلا فى أوائل ١٩٧٣ تنتهى القضية بالكامل والثقة فى شعبنا . .)

معنى هذا القرار واضح أنه **قرار سياسى** اتخذه السادات وقرر تنفيذه ، بكل ما يملك من قوة ومن يقف عقبة فى طريقه أو لايسير فى ركبه ، فيجب إزالته عن الطريق ليتحقق هذا الحلم الذى يراود السادات منذ توليه حكم مصر . ولما وقف زملاؤه فى الكفاح ضد هذا الحلم أو لم يسيروا على هواه أزاحهم عن الطريق فى ١٣ مايو ١٩٧١ ، وسماها هو شخصيًا ثورة التصحيح ثم لما عيّن من رآهم يصلحون للسير معه على طريقه وبجواره احتضنهم بعض الوقت ، ولكنه رأى أن فى آراء رئيسهم أو فى تفكيره عدم تنفيذ لسياسته بالكامل بالأسلوب الذى خططه وحسبه وقدر نتائجه فى لعبة حظ مضمونه كما تخيلنا ازاحهم عن الطريق . . . وقرر أن يعين بدلهم من يسيروا دون تردد معه على الطريق الذى رسمه وحده ، فاختار اثنين فى أول الأمر ووضعهما تحت ميكروسكوب نظارته وأفكاره ، ورأى أن يقتربا من القوات المسلحة أكثر ، فهم أصلا ضبّاط فى القوات المسلحة وعلى علم وكفاءة وخبرة . ولكن المناصب التى تولوها أبعدتهما قليلا عن معرفة درجات الاستعداد لتشكيلات القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوى والأسلحة الفنية الأخرى المعاونة ، وكذا أخذ فكرة

عن مخطط القوات المسلحة للعمليات المحدودة أو لتنفيذ المهمة الرئيسية للقوات المسلحة بتحرير الأرض وإزالة آثار العدوان . . فأمر السيد حافظ إسماعيل [1] ومعه السيد أحمد إسماعيل على رئيس المخابرات العامة بالاجتماع بأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة . وفعلا فى اجتماع مع الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة فى أوائل صيف ١٩٧٢ ، دخلا إلى قاعة الاجتماع وطلبوا الاستماع إلى القادة ، كل فيما يخص درجات الاستعداد القتالى لقواته وأى مشاكل تعترض هذا الإعداد ، ثم أخذا فكرة عن الخطط الخاصة بالعمليات ، ولم يظهر الفريق أول صادق أى إشارة تدل على قبول أو رفض هذا التدخل إذا أسميناه تدخلاً ، ومر الأمر بطريقة عادية إلا من بعض تلميحات من الزملاء وإشاعات وتخمينات ، إلى أن التقى بنا الرئيس السادات والفريق أول صادق واللواء واصل قائد الجيش الثالث ، واللواء عبد المنعم قائد الجيش الثانى ، ودار حديث هادئ مريح ، آثار فيه الرئيس السادات ذكرياته مع جمال عبد الناصر عن أحمد إسماعيل وموضوع رادار رأس غارب وإبعاده عن القوات المسلحة . أما عن حافظ إسماعيل . . فإن الرئيس جمال كان فى تخطيطه تعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ليقود القوات المسلحة المصرية فى حرب التحرير ، ولكنه لقى ربه قبل أن يصدر هذا القرار . والحقيقة أننا فهمنا أن الرئيس السادات يميل إلى تعيين أحدهما ولكنه لم يفصح بشىء وانتهى الاجتماع واستمرت زيارة الرئيس السادات للمواقع ومعه الفريق أول صادق . . .

وبنجاح ثورة التصحيح الثانية ، وفى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٢ تعيّن الفريق أحمد إسماعيل على وزيرا للحربية ، وقائدا عاما للقوات المسلحة المصرية ، ومنح رتبة الفريق الأول ، كما تم تعيين عدد من القادة فى مناصب القوات المسلحة العامة واستمر الفريق سعد الشاذلى رئيسًا للأركان (رغم أننا سمعنا أنه طلب الاستقالة حتى لا يعمل مع الفريق أول أحمد إسماعيل لما بينهما من عداء قديم ، قد يكون له أثر خطير على إعداد القوات المسلحة للقتال بالتعاون مع إخوة أعداء من القلب !! وقد وقع ما كنا نخشاه فعلا ، واستمر الصراع بينهما قائما واحدث ثغرة خطيرة زادتها ثغرة العدو الإسرائيلى فى الدفرزوار عمقًا وخطرًا بعد يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣) .

(١) كان يشغل منصب مستشار الرئيس للأمن القومى .

أول لقاء مع القائد العام الجديد :

قال الفريق أول أحمد إسماعيل على وزير الحربية والقائد العام الجديد فى أول لقاء له مع قادة القوات المسلحة يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٢ .

« **نحن نأخذ توجيهات من القيادة السياسية لا تقبل المناقشة ونحن لا نملك المعارضة** فى مثل هذه الأمور **فنحن عسكريين فقط** ، ويجب أن نفهم واجبنا **حماية مصر** ودراسة العدو أمامنا ، **وقيادة جنودنا ومعرفة مشاكلهم والسيطرة عليهم** » .

وبهذه البداية وضحت الصورة لنا إلى حد ما ، ثم استمر الوزير فى توضيح بعض نقاط دارت فى أفكارنا وأهمها الآتى :

١- ستبدأ علاقات جديدة مع روسيا على أسس جديدة وسيسير التسليح فى طريقه .

٢- سياستنا السير فى جميع الاتجاهات .

٣- واجب القوات المسلحة تحرير الأرض ، ويوم أن تشعر إسرائيل أننا من القوة والحرية وقادرين على خوض المعركة ستفكر فى الحل السلمى .

* ونحن كعسكريين لا نفكر فى الحلول إلا بالقتال .
* وكيف نجبر إسرائيل على الجلاء عن اراضينا فى سيناء .
* وهدفنا المحافظة على السلاح والمعدات .
* التدريب الجدى والاستعداد للمعركة كأنها تحدث غدًا أو بعد غد .
* كل وقت فى سبيل المعركة .
* الجدية فى العمل وبإتقان بإحتراف كل فى عمله .
* الاطمئنان على سلامة الموقف الدفاعى من كل جوانبه .

وعن موقف أمريكا . . قال الوزير « إن أمريكا تؤيد إسرائيل على طول الخط إن حقا أو باطلاً ، ونرى محايدة أمريكا فى هذا العمل ، ونأمل أن تكون هى محايدة فى الخلاف بيننا وبين إسرائيل .

والعروض القوية **لحل جزئى ثم التشاور لحل القضية »** .

ثم قال وعموما أى حل غير مضمون !!

وفى نهاية الحديث قال إن الفريق صادق كان مكلفًا ببعض المهام ولم ينفذها ، وهناك نزعة فيه إلى عدم القتال ونحن عسكريين نؤمر فننفذ . ومن وجهة نظرى (أنا عبد المنعم خليل) أمام الله والتاريخ أن الفريق أول صادق كان راغبًا فى القتال ، ولم يظهر لنا منه خلاف ذلك . . .

الإستراتيجية العسكرية :

إن السياسة العسكرية تحدد المذهب العسكرى الذى يحدد بدوره الإستراتيجية العسكرية ، ويجب أن يستمر الاتحاد السوفيتى فى معاونتنا عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، لمواجهة دعم أمريكا لإسرائيل .

ولابد أن يكون هناك تضامن سياسى وعسكرى مع الدول العربية عموما ، وسوريا وليبيا على درجة أخص .

محاولة حصار إسرائيل سياسيا وعسكريا ، وتضييق الخناق عليها سياسيا .

كسب الرأى العام العالمى فى صفنا .

محاولة المحافظة على المقاومة الفلسطينية والكيان الفلسطينى .

كسر الجمود بتحرك عسكرى جاد .

كيف يتم ذلك ؟:

إثارة الموضوع فى الأمم المتحدة

تحريك القضية سياسيا

موقف أفريقيا : ٧ دول قطعت علاقتها دبلوماسيا مع إسرائيل ،والباقى فى الطريق.

موقف العرب:

موالاة الجميع حسب ما ترغبه الدولة وليس لنا أعداء .

الفيصل هو المساهمة فى المعركة .

ليبيا تعطينا عمقًا كبيرًا بحريًا وجويًا وبريًا .

وتم إعداد مسرح العمليات بها وخطط الدفاع الجوى وخطط البحرية ، وتم تقسيمها إلى أربع مناطق عسكرية .

سوريا أهمية الجبهتين وتأثيرهما على إسرائيل

قواتها جاهزة وبحالة جيدة ومخلصين للمعركة ، وقد صار دعم الدفاع الجوى بها

ثم التنسيق وتنظيم التعاون للعمل معا .

أهمية خليج العقبة والبحر الأحمر:

وكيف نمنع إسرائيل من الاستفادة بهما وقت العمليات ؟

روسيا وضعت قوات فى اليمن الجنوبية فى جزيرة بريم .

الدول العربية تفكر أيضًا فى السيطرة على الجنوب .

ما هو شكل هذا التأمين فى هذه الجزر ؟

أهمية ميناء سفاجا كميناء رئيسى وميناء بورسودان يكون تبادلى ، لذا يجب أن تكون العلاقة مع السودان جيدة .

أعطانا العراق دعمًا جويًا وكذا بعض الدول العربية .

وأتمت القوات المسلحة التخطيط للعمليات ، ويجب مراجعة الاستعداد للقتال باستمرار ، وأهمية السيطرة المستمرة على القوات ، مع تأمين المعلومات وتأمين القوات ، والتدريب على خطة الانتشار وجاهزيتها ، مع أهمية الأمن والسرية والاقتصاد وعدم التبذير مع العناية بمشاكل الرجال وحلها .

تمام استعداد القوات المسلحة المصرية ٣٠ ديسمبر ١٩٧٢ :

فى ١٤ نوفمبر أصدر وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة توجيهات غير قابلة للمناقشة .

بعد أن وضّح القائد العام موقف القوات السورية عقب اشتباكاتها الأخيرة مع القوات الإسرائيلية ، أفاد أن القوات المسلحة السورية أصبحت تحت القيادة كقائد عام للجبهتين، وستكون معركة واحدة وبمقارنة القوات . . افاد بأننا متفوقون على العدو تفوقًا

ساحقًا فى الدبابات وفى الطائرات (قد يكون عند العدو تفوق فى النوع ، رغم أن الميج ٢١ أوقعت الفانـتوم) وأنه لدينا أسلحـة وستصلنا أسلحـة حديثة ، ونحن قادرين عـلى القيام بعمليات ناجحة بالقوات المسلحة .

التوجيهات غير القابلة للمناقشة :

- كل فرد فـى القوات المسلـحة له مكان ولـه دور فى المعركـة ، يجب أن يدرَّب علـيه من المراسلة إلى القائد الأكبر .

مراحل الاستعداد للمعركة :

- **حتى آخر نوفمبر ١٩٧٢**

التجهيز الهندسى الكامل للمعركة الدفاعية ومواقع الهجوم .

مراجعة خطط احتياطيات القيادة العامة .

اختبار القيادات .

تجهيز خطط الردع الاستطلاع - التدريب عـلى إحباط الضربات المضادة ومقاومة الإبرار الجوى والبحرى ، والدفاع عن الأهداف الحيوية .

حتى ١٥ ديسمبر ١٩٧٢ :

وضع القرارات حتى مستوى قادة الفرق .

استكمال تجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم

حتى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٢ .

تمام استعداد القوات المسلحة المصرية .

ملاحظات :

أى أسلحة حديثة ستكون دعمًا للقوة وسنعمل بما فى أيدينا حاليا.

يجب الابتكار والتجديد .

أهمية مفاجأة العدو .

يجب عدم الخروج عن قانون العمليات العسكرية .

سيتم التنسيق مع الجبهة السورية .

التدريب الواقعى والجدى .

تثبيت القادة والقادة المرؤوسين ولاتنقلات حالياً .

أهمية الانضباط وراحة الإنسان نفسيًا ، ورعاية الجنود وحل مشاكلهم .

وبهـذا انتهت سـنة ١٩٧٢ ولم يحدث قـتال ، وبدأت مراحـل جديدة لإعداد الـقوى ورباط الخيل . . .

الفصل الرابع

إتمام إقامة أعمدة إعداد القوى ورباط الخيل السبعة

القادة والقيادات

اختارت القيادة العليا للدولة والقيادة العـامة للقوات المسلحة الـقادة الذين سوف يديرون المعركة والقيادات المـعاونة لهم ، وأصدر القائد العام للقوات المسلـحة تعليمات بعدم إجراء أى تغييرات كبيرة فى قيادات القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى ، وأن كل فرد قـد اختارته القيـادة سيثبت فى مـكانه ، حيث يتـقن دوره فى القتال ويـتولى تدريب وحداته على أعمالها مع مسئوليـته فى الإشراف الكامل عليها وإدارة الرجال بأسلوب علمى ومـنطقى ، ومحاولـة حل المشاكل بكل الـطرق والقيادة العامـة جاهزة لمعاونتـه فيما يصعب حله . .

وبدأ **القائد الأعلـى للقوات المسلحة ورئيـس الجمهورية** فى إعادة حسـاباته والتخطيط لإعداد القوى السياسية فى كل أنحاء العالم الشرقى والغربى والعربى ، مع القوى الدبلوماسية مع حسـاباته فى إعداد القوى الاقتصادية للدولة التى تحـملت أعباء جسام نحرت فى عامودهـا الفقرى ما أثقـل كاهلها . . وبدأ أيضـا فى إعداد القوى الإعلامـية فى الخارج والداخل لتخدم مخططه الخاصة بإشعال الحريـق وتحريك القضية ، ولو بأخذ شبر فى الضفة الشرقية لقنـاة السويس ليصبح مفتاح العـمل السلمى المنشود . ويحتاج الـعمل الداخلى إلى جهد كبير ليقف الـشعب خلف قواته المسلحة بعزيمة المخلصين وتضـحيات الشرفاء . ويخلع هدومه (حسب تعبير السادات) وفاء لقواتـه المسلحة . وكان أمامه أيضًا حسابات أخرى مع الأعداء ومع الأصدقاء ، وحسـابات القائد الماكر على أساس أن الحـرب خدعة ووضع خطة المفاجأة والمباغتة وأن يضرب من حيث لم يحتسب العدو أو يتوقّع .

أما **القائد العام** فقد وضع كل خبـراته فى المعاونة مع حوارييه ومـرؤوسيه فى رسم الخطة ، التى تحقق للـقائد الأعلى أكبر قدر من الثقة فى قدرته عـلى إدارة دفة الإعداد للقتال

وتنفيذ المخطط المحدد حسب القدرات والإمكانيات المتاحة ، فقد تعلم وعلمته الأيام والأحداث التى سبقته ، قبل جلوسه على رأس القيادة العامة للقوات المسلحة الانضباط فى تنفيذ الأوامر والتوجيهات الأعلى .

وبدأ القائد العام فى المرور على التشكيلات فى مرابضها وساحات تدريبها ؛ للتأكد من تفهّم الجميع للواجبات المكلفين بها ، وكيفية تنفيذها بعناية وسار على نهجه قادة التشكيلات والوحدات فى جميع أفرع القوات المسلحة . .

وركَّز **رئيس أركان القوات المسلحة** على عمل مؤتمر شهرى يجمع فيه قادة تشكيلات القوات المسلحة - وإلى درجات مختلفة - للمشورة واخذ الرأى ومناقشة أحسن الحلول للعبور ، واقتحام حصون خط بارليف وحمولة الجندى ، ومشاكل فتح الثغرات فى السائر الترابى وفى الأسلاك والالغام ، وأسلوب صد مدرعات العدو فى الساعات الأولى بعد العبور لتعزيز قوات المشاه التى ستتحمل الصدمة الأولى من دبابات العدو ومدرعاته وطائراته فى هجماته المضادة حسب المخطط المحتمل . وكذا بحث ما يمكن بحثه للتغلب على مشاكل العبور وحسب ما لدينا من إمكانيات . وقد نجح الفريق الشاذلى فى تجميع هذه الخبرات والابتكارات والأبحاث فى منشور دورى سمى رقم ٤١ ، حدد فيه لكل فرد مكانه وعمله وحمولته وتصرفه وتسليحه وذخيرته ومياه شربه وغذاء يومه !! وأثبتت الأيام أهمية هذه التعليمات وأنها سبب رئيسى فى نجاح عبور القوات لأكبر مانع فى التاريخ واقتحام حصون خط أقوى من خط ماجينو فى فرنسا فى الحرب العالمية الثانية وهو خط بارليف الحصين .

اما **دور قادة الجيوش ومن فى حكمهم** فقد أثبتت الحرب أنهم كانوا رجالا أمناء أقوياء حققوا النصر لمصر بحسن أدائهم فى المعارك وللرجال خلف السلاح وللكر والفر واستخدام الاحتياطيات مع العزيمة وحسن التصرف .

العقيدة الإيمانية الصادقة :

وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة خطة التوعية والتوجيه المعنوى كأساس لإعداد القوى الروحية للقادة والضباط والجنود ، تمهيدا لحرب التحرير التى اقترب موعدها . وكان لابد من إيقاظ الوعى الدينى فى عقول ووجدان الرجال ، فهى سلاح النصر فى المعارك ، واقترحوا أن يكون نداء النصر هو الله أكبر بدل كلمة « هع » ، التى تهدم الإيمان وتحدث

ضعفًا للنفوس . وجاء هذا النداء الإلهى الله اكبر حافزا قويا لإنعاش القلوب المتعطشة للإيمان ، وأثبتت الأيام أن هذا النداء القوى زلزل الأرض تحت أقدام الأعداء ورعبا ، وأشبع فى نفوس المهاجمين روعة العودة إلى الله وقوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم / ٤٧] .

وحتى تكون الأرض التى يتم العمل عليها قوية ، يجب أولاً فك حالة الجمود التى تحجرت فى عقول الجنود وقلوبهم بحالة اللاسلم واللاحرب سبب هذا الجمود ، ولا يمكن فك هذا الجمود إلا بالقوة الذاتية . ولذا يجب أن نبدأ بعقل وقلب الجندى لتثبيت عقيدة القتال الإيمانية كعقيدة ثابتة ، تعطى الجندى قوة الحق وحق القوة للتضحية بالروح للفوز بالشهادة أو بالنصر .

الوطنية وحب مصر :

إن إثارة الحماس وحب الوطن والتضحية فى سبيله عامل مهم من عوامل إعداد القوى الروحية ، وإحياء قوى الوفاء والتضحية فى نفوس الرجال . وقد أحيت القوات المسلحة المصرية تقاليد قديمة كان لها أثر كبير فى نفوس الجنود ، وهم يساقون إلى القتال رغما عنهم تلبية لأوامر الاستعمار ، وكانت أغانى الجنود تختلف من وحدة إلى أخرى حسب نوع الجنود المتحركة وكانت أغنيات الصعايدة تغلب على نغماتها القوية أغنيات البحاروة أو الشراقوة . ولكن فى الإعداد لحرب اكتوبر ولإثارة عزائم الرجال كانت اغنيات اسلمى يامصر إننى الفداء أو بلادى أو مصر أمنا هى النغمات المناسبة فى تلك الايام يغنيها الرجال فى طريقهم إلى ميادين التدريب ذهابا وعودة ، وفى طريقهم أيضًا إلى الفتح للقتال والاقتحام مع نداء الله اكبر . .

معرفة العدو :

كانت حروب مصر حتى عام ١٩٦٧ تفتقر إلى تجميع المعلومات الصحيحة على العدو الإسرائيلى من جميع النواحى الروحية والقتالية وأسلوب القتال ، ولم ننجح فى الحصول على أسرى من العدو قبل القتال أو أثناءه فجاء التخطيط للتعامل مع العدو ووضع الخطط غير مبنى على حقائق تجعل القائد كفاقد الوعى ، يتخبط فى الظلام . ولكن معرفة العدو معرفة تامة تجعل خطط القادة تبنى على حقائق واقعية فيكتب لها النجاح . وجاءت حرب الاستنزاف أو خلال الثلاث سنوات بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ حتى إيقاف القتال فى اغسطس

٧٠ بمعلومات وفيرة عن العدو الإسرائيلى نتيجة نشاط الإستطلاع الجوى والأرضى والبحرى والإلكترونى واللاسلكى وغيره ، وكذا عمليات الاستطلاع خلف الخطوط والداوريات والحصول على أسرى من العدو الإسرائيلى ، والحصول على وثائق وخرائط لها قيمتها . . حافزًا كبيرًا لتطوير الاستطلاع وتحقيق الحصول على معلومات حقيقية عن العدو الإسرائيلى فى ميدان القتال ، وفى الخلف وفى المصانع والمنازل والسيارات ، وفى كل مكان فتحطم هذا الجدار وانكشف العدو الإسرائيلى أمامنا ، وظل هذا هو التخطيط المستمر للاستطلاع حتى حانت لحظة اللقاء .

وقد جاء القرآن الكريم بصفات اليهود فى السلم والحرب وفى كل وقت ومكان ، وأوضح لنا أيضا كيف نقاتلهم وكيف نحدث فى قلوبهم الرعب وكيف نجبرهم على تحطيم بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ؟ وكيف نتعامل معهم وكيف نتقى مكرهم وخداعهم . . إلخ.

فسارت عجلة الاستطلاع لمعرفة العدو بأسلوب علمى واقعى سليم ، ونجحت قواتنا فى البحر والجو والأرض فى معرفة كثير من أسرار قواتهم وقادتهم وأسلحتهم ومعداتهم ، وكانوا دائما تحت منظار القوى المصرية ، مع الوضع فى الاعتبار المميزات التى يمتلكها العدو حتى هذا الوقت وهى :

تفوقه الجوى ، ومقدرته العلمية والتقنية ، وتدريبه الواقعى ، واعتماده على المعاونة الكاملة السريعة من أمريكا برا وبحرا وجوا ، وأنها ستمده بما يحتاجه أو ما يحتاجه باستمرار ومجانًا !! .

أما أهم عيوبه فهى حاليا وضع تخطيطه على أساس العمل على خطوط مواصلات طويلة من قلب إسرائيل إلى قناة السويس ، أو إلى الجولان شمالا ، وأن تعداده البشرى لايسمح له بتحمّل خسائر كبيرة كما أن ظروف التعبئة تمنعه من قبول حرب طويلة تضر اقتصادياته وتوقف دولاب العمل فى الداخل . ويجب أن يكون تخطيطنا مبنيًا على نقط القوى عند العدو وحقائق نقط الضعف عندنا ،وتصورنا لتخطيطه واحتمالات عمله فى حالة هجومنا سواء من اتجاه واحد أو اتجاهين أو أكثر ، وبالطبع يجب التخطيط على أساس مهاجمة العدو فى أكثر من اتجاه وأكثر من منطقة .

الانضباط وأدب الحرب :

زار الرئيس السادات جبهة القتال فى قناة السويس خلال العيد الصغير فى أواخر عام ١٩٧٢ ، وكان أول ما أوصى به للاستعداد للمعركة هو الانضباط العسكرى ، وحلل هذا الانضباط (من وجهة نظر القائد الذى يرى فى الانضباط أنه من أهم أعمدة إعداد القوى للجيوش وحتى الشعوب) بأنه ليس الجزاءات أو القسوة أو المعاملة الناشفة بل هو **العدل ، وراحة الناس نفسيا ، ورعاية شئون الجنود ، وحل مشاكلهم ، والاحترام المتبادل ، والمظهر العسكرى السليم** .. إلخ .

وسارت القيادة العامة للقوات المسلحة وقادة التشكيلات والوحدات على هذه التوجيهات ، وأصدروا أوامرهم لاتباعها والسير على هداها ، فهى التى تبث الشجاعة والإقدام فى النفوس طالما أن الجندى يشعر بالعدل فى المعاملة والحسم فى الأمور ويثق فى نفسه وفى سلاحه .

العلم والمعرفة :

لقد تطورت العلوم والتقنية العسكرية تطورًا هائلاً ما بين الجولة الأولى مع كل الجيوش العربية مجتمعة ، ومع جيش الدفاع الإسرائيلى . وكانت الجولة الثانية عام ١٩٥٦ أكثر تطورا وأكثر تقنية ، وجاءت ١٩٦٧ بتقدم علمى وتقنى عسكرى أعظم فى استخدام القوات والأجهزة والأسلحة ، وتطلبت خبرات كبيرة ومستوى عاليًا من الرجال خلف المعدة أو السلاح . وبالطبع زاد هذا التطور تقدمًا فى سنوات ما بعد الجولة الثالثة إلى درجة مذهلة وابتكر العلماء أسلحة جديدة قادرة سواء منها ما هو مسموح به دوليا أو ما هو غير مسموح به . كما تطورت أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الكيميائية والبيولوجية ، وكانت إسرائيل سباقة إلى تحديث قدرتها العسكرية بآخر ما وصل إليه العلم العسكرى فى الغرب والشرق ، وأمدتها أمريكا أساسا بأسلحة متطورة قادرة ، وكانت الأقمار الصناعية وسيلتها لكشف النقاب عن خبايا ما تحت الارض ، وفى أعماقها من أسلحة ومعدات وأجهزة ، وأوضحت الصورة التى تحقق للقائد تخطيطه الحربى على بينة وحقائق ، وبفضل ذلك سبقت اسرائيل العرب فى هذا المجال الكبير الخطير ، وكان لابد لمصر أن تحاول اللحاق بها على نور شموع العلم والتقنية ، وحاولت الاستفادة بالعلم الشرقى أساسًا ؛ لأنها محرومه من حق إضاءة قدرتها العسكرية بنور الغرب المتطور ، وطلبت مصر من روسيا أسلحة متطورة وبالطبع كانت عواقب طرد الخبراء السوفيت من مصر سيئة ؛ إذ ضنت روسيا على مصر بإعطائها

المزيد من الأسلحة والمعدات المتطورة ، ووعدت لتكسب وجودها فى الشرق الأوسط وبسط نفوذها فيه ، ولو أنها اقتنعت بأن تترك لأمريكا مجال التقدم العلمى والتقنى المتطور تعطيه لإسرائيل لحمايتها وإعطائها مزيدًا من القوة لإرهاب العرب عامة ومصر خاصة .. وجلست متفرجة !! .

وبذلت مصر جهدًا خارقًا للتزود بالعلم والتقنية من الخارج والداخل ، لتبنى قوتها وقدرتها وقواها على العلم كسلاح وعلى المعرفة كرأس مال تستثمره لتحقيق الأمل فى نصر ولو قليل !! .

الإعداد المتكامل للقتال والتدريب المستمر الواقعى :

إن الغرض النهائى للتدريب العسكرى الواقعى هو ضمان وصول الضباط والجنود إلى درجة من الكفاءة والقدرة على تحقيق المهام المكلف بها فى القتال بما يحقق النصر للمجموعة ، ويقع هذا الإعداد على القائد كل فى مستواه القيادى . وعلى القائد غرس عادات النظام والانضباط فى نفوسهم ، فالمعركة ليست مجرد ترابط بين إطلاق النيران والتحرك ، بل هى تكامل بين إطلاق النيران والتحرك والوعى . ومن هنا بدأت القوات المسلحة فى اتباع أسلوب إعداد القوى للقتال فى نظام وانضباط ووعى ، وسارت عجلة التدريب الواقعى فى كل الأمكنة المماثلة لميدان المعركة المنتظر مقابلته ، مع عمل للمواقع الصناعية المشابهة لمواقع العدو أمامهم أو فى عمق هجماتهم أو أجنابها .

وهكذا تم اختيار ميادين قريبة الشبه بظروف وطبيعة المهمة التى سوف تقوم بها القوات ، وخاصة عبور المجارى المائية ، وسنحت ظروفنا خاصة فى الجيش الثانى فى استغلال منطقة تفريعه قناة السويس عند البلاح فى ناحية الغرب ، ناحية قواتنا للتدريب الواقعى على عبور قناة السويس وعلى اجتياز وصعود السواتر الرملية العالية ، وعلى فتح الثغرات فى الساتر الترابى باستغلال قوة اندفاع المياه من مضخات تعدّدت مصادرها ، حتى نحصل على أقوى وأسرع مضخة خفيفة يمكنها تفتيت الأرض وشقها لفتح ثغرات بها لعبور الدبابات والمركبات .

وقد قامت وحدات المهندسين بشق الطرق العرضية والطولية لتسهيل تحرك القوات إلى الأمام والمناورة بالقوات على الاجناب ، كما تم عمل مخاضات بالدبش فى مناطق متعددة من الترعة الحلوة بين الإسماعيلية والسويس ومنازل إلى قناة السويس ثم إخفائها بعناية . كما أقامت وحدات المهندسين بمعداتها المتطورة سواتر ترابية عالية فى الضفة الغربية ، لتعطينا ميزة الاستتار عن نظر العدو ونيرانه ، القدرة على ملاحظة تحركاته ونشاطه شرقاً .

وللحقيقة والتاريخ فإن الجيوش الميدانية بقدرتها الذاتية استطاعت أن تبتكر كثيرًا من مساعدات العبور والاقتحام والقتال من معدات ، ورغم انها بدائية إلا أنها فعالة وناجحة وتم التدريب عليها . وفى الجيش الثانى الميدانى بالذات الكثير من الحقائق فى هذا المضمار . ويجب أن نحنى رؤوسنا احتراما لهذا الشخص الذى كرس وقت فراغه - لانه كان يعمل رئيسا لأركان الجيش الثانى عام ١٩٧١ / ١٩٧٢ - فقد ابتكر سلاحا يطلق بصاروخ صغير لتدمير حصون خط بارليف وتم تجربته فى عام ١٩٧١ وسماه « قدرة الله » انه المرحوم الفريق عبد الرحمن فهمى - يرحمه الله - فقد لقى ربه قبل أن يرى النصر الذى حققته « قدرة الله » .



لقاء الفريق أول أحمد إسماعيل على
أثناء تفقده أحد التشكيلات
بالمنطقة المركزية العسكرية
نوفمبر ١٩٧٢

ملحق (أ)

المشير أحمد إسماعيل على

رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية من
١٠/٣/١٩٦٩ إلى ١٠/٩/١٩٦٩

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة من
٢٦/١٠/١٩٩٧٢ إلى يوم الرحيل ١٩٧٤

فى جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٤ مارس ١٩٧٥ ، تكلم الرئيس السادات عن معركة أكتوبر وعن المشير أحمد إسماعيل على بعد وفاته قائلاً :

(هذا أول اجتماع بعد المعركة وبعد فقد المشير أحمد إسماعيل يهمنى أن أقرر أن هذا الرجل فى عمله وما أداه وما تحمله كان مثالا للجندى المصرى ومثالا للمعنى الجديد للعسكرية المصرية ، وكان يؤمن بالمقاتل المصرى حيث فقد الكثيرين فى فترة ما قدرة المقاتل المصرى أو المقاتل العربى بصفة عامة . أما أحمد إسماعيل فمن اكتوبر ١٩٧٢ إلى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ إلى ما بعد المعركة إلى أن توفى ، كان مثالا حيا للجندى المنضبط المؤمن بالمقاتل المصريى وإننى أحيى ذكراه فى هذه المناسبة ونحن نجتمع بدونه.

نقف دقيقة تحيه لذكراه

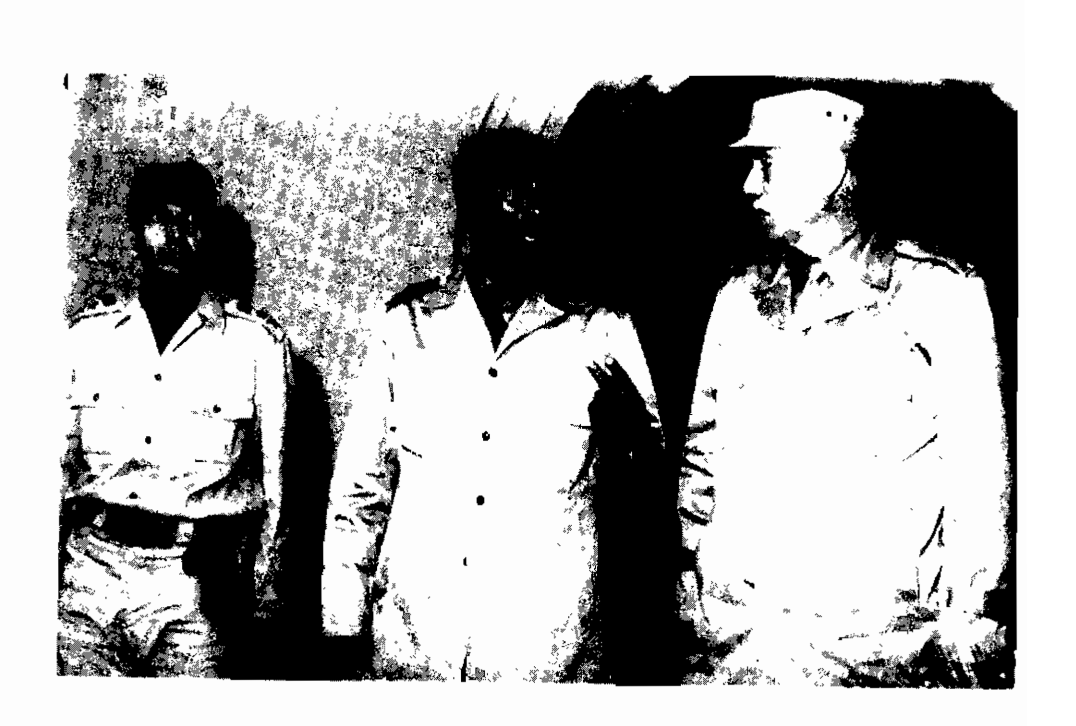
وقرأنا الفاتحة على روحه . . .)

وكان القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى حرب أكتوبر١٩٧٣ ضابطا ملتزما بالانضباط العسكرى ، فمنذ حياته العسكرية الأولى ، سلك طريق الالتزام وهو يوزباشى (نقيب) رئيس عمليات الكتيبة الثانية مدافع الماكينة المشاه ، وهو مدرس فى مدرسة المشاه وكلية القادة والأركان والكلية الحربية ، حيث شغل منصب كبير المعلمين ، ثم فى قيادته

لوحدات المشاه وتشكيلاتها ، إلى أن وصل إلى منصب قائد الجيش الثانى بعد نكسة ١٩٦٧ ، ثم رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى أن نحاه الرئيس عبد الناصر من منصبه بعد حادث الزعفرانة وتعيينه كوزير مفوض فى وزارة الخارجية فى الكونغو ، حيث بدأ الصراع بينه وبين الشاذلى الذى استمر فى القلب إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وفى عهد الرئيس السادات تعين رئيسًا لجهاز المخابرات العامة ، ثم اختير وزيرا للحربية فى ١٩٧٢ ، تمهيدًا لقيادة القوات فى حرب رمضان المجيد إلى أن لقى ربه فى عام ١٩٧٤ .

يرحمه الله .



الفريق أول أحمد إسماعيل على

(على أقصى يمين الصورة)

ملحق (ب)

(قدرة الله)

الفريق عبد الرحمن فهمى

من المدرعات

رجل احب سورة التوبة واحبته :

تعين اللواء الركن عبد الرحمن فهمى من المدرعات ، رئيسا لأركان الجيش الثانى الميدانى فى أوائل عام ١٩٧١ ، وكان مثالا للجندى المؤمن المخلص الصادق ، تراه دائما يقرأ سورة التوبة ويعتز بها ويفخر بتحليل ما بين سطورها وآياتها من نعم الله ، وحقق الله له حلمًا طالما راوده وهو آن يخترع أو يبتكر سلاحًا يستطيع تدمير حصن من حصون خط بارليف ونجح فى ابتكار صاروخ أرض أرض مداه ٤٠٠ متر مدمر بقوة هائلة ، أسماه **قدرة الله** ، وشاءت إرادة الله أن يلقى عبد الرحمن ربه قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وهو يعمل فى مكتبه بالجيش الثانى الميدانى .

يرحمك الله يا عبد الرحمن ، فقد أحببت سورة التوبة وأحبتك بفضل الله .



المؤلف على اليسار يصافح الفريق عبدالرحمن فهمى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الثامن

مصـــر تغنـــــي

رمضـــان ربيـــع عمـــري

الفصل الأول

١٩٧٣
عام فيه يكرم المرء أو يهان

بدأ عام ١٩٧٣ بمشاكل طارئة نتيجة العدوان الإسرائيلي على سوريا ، ووقوع معركة جوية أحدثت خسائر كبيرة في القوة الجوية السورية ، وضرب العدو اللاذقية مركزًا على مدرسة المدفعية المضادة للطائرات بها ، ومركز لـلتدريب ومركز تجميع الطائرات ، وضرب أيضًا طرطوس ، وتمكن العدو من تدمير ٥ محطات رادار سوري من ١٢ محطة رادار وفقدت سوريا ٨٨ شهيدًا وأربعة طيارين و٢٤٨ جريحًا منهم ١٠ ضباط . وكان إجمالي خسائرها في الطائرات في شهر واحد حوالي ١٨ طائرة وكان غرض العدو الإسرائيلي فرض حالة من اليأس والقنوط ، واستنزاف قوتنا وإرهاب سوريا مع التخلص من الفدائيين .

وكان رأي القيادة المصرية عدم التورط أو تصعيد القتال ، وأن سوريا قادرة على تحمل هذه الضربات حاليًا ، ولكن يجب أن تكون القوات جاهزة لاحتمال قيام العدو الإسرائيلي بعمليات ضد مصر في أي وقت ، وأن تكون درجة الاستعداد للقوات جاهزة لتلقي ضربات العدو الجوية في أي مكان ، مع تجهيز خطط الردع السريع لتنفيذها إذا اضطرتنا الظروف إلى ذلك مع الحذر التام .

وقد قررت ***القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية*** أن نبدأ معركتنا بإمكانياتنا وحسب تخطيطنا ، وفي التوقيت المناسب لنا لضمان النجاح وقد استمر التدريب القتالي والإعداد للقوى بجدية وبدأ كل فرد يتفهم مهمته ويتقن التدريب عليها .

الموقف حتى سبتمبر ١٩٧٣ :

أصدر وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة قرارًا بتعيين لجنة لمراجعة درجات استعداد الجيوش الميدانية ، وقياس أعمدة إعداد القوى السبعة ، وتقديم تقرير عن أعمال

اللجنة واختار لرئاسة هذه اللجنة قائد المنطقة العسكرية المركزية الذي كان قبل عام ونصف تقريبًا قائدًا للجيش الثاني الميداني ، وضمت اللجنة عددًا من الضباط من مختلف التخصصات ، وقضت اللجنة حوالي ٧٢ ساعة بين تشكيلات ووحدات الجيش الثالث ، وحوالي ٩٦ ساعة في الجيش الثاني الميداني ، وأتمت مراجعة موقف القادة والقيادات ، واختبار درجات تفهم الموقف والمهمة وأسئلة عن مدى معرفة العدد بصفة عامة والعدو الموجود أمامهم أو المنتظر مقابلته عند العبور ، مع قياس درجات الشجاعة والإقدام والعلم والمعرفة وإجادة عمل الفرد في الرماية والسباحة واستخدام الأرض والساتر وحماية نفسه . كما حدثت اختبارات ثقة في أسلوب تدمير مدرعات العدو بواسطة الفرد ، وهو أسلوب تخصصت فيه معظم وحدات المشاة في الجيشين ، وهذا يتطلب شجاعة وثقة وتضحية وحسن تصرف .

وكان حساب درجات المعنويات مبنيًا أساسًا على الشعور بالعدل وحل المشاكل بين الأفراد ونظرات الاطمئنان والرضا في عيون الرجال وتصرفاتهم .

وكان اختبار الوحدات الفنية خاصة المهندسين منصبًا على معدات العبور وسرعة إقامتها واستخدامها بكفاءة ، وكذا تجارب فتح الثغرات بقوة اندفاع المياه في السواتر الترابية .

وأمكن في قطاع البلاح بالجيش الثاني اختبار اللواء ١٥ مدرع في عمليات عبور قناة السويس بالتوباز ، كاختبار ثقة وقد تم بنجاح .

ولما انتهت اللجنة من اختباراتها ومراجعة درجة الكفاءة القتالية والاستعداد ، عادت إلى القاهرة وقدمت تقريرها إلى القائد العام للقوات المسلحة الذي عكف على دراسته بعناية ، حتى يمكن معرفة نقاط الضعف الممكن تفاديها أو إصلاحها .

عودة إلى نتائج الجولات العربية الإسرائيلية الثلاث السابقة . . نجد أن القوات المسلحة العربية عقدت دراسة في أعقاب هزيمة ١٩٥٦ العسكرية ، إلا أنها لم تستفد من دروسها في مجال التطبيق العملي ، حيث كان ينبغي تغيير الوجوه الممسكة بزمام السلطة العسكرية كما فعلت إسرائيل المنتصرة التي غيرت قادتها وصانعي نصرها عام ١٩٥٦ بقادة جدد ، ولكننا في مصر تولى الأمور أهل الثقة بدلاً من أهل الكفاءة ، وكانت النتيجة الطبيعية أن تتكرر في عام ١٩٦٧ نفس الأخطاء العسكرية التي حدثت في عام ١٩٥٦ ، ولكننا في عام ١٩٧٣ حرصت القوات المسلحة المصرية على الدراسة والاستفادة من دروس الحروب السابقة ، والخروج بخبرات مستفادة مع ملاحظة التطور العسكري ، والإلمام بكل ما يملكه الخصم

ومعرفة استراتيجيته وتكتيكاته المزمع استخدامها وردود أفعاله المحتملة . وقد أفادتنا حرب الاستنزاف طيلة سنوات ثلاث في الحصول على معلومات عن العدو الإسرائيلي والقائد والجندي الذي سنحاربه ، وأسلوب حياته وتصرفاته وانضباطه وتدريبه وعقيدته ، وبالطبع أسلحته ومعداته وقدراتها . وحدث قتال متلاحم فعلي بين الجندي المصري والجندي الإسرائيلي وانهدم جدار الخوف القديم ونقلناه إلى الشرق ، حيث يتقوقع الجندى الإسرائيلي خلف الجدر والحصون وتحت الأرض . واتجهت القوات المسلحة المصرية أيضًا إلى وضع العنصر البشري على قمة أولويات اهتمامها لأهميته . ويعد ارتباط العنصر البشري بالعقيدة الإيمانية الصادقة مفتاح النصر في المعارك . وبالطبع يجب الاهتمام بموقف الضباط الأصاغر فهم جوهر الجيش ويجب توجيههم ومعرفة مشاكلهم وحلها وكذا أهمية اختيار ضباط صف متطوعين أكفاء ، ويمكن ترقيتهم إلى رتبة الضابط (كما يحدث في معظم جيوش العالم) وكانت هذه الأفكار تحت البحث لدعم العنصر البشري في القوات المسلحة المصرية .

وللحقيقة والتاريخ كانت أمام القيادة المصرية بعض عقبات مهمة ، تطلبت تفكيرًا علميًا متجردًا للتغلب عليها وأولى هذه العقبات أنه لابد من عبور المدرعات المصرية شرقًا بأسرع ما يمكن لتدعيم المشاة التي ستعبر القناة في الموجات الأولى ، ويتوقف هذا على سرعة تجريف الأرض بقوة المياه لتشق التراب وتفتح الثغرات في الجدر العالية التي أقامها الجيش الإسرائيلي لعرقلة عبور المدرعات . وأذكر أن المستشار السوفيتي لوزير الحربية ومعه المارشال جريتشكو اقترحا علينا استخدام قنبلة ذرية أو استخدام عدد كبير من الحوامات للعبور شرقًا !! ولكن القوات المسلحة صممت على استخدام قوة المياه في تحطيم هذه الجدر عملاً بقوله تعالى : ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ﴾ فصلت ٣٩ ، وعقبة أخرى وهي الأجهزة الإلكترونية والفنية التي ابتكرها المهندسون الإسرائيليون لغمر سطح القناة بالنيران عندما تبدأ المشاة في العبور ، وقد درست دراسة وافية وتم تحديدها ووضع الخطط الكفيلة بتدميرها قبل اشتعالها . . عملاً بقوله تعالى : ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ المائدة ٦٤

وكان لابد من الحصول على المفاجأة التامة للعدو وقد سار التخطيط لها بدقة وعناية وحذر وسرية تامة وخداع بحيث نأتي إليهم من حيث لم يحتسبوا حتى ينتشر الذعر والرعب في قلوبهم عملاً بقوله تعالى : ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ القصص ٦٦

وأثناء الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ . . تركز الاهتمام على تدريب الفرد على القيام بالواجبات التي يكلف بها في القتال ، فالفرد إذا قام بواجبه فإنه يساعد المجموعة على النصر . وخلف كل جندي مقاتل في الميدان وكل سلاح ومعده ومركبة أيًا كان نوعها في البر أو البحر أو الجو عشرات الجنود الآخرين يؤدون واجباتهم كل في تخصصه وبفنه وخبرته ؛ حتى يحافظوا على بقاء الجنود أحياء والسلاح والمعدة صالحة للعمل ، وهؤلاء كانوا موضع اهتمام القيادة العامة للقوات المسلحة في إعدادهم للقيام بعملهم بكفاءة ودقة وأمانة ومنهم الإداريون والفنيون وجند القلوب والعقول والقلم والفكر والأطباء في جميع التخصصات ، وبالطبع إعداد رجال الدين للدعوة إلى الحق والنور .

وحسب المثل القائل الجيوش تمشي على بطونها ، وبناء على تحليل إسرائيل لموضوع المسافة بين الضابط المصري والجندي فكان لابد من العمل على تقليل هذه المسافة بتحسين طعام الجنود والاهتمام به وقد تم هذا قبل معركة أكتوبر .

- وفي أول أكتوبر ١٩٧٣ تم تنسيق الخطة وتنظيم التعاون وأذن المؤذن بفجر جديد :

الله أكبر . . . . . الله أكبر . . . . . ، وغنت مصر . . . . . رمضان ربيع عمري .

الفصل الثانى

١٢٠ ساعة قبل المعركة

كوبري القبة في :

يوم أول اكتوبر ١٩٧٣ الموافق ٥ رمضان ١٣٩٣

الحضور

- الرئيس محمد أنور السادات - القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس جمهورية مصر العربية
- فريق أول أحمد إسماعيل علي - وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة
- فريق سعد الحسينى الشاذلي - رئيس أركان حرب القوات المسلحة
- فريق محمد علي فهمي - قائد قوات الدفاع الجوي
- فريق طيار محمد حسني مبارك - قائد القوات الجوية
- فريق فؤاد ذكري - قائد القوات البحرية
- لواء أ ح عبد المنعم محمد خليل - قائد المنطقة المركزية العسكرية
- لواء أ ح مصطفى الجمل - رئيس هيئة البحوث العسكرية
- لواء أ ح محمد عبد الغني الجمسي - رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة
- لواء أ ح أحمد منير عبد الرحيم - مدير إدارة شئون ضباط القوات المسلحة
- لواء أ ح محمد فائق البوريني - رئيس هيئة تدريب القوات المسلحة
- لواء أ ح سعد الدين مأمون - قائد الجيش الثاني الميداني
- لواء أ ح عبد المنعم واصل - قائد الجيش الثالث الميداني
- لواء أ ح محمد نوال سعيد - رئيس هيئة إمدادات وتموين القوات المسلحة
- لواء أ ح إسماعيل عبد العظيم - مساعد وزير الحربية
- لواء أ ح عمر جوهر - رئيس هيئة التنظيم والإدارة

- لواء أ ح كمال حسن علي	- مدير المدرعات
- لواء أ ح محمد فؤاد نصار	- مدير إدارة المخابرات الحربية
- لواء أ ح حسن الجريدلي	- أمين عام وزارة الحربية
- لواء أ ح محمد سعيد الماحي	- مدير المدفعية
- لواء أ ح م جمال الدين محمد علي	- مدير المهندسين
- لواء أ ح إبراهيم كامل	- قائد منطقة البحر الأحمر
- عميد أ ح نبيل شكري مصطفى شكري	- قائد قوات الصاعقة
- عميد أ ح محمود عبد الله	- قائد وحدات المظلات

الموضوع :

تقارير القادة والرؤساء بشكل عام ومدى استعداد القوات المسلحة لتنفيذ المهمة وأي صعوبات .

بدأ اللقاء الأخير قبل المعركة بحوالي ١٢٠ ساعة في قاعة الاجتماعات بالقيادة العامة للقوات المسلحة في كوبري القبة ، في ليلة من ليالي رمضان شهر القرآن والحب والحرب . . واستأذن الفريق أول أحمد إسماعيل من الرئيس السادات للحديث الأول ، وقال :

« الخطة حسب ما لدينا من إمكانيات والسيد الرئيس معنا في كل خطوة ، فالمعركة معركة مصر . . معركتنا جميعًا وسنعمل جميعًا ونبذل أقصى جهد لنا وشعارنا النصر أو الشهادة . . » ثم قال : « اقترح تنظيم الجلسة بتقارير القادة والرؤساء بشكل عام ، ومدى استعداد القوات لتنفيذ المهمة وأي صعوبات تذكر بصراحة مع أنفسنا مع بلدنا مع وطننا . »

وبدأت التقارير **بتقرير مدير المخابرات الحربية والاستطلاع** ، لواء فؤاد نصار :

« لقد نجحنا في الحشد حتى ٢٦ / ٩ ولكن ديان أعلن أن مصر وسوريا حشدت قواتها . . وقد تعين قائد جديد للقوات المدرعة في سيناء وعبأ العدو ١٠ لواءات في الشمال ، وأعلن الطوارئ في المنطقة الشمالية في الإذاعة ، وأخلى بعض مناطق في شمال إسرائيل . وقد انخفضت طلعات العدو الجوية لفترة للاستعداد . ولم يحرك إلى اليوم قوات برية أمام قواتنا ، أما سوريا فقد عزز في مواجهتها بلواء واحد .

ويصعب على العدو القيام بعملية إحباط برية حاليًا ، ولكنه سيقوم بعملية إحباط جوي وبمدفعيته بعيدة المدى خاصة في مرحلة العبور ، دون إدخال قوات رئيسية في مدى مدفعيتنا . . والمعركة الرئيسية ستكون شرق المضايق . . وسيحاول العدو تدمير قواتنا الجوية في الجو ، أو السيطرة على المطارات بعد الإقلاع أو يملأ الممرات بقنابل زمنية تمنع القوات الجوية من المعاونة صباحًا . .

لم يحرك حتى اليوم أي قوات غرب المضايق ، وقد أوقف العدو أعماله الهندسية على الجبهة بعد ٢٦ / ٩ / ١٩٧٣ ، وليس له نشاط كبير في جنوب سيناء .

تقرير رئيس هيئة العمليات :

- لا تغيير في خطة العمليات . تمت مرحلتا إعادة التجميع ، والثالثة ستتم على مراحل عدا لونا والتين والزيتون ستتحرك في أخر لحظة (أسماء رمزية لأسلحة مراقبة) .
- رفعت درجة استعداد القوات المسلحة على خطوات .
- تسير خطة الخداع الاستراتيجي والتعبوي بالتنسيق مع الخارجية والإعلام .
- تمت خطة الخداع العسكري بنجاح وجاري حاليًا مشروع تعبوي استراتيجي لاستدعاء الاحتياط وإلغاء الفرق التعليمية .
- لم نجر اتصالات مدنية حتى الآن .
- ستنزل الخطط تدريجيًا إلى الأفراد .
- لم يعلن توقيت الهجوم للآن .

تقرير قائد القوات الجوية :

- لا تعديل في الخطة .
- نسقت الضربة المركزة مع سوريا والضربة الثانية بعد ساعتين .

هنا أشار الرئيس السادات بالآتي :

« يجب استخدام الطيران مركزًا ، أما الجيوش فيجب أن تستخدم عناصر الدفاع الجوي وسيصل الكروتال الفرنسي قريبًا » .

تقرير قائد قوات الدفاع الجوي :

- جارى عمل الانتقالات لتوفير حماية تجميع القوات البرية في العملية الهجومية .

تقرير قائد القوات البحرية :

- لا تغيير عن الخطة .
- أخذت القوات مواقعها وبدأت الغواصات فعلاً في التحرك لتنفيذ مهمتها .

تقرير مدير المدفعية :

- المدفعية جاهزة لتنفيذ المخطط : ٤٠١٧ قطعة مدفعية

الجيش الثاني ١٥٤٠ الجيش الثالث ٦١١ قطعة

- تمهيد النيران ٤ قصفات منها واحدة كاذبة
- كثافة قطاعات الاختراق حتى ٧٧

وهنا علق السيد الرئيس السادات قائلاً

« اعملوا حسابكم المعركة طويلة ، ويجب الاقتصاد لتحقيق الهدف ، ويجب تحقيق الهدف »

تقرير مدير المهندسين :

- خطة التأمين الهندسي للقوات الجوية تم تأمينها (هنا رد الفريق حسني قائلاً « غير كافية »)
- تم استكمال إنشاءات الدفاع الجوي والمهم حاليًا الإصلاح وخطته وتحرك لواء للجبهة
- أعطيت القوات البرية كل الاهتمام وتمت التجهيزات الهندسية .
- المعركة معركة مهندسين وتبدأ بنا ، وهذا يحتم علينا الإسراع في فتح الساتر وتدبير مهمات الكباري .
- حياتنا هي حماية المعابر ويجب تركيز الدفاع الجوي لحمايتها .

هنا قال الفريق محمد علي فهمي :

« المعبر نقطة يصعب إصابتها إصابة مباشرة ، إلا بالقنابل المتقدمة والليزر ، وعمومًا نحن موفرين كل ما يمكن توفيره لحمايتها » .

ثم قال رئيس هيئة الإمدادات والتموين :

« الإمـداد وانتظام وصـولـه ، يحتاج إلى تركيز فـي التصنيـع ، وإمدادنا بمعدات عبور مهم جدًا » .

تقرير قائد الجيش الثالث الميداني :

- لا تغيير في المهمة والجميع متفهمين لها .
- حدث تغيير في التخطيط للواء ١٣٠ مشاة الأسطول ، وكذا استخدام كتائب الصاعقة .
- تم عمل مشروعات بجنود للواءات وهى قادرة على تنفيذ المهام .
- تم مراجعة الجيش وأعتقد أن النتيجة مرضية .
- تم التجهيز الهندسي المصاطب والمنطقة الابتدائية للهجوم .
- زود العدو الكمائن وداوريات الاستطلاع ونشاطه التدريبي الليلي .

تقرير قائد الجيش الثاني الميداني :

- تم إعـادة التجميـع عـدا بعـض وحـدات المهندســين ، التى ينتهي إعـادة تجميعها صبـاح ٤ أكتوبر .
- جاري إعادة التجميع الداخلي في ثلاث ليال تختصر إلى ليلتين .
- تم تدريب جميع القيادات واللواءات بكامل معداتها تمامًا كالحرب وحقق نجاحًا .
- لا تعديل في التخطيط الموضوع عدا الصاعقة .
- بإذن الله سنحقق المهمة .
- عملت نداء كشحن معنوي للقوات .
- أجبرت الناس عـلى استخدام جزء من التوبـاز سعت س ، يحمل أسلحـة مهمة ، وكذا عبور البلدوزر على عائمات ج س ب .

وهنا علق الرئيس السادات قائلاً :

« وصلتني معلومـات من مراسل عسكري لجورنال سويسري. ، ويتكـلم عن بور سعيد ورقبة الوزة (المنطقة ما بين القنطرة وبور فؤاد) وعمل عملية سياسية لبور سعيد وغيرها وأن

لنا نقطة في سيناء (يقصد موقع شرق بـور فؤاد) ، ويريد الإسرائيليون عمل شيء عليها . وأنا سعيد أننا سنضرب نقطة العدو شرق بور فؤاد ونستولي عليها » .

ورد اللواء *الجمسي* قائلاً :

« الجيش الـثاني فيه قوات أكـبر من مطلبـه !! » ولم يعلق أحد عـلى هذا **إلا *الرئيس السادات* قال :** « البحريـة مسئولة عن حـماية جنب الجيش الـثاني ، وبعد الاستـيلاء على القنطرة ونقطة العدو شرق بور فؤاد يجب حرمان العدو من أي تدخل » .

تقرير قائد منطقة *البحر الأحمر* :

- لا تغيير في المهمة .
- القوات جاهزة ومعنوياتها جيدة .

هنا أيضًا **علق *الرئيس السادات* قائلاً :**

« يجب أن تتوقع أن العدو سيعمل ألاعيب وغيرها . . »

تقرير قائد المنطقة المركزية *العسكرية* :

قبل أن يـلقي قائد المـنطقة المركـزية العسكـرية تقريره ، قـال مدير المخابرات الحـربية والاستطلاع : « يحتمل أن يقوم العدو بأعمال ضد الجبل الأحمر ومدينة نصر .

واستطاع العدو التأثير على البدو العرب في إسرائيل للتخريب .

وأحضر العدو دبابات روسية ت ٥٤ من المستولى عليها من قواتنا في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وربما يستخدمها للهجوم المضاد ، وهذا قد يحدث لخبطة في قواتنا لذا يجب تمييز الدبابات .

وقال *اللواء عبد المنعم* خليل :

والذي كان مكلفًا قبـل أقل من شهر بالمرور على قوات الجيش الثانـي والثالث لمراجعة موقف الاستعـداد للمعركة : « الحقيـقة إني متفائل بالـنصر والروح المعنوية لـقوات الجيش الثالث والثاني ، ووحداتي التي أرسلتها إلى الجيـوش عالية ، وستحقق قواتي التي أرسلتها النصر إن شاء الله .

سيتم الانتشار آخر ضوء يوم ٤ أكتوبر

القوات تستعد في محلاتها لأعمال التأمين أو الدفاع .

تم التنسيق مع لواء مدرع الحرس الجمهوري »

ثم علق الرئيس السادات قائلا :

« للعدو عملاء في كل المنطقة ويمكنه عمل أي شيء في الداخل ، القاهرة بها ٦ مليون وله عملاء في السفارات الأجنبية ومصريين ، ويجب تنسيق ذلك مع ممدوح سالم (وزير الداخلية) وعبد السلام توفيق (رئيس المخابرات العامة) ونصار (مدير المخابرات الحربية والاستطلاع) لإحكام ذلك مع المنطقة المركزية والشرطة العسكرية . .

حاولوا تغيير البيريه الأحمر وعمل أي شيء وكذا الخوذة . . »

تقرير قائد قوات الصاعقة :

بدأ العميد نبيل شكري تقريره بآية قرآنية

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ صدق الله العظيم [الصافات / ١٧٣]

وشرح خطة الصاعقة ، وقال إن قوات الصاعقة على استعداد تام وقد قاموا بمشروعات مشابهة للمهام المطلوبة والقوات جاهزة للتنفيذ .

ثم قال : « أرجوا وضع النقط التالية في الأهمية :

الإمداد التالي للوحدات في الداخل بأي وسيلة .

ورد عليه الفريق الشاذلي قائلاً : « نحن ملتزمين بالإمداد بعد ٤٨ ساعة »

التنظيم والإدارة :

- القوات حوالي ١٫١٢٠٫٠٠٠ بالضباط
- الاستكمال ٥ أضعاف عام ١٩٦٧
- ١٢ فرقة مشاة ومدرعة .
- نسبة الاستكمال حتى التعبئة من ٩٢ إلى ٩٨ ٪ ، وتصل إلى أكثر من ١١٢ ٪ لسد الخسائر .

الإمدادات والتموين :

- أوضاع القوات والقواعد الإدارية تسمح العملية بالكامل وتحمل ضربة العدو للإحباط .
- الاحتياطيات موزعة على أنساق وتضمن استمرار القتال .
- الحملة قادرة على الإمداد حتى مع تعرض السكة الحديد للضرب الجوي .
- تم عمل خطة فيما يختص بتعرض موارد الوقود .
- سيعمل العدو على عزل ميدان المعركة ويجب تأمين المعابر .
- في حالة التطوير يجب استعادة صلاحية الطرق بجهد مع المهندسين .
- أرى ضرب مصادر المياه والوقود في سيناء لحرمان العدو منها .

وانتهى بذلك تقارير القادة والرؤساء ، وعلق الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الجمهورية قائلاً :

تعليق الرئيس السادات على الخطة ودرجات الاستعداد :

« بعد العرض الكامل وبعد الشوط الطويل ٦ سنوات ألم ومرارة وجراح ، أتمنى أن تسمع مصر حديث اليوم . . وهو وحده كاف لإعادة الثقة ولم الجرح الأليم المهين . . الحمد لله . . جت اللحظة التي نستطيع فيها أن ننسى مرارة ما مضى ونفكر ونخطط لرد شرفنا ونقول للعالم إننا لم نمت وغير مستعدين للموت . . »

في كلامي مع القائد العام ألخص الموقف كالآتي :

هكذا استكمل الرئيس السادات تعليقه ، وقال : « إسرائيل بعد معركة ٦٧ وخاصة من وقت وقف إطلاق النيران من ٣ سنوات تريد أن تؤكد المفهوم ، أنها قوة لا يمكن لأحد تحديها ، وبذا يدور على أسلوب الاتفاق أو التسليم . وخصوصًا وصلت إلى مرحلة وضع اليد على الأرض زي بيوت الرهونات !!

نترك كل شيء وتمسك الاستراتيجية الأساسية لها ، وهي واضحة كاملاً **أن إسرائيل قوة لا قبل لأحد بها في المنطقة** عمليات عسكرية تفوق عسكري بمعاونة أمريكا ، وتؤكد نظريتها في الوجود **بالقوة تفرض ما تريده** وكان عام ١٩٦٧ وما حدث . . وهي تعتبر أن

المسألة مسألة وقت ، وبعد فترة قصيرة مصر ستركع لأنه ليس هناك سبيل آخر . . . مرارة من أقرب الناس ، ومرارة من داخلنا ، وكلنا نعرف أسباب هذه العوامل . .

واليوم نستعرض ما حدث معي في روسيا وأقرأ في عيونهم متى ستحاربوا وأكثر من هذا شعبكم هنا مع كل إيمانه بكم أمله مشفق ويهتز ، وهو يريد أن نبدأ المعركة غدًا ولكن يخشى أن يهتز كيانه . .

اليوم وإحنا قاعدين نكتب تاريخ مصر الحقيقي بكم أنتم . . وقبل هذا الاجتماع بدأ تمهيد طويل منذ توليت وقبله وأنا حريص على بدء معركتنا .

واليوم هل نحن أحياء أو أموات ببساطة أمام العالم غير معقول أن اليهود منتشرين على الجبهة ولا إزعاج لهم بترول . . مدن . . تحرك . . الحمد لله انتهت فترة الآلام والمرارة . .

أنا بأعد الساحة لكم دوليًا وعربيًا وداخليًا . .

دوليًا - مؤتمر القمة الأفريقي وعرفتم النتائج .

مجلس الأمن انعقد بناء على إلحاحي شخصيًا ، والكلام كله على فتح قناة السويس وخلاص . . واستخدمت أمريكا الفيتو وأخذنا ١٤ صوت من ١٥ . . . وهذا انتصار لنا .

- **أمريكا :** وشعرت أمريكا بالعزلة وحتى إسرائيل بدأت تنتقد هذا . .

  وتم كشف موقف أمريكا خصوصًا لأصدقائها العرب . .

- **مؤتمر عدم الانحياز :** تم مؤتمر عدم الانحياز وكان قوي أكثر من ٨٠ دولة والتيار جارف رائع بالنسبة للقضية والساحة العالمية جاهزة .

عربيًا:

أنا أعمل بالساحة العربية منذ سنة ، رغم السخافات التي حصلت ، واستطعنا أن نلم التمزق الموجود إلى قناعة سياسية أنه يجب ألا تستمر حالة اللا سلم واللا حرب . .

والسعودية : اشترت لنا حوامات تصل من نوفمبر ١٩٧٣

وسربي ميراج من يناير ١٩٧٤

وأعطت وديعة للوضع الاقتصادي .

الكويت تشتـري سرب F1 فيمـا بعد الميراج أو مـيراج ٥ والتفاوض سـائر تمامًا ، ويمكن تشتريه السعودية .

سوريا القائد العام قائد الجبهتين وسأخطرهم اليوم بكل شيء والتنسيق كامل .

وهكذا وصل الموقف العربي إلى أقصى ما يمـكن أن تصل إليه قبل بدء المعركة لا شيء نأخذه بعد هـذا من العرب ***الطاقة* وراس المال** والجميع منـتظرين ماذا سنفعـل ؟ هل نحن جادين أم لا ؟

ليس هناك أكثر من هذا ويجب أن أثبت أني قادر **هكذا أكد *السادات*** . . .

اما في *الداخل* :

فهي حالة اللا سلم واللا حرب لا تنظروا إلـى شيء والانفعال أمر طبيعي ، والمقصود الاستنزاف داخليًا . لابد من بـدء القتال هذه السنة وأنتم تعلمون باسـتمرار ونهيئ الميدان ، ولا نعمل شيء فلا نحصل على تأييد (هنا تذكرت ما قاله الرئيس السادات عندما زار جبهة القتال في الدفرزوار في أوائـل ١٩٦٩ عندما سأله أحد الضباط لماذا لا يستعـد الشعب للقتال بدل ما هو فيه من أغاني خليعة ركيكة فقال له حكاية الذئب والغنم !!) .

الاختبار والقرار :

قال *الرئيس السادات* :

« أشرف لنا ألف مرة أن نأخذ قـضيتنا في يدنا مهما كانت التـضحيات حتى لا نموت موتًا أكيدًا بالسكون ، ونقول للعالم نحن أحـياء ولن نموت ولنا قضية ، والعالم كله يعرف أنه في تاريـخ مصر ٧٠٠٠ سنة لم يـواجه حاكم أو البلد مـا نحن فيه من اخـتبار وقرار ، وهي مسئوليتنا جميعًا . . . أنا وأنتم والقوات المسلحة .

أحمد الله بعد هـذا الألم نصل إلى اللمسات الأخيـرة عما سنقوم به ، ويستـرد شعبنا ثقته في نفسه بكم وبالحركة . . »

***الهدف* :**

كسر *التحدي الإسرائيلي* بضرب *الفلسفة الاستراتيجية* الإسرائيلية ومخططات حكمها . .

المعركة طويلة وفي مصـلحتنا طولها ، فهو صراع أجيال ، وعلينا تسـليم المسئولية إلى من بعدنا بأمانة وشرف **واطلب منكم** :

- لا تفقدوا أعصابكم أو توازنكم .
- لا تتصرفوا بعصبية أو جنون لا سياسيًا ولا عسكريًا .
- وادخلوا المعركة ببرود وهدوء وإصرار على الهدف .
- على كل واحد فيكم تأدية واجبه ولا يخاف .

أنا أتحمل وراءكم المسئولية كاملة تاريخيا وماديا ومعنويا ، وأثق ثقة كاملة فيكم .

وعلى هذا الأساس تصرفوا واعملوا بكل ثقة واطمئنان وحرية ، وننجز مهمتنا إن شاء الله ، ونستعيد ثقتنا أمام العدو والصديق .

ثم أكد الرئيس السادات على الآتي :

- لن يذهب دور كل واحد منكم ويجب أن نكتب أدوارنا **بأمانة وشرف وتجرد .**
- ولن يتردد الشعب لحظة وراءكم .
- حافظوا على الغرض .
- احتفظوا بهدوءكم كاملاً مهما حدث .

ادعوا لكم بالتوفيق وأنا معكم في المعركة .

ثم اختتم هذا التعليق بالآتي :

إن شاء الله اجتماعنا المقبل بعد المعركة ، وندخل للمراحل التالية ، نغير الموقف ونزيح الكابوس الرهيب ونستعيد كل ما فقدناه .

ربنا يوفقكم

أنور السادات

أول أكتوبر ١٩٧٣

٥ رمضان ١٣٩٣

الفصل الثالث

خواطر محارب قديم عن الحروب العربية الإسرائيلية

امتد الصـراع المسلح بين العـرب وإسرائيل ، نحو ثـلث قرن من الزمان ، فـيما بين أول ديسمبر ١٩٤٧ ، عـندما بدأت الهاجاناه في تـنفيذ الخطة « دال » لاحتلال المنـاطق ذات الأهمية الحيوية بفلسطين ، بينما الانتداب البريطاني يتأهب للجلاء عنها ، وبين العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢ .

وقد وقعت خـلال تلك المدّة ست جولات مـتتالية ، كانـت الجـولة الأولـى أطـولها في الزمن ، إذ تجاوزت ١٦ شهـرًا كما كانت أكثرها فـي عدد المعارك والمصادمات التـي بلغت ٦٧ معركة أو مـناوشة كبيرة . وكانـت الجولة الثانية - حـرب العدوان الثلاثي - أكثـرها في عدد الأطراف المتحاربة ، بينـما كانت الجولة الثالثة فـي صيف عـام ١٩٦٧ أشدها حسمًا وأقصرها زمنًا ، أما الجولة الرابعة فـي خريف ١٩٧٣ وحرب الاستنزاف التي سبقتها . . فـكانتا أوسعها بالنسبة لمساحة المسرح التي دارت عليه .

وتجدر ملاحظة أن هذا الصـراع حفلت جولاته الست المتلاحقة بكـل أنواع القتال ، وشتى أشكال المناورات الميـدانية ، فكانت هناك المعركـة التي دار القتال فيها من الاتـصال القريب بين الخصوم ، والأخرى التي وقعت فـي شكل معركة تصادمية ، والثالثة التـي حدثت بالهجوم من العمق ، والرابعة التي دارت بالهجوم من الحركة ، فاكتمل للصراع نتيجة ذلك كل أنواع العمل التعرضي المعروفة لمعركة الأسلحة المشتركة المعاصرة .

وبالمقابل . . اتخذ الخصم موقف الدفاع بكل أنـواعه أيضًا ليواجه الهجمات سالفة الذكر ، فكانت هناك الدفـاعات الثابتة تارة ، والدفاعات المحصنة تارة أخـرى ، والدفاع المرن في بعض الأحيان ، والدفاع مع تـركيز الجهد الرئيسي في العمـق ، ثم الدفاع التعطيلي في مـواقف قتالية بعينها .

ولم يسلم سجل الحرب من أعقد أشكال المعارك وأبغضها إلى نفوس القادة والجنود ، سواء أكانت انسحابًا منظمًا ، أم ارتدادًا مشوبًا بالفوضى والغموض ، أم انهيارًا ضاعت بسببه الجيوش فلم تسلم منها إلا نسبة ضئيلة من الأفراد والأسلحة والمعدات ، التي استطاعت النجاة إلى بر الأمان .

وكان للمناورة حظ عظيم في المسرح ؛ إذ تم هجوم أحد الأطراف باختراق مواجهة خصمه حينًا ، وبالالتفاف القريب على أجنابه أحيانًا ، وبالتطويق الواسع بعض الوقت ، كما مارس الخصوم المناورة بالبعد الرابع والاقتحام الجوي الرأسي بالحوامات الذي ولد فوق مدينتي بور سعيد وبور فؤاد ، إبان الغزو الإنجلوفرنسي في خريف عام ١٩٥٦ ، وشبَّ عن الطوق في الجولة الثالثة ، ثم تفاقم أمره بعد ذلك فزاد عدد معاركه ، واتسع مجال عمله بصورة ملفتة للنظر .

وكما اختلف حجم القوات التي اصطرعت في المسرح ، اختلف عدد أفرادها وكثافة سلاحها وقوة تدميرها ، إذا لم يتجاوز إجمالي عدد الجيوش في الجولة الأولى ١٩٤٧ - ١٩٤٩ بضع آلاف ، كانت مسلحة بمئات المدافع وعشرات الدبابات العتيقة وبآحاد الطائرات والسفن التي عفى عليها الزمن ، فإذا بها في الجولة الرابعة - حرب رمضان المجيد - تناهز المليون جندي المدجج بأحدث الأسلحة ، وبآلاف المدافع والصواريخ والدبابات الحديثة ، وبمئات الطائرات والسفن التي كانت أخر صيحة في ترسانات الحرب الحديثة .

وكان من الطبيعي أن تتأثر نتيجة ذلك الكثافات التكتيكية في أرض المعارك ، والتعبوية في مسارح العمليات ، والاستراتيجية في الشرق الأوسط ، إذ زادت المعدلات إلى نسب لم تعهدها الحروب من قبل ، فارتفعت من مجرد ربع كتيبة في الكيلومتر المربع من المواجهة في الجولة الأولى ، إلى أكثر من كتيبة في الجولة الرابعة ، ومن نحو ٥ مدافع إلى أكثر من ٥٠ مدفع ، ومن دبابة أو اثنتين إلى عشر وعشرين دبابة في كل كيلومتر مربع من المواجهة .

وبعد أن كان أكثف قصف جوي استراتيجي لا يتجاوز الخمس طائرات التي لم تكن أي منها تحمل أكثر من ٤٠٠ كيلوجرامًا من القنابل البدائية ، إذ بها في الجولات الأخيرة تتجاوز المئات من الطائرات الفائقة التطور ، بما تحمله كل واحدة منها في جوفها من قنابل يزيد وزنها عن ٤٠٠٠ كيلوجرام ، فضلاً عن الصواريخ الموجهة بالليزر ، وبالتليفزيون ، وبالقصور الذاتي ، وبالأشعة تحت الحمراء ، وبركوب شعاع الرادار ، علاوة على مقذوفات النابالم ،

والقنابل الارتجاجية ، والانشطارية ، وأوعية الحرب الإلكترونية ، والإلكترونية المضادة ، وما يعرج إلى الفضاء من أجرام وأقمار صناعية .

وعلى حين كان بعض الطيارين يلقون قنابلهم بأيديهم من قمرة القيادة في الجولة الأولى ، صارت أجهزة الإطلاق والتوجيه في الجولات الأخيرة معجزة من معجزات العلم المتطور ، فصكت الأسماع للمرة الأولى تعبيرات Fire & Forget Missiles ، والقنبلة الذكية . The Smart Bomb ، وغير ذلك من المقذوفات التي لا تخطئ فريستها .

وبينما لم تتجاوز زنة ما القته المدافع والهاونات في أي فترة تجهيز نيراني خلال الجولة الأولى مجرد الخمسة أطنان أو العشرة ، إذ بها تتضاعف في الجولة الرابعة ألف مرة فتبلغ زنة ما ألقته المدفعية المصرية والهاونات والصواريخ الأرضية والمقاتلات القاذفة ، على امتداد ٥٣ دقيقة عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ الثلاثة آلاف طن بقرب بطن حصون بارليف . أما ما صبته على امتداد أيام الجولة الاثنين والعشرين فقد تجاوز ٢٥ ألف طن من المواد شديدة الانفجار ، فتساوت قوتها التدميرية مع قنبلة هيروشيما أو كانت أشد أثرًا .

وفيما يختص بطبيعة المسرح . . فقد اختلفت تضاريسه بين الرمال المتماسكة ، والأخرى الناعمة ، والصخور الجبرية والجلاميد البركانية ، والأراضي الزراعية والغابات الكثيفة ، والمستنقعات السبخية والأراضي التي يغطيها الجليد بعض العام .

أما مساحة المسرح الذي دار فوقه القتال بين الخصوم . . فلم تتجاوز في الجولة الأولى ١٠ آلاف كيلومتر مربع من أرض فلسطين ، وشريحة أرضية إضافية من سيناء الشرقية ، فكانت أقصى جبهاته بعدًا عن قلبه لا تتعدى المائة كيلومترًا . فلما انتهت الجولة الثالثة بالقوات الإسرائيلية ، عند قناة السويس ونهر الأردن وهضبة الجولان ، تضاعف المسرح في المساحة فجأة لأكثر من عشر مرات ، حتى أصبحت أدنى جبهاته إلى قلبه تبعد ما لا يقل عن ٢٥٠ كيلو مترًا عنه .

ثم تفاقم الحال بحرب الاستنزاف ، التي يعتبرها بعض المحللين العسكريين جولة قائمة بذاتها ، إذ امتد نشاط الطيران الإسرائيلي وقوات الكوماندوز إلى أقصى جنوب الصعيد بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ إلي مشارف بغداد ، ليدمر المفاعل العراقي أوزيراك ، وإلى عاصمة تونس ليغتال بعض زعماء فلسطين .

وانحصر القتال في المسرح البحري أول الأمر داخل المياه الإقليمية المتاخمة لسواحل سيناء وفلسطين ، ثم خرج إلى البحار والمحيطات حتى تجاوز في الجولة الرابعة باب المندب في أقصى جنوب البحر الأحمر .

وينفرد صراع العرب مع إسرائيل بتكرار جولاته في فواصل زمنية قصيرة نسبيًا [٨ (١ - ٢) - ١١ (٢ - ٣) - ٦ (٣ - ٤) - ٩ (٤ - لبنان سنوات](١) ، لا تدع مجالاً للاعتراض على صحة عقد المقارنات بينها ، أو جدية التحليلات المستنبطة من وفائها وإحصائياتها على زعم أن المواقف غير المواقف ، أو أن العصر غير العصر ، أو الخصوم غير الخصوم ، أو المسرح غير المسرح ، أو العتاد غير العتاد .

وحتى مذاهب القتال ونظرياته وأدواته كانت كلها متشابهة ، إذ لم يختلف منها بين جولتين متتاليتين بأكثر من جيل واحد من التطور أو التحسين ، على حين ظلت الغالبية على ما كانت عليه في الجولات السابقة ، بل وبنفس العتاد .

ولعل العامل الإنساني هو أبرز الأمثلة على ذلك .. فقد قام على تخطيط وإدارة هذا الصراع على امتداد ثلث القرن ، نفس الأشخاص الذين أثرت صفاتهم الموروثة والمكتسبة على مواقف القتال ومساراته ونتائجه ، وتأثرت بهم ماديًا وفكريًا ومعنويًا ، بدءًا بأيام المناوشات الأولى ضد بعضهم البعض وهم لا يزالون قادة فصائل أو سرايا في جولة ١٩٤٧ - ١٩٤٩ ، ومرورًا بحرب العدوان الثلاثي على مصر ، وقد أصبحوا قادة كتائب ، ثم قادة لواءات أو فرق في جولة صيف ١٩٦٧ ، فقادة جيوش أو قوات مسلحة في حرب رمضان المجيد ، فوزراء دفاع في جولة ١٩٨٢ ، بل ورؤساء وزراء ورؤساء جمهوريات أيضًا مثل هرتزوج ووايزمان ومحمد حسني مبارك وحافظ الأسد وغيرهم .

فهذا المشير أحمد إسماعيل علي قاد سرية في الجولة الأولى ، ولواءً في الثانية ، وعمل رئيسًا لأركان الجبهة في الثالثة ، ثم القائد العام الاتحادي لجيوش مصر وسوريا في الرابعة .

ومثله الفريق سعد الحسيني الشاذلي الذي قاد فصيلة في الأولى ، وكتيبة في الثانية ، وفرقة في الثالثة ، ثم رئيسًا لأركان القوات المسلحة المصرية في الرابعة .

أما اللواءات محمد سعد الدين مأمون وعبد المنعم محمد واصل وعبد المنعم محمد خليل فقد عمل كل منهم قائد فصيلة في الأولى ، وسرية في الثانية ، ولواء في الثالثة ، وجيش في الرابعة ، ثم تولى بعضهم منصب المحافظ والوزير بعد ذلك .

---

(١) ٨ سنوات ما بين الجولة الأولى والثانية ، ١١ سنة ما بين الجولة الثانية والثالثة ، ٦ سنوات ما بين الجولة الثالثة والرابعة ، ٩ سنوات ما بين الجولة الرابعة وحرب لبنان .

وعلى الطرف المضاد قاد الفريق موشيه ديان كتيبة في الأولى ، ثم أصبح رئيسًا للأركان في الثانية ، ووزيرًا للدفاع في الثالثة والرابعة . وسار الفريق حاييم بارليف والفريق دافيد اليعازر في درب الحياة الميدانية على نفس الخطوات ، ولكن بتؤدة أكثر من ديّان الذي احتضنه بن جوريون ، فكان كل من بارليف واليعازر قائد فصيلة في الجولة الأولى ، ولواء في الثانية ، وجبهة قتال في الثالثة ورئيسًا للأركان بعدها أو في الجولة الرابعة ، ثم تولى بارليف الوزارة بينما عزل اليعازر من منصبه لدوره الذي سبب الهزيمة لإسرائيل في المرحلة الافتتاحية من الجولة الرابعة .

أما العميد شمويل جونين فكان قائد فصيلة في الجولة الأولى ، وسرية عام ١٩٥٦ ، واللواء ٧ المدرع ضمن مجموعة عمليات إسرائيل التي اجتاحت دفاعات رفح على ١٩٦٧ ، ثم قائد جبهة سيناء على ١٩٧٣ التي عزل فيها من منصبه لما ارتكبه من أخطاء أثناء المرحلة الافتتاحية لتلك الجولة .

وينطبق نفس الأمر على كوادر ضباط الصف من المقاتلين والعاملين في الشؤون التقنية والإلكترونية والفنية من العرب والإسرائيليين ، إذ نجد أن من كان يبلغ من العمر ٤٥ سنة عام ١٩٧٣ قد حارب في كل ما سبق من جولات ، بينما اشترك من كان يبلغ الخامسة والثلاثين في الجولات الثلاث الأخيرة فقط ، أما من كان عمره ٢٥ عامًا فلم يشترك إلا في الجولتين الثالثة والرابعة . وما من شك في أن أداء المخضرمين منهم قد ترك بصماته على مضمون القتال سلبًا وإيجابًا .

ولما كانت أطراف القتال جميعها غير منتجة لأغلب أسلحته وذخائره ، وخصوصًا المتطور منها . . فقد صار اعتمادها شبه الكامل على ترسانات العالم ، فتزود العرب بادئ ذي بدء - وبعناء شديد - من ترسانات الغرب الضنينة عليهم ، والتي ظلت تحتكر عملية تزويدهم به حتى كسرته مصر بصفقة السلاح التشيكي عام ١٩٥٥ ، ذات الأبعاد السياسية الواسعة والتي راحت بعض الدول العربية تحصل بعدها على حاجتها من الكتلة الشرقية لفترة طويلة من الزمن ، قبل أن تستأنف تنويع المصدر حيث تجد الأفضل .

وفعلت إسرائيل نقيض ذلك تمامًا إذ بدأت بترسانة الشرق مركزة على السلاح التشيكي الذي أمدتها به مؤسسة سبرويوفكا - برونو Sproyovka - Brono عن طريق عميلها الصهيوني سمسار السلاح العالمي نحميا أرجوف ، فحصلت إسرائيل على غالبية الأسلحة

والذخائر التي قاتلت بها العرب في الجولة الأولى ، ثم راحت بعدها تغير المصدر ، فتنقلت بين ترسانات فرنسا عام ١٩٥٦ ، ثم ألمانيا الغربية عام ١٩٦٧ ، حتى استقرت ولا تزال على ترسانة الولايات المتحدة التي احتكرت تزويدها بالسلاح الحديث ، قبل أن ينزل السوق أو تسمح به لحلفائها الغربيين ، وذلك بهدف أن تضمن لإسرائيل التفوق النوعي الواسع على ما بحوزة العرب ، وتسبقهم بجيل واحد من السلاح على الأقل وبشكل دائم .

وكان من الطبيعي أن تنتهز تلك الترسانات الفرصة ، فتعتبر حلبة الصراع العربي الإسرائيلي حقلاً للتجارب الميدانية بما تنتجه من أسلحة وذخائر ، بغية تطويرها وتعديل الإنتاج ليصبح أكثر ملاءمة للظروف والمؤثرات الفعلية في أرض المعركة ، وذلك على نحو ما اعتمدت المدارس العسكرية المعاصرة على معاركه المتتالية ، لتصقل مذاهب الحرب وأساليب القتال في معارك الأسلحة المشتركة المدينة من واقع التجربة الميدانية الحقيقية وخبرات الحروب .

وخدمت هؤلاء وأولئك الوقفات التعبوية والهدنات التي فصلت بين العمليات الحربية ، وتلك الوقفات الاستراتيجية التي فصلت بين الجولات نفسها ؛ إذ كانت مناسبة تمامًا من حيث المدة الزمنية لإتمام الدراسات وإجراء التعديلات والتطويرات المستمرة من تلك الدراسات ، فلم تكن الوقفات قصيرة بما يجبر تلك الدراسات على السرعة فتخرج سطحية أو قاصرة ، كما لم تكن طويلة حتى يعفو عليها الزمان ، أو يعترض معترض أنها قد استنفذت أغراضها قبل أن تتاح لها فرصة التجربة الميدانية إثبات ذاتها تحت النار .

ولهذا تابع العالم أجمع وباهتمام لا مزيد عليه نتائج وخلاصات ثروات البحث العلمي ودراسات خبراء الحرب ، وما وصلوا إليه من نتائج ضمتها آلاف الكتب والمراجع بكافة اللغات وعلى امتداد قارات المعمورة .

ولعل أبرز الفوائد التي طرحها تكرار الجولات العربية الإسرائيلية ، على العلم العسكري وفق الحرب ، أنها صممت في الجولات التالية بعض الجنوح إلى الخطأ في السابقة نتيجة بريق النصر الكبير الذي تعجله البعض ، فعزوه إلى هذا السلاح أو ذاك على نحو ما حدث للطائرة في دورها الحاسم الذي بهر الدنيا بضربتها الجوية الشاملة المفاجئة مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ في الجولة الثانية ، ثم بصورة أشد إبهارًا صباح الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ في الجولة الثالثة بما دفع البعض إلى أن يبشر بظهور السلاح الحاسم الذي يملك زمام النصر في المعارك المقبلة ، والذي يغني عن سائر الأسلحة أو أغلبها !

ولهذا . . فلم تكد نيران الجولة الثالثة تخبو في المسرح ، حتى خرجت بعض المراجع تبشر بعملاق فريد لا يستطيع أن يقف في طريقه أحد ، وهو الطائرة التي تسيدت المسرح حتى كادت أن تغني عما عداها . ولم تطل بتلك الدعوة المغرقة في الخطأ الزمن حتى وقعت في الجولة الرابعة فإذا بهذا العملاق يتضاءل في الحجم ، حتى يصبح قزمًا لا يستطيع الاقتراب من غابة صواريخ الدفاع الجوي المصرية التي أجبرته على الابتعاد عن أرض المعركة ، بما لا يقل عن ١٥ كيلومترًا حتى لا يتعرض للهلاك المحقق .

هذا عن الطائرة – ذراع إسرائيل الطويلة – أما عن الدبابة – قوة الصدمة في معاركها البرية – فقد تعددت أدوارها في خوض المعارك ، واختلفت مهامها فيها بين تحقيق التعاون الوثيق مع تشكيلات المشاة القائمة بالدور الرئيسي في اختراق هيكل العدو الدفاعي ، وبين قيام الدبابة نفسها بالدور الرئيسي بالاندفاع الجسور مستغلة قوة الصدمة الذاتية ، التي هي أهم عناصر القتال الخفيف الحركة (الحرب الخاطفة) لتقتحم الدفاعات المجهزة على عجل ، أو تطور الهجوم الناجح في عمق دفاعات العدو ، أو تلتف حول الأجناب المكشوفة ، أو تطوق الدفاعات لتهز الاتزان الاستراتيجي أو التعبوي في المسرح بالقبض على بعض الهيئات الحيوية في عمقه القريب أو البعيد ، فتقوض نظامه الدفاعي ، وتفصل بين الجبهة ومؤخرة الدولة مثلما حدث فوق مضايق سيناء الغربية في الجولتين الثانية والثالثة ؛ حيث فقدت القوات البرية المصرية في الأخيرة ما يناهز ٨٠ ٪ من عتادها ، وسقطت نسبة عزيزة من شهدائها .

وكثيرًا ما عملت الدبابة في نسق كانت المشاة الميكانيكية أو حتى المشاة المترجلة هي النسبة السائدة فيه ، كما عملت كثيرًا في أنساق كانت الدبابة هي التي تشكل النسبة السائدة فيها ، وذلك طبقًا لطبيعة الأرض ودرجة صلابة الدفاعات ، وحالة الموقف الجوي الذي كان في بعض الأحيان يوفر لها التفوق الجوي فوق جزء من المسرح لجزء من النهار . أو السيطرة الجوية فوق جزء من المسرح أغلب الوقت ، أو السيادة الجوية فوق كل المسرح كل الوقت ، على نحو ما أحرزته الطائرات الإسرائيلية في الجولة الثالثة بمفردها ، ومن قبل ذلك في الجولة الثانية بفضل ما قامت به نيابة عنها طائرات الكانبرا البريطانية والمستير الفرنسية .

وهنا ، وللمرة الثانية ، يكشف تكرار الجولات عن زيف الاستنتاجات التي تعجل بعض الخبراء بالقفز إليها قبل استبيان مختلف الحقائق والعوامل المؤثرة ، عندما راحوا يضخمون من دور الدبابة في مسرح الحرب الحديثة ، حتى طالب بعض كبار قادة إسرائيل بأن يكون الاعتماد الأوحد عليها في قواتهم البرية .

وعندما دفعــوا بها صباح الاثنين الأسود ٨ أكــتوبر ١٩٧٣ لترد القوات المصــرية من حيث أتت ، وتحطم عظامها فــي قاع القناة ، برز لها جنود مصر المسلحــون بالمدافع والقواذف المضادة للدبابات فقــهروها حتى عاد غلاة المنادين بهــا لتكون سلاح القوات البرية الأحــسم ، يعترفون بالدور العظيم للرجل ضد الدبابة .

والواقع أن الفريــق سعد الحسيني الشاذلــي كان قد وعى الدرس جيدًا من الجولــة الثالثة ، وهو يرسم خــططه للجولة الــرابعة ، عندما استــغل حماية غابة الــصواريخ للقوة التــي جهزها لاقتحام القنــاة واجتياح حصون بارليف ، ليوفر لــها ظروف العمل المتكافئ بعــيدًا عن تأثيرات التفوق الجوي الإسرائيلــي المعاكسة ، ثم اكتفى بوصولها إلى مســافة ٨ - ١٠ كيلومترات شرق القناة لــتظل تحت وقاية غابة الــصواريخ في نفس مواقعــها ، مع تزويد الوحدات والتــشكيلات المقاتلة بنسبة مضاعــفة من الأسلحة المضادة للدبابات ؛ لتتحطم عليهــا هجمات تشكيلات العدو المدرعة وضرباتها المعاكسة .

إن تلك الفكرة الصائبة كان قد سبقه إليها الفيلد مارشال مونتجمري في العلمين في أكتوبر - نوفمبر ١٩٤٢ ، عندما أمــر مدرعاته بالانتشار على الحافة الخارجيــة لرأس الجسر الذي احتله من دفاعات روميل ، ثم التوقف هناك حتى يطلق رومــيل مدرعاته في الهجوم المضاد المعهود منه فيصير تحطيمها بالأسلحة المــضادة وبالدبابات التي تعمل من مواقع Hull down ، فلما أنجزت تلك المهمة بــنجاح ، أطلقها مونتجري غربًا وهــو يتمنى لها صيدًا طيبًا علــى نحو ما ذكره في كتابه عن سيرته الذاتية .

بهذا الاستخدام المبتكــر للسلاح المضاد للدبابات في مواجهة التشــكيلات المدرعة ، اكتسب المدفع - وهو سلاح دفاعي محصن - قوة هجومية ذات تأثير فعال بضرر ما حُرِمَ سلاح هجومي - الدبابة - من بعض قوته الهجومية ، على نحو ما أثبتته مواقف القتال في حرب رمضان المجيد على جبهة القتال في يومين بارزين من سجلها القتالي :

يوم الإثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣ عندما تحطم الهجوم المدرع للجنرال أبراهام آدان ، على صخرة الدفاع المضاد للدبابات على مسافة ١٠ كيلومترات شرق قناة السويس .

يوم الأحد ١٤ أكتــوبر ١٩٧٣ عندما تحطمــت المفارز الخمس المصــرية التي انطلقــت بمهمة تطوير الهجوم إلى مضــايق سيناء الغربية على صخرة الدفاع المضاد لــلدبابات وقذائف الطائرات الإسرائيليــة التي وجدت في الدبابات المصريــة صيدًا سهلاً ، بعد أن خرجت عــن مدى حماية

غابة الصواريخ غـرب القناة ، ولم تكف كتائب الدفاع الجـوي القليلة التي صاحبتهـا لتوفر لها الحماية المطلوبة .

فأما الموقف الأول . . فقد بـدأ بوصول الفريق دافيد اليعازر إلى مركز قـيادة اللواء شموييل جونين قائد جبهة سيناء مساء ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، يرافقه الفريق إسحق رابين ليعتمد خطة الهجوم المضاد العام ، ويحدد المهام للواءات آدان وشارون وماندلـر التي بدأوا في تنفيذها فجر يوم ٨ ، وقد شرح العقيد عساف ياجوري تفصيلات ذلك في جريدة معاريف يوم ٧ فبراير ١٩٧٥ قائلاً : « إن خيبـة الأمل التي أصابت كـل من عاش وسط أحداث ذلـك اليوم الأسود ، لن تنـمحي ذكراها من الأذهان . لقد حطم المصريون هجومنا المضاد ، وأصبح هذا اليوم هو يوم الدم والألم وخيبة الأمل عندما انقلبت الدنيا رأسًا على عقب بمجرد أن بدأنا الهجوم ، إذ كان المصريون في انتظارنا ، وما أن دخلت دباباتنا في مرمى أسلحتـهم المضادة للدبابات حتى انطلق الجحيم الذي ذابت داخل أتونـه دباباتنا ، وظهـر جليًا أن المهمة الـتي أوكلت إلينـا لم تكن تناسـب الواقع الفعلي في الميدان » .

وأما اللواء أرييل شارون فـيذهب إلى أبعد مما قاله عساف ياجوري ، إذ يـقرر في الصفحة ٣٩٦ من كتابه عن الجولـة الرابعة : « إن جنود مصر الذين واجهونـا في ذلك اليوم كانوا أول مشاة في الـعصر الحديث ينجحـون في صب النيران القـاتلة التي أذابت هجوم مـدرعاتنا وردّت القليل الذي نجـا منها على أعقابه . لقد كان الـثامن من أكتوبر كارثة حقيقـية وكابوسًا لرجال الدبابات إذ لم يكتف المـصريون بصد لواءاتنا المدرعة ، بل أصروا على نتـف ريشها . والحقيقة أن محنة ٨ أكـتوبر أغرقت القيادة العـليا للجيش فـي حالة مـن الذهول ، حتى إنـها لم تعد تدري ما ينبغي فـعله » .

ويمضـي شارون في القـول . وفي ١٢ أكتوبـر أوصى دافيـد أليعازر بـوقف النار بـعد أن وصلت القوات الإسرائيلية المحاربة إلى حالة حرجة ، ولكن كيسنجر اعتبر أن وقف النار عندئذ سوف يضع إسرائيل والولايات المتحدة في موقـف ضعف على طاولة المفاوضات . لذلك طالب كيسنجر السيدة مائير أن ترفض الحكومة الإسرائيلية طلب وقف النار ليتاح لجيش إسرائيل تحسين موقفه . وفي أثـناء اجتماع مجلس الوزراء مـساء ١٢ أكتوبر . . أعلن ديان أنـه إذا كان الفريق أليعازر يوصي بوقف النيران فليس هناك سبب لتدخل كيسنجر في قرار الحكومة . وغرق مجلس الوزراء في بلبـلة عميقة جعلـته يقبل توصية ألـيعازر ، إلا أن المصريين رفضوا الـعرض وتلقت

فرقتاهمـا الرابعة والحادية والعشـرين المدرعتان الأمر بتطـوير الهجوم فتحول المـوقف في المسرح لصالحنا » .

لقد دفعـت المدرعات الإسرائيلـية ثمنًا باهظًا ، نـتيجة الغرور الـذي أصابها بنصـر صيف ١٩٦٧ ، وكان حجم هزيمة ٨ أكتوبر من الشدة بما جعـل ديان يعترف إلى رئيسة الوزراء فيقول لها . . « جـولدا . . لقد أخطأت فـي كل شيء ، ولم يبـق أمام إسرائيل إلا الانسـحاب إلى المضايق » .

والدارس لمعارك الجـولات السابقة سوف يصـادف موقفًا مشابهًا لهـذا الموقف ، وإن حدث على امـتداد خمسة أيـام وليس يومًا واحدًا ، هـي الأيام من الإثنـين ٢٩ أكتوبر إلى الجـمعة ٢ نـوفمبر ١٩٥٦ ، عـندما فشـل اللواءان ٧ ، ٣٧ المدرعـان واللواءان ٤ و١٠ المشاة في اجـتياح دفاعات أبو عجيلـه من المواجهة أو الجنب أو المؤخرة ، حتى اضطر مـوشيه ديان رئيس الأركان العامة وقتها أن يعزل العقيد شـمويل جودير قائد اللواء ١٠ المشاة ، ثم يـقول في كتابه يوميات معركة سيناء : « لقـد كانت أبو عجيلة المكان الذي حارب فيه المصريـون علـى أفضل وجـه ، بينما حارب الإسرائيليون علـى أسوأ صـورة » .

والواقع إن فشل المدرعات الإسرائـيلية في الموقفين كان لنفس السبـب ، وإن اختلف مصير قادتها حيـث أسر العقيد عساف يـاجوري ظهر الثامن من أكـتوبر ١٩٧٣ ، بينما عزل الـعقيد شمويل جودير عصر ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ .

وحقيقة الأمـر أن الخطأ في الحالتين كان واحـدًا ، وهو أسلوب استخدام الدبـابة ، وليس عيبًا فـي الدبابة نفـسها التي لا تـقدر على اختراق الـدفاعات المزودة بالأسـلحة القويـة المضادة للدبـابات . . فتلـك مهمة المشـاة التي تقـدر على تطـهير الأوكار وتفـتيش الأرض واحتـلالها والتشبث بـها وكلها مهام لا تصـلح لها الدبابات ، وهو نـفس ما حرصت عليه خـطة الهجوم المصرية عصر الـسادس من أكتوبر في مرحلتهـا الأولى ، فأحرزت بفضلها ذلك النـصر العظيم الذي قال عنه شيخ المؤرخـين العسكريين الكولـونيل الأمريكـي تريفور دي بوي فـي كتابه الذي أسماه « النصـر المـراوغ » من الصفحة ٣٩٣ : « إن المهارة التي أبداها المخـططون المصريون في العملية بدر ، لايستطيع أي جيش آخر في العالم أن يأتي بأفضل منها » .

إلا أن هــذا النجاح العظـيم سرعان ما تـبدد صباح ١٤ أكتـوبر ، عندما تبـادل الخصوم الأدوار ، فنجحت إسـرائيل في تحطيم الهجـوم المصري الذي خرج عن حماية غـابة الصواريخ

المضادة للطائرات لتنقض عليه طائرات إسرائيل بقذائفها التي لا تخطئ الهدف ، بينما المدافع والقواذف الإسرائيلية المضادة للدبابات تحصد الدبابات والمجنزرات المصرية ، وتجبر ما بقي منها سليمًا على سرعة العودة من حيث أتت .

لقد تحركت مفارز التطوير المصرية الخمس نحو المضايق في الصباح ، لتلقى نفس مصير المفارز الإسرائيلية الخمس التي تحركت صباح ٨ أكتوبر ، وعادت مساء كما عادت مساء بعد أن تكبدت خسائر جسيمة وسالت دماء غزيرة . . . نفس الخطأ . . . ونفس النتيجة التي اعترض عليها كل من سعد الشاذلي وسعد مأمون وعبد المنعم واصل بغاية الشدة دون جدوى . وإذا كان أغلب فلاسفة الحرب ينفرون من كلمتي « لو » و « ربما » إلا أنه لا مفر من أن نقول إن الموقف السياسي والعسكري المصري كان في يوم ١٢ أكتوبر يدعو إلى أن تقبل مصر عرض وقف إطلاق النار ، ولو فعلت لتغيرت نتيجة حرب رمضان المجيد ، وحققت للعرب مكاسب سياسية أفضل مما حققته بعد حصار الجيش الثالث ، وما أبدته إسرائيل من عودة إلى الصلف والتعنت وانتزاع المكاسب بأكثر مما حققته على أرض الواقع من نجاحات .

تبقى كلمة عن ركائز القوة في المذهب العسكري الإسرائيلي ، كما كشفت عنها الممارسات الميدانية على امتداد الجولات العربية الإسرائيلية الأربع :

فالقوات المسلحة الإسرائيلية تعتنق مبدأ العمل التعرضي والبدء بالهجوم الذي حقق لها انتصارات كثيرة في أغلب ما خاضته من جولات ، بفضل نجاحها في فرض المعركة من اختيارها مكانًا ووقتًا وزمانًا وظرفًا ، مع توريط العدو في قتال تحت ظروف غير مواتية له أو شديدة الخطر عليه ، مثلما واجهته مصر إبان العدوان الثلاثي عليها عام ١٩٥٦ .

والقوات المسلحة الإسرائيلية تعتنق مبدأ سرعة نقل المعركة إلى أرض العدو وقد طبقته في كافة جولاتها مع العرب ، وجنت منه مكاسب ضخمة في كل مرة ، على نحو ما تحقق لها في النصف الثاني من حرب رمضان المجيد .

والقوات المسلحة الإسرائيلية تعتنق مبدأ انتزاع السيطرة الجوية على سماء المسرح ، وقد حققته في كافة جولاتها مع العرب فيما عدا المرحلة الأولى من الجولة الأولى عام ١٩٤٨ ، والمرحلة الأولى من الجولة الرابعة عام ١٩٧٣ .

والقوات المسلحة الإسرائيلية إذ تفرق في النظرة الاستراتيجية إلى جبهات الطوق العربي . . فإنها تعتبر جبهة سيناء أقواها ، وضفة الأردن أخطرها ، وهضبة الجولان أشدها عداء ،

فإنها كذلك تعتنق حيالها جميعاً مبدأ العمل من خطوط داخلية لتهزمها فرادى ، ثم تستقضي منها ثمن الهزيمة مجتمعين .

وإذا كانت قد احتاجت في ممارسة مبدأ العمل من خطوط داخلية إلى أن تلتمس الهدنات في الجولة الأولى ، حتى تنقل جهدها الرئيسي من جبهة لأخرى . . فإن ما وفرته لقواتها البرية من ميكنة عالية وتدريب راقٍ على الحرب الخاطفة من ذلك قد يسر لها أن تمارس هذا المبدأ في الجولات التالية ، دون الحاجة إلى التماس أو قبول الهدنات ، لتنقل تلك الجهود خلالها من جبهة إلى الأخرى .

وما من شك أن ما ساعدها على الاستمرار في ممارسة هذا المبدأ بنجاح ، وهو ما ظل عليه العمل العسكري العربي المشترك من جمود وشلل فيما عدا الساعات الأولى من حرب رمضان المجيد ، عندما شنت مصر وسوريا هجومهما المنسق في نفس اللحظة فواجهت إسرائيل لأول مرة بمبدأ العمل من خطوط خارجية بما أوقعها في حيرة شديدة وخطر داهم أطلق عليه الإسرائيليون اسم « الزلزال » .

وكانت أبرز ممارسات إسرائيل لمبدأ العمل من خطوط خارجية خلال الجولة الثالثة في صيف ١٩٦٧ ، عندما كانت الهجمات السريعة المتتالية لكل من جبهة مصر فجبهة الأردن فجبهة سوريا على التعاقب .

لقد ركزت الأركان العامة الإسرائيلية أغلب جهودها الهجومية في جولة صيف ١٩٦٧ ضد جبهة مصر فيما بين الساعة ٨٤٥ . يوم ٥ يونيو ، عندما بدأت الضربة الجوية الشاملة المفاجئة ، والساعة ١٩٠٠ يوم ٩ يونيو عندما توقفت النيران بوصول القوات البرية الإسرائيلية إلى الضفة الشرقية لقناة السويس ، بعد أن أتمت احتلال كل سيناء فيما لم يتجاوز ٩٥ ساعة زمن فقط .

وفي الساعة ١١١٥ من نفس يوم ٥ يونيو . . بدأ الهجوم على الضفة الغربية بقوات المنطقة العسكرية الإسرائيلية الوسطى قيادة اللواء عوزي نركيس ، وبنصف قوات المنطقة الشمالية قيادة اللواء دافيد اليعازر ، وخلال ٥٠ ساعة كانت الضفة قد وقعت في يد اللوائين ، فتوقفت النيران بوصول قواتهما عند نهر الأردن في الساعة ١٤٠٠ يوم ٧ يونيو .

وبعد وقفة تعبوية لمدة ٣٩٫٥ ساعة ، استغلها اللواء اليعازر في نقل قواته التي هاجمت ضفة الأردن لتشارك في هجومه على الجولان . . بدأ اجتياح الهضبة في الساعة ١٩٠٠ يوم ٩ يونيو فأتم احتلالها في ٣١ ساعة زمن ، عندما توقفت النيران في الساعة ١٨٣٠ يوم

١٠ يونيو ١٩٦٧ ؛ بما يعني أن العملية الهجومية الإسرائيلية الخاطفة التي خططها الفريق إسحق رابين ، وأطلق عليها الاسم الرمزي « الملاءة الحمراء » لم تستغرق في دحر أربع جيوش عربية ، واحتلال ما يزيد عن ثلاثة أمثال مساحة إسرائيل من الأراضي العربية إلا ما هو أقل من ١٣٠ ساعة بقليل . (اللوحة رقم ١) .

وبفضل الترابط الوثيق بين المؤسسات السياسية والدبلوماسية وبين المؤسسات العسكرية والإعلامية . . جاء تحقيق التعاون بينها لحصول على الأهداف المنشودة من الحرب ، والمحافظة على أغلبها خلال المفاوضات التي تتلوها أقرب ما يكون إلى ما كانت تنشده إسرائيل في كل جولة ، فيما عدا الجولة الثانية في خريف ١٩٥٦ عندما أجبرت على التنازل عن أغلب المكاسب بعد افتضاح تواطؤها المعيب مع البريطانيين والفرنسيين ، ذلك التواطؤ الذي أثار عليها ضمير العالم أجمع ، ودفع الجمعية العمومية للأمم المتحدة إلى عقد جلساتها من أجل السلام لأول مرة حتى لا يؤثر على قراراتها حق الفيتو الفرنسي أو البريطاني ، ثم لتصدر قرارها لإسرائيل بالانسحاب الكامل من سيناء ، وللقوات الإنجلو فرنسية بالجلاء التام عن بور سعيد .

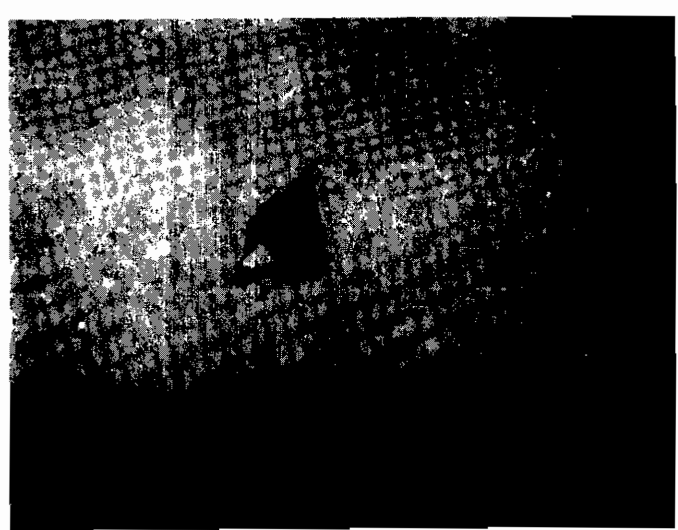
وفي الختام . . فإن سجل الصراع العربي الإسرائيلي جدير بما يحتويه من خبرات ودروس سياسية ودبلوماسية ، واقتصادية ، وإعلامية ، وعسكرية ، ومعنوية أن يكون مادة إجبارية من مواد التثقيف العام في كل مؤسسة من تلك المؤسسات سالفة الذكر ، وأن يكون موضع المحاضرات والدراسات وحلقات البحث والندوات العلمية على مدى الشهور والسنين ، لا سيما وأنه إذا كان الصراع العسكري قد احتجب اليوم . . فإن الصراعات الأخرى سوف تستمر ، بل قد تحتدم بما يجعل متابعة أحداثها ودراسة سجلاتها الماضية مهمة وطنية من الطراز الأول .

ولن يفيد العرب أن يعمدوا إلى التغافل عن حقيقة أن إسرائيل كانت الأكثر إنجازًا والأقدر على دفع الأمور ، بما يخدم مصالحها بالدرجة الأولى ، فكانت نتيجة لذلك الأكثر قطفًا للثمار . . ولن يجدي العرب أيضًا أن يفعلوا كمثل ما سبق للملكة فيكتوريا أن فعلته ، عندما تعرض أحد سفرائها للإهانة من وزير بدولة باراجواي . . فلما أمرت قائد أساطيلها بالتوجه إلى تلك الدولة لتأديبها ، أخبرها أنها لا تملك سواحل على البحر ، فما كان منها إلا أن طلبت مقصًا قطعت به شريحة باراجواي من الخريطة ، ثم واجهت مجلس البلاط وعلى وجهها ابتسامة عريضة من التشفي قائلة : « أيها السادة ، لقد أنهيت المشكلة ، ولم يعد هناك ما يدعى باراجواي » .

إن إسرائيل قد فرضتها الدول العظمى والكبرى في قلب الوطن العربي ، ثم ساندتها بكل عون حتى شبت عن الطرق ، ودخلت معترك الحياة بكل ثقلها في منطقة الشرق الأوسط وفي الخلية الدولية ، وليس أمام العرب إلا أن يضاعفوا جهودهم الفكرية والعلمية والثقافية والعملية ليحققوا المزيد من الالتزام بالأساليب الصحيحة في معالجة المشكلات ، ويلتزموا بالطرق المعتمدة لإنضاج القرارات وليس الأسلوب القبلي أو العشوائي المعتمد على الإلهام الفردي ، الذي كثيراً ما أودى بالمصلحة العربية ، وضيَّع الحقوق وكشف عن تخلف الفكر وضحالته .

إن القرار السياسي بدخول حرب ١٩٤٨ كان خطأ انفرد به شخص واحد في غفلة عن مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية ، وكذلك قرار تصعيد الأمور في الجولة الثالثة ، ثم قرار التطوير في منتصف الجولة الرابعة ، الذي فتح الأبواب أمام الجحافل الإسرائيلية للعبور إلى الضفة الإفريقية ، وتنقلب الموازين السياسية والاستراتيجية رأسًا على عقب .

وتتمثل قمة المأساة في تلك القرارات الفردية ، وعلى رأسها ذلك القرار الغريب الذي لا يزال بعد أكثر من ربع قرن مجهول الأب ، وأعني به قرار الانسحاب العام من سيناء ظهر السادس من يونيو ١٩٦٧ الذي تسبب في هلاك جيش ، وضياع سيناء ، والإضرار بكرامة العرب ، ونقل الصراع مع إسرائيل من أرض معاركه الضيقة حول فلسطين ، إلى مسرحه الرحب باتساع الشرق الأوسط كله من العراق شرقًا لتونس غربًا ، ومن الجولان شمالاً إلى عنتيبي جنوبًا .



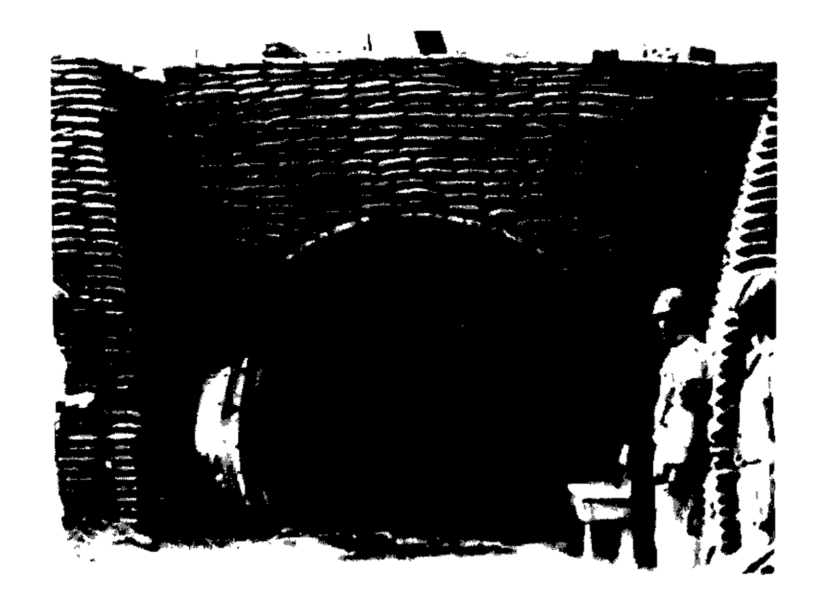
أول الأعلام المصرية التى رفعها الجنود فوق حصون بارليف عصر اكتوبر ١٩٧٣



وتمكن المهندسون العسكريون المصريون من إقامة الكبارى فوق قناة السويس
فى زمن وجيز

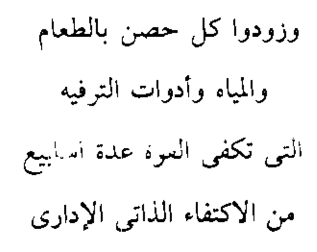


قائد الحصن المواجهة لبور توفيق يستسلم للضابط المصرى



طبق الإسرائيليون
أحدث التقانات الميدانية
فى حصون خط بارليف
ليوفروا الأمن الكامل
والراحة التامة لجنودهم





وزودوا كل حصن بالطعام
والمياه وأدوات الترفيه
التى تكفى القوة عدة أسابيع
من الاكتفاء الذاتى الإدارى



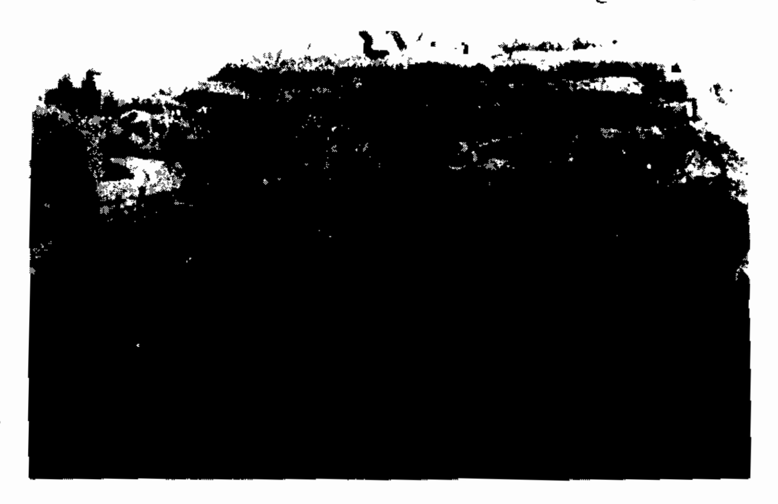
مؤتمر ميدانى
بين الجنرال
موشية ديان
وقادة إسرائيل
على جبهة القناة



الجنرال مردخاى جور



الجنرال حاييم بارليف
الذى ظل يتباهى بخط الحصون الذى
حمل اسمه فلما اقتحمه جنود مصر
سارع إلى التنصل منه







الأسرى الإسرائيليون خارج حصونهم التى ظنوا أنها مانعتهم

الفصل الرابع

وتلك الأيام نداولها بين الناس

اختلفت نهاية كل جولة عربية مع إسرائيل عما سواها ، إذ هـزمتهم في الأولى وفرضت قيام الدولة فوق أرض فلسطين بقوة السلاح ، بينما نجح العرب في الثانية أن يتخلصوا من فخ التواطؤ الثلاثي الذي اقتصر دور إسرائيل فيه على أن تستدرج جيش مصر إلى أعماق سيناء ليطبق عليه الغزو الإنجلو فرنسي من الخلف على امتداد قناة السويس ، فتعزله عن قواعده بالدلتا ، توطئة للقضاء المبرم عليه في رمال سيناء وهضابها .

وفي الجولة الثالثة وقع الجيش فريسة لقرار الانسحاب الأخرق ، الذي أودى بكثير من الشهداء ، وبنحو ٨٠ ٪ من الأسلحة والعتاد ، كما أتاح لجنود إسرائيل أن يصلوا إلى حافة القناة الشرقية فيما لا يتجاوز ٩٥ ساعة .

وكادت جيوش العرب وإسرائيل أن يتعادلا في حرب الاستنزاف ، التي دامت ألف يوم كانت ملحمة رفيعة المستوى بين العقول المدبرة والجيوش المنفذة ، ثم جولة رمضان المجيد التي نجح العرب فيها أن يفاجئوا إسرائيل التي لا تخفى عليها شاردة ولا واردة ، وأن يقهروا جيشها الذي زعم أنه لا يقهر .

ولا مجال للعجب في أن ينهزم جيش ما ، ولكن موضع العجب أن يسبب قائد الهزيمة لجيشه على نحو ما فعل فرعون موسى بجنوده فأسكنهم قاع البحر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومن بعده قمبيز الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد ، عندما طمر كل جنوده في جوف رمال منخفض القطارة الناعمة ، أثناء هبوب ريح صرصر عاتية فلم يظهر لهم أثر إلى اليوم وقد كانوا يزيدون على العشرة آلاف . أما هكس باشا الذي أهلك التجريدة المصرية عطشًا في براري كردفان في نهاية القرن التاسع عشر ، والماريشال رودولفو جرازياني الذي أوقع كل جيشه في الأسر عند بيضاء فم جنوب بلدة بني غازي ببرقة في مطلع حقبة الأربعينات من القرن

العشرين فعلاً ، مثل ما فعله بعدهما المشير محمد عبد الحكيم عامر بجيش مصر ، في يوم قائظ من صيف عام ١٩٦٧ .

ورغم شدة وقع الهزيمة على أمة العرب . . فقد كانت دافعًا لهم إلى الرفض الذي تجلى في لاءات قمة الخرطوم الشهيرة . . ألا صلح ولا تفاوض ولا سلام مع إسرائيل حتى تزول آثار عدوانها .

وسرعان ما ترجمت تلك الآمال إلى أعمال ، فانكب كل مواطن عربي يبذل غاية الجهد للإعداد لجولة جديدة يستعيد بها العرب مكانتهم في عالم القرن العشرين .

ولم يمل صقور إسرائيل على امتداد السنين الست التي أعقبت جولة صيف ١٩٦٧ من التأكيد بأن مجرد تفكير العرب في خوض حرب جديدة يعتبر ضربًا من الخبل والحمق ، فمصادر المعلومات الإسرائيلية لا تخفى عليها خافية ، وقناة السويس تقف بين جنود مصر ورمال سيناء كمانع عريض وعميق ليس له نظير ، والحائط الشاهق الذي أقامته القيادة الجنوبية الإسرائيلية على حافة القناة الشرقية ، والذي يتجاوز عرضه العشرة أمتار ، ويعلو فوق صفحة القناة ضعف ذلك ، وطائرات الفانتوم والسكاي هوك التي تسيدت سماء المسرح ، والدبابات التي أتقنت الحرب الخاطفة ، والمساندة الغربية المضمونة ، والتي أعلنت مرارًا وتكرارًا أنها لن تسمح لسلاحها أن يهزم في المعركة ، تعتبر كلها محاذير ينبغي أن تدرك أخطارها أجهزة التخطيط العربية ، وهى ترسم شكل المعركة المقبلة ، إذا ما زين لها الحمق التورط فيها .

إلا أن هذا الحمق المزعوم تحول إلى عبقرية ، تجلت في خطة الهجوم عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم فيما حققته جيوش العرب من انتصارات ثمانية ، تعاقب الواحد منها تلو الآخر على امتداد الأيام الثمانية الأولى من الجولة الرابعة ، وقبل أن ينجح جيش إسرائيل بمعاونة البنتاجون والبيت الأبيض الأمريكي في انتزاع المبادأة مستغلاً قرارًا خاطئًا ، وقعت فيه القيادة السياسية العسكرية المصرية ، عندما أمرت بتطوير الهجوم نحو مضايق سيناء الغربية لتحقق الضغط الواقع وقتذاك على جيوش سوريا الشقيقة في الجولان - رغم أن الموقف كان قد استقر فيه بوصول قوات العراق والأردن - فأخرجت تلك المفارز الخمس سيئة الحظ إلى أرض القتل المنبسطة في الشرق ، لتنقض عليها طائرات إسرائيل ودباباتها ، وهى خارج مدى حماية الصواريخ المضادة للطائرات والمدافع المضادة للدبابات ، فيتيح لجيش إسرائيل ثمانية انتصارات فيما بقي من أيام تلك الجولة .

إن العالـم لم يصدق نبـأ أن العرب قد بدأوا القـتال عصر ذلك الـيوم المشهود مـن شهر رمضان المجيد ، بل ظل يتشكك فيما تدفق عليه من أخبار الانتصارات المذهلة - الهجوم العربي المفاجئ - اقتحام قناة السويس - اجتياح حصون بارليف - احتلال رأس جسر في الضفة الشرقية - تحطيم ضربات إسرائيل المدرعة - طرد طائراتها من سماء المعركة - تحقيق التعاون الوثيق بين جبهتي سوريا ومصر اللتين خاضتا المعركة في نفس اليوم واللحظة .

ويعزو الجنرال الهنـدي د . ك . باليت نجاح العرب في تحقيق المفاجـأة في كتابه « العودة إلى سيناء » بـقوله : « إن الجهد الخارق الذي بذلـه العرب في إخفاء نية ووقـت وحجم واتجاه الهجوم حطم الفكرة التي كانت قد ترسخت في بعض الأذهان ، أنه لم يعد للمفاجأة مكان في مسارح الحـرب الحديثة إزاء مـا توفر في تـرسانات العالـم من عتاد فـائق التقـنية للاسـتطلاع والمخابرات ، علاوة على الأقمار الصناعية - جواسيـس الفضاء - التي لا يخفى عليها شيء في أرض المعركة ، يزيد حجمه عن صندوق البريد » .

أما الجنرال الفرنسي أندريه بوفر . . فقد صـرح بأن : « نجاح العرب في تحقيق المفاجأة في مستهل الجولة الرابعة يعتبر أمرًا مخالفًا للمنطق » .

وقد كان الأثر المباشر لذلك أن هرع هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة ومستشار الأمن القومي إلـى البيت الأبيض ، فور سماع نبـأ الهجوم المفاجئ حيث صرح لـمعاونيه « بأن إسرائيل قد تلقت هزيمة استراتيجية ضخمـة ، ولكن الولايات المتحدة لن تسمح لتلك الهزيمة أن تبلغ مداها » .

وكان الحال في إسرائـيل أشد وأنكى حسبما دفـع جولدامائير رئيسة الـوزراء إلى أن تشكو بالدموع بأن الأيام الأولى للحرب كانت أتعس ما مر بها من أوقات . ثم أعقبها الجنرال موشيه ديان وزير دفاعها باعترافه لها « إن كل شيء قد ضاع » ، ثم محاولته الذهاب إلى محطة التلفاز ليطلع الشعب على الموقف العصيب .

أما نجاح الجنود المـصريين في اقتحام القناة الـتي يبلغ عرضها ٢٠٠ مترًا ، وتـسلق الحائط الشاهق الملاصق لـضفتها الشرقية ، وشق ٨٠ ممـرًا في بطنه ، الذي يبلغ سمـكه ١٠ أمتار من الأتربة المتماسكـة كالملاط ، وتدمير الضربات المدرعة التـي أطلقتها القيادة الجنوبيـة الإسرائيلية لتلقي قضاها ، بـينما صواريخ الدفاع الجوي المصرية تحطم خلال كـل ذلك الوقت ما يجرؤ من طائرات إسرائيل على الاقتراب من مجال المعركة ؛ ليـساعد القوات البرية الإسرائيلية في مأزقها

الذي أوقعها فيه غرور قادتها ، وشدة تهوينهم للعدو ، حتى وصل الحال إلى التأكيد « بأن جيوش العرب لن تقوم لها قائمة بعد هزيمة صيف ١٩٦٧ » .

لقد انتزعت تلك الجيوش صك البراءة من كل ما كاله لها الخصوم من دعايات مضللة وترهات وبهتان ، فلم يعد بعد النصر الذي حققته بين السادس والثالث عشر من أكتوبر مكان لترديد مثل تلك الأكاذيب ، بل تحول الأمر إلى الإشادة بها ، والعودة إلى التذكير بأمجادها التليدة .

وعندما جاءت لجنة من الكونجرس الأمريكي لدراسة مجريات الأمور بالمسرح ، طافت بدولة ثم اجتمعت في نهاية شهر نوفمبر ١٩٧٣ ، باللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني الميداني . وبعد عودتها قدمت تقريرها إلى الكونجرس الذي ذكرت فيه « إن إسرائيل شاهدت الحشد المصري الضخم ، ولكنها لم تفهم مغزاه بفضل إجراءات الخداع والإخفاء والاستتار التي اتصفت بالحذق » .

كما ذكرت اللجنة أن « قادة إسرائيل اعترفوا لها بكفاءة قوات الصاعقة والمظلات والقوات الخاصة ، التي أسقطتها القيادة المصرية للعمل خلف الخطوط . كما نوهت اللجنة بالمعدات والأسلحة الكثيرة التي غنمتها القوات المصرية ، والتي شاهدتها اللجنة في أماكن عرضها بالميادين العامة على شعب مصر ، كما قالت بأن رئيس الأركان الإسرائيلي اعترف لها بأنه : « لا يزال غير مصدق بأن العرب يقدرون على مثل ما فعلوه » .

ثم ختمت اللجنة تقريرها « بأن جيوش العرب أظهرت درجة عالية جداً من الروح المعنوية ، وهى تقتحم حصون خط بارليف » .

وفي نفس الشهر جاء وفد عسكري سوفيتي لزيارة جبهات القتال برئاسة أحد أبرز قادتهم - الجنرال لاشينكوف - وبعد أن تفقد أرض المعارك ودرس تفاصيلها رفع تقريره إلى الرئيس السادات ، حيث أشاد بمستوى الكفاءة القتالية العالية التي أبداها ضباط وجنود مصر في القتال ، وما امتازوا به من روح معنوية رفيعة ، مكنت الجميع من إنجاز مهامهم ، وإبداء البطولة الحقة في مواجهة المواقف العصيبة .

وفي مجال تقييم أعمال الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة المصرية . . نالت المدفعية تقريظاً خاصاً للدور العظيم الذي أدته هى وعناصر الدفاع الجوي ، التي طردت طائرات إسرائيل من سماء المعركة في الأيام الأولى من القتال ، فمهدت لباقي العناصر الأخرى طريق النصر .

أما شيخ المعلقين العسكريين العقيد الأمريكي تريفور دي بوي فقد أكد أمام الندوة الدولية لحرب أكتوبر التي عقدت بجامعة القاهرة عام ١٩٧٥ : « إن الإسرائيليين قد هزموا يوم ٦ أكتوبر ، وقبل أن ينقضي الليل كانوا قد فقدوا معظم المائة دبابة المرابطة كاحتياطي مباشر خلف حصون بارليف . وفي اليوم التالي عندما بدأت فرقتهم المدرعة العمل ضد القوات المصرية فقدت مائة دبابة أخرى » .

ثم هزم الإسرائيليون مرة ثالثة يوم ٨ أكتوبر الذي أطلقوا عليه « الاثنين الإسود » ، وفقدوا خلاله مائتين وخمسين دبابة . وحدثت كل تلك الهزائم لنجاح جهود القادة المصريين في بث الثقة في جنودهم وأسلحتهم المضادة للطائرات والمضادة للدبابات ، ثم ثباتهم في القتال كالأسود على نحو ما جاء في التقارير الإسرائيلية .

وفي المسرح البحري خاض الأسطول المصري الحرب بأسلوب استراتيجي ، بينما خاضها أسطول إسرائيل بأسلوب تكتيكي . أما جهاز المخابرات الإسرائيلي فقد أثبت فشله الذريع في حساب القدرات العربية الحقيقية ، مما أدى إلى اعتناق الأركان الإسرائيلية لمفاهيم زائفة حول النوايا والكفاءة القتالية العربية تقل عن حقيقتها بقدر هائل .

ثم ختم دي بوى تعليقه بأن أحد كبار قادة الولايات المتحدة كان قد صرح له بعد حرب أكتوبر « أنه لم يكن في وسع أية حواسب إلكترونية أو مباريات حربية ، أو نماذج للاشتباكات الميدانية ، أن تتنبأ بالنتائج التي انتهى إليها القتال في صالح العرب »..

وأدلى البريجادير جنرال كلينت هنت برأيه أمام نفس الندوة فقال : « لقد أجبر العرب العالم على أن يضع مشكلتهم في رأس قائمة اهتماماته ، كما أسقطوا النظريات الزائفة عن الحدود الآمنة ، والجيش الذي لا يقهر ، واستعادت مصر وضعها القيادي بين الدول العربية ، كل ذلك بفضل النجاح الباهر الذي حققته جيوش العرب في الأيام الثمانية الأولى من حرب أكتوبر التي خرجت منها جيوشهم سليمة لأول مرة ، وصار جيش مصر بعدها واحد من أقوى الأجهزة العسكرية في العالم ، كما سمحت نتائج الحرب لمصر أن تعيد فتح قناة السويس للملاحة ، واستعادة مواردها التي كانت قد فقدتها في نهاية جولة ١٩٦٧ .

ونتيجة للقتال المشرف الذي خاضته جيوش مصر وسوريا وخلافًا للهزائم السابقة . . استرد العرب كبرياءهم وثقتهم بأنفسهم ؛ مما أدى إلى دعم مركز العرب ونفوذهم في المجال

الدولي ، علاوة على ما أثبتوه من حنكة في إدارة حرب البترول كأداة اقتصادية في الصراع لدعم الهدف السياسي .

وليس ثمة شك من الوجهة الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية أن مصر قد كسبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، رغم أن نتيجة هذا الكسب الذي كان بمثابة الصدمة النفسية القاسية للشعب الإسرائيلي ، سيطرت عليه بعد توقف النيران في المسرح نفس الموازين الدولية التي تحكم العلاقات المحلية والإقليمية بين الدول ، وتفرض النظام الدولي العام على الجميع .

ثم ختم البريجادير جنرال كلينت هنت تلك الندوة الدولية بقوله : « لقد غيرت حرب أكتوبر ١٩٧٣ الخريطة السياسية للشرق الأوسط ، وحطمت حالة الركود التي كانت سائدة فيه ، ودعمت مركز الدول العربية ، وأسقطت مزاعم التفوق العسكري الإسرائيلي المطلق ، وكشفت عن تغيرات جذرية في مسرح الحرب ، والدور الحيوي الذي أداه المقاتلون العرب تحت قيادة تتحلى بالعزم والتصميم » .

لقد تحققت المفاجأة رغم وفرة المعلومات لدى إسرائيل التي كانت تشير إلى وقوع حرب وشيكة في مطلع شهر أكتوبر ، وأمكن اقتحام القناة - وهي عملية بالغة التعقيد - بكفاءة وأسلوب ضليع ، كما تمت العملية بسرعة وسهولة تستحق الإعجاب الحقيقي ، وقضت وسائل الدفاع الجوي المتمثلة في الصواريخ الموجهة والمدافع - وبكل تأكيد - على التفوق الجوي الإسرائيلي الأسطوري وأبعد طائراتها عن سماء المعركة ، فأتاح للقوات المصرية أن تحقق ما ظلت أبواق الدعاية الإسرائيلية تردد أنه المستحيل نفسه . ولا يبقى إلا أن يسعد الأبناء والأحفاد بذلك النصر العظيم ، الذي وعد به الله سبحانه وتعالى عباده المخلصين ، نصرهم في حرب رمضان المجيد .

وفيما يتعلق بالجانب السياسي . . فقد اختلفت حرب أكتوبر عما سبقها من جولات في أنها ورطت القوى العظمى في الصراع بشكل لم يسبق له مثيل ، طرح آثاره السياسية على الموقف السياسي الدولي والإقليمي بصورة جعلت مقولات فرض الأمر الواقع ودفع الطرف المهزوم إلى قبول شروط المنتصر دون تحفظ ، على نحو ما كانت تأمل إسرائيل من نصر يونيو ١٩٦٧ ، يظهر خطؤه بصورة لا تقبل الجدل .

وما من شك في أن تلك الحقيقة ، وليست صحوة الضمير في اللحظات الأخيرة من جانب صقور إسرائيل وكبيرهم مناحم بيجين ، هي التي أجلسته على المائدة بحديقة البيت الأبيض

ليضع توقيعه علـى اتفاقية السلام التي كانت تتضمن شرط الانسحـاب الكامل من سيناء ، رغم أنه كان قد دأب على امتداد السنين الماضية على التأكيد بأن الانسحاب « نوع من الردة في العقيدة الصهيونية » .

ونظرًا للأهمية الفـائقة لمنطقة الشرق الأوسط ، وما تحويه من مواد أوليـة وخامات طبيعية تعتمد عـليها حضارة الغرب المـعاصرة . . فقد كانت القـوى الكبرى شديدة الاهتمـام بالصراع العربي الإسرائيـلي ، سريعة التدخل في مجرياتـه سعيًا وراء تحقيق مصالحها السـياسية ، التي تهدف إلى فرض الهيمنـة الغربية على دول المنطقة ، وتحقيق حلم القـياصرة بالوصول إلى المياه الدافئة من الجانب الآخر .

ولهذا . . فقـد كان أحد الدروس المهمـة لحرب أكتوبر أنهـا أثبتت أن القوى الـعظمى لا تستطيع البقاء على الهامش بينما القتال يحـتدم في المسرح ، وأنها مجبرة على التدخل فيه بنسبة طردية من تصاعد حدته وكثافة معاركه حتى لا تصل إلى احتمالات المواجهة المباشرة ضد بعضها البعض .

وبناء علـى ذلك فقد عمدت الـولايات المتحدة بمجـرد أن خمدت النيران فـي مسرح حرب أكتوبر إلـى ضبط تورط القوى الـكبرى في الصراع ، والمـبادرة إلى طرح الحلول الـوسط على الأطراف المتحاربة التي سـرعان ما أثمرت ثمرتها بجلوس الخصوم إلى مـائدة المفاوضات بكامب ديفيد لتوقيع مـعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وهي المعاهدة الـتي أبعدت شبح الحرب عن المسرح لعشرات السنـين ، بصفة أنهما الدولتان الوحيدتان اللتـان تقدران على إثارة الحروب في المنطقة .

وكان الرئيس السادات يـسعى إلى نفس الهدف منذ بداية عـام ١٩٧٣ ، عندما راح يصرح المرة تلـو المرة : « إنه إذا كان كل العـالم قد غرق في غـفلة الاسترخـاء بالنسبة لأزمـة الشرق الأوسط ، فقد آن الوقت لإحداث صدمة توقظ الجميع من غفوتهم » .

ولقد كان السادس من أكتوبر مناسبًا تمامًا من وجهـة النظر السياسية لإحداث تلك الصدمة التي جاءت في « شكل العمـلية الهجومية بدر » على جبهتي القـناة والجولان لدفع إسرائيل إلى التعقـل ، وحث الدول العظمى عـلى الوساطة العادلـة والجادة للوصول إلى حل مـقبول ودائم للأزمة .

وهكذا . . خلقت الجولة الرابعة الظروف السياسية المواتية للتفاوض بصورة مشرفة لأطرافها لأول مرة في تاريخ هذا الصراع . وتكشف معالجة المحافل الدولية لنفس الأزمة بعد جولة ١٩٦٧ وجولة ١٩٧٣ عن الفارق الهائل في أسلوب وجدية وإيجابية السعي إلى تحقيق الحل السلمي ، إذ تحول مجلس الأمن والجمعية العمومية من حالة اللامبالاة والاقتناع عن اتخاذ القرارات القاطعة بعد جولة ١٩٦٧ ، مع كثير من التضليل الإعلامي ، إلى الدعايات الصهيونية في إقناع قطاعات كبيرة من الرأي العام بأن إسرائيل الصغيرة المسالمة (داوود) تلقى الظلم والعسف والعدوان من العرب المتطرفين (جالوت) ، فاقتنعت تلك القطاعات بعد جولة ١٩٧٣ بأن العكس هو الصحيح ، وأن العسف والتطرف والتعنت والعدوان وقف على إسرائيل .

تبقى كلمة عن أثر حرب أكتوبر على الاقتصاد العالمي الذي هدده العرب بحرب البترول في أزهى خططهم ، التي جعلت منه سلاحًا اقتصاديًا عظيم الأثر في محافل الغرب .

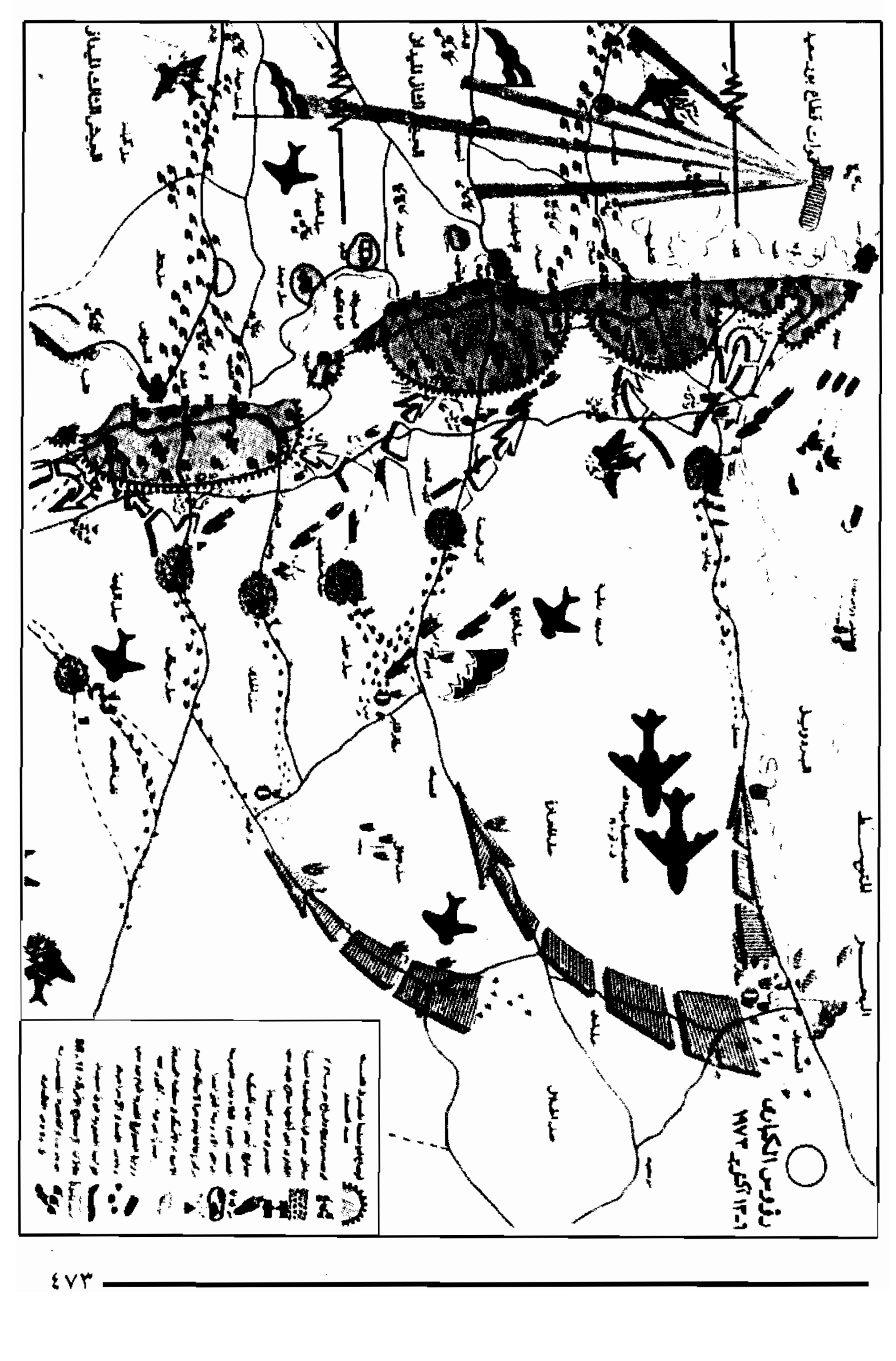
كما أن ارتفاع أسعار البترول أحدث تغييرات عميقة في البنيات الأساسية الاقتصادية بدول الأوبك بصفة خاصة ، وفي الدول المنتجة للبترول على وجه العموم .

وقد علق أحد علماء الاقتصاد على تلك الحقيقة بقوله : « لقد ظلت دول الغرب تزعم أنها تمتلك القوة الاقتصادية وحدها ، بفضل ما لديها من احتياطي من الذهب تتجاوز نسبته ٤٠ ٪ من الاحتياطي العالمي ، و ٣٠ ٪ من التجارة الخارجية ، ٢٠ ٪ من الإنتاج الصناعي ، و ١٠ ٪ من السكان ، حتى أيقظتهم العرب من تلك الغفوة بحرب البترول في أكتوبر ١٩٧٣ » .

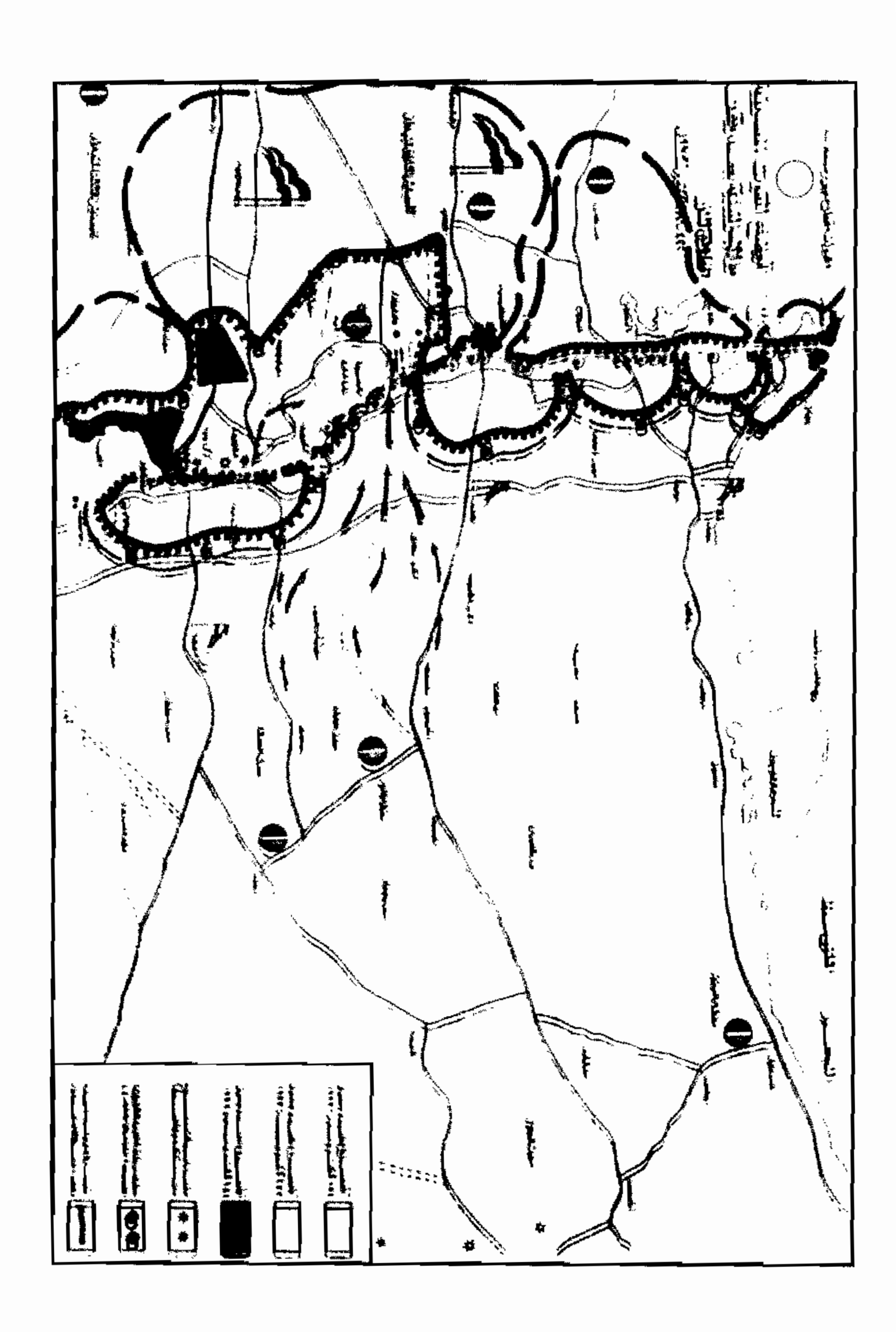
وخلاصة القول أن انتصار العرب في الجولة الرابعة جاء بلسمًا لجراح ثلاث جولات ، سبقتها بالهزائم مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران ١٤٠]

صدق الله العظيم









المؤلف بجوار الرئيس السادات خلال زيارته للجيش الثانى الميدانى



الرئيس السادات والفريق أول أحمد إسماعيل واللواء الركن الجريدلى فى زيارة الجيش الثانى الميدانى



الجنرال موشية ديان يتطلع إلى الضفة الغربية للقناة من الشاطىء الشرقى

الفصل الخامس

وقف إطلاق النيران من وجهة نظر القائد الأعلى

قال الرئيس السادات عن وقف إطلاق النيران في اكتوبر ١٩٧٣ الآتي :

« الساعة ١٢ مساء يوم ١٩ طلب مني المشير الـذهاب إلى القيادة ، وكنت قد أرسلت سعد الشاذلي يوم ١٨ لـلجيش وعاد يوم ١٩ ، وقال لابد مـن حل سياسي **وهو مرتعد انا احذر من التدخل في السياسة** واحمد إسماعـيل كان جندي وعسكري فـقط وهي ميزة ، **وقال الشاذلي** لابد من **سحب الشرق ولابد من حل سياسي** وسمعت كـلام الجمسى وكان مدير العـمليات وشفت الموقف وأعطيت تعليمات **بعدم انسحاب اي شيء من الشرق** ونتعامل نحن مع الغرب **واتخذت قرار وقف النيران** ، رغم انه لم يطلب مني احد هذا . . .

ملحوظة :

الحقيقة أن الفريق الشاذلي حضر لـلجيش يوم ١٨ وعاد يوم ٢٠ وليس يوم ١٩ وسجلات الجيش تؤكد ذلك .

وقد استكمل الرئيس السادات قصة إيقاف النيران قائلاً :

« يوم ١٩ كنا نحارب أمريكا لمدة عشرة أيام وأرسلنا ٣ ميراج لضرب مطار العريش وجدنا ٣ مظلات أمريكـية بها حيث الإمداد الأمريكـي يصل إليها ، ورغم هذا أعطـيت أوامر بضرب مطار الـعريش بالصواريـخ أرض أرض ، وكان السلاح روسي والـطاقم روسي ولكن مـوسكو رفضت الطلب !!!

ونفس الكـلام ده عملوه قبل كـده لما كنت عاوز استـطلاع بواسطة الميـج ٢٥ ، وهذا كان سبب طرد الخبراء !!

وكان ممكـن ضرب مطار العـريش كان به طائـرات ضخمة وكـان ممكن إصابة الأمـريكان بضربة قوية ونكسة ، وكانوا سيعودوا إلى إسرائيل للتجهيز للخلف .

هذه علامة من علامات التاريخ رفض السوفييت ، رغم أن الصواريخ كانت موجهة أيضًا إلى بئر السبع وأسدود ثم تل أبيب .

وعن موقف الجبهة السورية علق الرئيس السادات قائلاً :

« توقفت الجبهة السورية في اليوم الرابع واحنا قاتلنا ١٠ أيام ، وكان اليهود يستخدموا **مافريك** قنبلة منه تساوي بطارية مضادة للطائرات مباشرة !!

وعن موقفنا دافع الرئيس السادات قائلاً :

« هل سنفتح سماء مصر للأمريكان والاتحاد السوفيتي منذ الساعة الثامنة مساء ٦ أكتوبر ، وهو يطالبني بإيقاف إطلاق النيران !!

والأسد قال للسفير السوفيتي يوم ٤ : « سنبدأ الحرب يوم ٦ أكتوبر وعليكم إيقاف القتال بعد ٤٨ ساعة على الأكثر » . أما أنا فقد قلت للسفير « أنا آسف بلغ حكومتك لن أوقف النيران حتى لو أوقفت سوريا النيران » .

وكنت قد اتفقت مع الأسد على إخطار الروس يوم ٤ أكتوبر بالحرب يوم ٦ أكتوبر وأنا يوم ٣ قلت للسفير السوفيتي سنبدأ الحرب فعلاً **وعملية محدودة** وأطلب الإجابة عن سؤال من القادة السوفييت الثلاثة : **ما هو موقف الاتحاد السوفييتي منا ؟**

رد يوم الخميس قال : « الحكومة السوفيتية تطلب نقل الرعايا السوفييت يوم ٥ من أي مطار » ولم يرد على سؤالي !! وقال تحت البحث !!

ويوم ٦ أكتوبر قال لي **اسأل الأسد شوف هوه عاوز إيقاف القتال امتى ؟**

وعن موقف السعودية قال السادات :

« طلب فيصل عند المشاركة في الحرب أن تكون المعركة طويلة ولا نوافق على إيقاف إطلاق النيران بسرعة ، حتى يمكن جمع كلمة العرب ، وطبعًا ده كان هدف أساسي أنا واثق منه » .

عودة إلى موقف سوريا من وقف إطلاق النيران :

قال السادات معلقاً مرة أخرى على موقف الرئيس الأسد من وقف إطلاق النيران :

« أرسلت لحافظ الأسد برقية يوم ٦ بما قاله السفير السوفييتي ، ولعلمك قد أبلغت روسيا وأنت **أني لم أوافق على وقف إطلاق النيران** وأفدني عن موقفك . .

ولم يرد الأسد إلا يوم ٧ أكتوبر بعد الظهر **وقال الكلام ده ما حصلش !!**

ورغم هذا قال لي السفير السوفييتي يوم ٧ أكتوبر « اتصل بشريكك حيث طلب وقف القتال » واتضح بعد ذلك رسميًا أن **سوريا طلبت رسميًا إيقاف القتال ٣ مرات** وبريجنيف أخطر إسماعيل فهمي بذلك !! (وزير الخارجية المصري في ذلك الوقت)

فقد كان تقدير روسيا أن المعركة فاشلة . .

وأفاد الرئيس السادات بموقف سوريا وروسيا قائلاً :

« لم تستطع سوريا أو روسيا الكلام بعد هذا ولن يستطيعوا . . كما أن كوسيجين وصل أثناء المعركة ، ورفضت إيقاف القتال » .

وعن موقف الفريق سعد الشاذلي أعاد ذكر موقفه مرة أخرى قائلاً :

« أرجو ألا يتكرر ما حدث يوم ١٩ (يقصد يوم ٢٠ بعد ما عاد الشاذلي إلى القاهرة قادمًا من الجبهة) في القيادة لازم تكون أعصابنا في ثلاجة اذكروا ما قلته لكم قبل المعركة . . » ثم قال : « منذ ذلك اليوم عينت الجمسي رئيسًا للأركان وعزلت الشاذلي جانبًا ، دون أن نعلن ذلك في هذا الموقف » .

وعن وقف النيران ، أعاد القول :

« كنت لا أريد قبول وقف النيران إلا بعد الوصول إلى المضايق ، ولكن الهزة كان لها اعتبار كبير . . الثغرة لا تهمني فقد أوقفنا الإسرائيليين على الخط ٢٢ وهو مقتل لها ، ورغم أن أمريكا ضدنا لمدة ١٢ يوم أوقفناهم على خط ٢٢ وكنت مستعد رغم هذا أكمل المعركة ، ولكن هزة القيادة لم تعجبني أحمد إسماعيل والجمسى ومحمد علي فهمي وحسني مبارك لم يهتزوا وكان رأيهم معي نثبت ونتعامل مع الغرب . .

ولم أقول لأحد في القيادة يوم ١٩ أني سأوقف القتال . . وفي فجر يوم ٢٠ قابلني حسني ومحمد علي فهمي في قصر الطاهرة ، وقالوا : لا تنزعج . . وليس الثغرة هي التي قالت لي أوقف القتال ، ولكن **الهزة في القيادة هي السبب الأول زائد أمريكا ودخولها المعركة بثقل في**

مواجهتنا فالثغرة من تخطيط الأمريكان ومساعدتهم ، وقرروا عملها يوم ١٤ يوم نقل الفرقة ٢١ إلى الشرق وقال لي كيسنجر هذا وايلي عازر اعترف بهذا . . والعتاد الأمريكي كان في الثغرة أيضًا فلا يمكن أن أحارب أمريكا

. . رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه . .

وروسيا للأسف لم توازن هذا معي وأنا عامل حسابي في المعركة على هذا ، ولكن لم يحدث . . وحقيقة أنها أرسلت لنا كوبري جوي ولكن لا يقارن بما عملت أمريكا . . لا طائرة ولا دبابة - أما إلى سوريا فقد أرسلوا أكثر من ١٢٠٠ دبابة وهي خسائرها في يوم ، وكذا أرسلوا ١٥٠ طائرة أرسلوها لهم في كوبري جوي . .

ويوم ١٢ أكتوبر طلبت روسيا مع أمريكا وضعنا في موقف حرج وقالت روسيا لأمريكا : « أن مصر قبلت إيقاف النيران وهذا كذب ، وأنا لم أنس أول هدنة عام ١٩٤٨ والملك عبد الله وكانت هي سر الهزيمة !! »

« أنا لا أثق في روسيا أو أمريكا أو إسرائيل في ذلك الموقف . . فقد ذهب بومدين (رئيس الجزائر) إلى روسيا ومعه ٢٠٠ مليون دولار لنا ولسوريا لشراء سلاح كزبون وهم تجار سلاح ولكنه عاد إلى الجزائر وصرح قائلاً « روسيا تريد حرب السادات ٢٤ قيراط أكثر من أمريكا »

وهكذا مسكت روسيا خنجر وراء ظهري لطعني ، حتى أرجع راكعًا إليهم لنجدتنا مثل عام ١٩٦٧ . . فروسيا تستطيع إرسال ٢٥ طائرة في شهر واحد ، ولكن أمريكا وانجلترا وفرنسا لا يمكنها لأن المصانع هناك لها طابع قطاع خاص (أرسلت روسيا إلى مصر ٢٥ طائرة في شهر يناير ١٩٧٥ !!) كانت روسيا تعتقد أنني سأفقد ٨٠ ٪ من سلاحي وأركع لهم ، وإلى اليوم ما زالت معركة الخبراء قائمة والعقدة قائمة لسه للآن . . »

ثم عن الخسائر واستعراضها ، قال الرئيس السادات يوم ٤ مارس ١٩٧٥ أمام القادة : « نحمد الله طلعنا بأكثر من ٨٠ ٪ من قواتنا سليم حقيقة فقدنا ١٢٠ طائرة واليوم والحمد لله تم استعواضها وفقدنا ٧٠٠ دبابة و ١٥ كتيبة دفاع جوي فقط وإن شاء الله سنتوازن تمامًا قبل الصيف - ومشكلتي في الغرب كانت الدبابات ولم أطلب سحب دبابات من الشرق وأول دبابة روسية حضرت بعد السويس للأسف .

تيتو أرسل لنا ١٤٠ دبابة بالذخيرة

١٠٠ دبابة من ليبيا

١٠٠ دبابة من أبو مدين من الجزائر

ولكن لواء واحد قبل إطلاق النيران كان يغير المـوقف .. أقول هذه الحقيقة للتاريخ لمعرفة خلفيات المعركة .

إعداد القوى ورباط الخيل
بعد وقف إطلاق النيران
نوفمبر ٧٣

العدو الإسرائيلي :

تقدر قوة العدو الإسرائيلي بالآتي :

- ١٨ لواء منها ١٠ ألوية مدرعة .
- في الشرق ٣ لواءات مدرع ٢ لواء مشاه
- في الغرب ٣ لواءات مدرع ٣ لواءات مشاة
- في الاحتياط في العمق ٥ لواءات منها ٣ لواءات مدرع
- استعاد العدو كفاءة قواته الجوية إلى حوالي ١٠٠٠ طلعة
- يسيطر العدو على خليج السويس ، ويتحكم في طرق إمداد الجيش الثالث
- له أكثر من طريقة لإمداد قواته في الجيب الغربي بري بحري جوي

لا يستطيع العدو أن يبقي طويلاً في غرب القناة لو أمكن سد الثغرة وحصاره بها .

وإذا بدأنا الهجوم .. سيحاول العدو تصفية رأس كوبري الجيش الثالث ، أو قد يحاول هو أولاً ضرب رأس كوبري الجيش الثالث أو التحرك شمالاً للتأثير على الجيش الثاني تجاه الإسماعيلية .

قواتنا

قواتنا بصفة عامة متماسكة شرقًا وقوية

قوات النسق الثاني تعادل :٥ فرق ٨٦١ دبابة ٦١٨ مدفع ذاتي الحركة ، منها ٢١١ فهد

في الجيش الثاني غربًا : ٤٢٨ دبابة ٣٩٣ مدفع ٣٢٣ مدفع مضاد للدبابات منها ١٤١ صواريخ

نسبة المشاة بالنسبة لقواتي والعدو ٣ : ١

المدرعات ١ر٢ : ١

المدفعية ٢ : ١

احتياطي قيادة عامة : فرقة ٦ مشاة ميكانيكية : منها ٢ لواء مشاة ميكانيكي غير مستكملين تمامًا .

لواء ٢٥ مدرع استبدل بدبابات روسية ت ٦٢ فى شهر ١٢/ ٧٣

القوات الجوية بذلت كل جهد ممكن نسبة الاستكمال مقاتلات ٦٦ ٪ طيارين ٨٢ ٪

مقاتلات قاذفة ٥٥٪ طيارين ٢ر٦٠٪

الدفاع الجوي متماسك ، أما في منطقة الجيش الثالث ضعيف

القوات البحرية كاملة عدا ٥ لنشات طوربيد صواريخي ، ولكنها قادرة على العمل تمامًا .

القوات المسلحة المصرية في موقف استراتيجي ، جيد للدفاع شرقًا أو غربًا ، وقادرة على تكبيد العدو خسائر ، وعلى الهجوم لتصفية رأس الكوبري ، ولكن القوات الجوية سيكون لها عامل حاسم في هذه المنطقة .

موقف الجيش الثالث شرقًا متماسك ، ويستطيع المقاومة .

أما موقف الجيش الثاني فرأس الشاطي قوي ومتماسك واللواء ١٥ مدرع في قطاع القنطرة شرق ، واللواء ٢٤ مدرع في قطاع رأس شاطئ فر ٢ وفر ١٦ كاحتياطي قائد الجيش الثاني شرقًا .

(١) الجزائر لها ٢ سرب ميج ١٧ ٢٣ طيارًا ٢٣ طيارة

سرب ميج ٢١ ١٥ طيارًا ١٢ طيارة

في الغرب في قطاع القنطرة غرب اللواء ١٠ مشاة ميكانيكي يعاد تجميعه

وتم إعادة ك بب من ل ١٥ م لتعمل كاحتياطي في المنطقة .

في قطاع غرب الإسماعيلية . . يعاد تجميع وحدات الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية ، تحت قيادة الفرقة عدا اللواء ٢٤ مدرع (في الشرق)

ويمكن استخدام ل ٢٤ مدرع مع ل ١٥ مدرع شرقًا لقفل الثغرة شرقًا من قطاع رأس شاطئ الفرقة ١٦ والفرقة ٢١ مدرعة . وجاري إعادة تجميع دبابات فر ٢١ مدرعة ، واستعادة الأوضاع بمساعدة جميع المديرين .

الشهداء ٦٣٥٢

الجرحى ١٤٠٠٠ ، عاد ٦٠٠٠ للوحدات

مفقود ٦٠٠٠

تحليل الموقف :

بعد العمليات ووقف إطلاق النيران . . نستطيع أن نقول إننا حققنا أهدافنا الاستراتيجية ، ووضعنا إسرائيل في حدود النقاط الأربع ، التي لا يمكن أن تقبلها إسرائيل :

١- حرب طويلة ، فهي تحت التعبئة الكاملة ومتاعبهم واضحة .

٢- حرب استنزاف وخسائر ، وتحقق بحجم خسائر لم يقولوا حقيقته ١٠ آلاف قتيل وجريح .

٣- الحرب على جبهتين : سوريا ومصر ، هي دائمًا تتفاداه وحدث .

٤- العامل النفسي بإصابتنا بالشلل في ما قبل البدء في أي معركة ، وجدار الخوف الذي بنوه ، وأن عمقهم يمكن أن نطوله .

من هذا يتضح أن نظرية الأمن الإسرائيلي بنقل المعركة خارجها حتى لا تتكبد خسائر وقد تكبد العدو خسائر ولكنها رغم ما هي فيه الآن فقد خسرت كثيرًا رغم أنها حاربت بعيدًا !!

ولكن حدثت أخطاء تكتيكية في قواتنا وعملية الدفرزوار تعتبر تمثيلية أو تياترو (هكذا سماها الرئيس السادات) ولكن يجب أن نتعلم **خفة الحركة** مع تحسين المواقع والتحرك . . وعمل خطط جديدة ، وخطط بديلة ، والاستفادة من أعمال المفارز المدرعة وقوات الصاعقة والكمائن .

لماذا وافق الرئيس السادات على إيقاف النيران ؟

- لا نعطي فرصة لإسرائيل باستخدام أسلحة جديدة حديثة أمريكية .

- بدأت روح ١٩٦٧ في بعض القادة .

- لم يكن لدي القائد العام احتياطي عام يعمل به وهذا خطير .

ورغم هذا - هكذا قال الرئيس السادات - « اعتقد أن مصـر عملت عملية ممتازة ولكن قبول وقف إطلاق النيران يـختلف عن عام ١٩٦٧ فقواتنا ١٠ فـرق شرق ، ١٠ فرق غرب وإن شاء الله سنستـعوض دبابات ويكفي أنـنا كسرنا حائـط الخوف والجيش الذي لا يقهـر وبهذه الروح العالية حـــققنا كثيرًا ، ولكن يجـــب أن نكون يقظين ومتحركين آخذ أرض وأزنـق العدو نغير السكون والجمود » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب التاسع

الدفاع الشعبى والعسكرى

ودوره فى إعـــداد القــوى وربــاط الخيـــل

الفصل الأول

فكره عامة عن الدفاع الشعبى والعسكرى والمقاومة الشعبية

إن طبيعة الحرب الحديثة التى تطورت ، بحيث اصبحت صدامًا مسلحًا تختفى فيه الحدود بين جبهة القتال والعمق الجغرافى للبلاد ، وبين الشعب وقواته المسلحة . وإن الشعوب النامية التى تعجز ميزانياتها ودخلها الوطنى عن بناء قواتها المسلحة القادرة على درء أى عدوان تتعرض له البلاد ، هو أمر يفرض عليها استغلال قوتها البشرية وإمكانيات شعبها وتضاريس أراضيها وإعداد البلاد للنضال . والقتال المستمر الطويل يهدف لاستنزاف متواصل لقوات العدو الغازى ، وتوجيه ضربات متتالية فى الأرض المحتلة . . فى المواجهة ومن المؤخرة ، وعلى الاجناب ضد خطوط مواصلات العدو وأجنابه ، والإغارات القوية ضد مناطق القيادة مع تهيئة أنسب الظروف الملائمة للقيام بضربة مضادة ، تقوم بها القوات المسلحة النظامية إلى جانب القوات الشعبية لطرد العدو من البلاد .

ويجب أن تعترف الدول النامية بأهمية وضرورة تنظيم قوات الدفاع الشعبى بها ، بإعتبارها القوات المتيسرة دائمًا لمقاومة العدوان المسلح ، يكون فيها لكل مواطن ومنظمة اجتماعية وسياسية وتعليمية وصناعية دوره الإيجابى المحددّ فى خطة عامة فى القتال المسلح المنتظر ، وأن تقوم أجهزة الدولة بتعبئة كافة إمكانياتها لتحقيق أمن وسلامة واستقلال أراضيها إلى جانب قواتها المسلحة المتيسرة لديها . وتضع الدولة قانونًا خاصًا لأمنها القومى ، يتضمن فيه تخطيط وتنظيم وأسلوب الدفاع الشعبى والعسكرى والمهام فى حالة السلم والحرب .

وكانت فكرة المقاومة الشعبية والدفاع الشعبى قد بدأت فى مصر مع ثورة ٢٣ يوليو ضد الاستعمار البريطانى ، خاصة فى منطقة قناة السويس ، رغم أن المقاومة الشعبية فى مصر

قديمة قدم تاريخ مصر ولـها تاريخها المجيد . ولكن فى العصر الحـديث كان لابد من إيجاد تنظيم لها ، وبـدأت أهمية تنظيـمها تظهر فـى عدوان ١٩٥٦ ، ثـم لما حـدث زلـزال ٥ يونيو ١٩٦٧ ودمر جبالاً شامخة وهـوى بحصون منـيعة ، ولكن رحمة الله سبحانه وتعالى بمصر كانت واسعة فقد أبـقت على قواعد البيت قائمة راسخة ، تنتـظر يد البنَّاء الماهر لرفع أعمدة القوة والصمود .

وبعـد معركة رأس الـعش فى أول يولـيو ١٩٦٧ والتحدى الجـوى المصرى لطـائرات الاستطلاع الإسرائيلـى ، وإصابتها يوم ١٤ يولـيو وبعد إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات يوم ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ ، بدأت إسـرائيل فى الانتقام ، فقـامت بإغارات العمق المصـرى قام بها الكومانـدوز الإسرائيلـى بأعمـال تخريبية ضد بعض الأهداف الاستراتـيجية فى عمق مصر ؛ بهدف إزعاج القيادة المصرية وإجبارها على إعادة توزيـع قواتها المسلحة ، وتخفيف جبهة قناة السويس .

ولما حدثت الإغارة الإسرائـيلية على رأس غارب ، واستولت إسرائيـل على محطة ردار ب ١٢ روسية الصنع ، ونقلتها جوا إلى إسرائيل يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ . . إجتمع الرئيس جمال عبـد الناصر بالقادة لـبحث هذا الموضوع ، وبحث سـبل إعداد قوى الشعب الـعاملة والدفاع الشعبى والعسكرى للمشاركة فى تأمين الأهداف الحيوية .

وأصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارات جمهوريـة بشأن تنظيم الدفاع الشعبى وإنشاء قيـادة الدفاع الشعـبى والعسكـرى لتأمين الأهداف الحيويـة بجمهـورية مصر العربية ، وحدد القرار الجـمهورى واجبات هذه الـقيادة ، وكذا واجبات نـواب القائد فى المحافـظات ، وكذا واجبات مـديـر الأمـن بـالنسبـة لتأمين الأهداف ، وواجـبـات المـستـشـار العسكـرى بالمحافظات والأحياء . . . إلخ .

وبدأت عجلة الدفاع الشعبى والعسكرى والتربية العسكرية فى المدارس والمعاهد والكليات تسير ، وفق منهج مخطط ومدروس على أساس ان الضـمير الوطنى هو المصدر الرئيسى لقوة الدفـاع الشعبى والـعسكرى ، ويجـب تنميتـه بالترديـد المتواصل فـى كـل مناسـبة بالأمجـاد والانتصارات الوطنية ، التى حققهـا الشعـب وقواته المسلحة ضد الغزاة على مدى تاريخ البلاد .

الفصل الثانى

قصة المقاومة الشعبية فى مصر

على مر العصور

مقدمة

ليس يعيب الأوطان أن تكون مطمعاً للغزاة والمعتدين ، فتلك شهادة لها بالتميّز والأهمية ، وإنما يعيب الأوطان أن تستكين للغاصب وتخنع للهزيمة التى يلحقها بها ، وهو ما رفضه شعب مصر على مدى تاريخه الطويل ، إذ وقف كالطود الشامخ يرد البغاة ويتعقب الغزاة ، حتى يطردهم خارج الديار ويطهِّر تراب مصر من أدران الاحتلال .

والواقع . . أن الطابع المميِّز لشعب مصر على مر العصور ، هو عنف مقاومته للاحتلال الأجنبى ، منذ أن تعرَّض لأول مرة فى تاريخه لغزوة الهكسوس فى القرن السادس عشر قبل الميلاد فقام الشعب تحت قيادة زعيمه سقنن رع يقاتل العدو حتى سقط مضرجاً بدمائه فى أرض المعركة فهبت زوجه تيتى شرى ، التى كان قد اختارها من بنات الشعب تحمل راية الجهاد وتلهب المقاومة الشعبية ، حتى قضى حفيدها أحمس الأول على المحتلين وتعقب فلولهم خارج مصر .

ويمر ٣٥ قرناً من الزمان مشحونة بالكفاح الشعبى والبذل والفداء فى سبيل الوطن المفدى ، حتى وقعت ملحمة السويس يومى ٢٣ و ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، التى ضربت فيها المقاومة الشعبية لأهل المدينة أروع أمثلة الصمود والشجاعة فى وجه العدو ، الذى فشل فى اجتياح مدينتهم رغم ما أعدَّه لها من قوات ومدافع ودبابات وطائرات .

وبين هذين التاريخين يحفل سجل مصر بعديد من أعمال المقاومة الشعبية الباسلة ، التى تبرز للعملاء أن هذا الشعب الأبى لا ينام على الضيم ، ولا يبخل بالدم والروح للذود عن حياض الوطن ، وإليك بعض المقتطفات من أمجادها خلال القرنين الماضيين :

ثورة المنصورة على حملة نابليون :

دهمت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت مصر فى مغرب القرن الثامن عشر ، فأخذتها على غرَّة دون مقدمات أو مبررات لهذا العدوان المفاجئ ، الذى أثار غضب الشعب وهز مشاعره لما لمسه من اختلاف كبير بينه وبين الفرنسيين فى العقيدة الدينية وفى التقاليد والعادات ، بما أشعل روح المقاومة في وجدانه .

وكلما نجح بونابرت فى اخضاع إقليم . . أوقدت المقاومة الشعبية نار الكفاح فى عدة أقاليم أخرى ، وقد كانت منطقة شرق الدلتا وعاصمتها المنصورة أبرز تلك البقاع التى استهلَّت الكفاح المسلح تحت زعامة أحد أبناء مصر البررة ، الشيخ حسن طوبار .

فعلى الرغم من تفوق السلاح الفرنسى وشدة فتكه ، وما عمد إليه بونابرت من أساليب إجرامية لسحق تلك المقاومة ، وفرض الغرامات الفادحة على الأهالى لإخضاعهم . . فقد نجح الشيخ حسن طوبار فى توحيد الصفوف وجمع الكلمة فى طول الدلتا وعرضها . وكانت صفات الزعامة التى اكتملت فيه هي محور التفاف المناضلين حوله ، والالتزام بأوامره .

ولم يكن يغيب عن بونابرت ما لشرق الدلتا من أهمية بالغة بالنسبة لخططه فى الشام ، الذى التجأ إليه إبراهيم بك حاكم مصر بصحبة نفر من اتباعه ومئات من المناضلين ، المصريين الذين رفضوا الخضوع للمحتل الفرنسى .

وحتى يحكم قبضته على الدقهلية . . أرسل بونابرت الجنرال فيال على رأس حملة تمكنت من الاستيلاء على المنصورة فى مطلع أغسطس ١٧٩٨ ، وبعد أن ترك بها حامية لتأمين البلدة ، واصل زحفه نحو عزبة البرج ، فما كاد يغادر المدينة حتى انقض أهل المنصورة على تلك الحامية فأبادوها عن بكرة أبيها ، عدا ثلاثة من الجند نقلوا خبر الهزيمة إلى بونابرت*الذى بادر بتعيين الجنرال دوجا حاكماً للإقليم ، وزوده بتجريدة أخرى وصلت إليه يوم ١٨ أغسطس مزوَّدة بتعليمات قاسية بالانتقام من الأهالى وفرض الغرامات الباهظة على أعيانها .

وظلَّت المقاومة الشعبية تقاوم التعسف الفرنسى بصلابة ، وتمتنع عن دفع الغرامات وتتمرَّد على أوامر الحاكم الفرنسى ، فانتشرت نار الثورة فى كل الدلتا وساعدها فيضان النيل الذى أغرق الطرق والجسور فتوقف زحف جيوش الفرنسيين إلى حين .

وبمجرد أن غيض الماء عن الطرقات استأنف الجنرالان دوجا ومورا الزحف على قرى الدقهلية والقليوبية والمنوفية . . إلاّ أن المقاومة الشعبية فى زفتى وميت غمر وسنباط ردتهما مهزومين .

ثم جاءت المحاولة الثالثة لإخضاع تلك الأقاليم المستعصية . . فتحرك الجنرال داماس صوب بحيرة المنزلة ، بينما انقض الجنرال دستانج على المنصورة وما حولها . وباقتراب الجيوش من تلك المناطق هبت المقاومة الشعبية بقيادة الشيخ طوبار للدفاع عن بلادهم .

وقرب قرية الجمالية على فرع دمياط تعثَّر الأسطول الذى يحمل جنود داماس فى بحر أشمون ، وغرزت سفنه فى القاع فانهال عليها الأهالى بنيران البنادق وقذائف الحجارة ، ولما نزل بعض الجنود إلى البر اشتبكوا معهم فى قتال متلاحم استمر أربع ساعات بلا انقطاع ، فاضطر داماس وجنوده إلى الإنسحاب بعد أن أضرموا النار فى بيوت قرية الجمالية تعبيراً على حنقهم وسخطهم لما انزلته المقاومة الشعبية من هزيمة بصفوفهم .

عندئذ أيقن بونابرت أنه يواجه مقاومة عنيدة جيدة التنظيم ، وذات بأس شديد ، فعمد إلى الحيلة حيث أرسل يستدرج حسن طوبار لمقابلته واعدًا إيَّاه بمعسول الكلام ، إلاّ أن الشيخ كان أكثر حنكة فاحتج بالفظائع التى ارتكبها الفرنسيون بحق الأهالى ، وإحراق بيوت الفلاحين ، واتخذ من ذلك ذريعة لرفض طلب بونابرت .

وراح الشيخ طوبار ينسِّق جهوده مع إبراهيم بك واتباعه فى الشام ، كما حشد أسطولاً ضخمًا من المراكب فى بحيرة المنزلة وشرع فى مهاجمة الفرنسيين فى دمياط وما حولها حتى أجلاهم عنها .

ولم تعد الحملة الفرنسية بعد أن سيطرت المقاومة الشعبية على أقاليم شرق الدلتا تتعرَّض لتلك البلاد ، حيث أرخت قبضتها عليها وتركتها للمقاومة الشعبية ، التى نجحت فى تحقيق الاستقلال لهذا الاقليم الذى دوَّخ جنرالات بونابرت .

ثورة القاهرة الأولى :

وبينما كانت المقاومة الشعبية تتصدى للجيوش الفرنسية فى الدلتا على نحو ما جاء آنفاً . . كان سكان القاهرة يتميزون غيظاً مما عمد إليه بونابرت يوم ٢٤ يوليو ١٧٩٨ من فرض الغرامات الفادحة عليهم ، وقيام جنوده بأعمال السلب والنهب ومصادرة البيوت وطرد

سكانها فى العراء ، وهدم بعض المساجد والأبنية ، ومنها قصر البطل صلاح الدين الأيوبى بحجة إحكام السيطرة على المدينة .

وانطلقت بوادر الثورة الأولى مختلطة بالأذان من فوق المنابر حتى بلغ هياج الشعب ذروته ، وتصدرت جماعة من شيوخ الأزهر الشريف تنظيم الصفوف وتدبير الأسلحة وعلى رأسهم عمر مكرم نقيب الأشراف .

وفى صباح الأحد ٢١ اكتوبر ١٧٩٨ انفجر بركان الثورة الأولى ، فتجَّمع الناس فى رواق الأزهر استعداداً للخروج على سلطة الاحتلال ، إلاَّ أن الخبر وصل إلى بونابرت فأرسل الجنرال ديبوى حاكم القاهرة ليدهم الثوار قبل أن يستفحل أمرهم ، فدخل الأزهر بفرسانه وراح يطلق نيرانه على من فيه .

وتشابك الجمع وتصاعدت حدة القتال حتى قذف بعض المناضلين ديبوى برماحهم فقضوا عليه وعلى ياوره العسكرى النقيب موارى وبعض الجنود ، ثم استولى الثوار على أبواب النصر والفتوح والشعرية وزويلة ، وامتلكوا زمام بعض الأحياء التى أقاموا فيها المتاريس والاستحكامات القوَّية .

وعينَّ بونابرت الجنرال جونو لقيادة الجنود فى الأزبكية ، فنصب المدافع فى الطرقات بينما قام الجنرال بون الذى خلف ديبوى باحتلال المرتفعات المحيطة بالقاهرة . وراح الجنرال مارتان يصب حمم مدافعه على أحياء القاهرة والجامع الأزهر فخرجت له قوة من باب الفتوح لمهاجمة تلك المدافع ، كما صعد آخرون على أسطح البيوت والجوامع لضرب القلعة ببنادقهم ، بينما زحف بعض الثوار على الأزبكية لمهاجمة الجند المتمركزين بها .

وظلت المقاومة الشعبية مشتعلة حتى المساء ، وسقط خلال هذا اليوم المجيد كثير من الشهداء كما قتل عدد آخر من الفرنسيين ، منهم المقدم سلوسكى ياور بونابرت .

ثورة القاهرة الثانية :

ولم يكد أفراد المقاومة الشعبية يضمدون جراح ثورتهم الأولى ، حتى هبوا بصورة أشد وأقوى لاقتلاع قواعد الاحتلال الفرنسى فى القاهرة . وتضافرت جهود الأهالى وتراصت صفوفهم فوق الأسوار ، وعلى أبواب الأحياء حتى صارت العاصمة كلها مسرحاً للقتال .

وواكب تلك الثورة الشعـبية وصول الأنباء بزحف الجيش التركى علـى مصر من ناحية الشام ، بالإضافة إلى أسطول بحرى يشق مياه البحر المتوسط فى اتجاه ساحل مصر الشمالى فقوى ذلك من عزيمة الثوار ، وزادت مناوشتهم للجنود الفرنسيين فى حدةً .

وخرج الچنرال كليبـر الذى خلف بونابرت فى قيادة الحملة الفرنسـية على مصر لملاقاة هذا الجيش ، فـأوقع به الهزيمة فى ضواحـى عين شمس ، ثم تحوَّل إلى الثـوار الذى قادهم عمر مكرم وانضم إليهم أهل بولاق بقيادة الحاج مصـطفى البشتيلى ، فأجتاحوا مخازن الميره والذخيرة الفرنسية وقضوا على حراسها .

ثم إتجه الجمع إلى معاقـل الفرنسيين فى قلعة قنطرة الليـمون لاحتلالها ، إلاّ أن مدافع القلعة أمطرتهم بنيرانها فتراجعوا إلى باب الحديد حيث واصلوا القتال حتى هبط الظلام .

وانتشرت الثورة فى بقـية أحياء القاهرة ، حيـث احتشد زهاء ٥٠ الفـاً من الأهالى فى الدروب والطرقات ، فلما انبلج الفجر اتجهوا إلى الأزبكية حيث قيادة كليبر ، فاحتلوا أسطح المنازل المجاورة لها وراحوا يمطرونها بالسهام والحجارة .

وقبيـل الظهر . . التـحم الفريقـان فى معركة ضـارية تفنَّن الثـوار خلالها فى ابـتكار الأسلحـة ، وقفلوا أبواب الـقاهرة ليـمنعوا الإمدادات الـفرنسية عـن الدخول ، كمـا أقاموا المتاريس عند قـصر العينى وقناطر السباع والـشيخ ريحان والناصرية والمدابغ وبــاب النصر وبـاب الحديد والرويعى والسويـقة ، فارتفعـت بعض تلك المتاريس لأكثر من أربعة أمتار ، والثوار يتحصنون خلفها .

ونجحت جـماعة من الأهـالى فى عمـل مصنع لـلبارود فى بـيت الخرنفـش ، وورشة لإصلاح الاسلحـة ، وتجلَّت روح الفداء على أروع صورها واسـتمر الكفاح ٣٧ يومـاً مجيدًا اضطر الچنرال كليبر فى نهايتها إلى أن يدعو العلماء للتفاهم على شروط الصلح .

ورفض الـثوار هذا العرض فسلَّط علـيهم كليبر ، فجـر يوم ١٥ ابريل ١٧٩٩ ، جنوده بقيادة الچنرال فريان فـتمكن بعد قتال متلاحم يدًا بيد أن يتسـلل إلى بعض الأزقة ، حيث أمطرهم سكانها بالنيران والحجارة والماء المغلى حتى أجبروهم على الانسحاب .

واستمرت مدافع القلعة فى ضرب القاهرة بالقنابل ، بينما جنود كليبر يحاولون احتلال بولاق . فلما بـاءت تلك المحاولة بالفشل ، بعـد أن تحمَّلت خسائر كبيرة . . عـاود كليبر عرض الصلح ، إلا أن الشهيد سـليمان الحلبى باغته فى حديقة منزله بالأزبـكية فقضى عليه

وتولى الجنرال عبد الله مينو مكانه ، فقام بتدمير أحياء الحسينية وبركة الفيل وباب الشعرية للثأر لكليبر .

وفى تلك الأثناء . . اشتد ضغط الإنجليز لإخراج الحملة الفرنسية من مصر بالتعاون مع الباب العالى ، وأرسلوا قواتهم البرية والبحرية لتطويق الجيش الفرنسى ، وعاونتهم قوى النضال الشعبى من الداخل فلم يجد مينو بدًا من الجلاء والعودة بجنوده إلى فرنسا .

القرية التى هزمت جيشاً:

(حملة الجنرال البريطانى فريزر على رشيد)

زحف الجنرال فريزر يوم ٢٩ مارس ١٨٠٧ على رشيد بنحو ٢٠٠٠ جندى ، فلما اقترب من القرية قام المناضل حسن كريت بتنظيم الدفاع الشعبى عنها ، كما بادر بطلب العون من عمر مكرم بالقاهرة الذى أمده بالمتطوعين والأسلحة .

وفى صباح ٣١ مارس أخذت القوات البريطانية تتأهب لاحتلال القرية ، فأمر حسن كريت الأهالى بالاعتصام فى المنازل والتحصُّن داخلها ، كما أمر كافة السفن الراسية فى النيل بالإقلاع إلى ضفته الشرقية حتى لا ينسحب أحد من القرية مهما اشتد القتال ، وأكد على الجميع ضرورة الدفاع عن رشيد حتى أخر قطرة دم .

وبدت القرية لجنود الحملة البريطانية وكأنها بلدة أشباح ، حيث لا حس ولا حركة ، فظنوا أن أهلها قد هجروها طلباً للسلامة ، واندفعوا بكل عجلة يجوسون طرقاتها طلباً للغنيمة فلم يشعروا إلاّ ونار جهنم قد فتحت عليهن ، إذ إنهالت عليهم الحجارة والزيوت المغلية وطلقات الرصاص من أسطح المنازل ونوافذها فدب الفزع فى قلوب الإنجليز ، وسقط منهم عشرات القتالى فى الطرقات ومنهم الجنرال ويكوب قائد التجريدة وكثير من ضباطه ، بينما لاذ الباقون بالفرار .

وانتهت الملحمة بانتصار قوات المقاومة الشعبية وارتداد الانجليز عن رشيد ، بعد أن فقدوا ١٧٠ قتيل و٢٥٠ جريح و ١٢٠ اسير . ويصف الجبرتى مؤرخ تلك الحقبة من تاريخ مصر هذه الحملة الفاشلة بقوله :

« وعندما وصل الجنود الإنجليز إلى البلدة ضربوا عليهم من كل ناحية ، فسقط أكثرهم قتلى وجرحى ، والقى الأحياء ما بأيديهم من أسلحة وطلبوا الأمان فلم يلتفت اليهم حسن

كريت وقبض على ١٢٠ أسيراً بينما هربت طائفة من الإنجليز إلى ناحية « أبو قير » . ووصلت رؤوس القتلى إلى القاهرة صباح الأحد ٢٦ محرم سنة ١٢٢٢ هجرية ، ومعهم ١٢٠ أسيرًا ، فدخلوا من باب النصر وشقوا طريقهم وسط المدينة ومنهم ضابط كبير وآخر متقدم فى السن ، وهما راكبان حمارين والبقية تمشى حولهما فى ذلة وهوان وضربت القلعة فشنكا (طلقات بدون رصاص) وجبه خانه (قنابل مدافع) » .

وما كادت أنباء انتصار المقاومة الشعبية على جيش فريزر فى رشيد تصل أسماع أهل مصر ، حتى استنفر زعماؤهم همم الشعب وفى مقدمتهم عمر مكرم فسارع الأهالى إلى التطوع وحفر الخنادق وإقامة المتاريس لصد الانجليز عن العاصمة ، وتجلّت الروح الوطنية فى أبهى صورها .

شعب بور سعيد يقاوم الغزو الانجلوفرنسى :

بعد أن دكت الطائرات الأنجلوفرنسية مدينة بورسعيد بقنابلها ، خلال الفترة من ٣١ اكتوبر إلى ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، توطئة لغزوها من جهة البحر بأسطول تجاوز عدد سفنه خمس حاملات طائرات و٨ طرآد و١٦ مدمرة و١٥ فرقاطة و١٤ كاسحة ألغام و١٩ سفينة حاملة جنود ، نزل الجنود البريطانيون والفرنسيون على الساحل ، حيث دار قتال عنيف مع القوات المصرية القليلة المكلفة بالدفاع عن المدينة ، والتى تولى العميد أركان حرب صلاح الدين صادق الموجى مسؤوليتها ، فأبدى من ضروب الشجاعة ما شهد له به عدوه الجنرال ستوكويل .

وبعد قتال عنيف داخل مدينتى بورسعيد وبور فؤاد واستخدام قوات الاقتحام الجوى الرأسى للسيطرة على المناطق الحيوية بهما ، وذلك للمرة الأولى فى تاريخ الحروب ، تمكنت القوات الغازية من احتلال المدينتين ، قبل أن تصدر الحكومة البريطانية أوامرها بوقف إطلاق النار استجابة للضغط العالمى ، وذلك فى فجر يوم ٧ نوفمبر .

وللتو . . تولت المقاومة الشعبية المسئولية فبدأت باستطلاع مواقع العدو والحصول على أكبر قدر من المعلومات عنه ، مع تحديد نظم الحراسة والداوريات ، التى فرضتها قيادة الغزو لتأمين رأس الشاطئ المحتل .

وبدخول عناصر من الصاعقة إلى بورسعيد يوم ٢١ نوفمبر . . نشطت قوات الدفاع الشعبى فى المدينة ، وبدأت فى مهاجمة القوات الغازية اعتبارًا من يوم ١٥ ديسمبر عندما

أغارت على ملجأ دبابات بريطانية قرب حى المناخ تحت ستر الظلام ، وتمكنت من تدمير خمس دبابات وعدة عربات مدرعة مستخدمة فى ذلك القواذف الصاروخية والقنابل اليدوية .

وصاحب هذا الهجوم مناوشات أخرى متفرقة فى بعض الأحياء أوقعت خسائر بالعدو ، بلغت ٢٥ قتيلاً مقابل مناضل واحد ، فجر فى نفسه قنبلة يدوية قبل أن تطبق عليه قوات العدو .

وانقسمت المقاومة الشعبية إلى مجموعات ، اختص بعضها بقتال داوريات العدو بينما اختص البعض الآخر بمهاجمة ونسف الدبابات والسيارات المصفحة ، الأمر الذى أوقع بقوات العدو خسائر كثيرة وأربك قيادتها وشتَّت جهودها وأرخى قبضة يدها على المدينة .

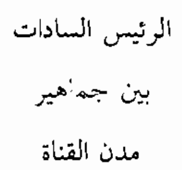
وفى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ أتم انسحابه من رأس الشاطئ ببورسعيد ، فتوقفت أعمال المقاومة الشعبية ، بعد أن أدت دورًا بارزًا ضد قوات العدوان ، جعل احتلاله للمدينة باهظ التكلفة فى دفع بعض قادة الغزو إلى وصف هذا الاحتلال « بالأيام السوداء فى بورسعيد » .

الفصل الثالث

قصة مدينتين
فى حرب رمضان المجيـــد



موكب الرئيس
السادات
داخل مدينة
السويس الباسلة



الرئيس السادات
بين جماهير
مدن القناة



لماذا سقطت القنطره وصمدت السويس ؟)

> الروح المعنوية ، أى العامل الإنسانى ، هى المبدأ العاشر البالغ الأهمية من مبادئ الحرب . (فيلد مارشال برنارد لومونتجمرى أوف علمين)

مقدمة :

فى أعقاب إحدى الندوات التى عقدتها مراكز الدراسات السياسية والعسكرية لحرب رمضان المجيد ، سأل واحد من الحضور عن سبب سقوط مدينة القنطرة أمام الهجمة الأولى للفرقة ١٨ المشاة بقيادة العميد الركن فؤاد عزيز غالى ، بينما صمدت مدينة السويس فى وجه الهجمات المتكررة للفرقة ١٦٢ المدرعة بقيادة اللواء أبراهام آدان ، وذلك إبان الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة .

وعاد للذاكرة حديث ، كان قد دار بينى وبين الجنرال الفرنسى الشهير أندريه بوفر قبيل وفاته المفاجئة عن عجائب المعارك ، التى تنتهى بفوز طرف لم يكن يتوقع له أحد بالنجاح ، إذ كان خصمه الأكثر نفيرًا والأفضل كيفاً . ولم نجد لذلك سبباً إلاّ العامل الإنسانى الذى لا يلقى غالباً ما هو أهل له من الاهتمام ، ربما لعدم توفُّر المعيار الدقيق لقياسه ، بينما يشكِّل ركيزة النصر الأولى فى أى صراع مسلَّح منذ فجر التاريخ .

وأذكر أننا كنا نستعرض عشرات المعارك التى تشهد على ذلك ، ومنها غزوة حنين فى العاشر من شوّال سنة ٨ هجرية (ربيع عام ٦٣٠ ميلادية) ، عندما خرج سيد المرسلين محمد ﷺ فى اثنى عشر ألف مجاهد لغزو ثقيف ومن التف حولها من القبائل ، فلم يكد هذا الجيش العرمرم يتحرك عند الفجر عبر وادى حنين الوعر البالغ الضيق ، حتى باغتهم العدو من جميع الجهات ، بعد أن كانت قبيلة هوازن قد كمنت لهم فى شعاب الوادى ، وقد كانوا رماة نبل ومقارعى سيوف من الطراز الأول .

وبقدر ما كانت المفاجأة مذهلة . . كان الارتباك فى صفوف المسلمين شديدًا إذ تراجعت غالبيتهم لا تلوى على شئ ، حتى قال قائل ممن لم يدخل الإيمان إلى قلبه « لا تنتهى هزيمتهم دون البحر » .

وكان الرسول ﷺ على بغلته الشهباء فى مؤخرة الجيش ، فلما رآه ينهار ويتقهقر ، انحاز إلى جهة اليمين حيث ثبت فوق منحدر الجبل ، وحوله الصفوف من الصحابة وهو يقول : « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب » .

ثم أخذ عمه العباس رضى الله عنه ينادى بصوته الجهورى . . « يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمرة » حتى رجع المسلمون ، واستأنفوا الهجوم الذى انتهى بهزيمة هوازن التى فرّت من أرض المعركة ، بينما انسحبت ثقيف داخل الطائف وأغلقت عليها أبوابها .

وهكذا جاء النصر بعد الهزيمة بفضل ثبات النبى ﷺ والنخبة الشجاعة من صحابته الميامين رضوان الله عليهم ، فكان العامل الإنسانى هو المنقذ الوحيد من الفشل الأكبر ، فهو وحده الذى حوّل الهزيمة إلى نصر ، ولا شىء غيره ، وهو نفسه أيضًا - والقياس مع الفارق - الذى حقق النصر للمقاتلين المصريين فى الاستيلاء على بلدة القنطرة ، وأنزل الهزيمة بالمقاتلين الإسرائيليين أمام مدينة السويس .

أولاً لماذا انتصر المصريون فى معركة القنطرة ؟

القنطرة هى ثانى مدن سيناء من حيث الأهمية والحجم ، وهى الهدف الاستراتيجى المهم ، والركيزة الأساسية للسيطرة على المحور الشمالى ، الذى يمتد بحذاء البحر المتوسط مارًا بالعريش ورفح إلى قلب إسرائيل . وقد شكّل هذا المحور اتجاه المجهود الرئيسى لعدوان خريف ١٩٥٦ ثم لعدوان صيف ١٩٦٧ ، كما أن المدينة تعتبر امتدادًا لأختها التوأم على الضفة الغربية لقناة السويس ، إذ تقطنها نفس العائلات التى ترتبط مصالح كل منهما بالأخرى بالمصاهرة وأسباب العيش .

وكان سقوط مدينة القنطرة شرق فى نهاية الجولة الثالثة إهمالاً جسيماً وخطأً استراتيجياً لا يغتفر ، إذ كان يسهل الدفاع عنها على نحو ما صمدت مدينة بور فؤاد التى تقع على مسافة ٤٠ كيلو مترًا إلى الشمال منها . وكم كان يحز فى نفس الجنود المتمركزين على الضفة الغربية للقناة وهم يشاهدون القنطرة شرق وهى ترزح تحت الاحتلال وينتظرون ساعة تحريرها بكل الأمل والشوق والتصميم .

ولم تكن القيادة الإسرائيلية تجهل قيمة القنطرة شرق ، ولذلك خصّتها بدفاع حصين داخل خط بارليف ، وبسلسلة من الحصون المنيعة على امتداد مواجهة المدينة ، وعلى الضفة الشرقية للقناة مباشرة . كما قامت بتأمين كافة الطرق والمحاور المؤدية إليها بحصون أخرى

فى العمق لوقـايتها من الحصار . وبهذا اطمـأنت القيادة الإسرائيلية إلـى تعذُّر الاقتراب من القنطرة شرق بالمواجهـة ، مع استحالة الالتفاف على أحد أجنابها أو تـطويقها من العمق ، لتظـل شوكة فى جنب أيـة قوات مصرية قد تـنجح فى عبور الـقناة ، إلى أن يتم إبـادتها بالاحتياطيـات القريبة والانساق الثانية الـتى أجادت التدريب على أمثال تـلك المهام ، على امتداد الـسنوات الست التى انصرمت منذ انتهاء الجولة الثالثة .

وزيادة فى التأمـين . . قامت السلطات الإسرائيـلية بإخلاء المدينة من أهـلها ، وحوَّلت بعض مـنازلهم إلى أوكار لـلأسلحة ومزاغل لإطـلاق النيران ، كما أزالـت بعضها لتـمهد ميادين للمراقبة والنيران بهدف تحطيم أى هجوم مصرى لتحرير المدينة .

وكان العميد الركن فؤاد عزيز غالى يدرك صعـوبة تحرير البلدة التى تعيَّن على قواته أن تقتحم فى طريقها مانعاً مائياً عريضاً ، وتـصعد حائطا ترابيا شاهقاً ، وتدمّر حصوناً أقيمت على أحدث النـظريات ، ثم تخوض حقولاً مـن الألغام المضادة للأفراد والشـراك خداعية ، قبل أن تقتحم المديـنة وتحررها من أدران الاحتلال البغيض ، ثم تدافع عـنها ضد الهجمات المضادة الشرسة التى سوف يشنها العدو لا محالة لاستعادة البلدة مرة أخرى .

واستهل العـميد الركن غالى دراسة المـهمة بتحديد حجـم وتسليح العدو فى مـواجهـة فرقتـه ، وتنظيم خططه الدفاعية وصولاً إلى الخلاصات التالية :

١- الأسلوب الأمثل لاجتياح حصون المدينة والنقط القوية على أجنابها ، والتى تشكل عقبة رئيسية تعترض طريق قواته المهاجمة .

٢- الخطة الأفضل لشـل عمل الاحتياطيات الإسرائيلـية القريبة ، التى سوف تهـرع لنجـدة تلك الحـصون لمنعـها من مد يـد المساعدة لـها ، أو الوصول إلـى مرابض الدبـابـات المجـهزة حول المـدينة وداخلها وفوق الحائط الـترابى ، لعرقلة عبور قـواته وإيقاع أفدح الخسائر بها .

٣- إيقاع أقـل قدر من الخسائـر في القوات الإسرائـيلية مع الحـصول على ، أكبـر قدر من الأسري ؛ للاستـفادة بما يحملونـه من معلومات فـى إدارة المراحل التالية مـن المعركة الهجومية .

٤- سرعة اكتشاف الأخـطاء التي تقع فيها القـيادة الإسرائيلية أو قواتها ؛ لاسـتغلالها أولاً بأول بما يدفع وتيرة الهجوم ، ويحسم المعركة بأقل خسائر وأسرع وقت .

وكانت المعضلة الثانية أمام العميد الركن غالى هى انتخاب قوة الاقتحام لتحرير المدينة ، ووضع الخطة لتوقيت الهجوم وحجمه واتجاهه ، مع تحديد المساعدات التى تكفل التغلُّب على ما سوف يصادفه من مشكلات .

أمَّا المعضلة الثالثة . . فكانت تحديد أسلوب سيطرته على قواته المهاجمة ؛ خصوصاً عندما تتلاحم مع العدو فى القتال يدًا بيد داخل الخنادق والحصون ، وهل تباشر قواته أسلوب الهجوم المباشر ، أم الحصار ، أم كليهما معاً ؟

وكان للمفاجأة القدر المعلى من الأهمية لنجاح العملية ، وحصر الخسائر البشرية . أمَّا توقيت الهجوم فقد تحدد له ثانى أيام المعركة ، الأحد ٧ أكتوبر، عندما تكون أنظار العدو واهتماماته قد تحوَّلت تماماً إلى كبارى العبور ورؤوس الجسور الخمس على الضفة الشرقية للقناة .

وبعد أن اتخذ العميد الركن غالى قراره فيما سبق من معضلات ، قام بالآتى :

١- انتخاب أفضل القادة والقوات لتنفيذ المهمة ممن اشتهروا بالهمة والمعنويات العالية .

٢- شرح الخطة التفصيلية حتى أدنى المستويات، وتدريب القوات عليها من خلال مشروعات واقعية لأكثر من مرّة .

٣- بث عقيدة القتال فى نفوس الأفراد ، وتذكيرهم بأن الجهاد هو أسمى مراتب العقيدة لإحراز النصر أو الشهادة ، وأنه المحك الأول لحقيقة ما يقر في قلب كل مواطن من حب الوطن واستعداده للبذل فى سبيله .

وضاعف من أثر العامل الإنسانى فى إحراز النصر يقين الجنود بعدالة القضية ، ومشروعية المهمة ، وحتمية تحرير الوطن من قبضة الغاصب الدخيل ، بينما لم يكن الجنود الإسرائيليون المحتلون للمدينة يجدون الحافز الحقيقى لبذل الأرواح فى سبيل الاحتفاظ بها ، أولاً لهدف المقنع الذى يستحق التضحية بالنفس فى سبيله .

لهذا حرصت خطة الهجوم على البلدة أن تترك لهم ثغرة ، يتخلصون خلالها من القتال طبقًا لتكتيك حدوة الحصان ، حتى يتمكنوا من الانسحاب شرقاً لينضموا إلى باقى قواتهم بالعمق التكتيكى ، ولهذا كلّف العميد الركن غالى جنوده بحصار أغلب النطاق الخارجى للمدينة ، مع ترك فجوة فى الإطار الشرقى للهرب ، خاصة وقد كانت أعداد كبيرة

من الوحدات الإسرائيلية المقاتلة وعناصرها الإدارية والفنية داخل المدينة بما يحسن معه عدم إحكام قفل طوق الحصار عليهم ، مما قد يطيل زمن المعركة .

وجاء النصر كاملاً وسريعاً ، إذ غادرت فلول الإسرائيليين البلدة قبل أن تغرب شمس اليوم الثانى لحرب رمضان - ٧ اكتوبر - فأرتفعت عليها أعلام مصر لتعلن عن بطولة الرجال الذين حرروا البلدة بفضل تفوقهم فى العامل الإنسانى على العدو .

ثانياً : ولماذا انهزم الإسرائيليون فى معركة السويس ؟

كعادته فى الجولات السابقة ، استغل العدو قرار إيقاف النيران الصادر من مجلس الأمن فى الساعة السابعة مساء ٢٢ اكتوبر ، لدفع المزيد من القوات والمعدات بغرض توسيع ثغرة الدفرزوار ، وسرعة الاستيلاء على إحدى مدن القناة للمقايضة بها فى أى مباحثات مقبلة .

ولم تكن تلك النوايا خافية على اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميدانى ، وهو المتمرس فى الحروب ضد إسرائيل ، فبادر بإتخاذ كثير من الإجراءات تحسباً لتطور العدوان المتوقع ، الذى رجّح بخبرته العريضة أنه سوف يتجه صوب السويس .

وقبل أن يتمكن من قطع طريق السويس القاهرة والمحاور الطولية الأخرى فى فجر يوم ٢٣ اكتوبر . . كان اللواء واصل قد دفع بسريتين من المشاة الميكانيكية يدعمهما عدد من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، وسرية صاعقة لتشترك مع الكتيبة ١٨٣ دفاع إقليمى ، وقوات الدفاع الشعبى فى الدفاع عن السويس حتى أخر طلقة . كما حرص أيضاً على تخزين كمية كافية من الذخائر ومطالب الإعاشة فى أماكن مستترة داخل المدينة .

وقد كشف تطوّر القتال حول وداخل المدينة أن تلك القوات كانت تتحلى بمعنويات عالية ، وبتصميم أكيد على الذود عن مدينتهم ، وقد كانت تلك هى ميزتهم الحقيقية على العدو الأكثر عدداً وسلاحاً ، الذى راح يهاجمهم المرة تلو الأخرى فكان نصيبه الفشل والاندحار .

وبعد أن تولى المستشار العسكرى لمحافظة السويس مسؤولية تنظيم الدفاع عن المدينة أعاد تنظيم الدفاع عنها لأخر طلقة ، كما دفع مجموعات اقتناص دبابات وكمائن ومفارز للعمل خلف خطوط العدو ، على مخارج المدينة وداخل المناطق الزراعية المحيطة بها .

وبمبادرة شخصية من العميد الركن يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ ، المشاة وأحد أبطال تلك الحرب التى كانت فرقته متمركزة فيها على الضفة الشرقية للقناة فى مواجهة السويس ، قام خلال ليلة ٢٢/ ٢٣ أكتوبر بدفع بعض مجموعات اقتناص الدبابات لتعزيز دفاعات السويس ، ثم أرسل ظهر يوم ٢٣ سرية صواريخ شمل مضادة للطائرات وأربعة قواذف RPG لدعم الدفاع المضاد للدبابات عنها ، إلى جانب نيران القواذف والمدافع الموجودة فى مرابضها على الضفة الشرقية .

وظل العدو يقصف المدينة وما حولها بتركيز شديد طيلة يوم ٢٣ أكتوبر ، وعندما اقتربت وحداته الأمامية منها لجس مدى مقاومتها . . قابلتها النيران الحامية عند منطقة حوض الدرس ، فتحول العدو نحو الشمال الغربى لاجتياح المدينة من ذلك الإتجاه .

وبادر مستشار المحافظة بتعديل الأوضاع لتأمين قفل المحاور الجديدة للهجوم الذى بدأ فى الساعة الحادية عشرة من ليلة ٢٣/ ٢٤ أكتوبر بتقدم دبابات العدو من السفوح الشمالية الشرقية لجبل عتاقة ، صوب ميناء الأدبية الواقعة جنوب السويس . كما حاصرت الميناء .

وتواصلت المعلومات مع أول ضوء ٢٤ أكتوبر عن زحف لواء مدرع على عدَّة محاور من طريق الجناين ، وطريق القناة ، وطريقة المعاهدة ، ومحور طريق القاهرة - السويس ، تحت حماية مظلة جوية ، وقصف جوى عنيف ، وتمهيد مدفعى ركَّز نيرانه على طريق السويس والمعاهدة .

ثم ظهرت دبابات العدو على مشارف السويس فى منتصف الساعة التاسعة صباحاً ، قادمة من اتجاه معسكر الشلوفة تحت ستار القصف الجوى والمدفعى ، فتصدَّت لها مجموعات اقتناص الدبابات المنتشرة فى تلك المنطقة ، وأبدت ثباتا وشجاعة تمكَّنت بفضلها من تدمير أربع دبابات معادية فتوقف الرتل الزاحف وحاول الالتفاف من جهة الغرب ففقد أثناء تلك المناورة خمس دبابات أخرى ارتد على أثرها للخلف ليعيد التخطيط ، فى نفس الوقت الذى بادرت فيه مجموعات اقتناص الدبابات بإعادة التجميع والتوزيع عند مداخل مدينة السويس نفسها .

وكرَّر العدو هجومه فى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، مركزاً جهده الرئيسى فى اتجاه طريق القاهرة - السويس وشارع الجيش ، بينما قامت قوة أخرى تقدر بكتيبة دبابات بالهجوم من اتجاه طريق القناة ، فأعتلت الساتر الترابى على الضفة الغربية قرب حوض

الدرس ، حيث تعرّضت للخسائر الجسيمة من مجموعات اقتناص الدبابات المصرية ، التى أجبرتها على التوقّف عند مصيف الملاحات الواقع على مسافة ٧ كيلو مترات شمال بور توفيق .

ومع الظهر تمكّنت عناصر مدرعة من التسلل داخل السويس على امتداد شارع الجيش الذى يخترق المدينة من الغرب للشرق فدار قتال متلاحم معها ، كما أمكن تدمير قوة أخرى حاولت الاستيلاء على قسم شرطة الأربعين . وبفضل عنف المقاومة واستبسال المقاتلين مع تلاصق مبانى المدينة ، وارتفاع المعنويات هبطت معنويات الإسرائيليين حتى اضطر قائدهم للتدخل ، ومخاطبة جنوده لاسلكيا لطمأنتهم وشرح طريق النجاة الذى يستطيعون أن يسلكوه للخروج من مأزقهم بالمدينة .

وعلى محور القاهرة - السويس حاول رتل آخر الهجوم عصر يوم ٢٤ اكتوبر ، مركزاً جهده غرب جسر السكة الحديد ؛ فتصدت له مجموعات اقتناص الدبابات بالتعاون مع عناصر المشاة والدفاع الإقليمى والشعبى ودمرت له دبابتين وأربع عشرة عربة مدرعة وبعض اللوارى المحملّة بالذخيرة ، كما أجبرت الباقى على الارتداد غرباً بعد سقوط عدد من ضباطه وجنوده قتلى .

والواقع أن يوم ٢٤ أكتوبر قد حفل بأحداث جسام وبطولات عظام وصمود جدير بالفخر حتى صار اليوم القومى لمدينة السويس الباسلة . ويحضرنى هنا ما قاله شلومو آراد مصوّر الجيش الإسرائيلى فى كتابه المعنون « عيد الغفران » ما نصّه : « بدأ المهرجان فجأة ، وراحوا يطلقون علينا النيران من كل جانب وبيت ونافذة وفتحة . . . . ولم يعد منزل واحد لا تخرج منه النيران ، التى راحت تنهال علينا بغزارة من كل أنواع الأسلحة الآلية والقنابل اليدوية ، بينما جرحانا يرقدون على قارعة الطريق وأنينهم يقطّع نياط القلب . . . أما المظليون الذين حاولوا بخبرتهم التقدم فقد احتجزتهم النيران بجوارهم . . . وراحت أجهزة اللاسلكى تردد نفس العبارة الرتيبة دون توقف . . . النجدة . . . النجدة . . . لم نعد نحتمل . . . أرسلوا التعزيزات فوراً » .

وفى فجر ٢٥ أكتوبر لجأ العدو إلى قطع المياه عن المدينة بردم ترعة السويس ليجبر الأهالى على الاستسلام ، إلا أن المآذن راحت تردد نداء الله أكبر تعبيراً عن الاصرار على مداومة الصمود ، ثم زاد نشاط الدفاع مع أول أيام عيد الفطر الذى وافق ٢٦ اكتوبر فأوقع

المزيد من الخسائر فى أفراد العدو ومعداته ، بينما قامت المدفعية من مرابضها على الضفة الشرقية للقناة بقصف مواقع العدو فى المثلث والشلوفة ومنطقة الاستاد جنوب المدينة .

وتحركت مجموعة فدائية من المدينة لتباغت العدو المتمركز فى منطقة مضيق الملاّحات وتحطم له ثلاث دبابات وعربة نصف جنزير بأطقمها ، كما أصابت بعض أفراده فلم يعاود الهجوم من هذا الاتجاه مرّة أخرى .

وبروح الانتقام راح العدو يكثّف قصفاته الجوية على المدينة الصامدة ، بينما دفع بقوة أخرى للهجوم عليها من الشرق قابلتها نيران المدافعين بتصويب محكم وأجبرتها على العودة من حيث أتت . وكانت تلك الهجمة هى الأخيرة فيما حاوله العدو جاهدًا لاحتلال السويس ، وما أبدته المدينة من صمود واستبسال تحطمت على صخرته الهجمة تحت ظروف معاكسة كانت تقف إلى جانب العدو إلاّ أن روح القتال وهمة الرجال وارتفاع المعنويات كانت أقوى من جحافل العدو ونيرانه الجوية والبرية .

والواقع أن نصر السويس يعود فضلة بالدرجة الأولى إلى العامل الإنسانى ، الذى ملأ وجدان المدافعين عن المدينة استبسالاً وإصرارًا على الذود عنها تحت أشق الظروف ، وتصميمًا على ألاّ يدنسها العدو بالاحتلال مهما تطلّب ذلك من فداء ودماء .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب العاشر

إعداد القوى ورباط الخيل

بعد أكتوبر ٧٣ ورحيل السادات أكتوبر ١٩٨١

الفصل الأول

رؤية السادات للحل السياسى

فى حديث مهم بعد قبول مصر وإسرائيل وقف إطلاق النيران فى ٢٧ اكتوبر ١٩٧٣ ، **قال الرئيس السادات للقادة فى شهر نوفمبر ١٩٧٣** الآتى :

« لقد استعدنا ثقتنا فى أنفسنا واستعدنا وصمة ١٩٦٧ ، وأزلنا إلى الأبد ما حدث فى ١٩٦٧ وتوجد حاليا سخافات ورذالات فى السويس ولاانهار أبدا . . ورغم إيقاف النيران يجب أن تكونوا متحركين وجاهزين بخطط جديدة وبديلة كذلك حرب الدبابات واعمال المفارز والقوات الصغيرة المدعمة بعنصر مضاد للدبابات مثل الصاعقة وخلافه ونبرجس كما نشاء فقد ضاعت ليلة بالكامل فى الدفرزوار ليلة سعد ما سافر إلى هناك لماذا ضاعت؟ » ونظر إلى الفريق الشاذلى نظرة ذات معنى ، ثم قال « اطلب سرعة التفكير وسرعة التصرف وسرعة اتخاذ القرار ومواجهة الموقف . . . من ٦ اكتوبر إلى ٢٢ منه وضعنا إسرائيل عارية أمام العالم ، ولولا امريكا لم تستطع إسرائيل استعادة أو تحقيق ما عملته أثناء القتال وأثناء وقف النيران » .

ثم قال السادات : « لا تنسوا احنا عسكرين لدينا حالة دائمة من **اليقظة والحركة** . . ويجب ان تكونوا جاهزين يقظين وفى حركة مستمرة دائما . . . » .

وبخصوص الفصل بين القوات ، قال الرئيس السادات :

« اتفاقى مع كيسنجر والروس هو الفصل داخل سيناء ، وليس عن يوم ٢٢ اكتوبر فسيبقى هذا الجيب خطر عليهم . وهذا لا يعنى شيئًا للقوات المسلحة يجوز أن لا يتم . . يجب أن تتحركوا خذوا أرض . . تحركوا **ثم بعد الفصل ندخل مؤتمر السلام** وعليكم الحركة أكبر وجاهزين للاسوأ باستمرار ، ومفروض أن **تظل القضية حية** وروعة قرار اكتوبر وما نفذته القوات المسلحة وتاريخيته أنه نفذ واتخذ ضد إرادة الكبار روسيا وأمريكا ، وكانوا يقولوا لى أوعى الحرب قلت لا يجب تحريك القضية ونحن جاهزين واحترم الكبار

إرادتنا وقــرر بعد ذلك . . لن تـتوقف القـضية **إذا توقفت لحظة سيــاسيا لا تتوقف لحظة عسكريا** انسـوا ما حدث فى ١٩٦٧ ساعمل بكــل قدرتى ولكن إذا وجدت الـقضية ستجمد فإن القرار والجهـد والتضحية الذى أتخذ سيستمر . .سلاح البـترول سأستخدمه آخذ أى سلاح أراه من أى دولة ، **ثم قال السادات :**

سندخل المـرحلة السياسيــة من مرحلة وقف إطلاق النـيران اوجه لكم جميـعا خالص شكرى على العــمل الذى تم . . كل المعارك يحدث فيها اخطـاء ولكن لا تصل إلى ١٩٥٦ ونقول انتصرنا وتنس . .

الدروس والثغرات والأخطاء تدرس تماما .

سنعيد تنظيم الدولة والقوات المسلحة بالكامل .

فيوم ٦ اكتوبر غيّر مصر والدول العربية شعب جديد ومفاهيم جديدة ، ويجب **تطوير القوات المسلحة** بناء على معركة خضناها وليس على ورق أو مشاريع .

ثم استطرد الرئيس السادات قائلا :

« يجب أن نحافظ عــلى ما حصلنا عليه من ثـقة تجاه شعبنا فأمامنــا عدو مقاتل شرس تسنده قوة كبرى وعليـنا أن نواجهه . . وقد واجهناه وسنواجهه وفى كل دقيـقة وثانية نستعد لمواجته بدون الأخطاء . . استفيدوا من التـجارب . . سأظل راضى عما تم إذا كنا ننظر إلى المستقبل بروح المسئولية ولا نرضى داخــل نفوسنا عما تم ونطور لا تأخذوا ما حدث فى ٥٦ يجب أن لا نـنام على هـذا ولن أسمح به مـرة أخرى . . واجه عدوك اسـتعد له بـالحركة استـفد من الـدروس ادعو لكم بـالتوفـيق إن شاء الـله **وشعارنا دائما يـقظة وحركة مستمرة »** .

ومرت الأيام والاتصالات السيــاسية جارية بمعرفة القيادة السياسـية . أما موقف القوات المسلحة فـاستمر فى إعداد القوى وربـاط الخيل بالطريقة ، الـتى تحقق تأمين قواتنـا وتعديل الأوضاع بإسـتمرار حتـى لا يعرف العـدو نوايا قواتنـا أو قيادتنـا ، مع وضع فكـرة الخطة الهجومــية ، ويجب أن يكون الـعدو فى شك ، ويجب عـدم ايقاف التدريب لحـظة واحدة فالحركة الدائمة فى رؤوس الشواطئ مهمة حتى يشعر بها العدو ويشعر بأهميتها ، ويدفع لها قوات ولايثبتها بقوات قليلة .

كما شجعت القيادة العامة للقوات المسلحة الابتكارات الفردية من الضباط الأصاغر والحركة والعمل بتصرف وحرية الحركة والمناورة .

خطوات نحو الحل السلمى النهائى :

بعد مرور حوالى ١٤ شهرا بعد حرب اكتوبر ، والاتفاق على وقف إطلاق النيران تكلم الرئيس السادات عن معركة عنيفة خاضها طيلة هذه الأشهر ، ولم يفصح عنها تفصيليا إلا بعد أن انتهى منها وفاز فيها ، وهى :

- موقف الاتحاد السوفيتى :

صمم الرئيس السادات على أن لايسلم أبدًا للسوفيت مهما كان . . وصمد ضد قيادتهم ١٤ شهرا إلى أن زار جروتشيكو مصر ، وطلب من السادات ان يسلم روسيا طائرات الميراج التى اخذتها مصر واعتبرتها روسيا خيانة من مصر لأنها تنوع مصادر الأسلحة !! ووعد بارسال عدد كبير من الطائرات وفعلا وصلنا ٢٥ طائرة فى شهر واحد ، ووصل أخيرًا ١٥ طائرة ثم ٦ طائرات يوم ٤ مارس ١٩٧٥ يعنى حوالى ٤٠ طائرة فى شهر . وهنا قال السادات تعليقا على هذا : « كان لازم اصمد واصر على موقفى مهما كان السبب وبالنسبة لى كان هذا فاصل !! ولكن الاتحاد السوفييتى سلم تكتيكيا فقط وهو يحاول تغيير النظام بأى وسيلة ضدى وانا والله ماعاوز شئ ضد مصر لم اضع الكرسى أبدا في الحسبان احط مصر دائما فى الحساب !! هو (يقصد روسيا) عاوز نظام موالى له . . هم غيرّوا التكتيك فقط لأنهم شعروا أن فرنسا قالت لنا كما قالت فى بيان رسمى إنها ستعوض مصر ما فقدته من أسلحة » .

- موقف امريكا :

بعد وقف إطلاق النيران وجدوا خط ٢٢ مقتل لليهود ، فعملوا عملية السويس وكانوا طالبين الإسماعيلية كمان للتخليص على الجيش الثانى ، ولكن كانت استراتيجيتى معادلة القوتين » . . هكذا قال الرئيس السادات معلقا على موقف امريكا - ثم استمر فى شرح موقفه من امريكا قائلا : « وطلبت منهما - يقصد روسيا وامريكا - التدخل بقواتهما فى مصر لإعادة الخط ٢٢ فقط وأنا علىّ الباقى . . أمريكا أعلنت التعبئة ، وروسيا بدأت تتحرك والحمد لله عملية السويس ناجحة لنا » .

ثم استمر يشرح موقف امريكا فى الطريق للحل السلمى وقال « جاء كيسنجر وعملنا ٦ نقط علشان اكل بدوى وقواته - يقصد اللواء أ.ح أحمد بدوى الذى عينه السادات قائدا للجيش الثالث الميدانى ، وهو كان قائد الفرقة السابعة المشاه شرقا ومازال هو وقواته وقوات الفرقة ١٩ شاه بقيادة عميد أ.ح يوسف عفيفى فى رأس كوبرى الجيش الثالث شرق قناة السويس ، ولكن العدو الإسرائيلى تمكن من السيطرة على طرق إمداده من السويس غربا - أما اليهود فقد راودتهم الأحلام ليخلصوا على الفرقتين ٧ ، ١٩ فى الشرق ، وقالوا ذلك فى الكنيست ولكن ديان قال لهم ليست عندى ذخيرة !! نفس ما حصل لنا مع روسيا - يقصد أنهم قالوا ليس لديكم ذخيرة توصلكم ٢٠ كيلو متر !! » .

ثم استكمل حديثه قائلا « صدقت أمريكا فى الست نقط ، وفتحت التموين لأولادى ثم جاءنى كسينجر ، وقال أنهم حيمشوا من الغرب لأنهم فى مأزق . . وكنا قد وضعنا خطة تصفية الجيب عندنا ٨٠٠ دبابة واليهود موقفهم الصعب فى الغرب . . وقلت لكيسنجر لا إنما عاوز خط ٢٢ وليس إلى الشرق دى معركتى وسأصفيها فى الغرب . . . . ثم وافقت وحدث فض الاشتباك إلى الشرق . . ثم الخطوة الثالثة بعد فض الاشتباك فى سوريا يتحرك . . وسيصل يوم الجمعة ان شاء الله لموضوع المضايق والبترول ، وكان المفروض أن ننتهى فى اكتوبر لولا ما حصل فى أمريكا داخليا . . . وسيحضر كما وعد تماما . . » هكذا أكد السادات . . .

استراتيجية الأعداء : نحن كعسكريين يجب معرفة استراتيجية أعدائنا .

الاتحاد السوفييتى - لا يريد حل المشكلة أبدًا منذ عشرة سنوات ، ونفضل متعلقين ومزنوقين له . .

أمريكا : - تريد حل المشكلة فعلا ولكن بشروطها لا بشروطى أنا أو بشروط القضية العربية . . وتطرد الاتحاد السوفيتي من المنطقة وتأخذ الـ CREDIT بالكامل .

« أنا أمامى موقفين » هكذا أكد الرئيس : « ونحن بمعجزة حافظنا على ٨٥٪ من قواتنا أمام غولين كبار واحد فى المواجهة وواحد فى الظهر ، وعلينا متابعة ذلك فى المستقبل بنفس التصميم والثبات » .

« ماذا افعل ؟ » . .

« **روسيا** تعطينى الآن طائرات ٢٥ طائرة فى شهر وهى قادرة وحدها .. وبعد ١٤ شهر لم اركع له ولم أغار مما عمله مع سوريا .. وبدأ يزق سوريا والمقاومة الفلسطينية على مصر ...

« **سوريا** طلعت مهزومة من الحرب ، وبرجاء منى شخصيا - هكذا اكد السادات - أعطيناها القنيطرة وكنت متفق عليه شخصيا قبل رحيل اليهود من الغرب وأبو مدين شاهد على هذا ... وخسروا فى معركة استنزاف أربعة مواقع فى جبل الشيخ ، وإحنا رجعناها لهم .. » .

وعن الفلسطينيين ، اشار الرئيس السادات إلى موقفه منهم ، قائلا :

« أنا لا أخاف من فلسطين .. أنا موقفى واضح . مع الفلسطينيين والبيان اللى صدر مكتوب فى سوريا وكتبه الاتحاد السوفييتى ولم يكتبه الفلسطينيين !! الهدف مهاجمة مصر وإرهابها وتكتيفى » .

الخلاصة :

توقع الرئيس السادات أن تستمر روسيا فى موقفها هذا وقد تتعرض مصر لمواجهة مع روسيا في الصيف ، ولكن السادات أكد أنه سيحاول تجنب ذلك بكل ما يستطيع ، رغم أن عنده **ورقة** بالحقيقة ولكن ليس من مصلحة مصر معاداة قوة كبيرة أو صغيرة إلا إذا بادرنا هو بالعداء . وليس لروسيا وجود هنا إلا كتاجر سلاح فقط .

وقال السادات إن كيسنجر سيصل يوم الجمعة وأن المرحلة القادمة ستكون على شكل عرض proposal امريكى على الطرفين إذا قبلوه ، يتم فض الاشتباك الثانى على الجبهة المصرية ثم يتلوه آخر على الجبهة السورية ، وسنسمع كلام كثير عن الحلول المنفردة ، لن نسأل عن احد ولن نرد » هكذا أكد الرئيس السادات .

- **وعن اعداد القوي لمرحلة السلام** أكد الرئيس السادات لقادة القوات المسلحة هذه التوصيات المهمة :

* عبورنا القناة والاحتفاظ بعشرة سنتيمتر سيغير الموقف والآن عملنا عشرة كيلو متر .....ورغم ما حدث فقد احتفظنا بحجم انتصارنا ، رغم أن روسيا قبل أمريكا أرادت تحطيمه .

* اشغلوا انفسكم بالعسكرية والجندية ، واليهود لا يضيعوا فرص تدريب ، ويجب مواجهة العدو بأسلحته .

* اثبتوا شراسة وجرأة واندفاع واهتموا بالتكتيكات الصغرى والقادة الأصاغر مع الروح الهجومية والجرأة .

* الاتحاد السوفييتى مُكرهًا سيسير معنا .

* أمريكا ستكون معنا ، وبعد فك الاشتباك سيكون فيه إمكانية شراء أسلحة من امريكا .

* حافظوا على المستوى وتطوروا بالدروس المستفادة إلى مستوى أحداث اليوم ومالدى إسرائيل من ابتكار اساليب جديدة ومفاجآت جديدة ، واطلقوا روح الابتكار والجرأة والشراسة عند القادة الأصاغر فهم أساس المعركة القادمة .

كوبري القبة فى ٣ مارس ١٩٧٥

الفصل الثانى

خطوات مصر فى إعداد القوى ورباط الخيل بعد اكتوبر ١٩٧٣

رغم أن الرئيس السادات صرح بأن حرب أكتوبر ١٩٧٣ هى آخر الحروب ، إلا أن إعداد القوى يجب أن يستمر لمستقبل أفضل فالبقاء دائمًا للأقوى . ولذا وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية خطة خمسية لتطوير القوات المسلحة على مرحلتين : مرحلة أولى إلى نهاية عام ١٩٧٥ ، ومرحلة ثانية إلى نهاية عام ١٩٨٠ .

وحتى تبنى خطة التطوير على أسلوب علمى سليم . . كان لابد من بناء القاعدة الأساسية التى سيبنى عليها الإعداد وهى :

* صيانة المعدات والأسلحة ، والمحافظة عليها ، ووضع خطة علمية للتخزين .
* إعطاء فرصة للبحوث والتطوير لعمل وصنع قطع الغيار لكل سلاح .
* إعادة الانضباط فى القوات المسلحة وتسلسل القيادة السليم .
* رفع الكفاءة القتالية للقوات المسلحة .
* تحديد نسب استكمال تشكيلات القوات المسلحة ، على مراحل .
* تطوير نظام التدريب المهنى فى القوات المسلحة .
* تشجيع التطوع فى كل تشكيلات القوات المسلحة بمزايا أدبية ومادية .
* إعادة تنظيم وتطوير نظام التعبئة ، بما يواكب العصر الحديث .

وهنا نقطة مهمة ، يجب عدم إغفالها فى أعمدة إعداد القوى ، وهى : لزوم معرفة من هو عدونا ، وما هو هدفه ، ومن هم حلفاؤه.

العدو الإسرائيلى :

بنت إسرائيل إستراتيجيتها على أساس الا تحارب على أكثر من جبهة ، ولكنها فى حرب رمضان اضطرت للقتال على جبهتين الجبهة السورية والجبهة المصرية فى وقت واحد ، ولو كان هناك إجماع عربى لأمكن تكوين جبهة شرقية ، تحارب إسرائيل فى جبهة ثالثة من العراق والأردن مثلا . وبالطبع سيكون الصراع أكثر مشقّة على إسرائيل مهما ساعدتها أمريكا أو غيرها . .

- وتشكّل الخسائر مشكلة كبيرة لإسرائيل ، خاصة القتلى ، والأرجح أنها فى حرب رمضان تحمّلت خسائر جيل كامل . .
- ووقف العرب معًا وقفة رجل واحد ، رغم ما كان بينهم من صراعات .
- لا تتحمل إسرائيل القتال الطويل ، فهى تعتنق مذهب الحرب الخاطفة . ولكن حرب أكتوبر استمرت ٢٢ يومًا ، وهى مدة طويلة بالنسبة للمفاهيم الإسرائيلية في القتال والتعبئة ، والأعباء التى تلقيها على كاهل المجتمع الإسرائيلي .
- وقد اعتمدت إسرائيل في جولاتها السابقة عام ١٩٤٨و١٩٥٦ و١٩٦٧ على مبادئ الحرب الآتية : المبادرة - المفاجأة ، ولكننا في حرب رمضان سلبناها منها . وبعد أربعة ساعات فقط، وليس ستة ساعات كانت إسرائيل قد اختل توازنها على الجبهة المصرية.

واليوم يتكلم الإسرائيلون بأسلوب آخر تخلص من غرور الماضى . . وأصبح المجتمع الإسرائيلى فى حالة قلق ، فقد اقتحمنا جدار الخوف ، ونقلناه هناك داخل المجتمع الإسرائيلى بالكامل . . والجيش الإسرائيلى ممتاز عسكريا وتكتيكيا ، ولكن ما حدث فى الثغرة كان تخطيطًا أمريكيًا :

معلومات - خرائط - قمر صناعى - أسلحة - معدات . . إلخ . .

نظرية الأمن الإسرائيلى:

- تحرص إسرائيل على أن يكون لها التفوّق العسكرى الساحق .
- وتزعم إسرائيل أن جيشها لايهزم .

- وتصر إسرائيل على الأخذ بزمام المبادأة باستمرار .
- وتخطط للحرب الخاطفة القصيرة الأمد .

فكيف تتغلّب عليها :

* بحشد قوة عربية تستطيع أن تواجه التفوق الإسرائيلى ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا ﴾
* بحرب على أكثر من جبهة ضد إسرائيل ، وفى وقت واحد . [سورة الحشر ١٤]
* بتحقيق المفاجأة من حيث لا يحتسب العدو .
* بحرب ممتدة لا تستطيع إسرائيل حسمها فى ساعات أو أيام .

فما الذى حققناه حتى الآن :

١- قبلنا التحدي ونحيًّنا جانبًا التهديد والوعيد بطحن عظام جنودنا وهم يعبرون القناة .

٢- واجتزنا حائط الخوف .

٣- وصممنا على المواجهة المباشرة مع العدو الإسرائيلي .

٤- والتزمنا بدقة التخطيط والتنفيذ لعملية العبور التاريخية .

٥- وحققنا روح القتال العالية التي اشتهرت بها القوات المصرية على مر العصور .

٦- وحاربنا بجدية معتمدين على عدالة قضيتنا وتأييد العلى القدير .

٧- وحاربنا في ظـروف ، تختلف عن ظروف الماضي في قـسوتها وشدتها وتطور أسـلحتها وتقانة معداتها .

٨- ففقدت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية هيبتها .

٩- وحدث شرخ فى جدار الثقة بـين المؤسسة العسكرية والمؤسسة السيـاسية في إسرائيل ، واهتزت الـعلاقة بين الـقيادة والقـاعدة واحتدم الجدل بـين الزعماء الـسياسيـين والقادة العسكريين .

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾

[سورة الحشر ١٤]

وتلك بعض أخطائنا التكتيكية من وجهة نظر القائد الأعلى :

- تجنب قائد إحدى التشكيلات المقاتلة الوصول إلي منابع البترول في جنوب سيناء ، كان خطأ كبيرًا ، وهذا يفتح أمامنا دروسًا تكتيكية يجب أن نمعن النظر فيها ، مع أهمية اتقان التكتيكات الصغري للقادة لحسن التقدير والتصرف . فقد كان جنوب سيناء مفتوحًا بالكامل للقوات المصرية ، ولو تحلى ذلك القائد بالجرأة لاحتل مناطق آبار البترول ، ولزادت مكاسبنا من تلك الجولة .

- ولم يستطع قائد اللواء ٢٥ المدرع الانضمام إلى الجيش الثاني ، وقفل الثغرة شرقًا بالاندفاع بسرعة والانضمام إلى الفرقة ٢١ المدرّعة ، ويقال إنه تردد وتحمل خسائر كثيرة نتيجة هذا التردد ، وأعتقد أنه كان في حاجة إلى غطاء جوى لمعاونته في مهمته ، حيث تعرَّض لضربات العدو الجوية بتركيز .

- كما لم يتمكن اللواء ١٥ المدرع من التقدم بنجاح إلى بالوظا في الشمال ، لعدم تمكنه من استطلاع مواقع العدو واكتشافها قبل أو أثناء التحرك .. **وهنا علق الرئيس السادات على هذا الإجراء بقوله :** « انضرب اللواء ١٥ وخسر كثير ، وطلب الانسحاب ولم يوافق أحمد إسماعيل ، وكانت دباباته ت ٦٢ المفروض أن نطور بها الهجوم شمالا ، وكنا نغيّر الموقف ونصل إلى الشمال ، وكان هذا يساعد على سقوط موقع العدو شرق بور فؤاد بسهولة » .

الفصل الثالث

الإستراتيجية الأمريكية وآثارها على إعداد القوى ورباط الخيل فى العالم العربى

مقدمة :

دخل الاتحاد السوفييتى إلى منطقة الشرق الأوسط عام ١٩٥٥ ، وكانت حركات التحرر العربى من النفوذ الغربى تزداد قوتها ، بحكم أنها التطور الطبيعى لحياة الشعوب ، وكانت هذه الحركات التحررية تخدم مرحليًا السياسة السوفيتية فى المنطقة . وقد دفع هذا الولايات المتحدة إلى التحرك سريعًا ؛ لمواجهة هذا الاتجاه بتدعيم بعض النظم فى العالم العربى ، وممارسة مزيد من الضغوط على بعض دول المنطقة ، والعمل على مد إسرائيل بالأسلحة والمساعدات وزيادة تدعيمها اقتصاديًا . ولقد حاولت بعض الدول الغربية ، ذات المصالح فى الشرق الأوسط ، استعادة مصالحها ومكانتها فى المنطقة ، بأن تدخل ميدان المنافسة بتطوير سياستها كسبًا للدول العربية . وكانت فرنسا على رأس هذه الدول فحدت من اندفاعها فى تأييد ودعم إسرائيل ، وبدأت فى تنمية علاقاتها مع الدول العربية على أساس المصلحة المشتركة ، كذلك حاولت ألمانيا الغربية استعادة علاقتها مع الدول العربية ، إلا أن خضوعها - بصورة واضحة للنفوذ الامريكى والصهيونى وتأييدها المستمر لإسرائيل - كان عقبة أمام تغيير الموقف العربى منها .

ولقد مرَّ التوازن الإستراتيجى العالمى فى مطلع الخمسينيات بسياسة **حافة الحرب ،** وانتهى فى مطلع التسعينيات **بخطة المصارحة وإعادة البناء** ، وبزغت التكتلات الدولية الكبرى ذات الطابع الاقتصادى ، ثم حدث الزلزال الكبير الذى تعرضت له العلاقات الدولية ، وأدى إلى سقوط قوة سياسية وأيديولوجية وعسكرية كبرى ، أفسحت الطريق لقوة واحدة ، فلم يكن أمام سائر الشعوب إلا الرضا بقدرها المحتوم ، ومواصلة الحياة تحت مظلة الرهبة والخوف من تلك القوة الوحيدة القادرة .

وتعتبر منطقة الخليج العربى مركز الثقل فى حسابات أمريكا ، فبترول العرب يمثل ٣١,١ ٪ من احتياطى البترول العالمى ، وإيداعات العرب تصل إلى ما يقرب من ٢٥ مليار دولار أمريكى أو أكثر في بنوك أوروبا وأمريكا . وقد خططت أمريكا لعزل مصر من مسرح الصراع ، وهى تعتبر سيادة مصر ضد أمن إسرائيل ، التى مازالت - وستظل لفترة ما - الحارس الأمين لتحقيق الإستراتيچية الأمريكية في الشرق الأوسط عامة ، والعالم العربى خاصة ، ولهذا فهى تساندها مساندة كاملة .

ويجب أن **نتفهم الأهداف الإستراتيچية الأمريكية فى الشرق الأوسط عامة ، وفى العالم العربى والخليج خاصة ، وأهمها تحقيق الآتى :**

١- السيطرة الإستراتيجية الكاملة على المنطقة .

٢- وضع اليد على ثروات المنطقة خاصة البترول .

٣- المحافظة على أمن إسرائيل وسلامتها وقوتها ووجودها .

وهذه الأهداف تحتم على أمريكا إزالة العقبات ، التى تعترض طريق تحقيقها بكل القوى الممكنة ، سياسيًا ودبلوماسيًا واقتصاديًا ونفسيًا وامنيًا وبوليسيًا وماليًا وإرهابيًا ، تحميها بقوة السلاح ، وما تملكه أمريكا من قوة ، يقال إنها أصبحت أقوى قوى العالم جويًا وبريًا وبحريا ، وبالطبع تمتلك الفضاء وقدرة تدمير العالم الأول والثانى والثالث ، وتخطط أيضًا لتنفيذ استراتيجية رباط الخيل الأمريكية في سماء العالم العربى ، وبحار الشرق الأوسط ، وفى الفضاء الخارجي الذى تسيطر عليه . وبفضل قواعدها هنا وهناك حتى فى أعماق الأرض والبحار !! **تحققت كل الاستراتيجية المرسومة .**

- إذ تم إخراج الاتحاد السوفييتى من المنطقة ، وكذا إخراج إسلحته وأغدقت الولايات المتحدة أسلحتها ومعداتها على جيوش المنطقة ودولها ودويلاتها ، برًا وبحرًا وجوًا .
- تم لها الإمساك ووضع اليد والقدم على موارد الطاقة فى المنطقة .
- وسيطرت على المال العربي الذي لا حدود له .
- وأنهكت القوي الوطنية في معظم الدول العربية والشرق أوسطية ، بأسلوب علمي وعملي ونفسي وإعلامي ، وأثارت الفتن والنزاع الأخوي والقبلي والطائفي .

- وقاومت المد الإسلامي في المنطقة في إيـران والعراق والجنوب والشمال والوسط والغرب العربي .
- وضمنت الـتفوق العسكري الإسرائـيلي ، وخاصتها بـامتلاك الأسلحة الذرية وإنـتاجها وحرية استخدامها وإشعاعها !! .
- وتحكمت في رغيف العيش ولقمة الخبز والقراءة الرشيدة وكتب الطفل وتربية النشء !!

وخططت أمريكا لإشعال فتنة الحرب الإيرانية[1] العراقية ، التى اسـتمرت حوالى تسع سنوات بـين دولتين مسلـمتين . وتعتبـر هذه الحرب أطول حرب لـدول العالم الثـالث فى التاريخ الحديث ، وقدرت خسائرها البشرية بالآتى :

	ايـــران	العـــراق
قتلى	٧٣٠ ألف	٣٤٠ ألف
جرحى	مليون ، ٢٠٠ ألف	٧٠٠ ألف
أسرى	٧٠ ألف	٤٥ ألف
النفقات	٧٠ مليار دولار أمريكي	١٧٠ مليار دولار أمريكي

بالإضافة إلـى تدميرمنشآت البـنية الأساسية ، وعدد كبـير من الأسلحة والقوات ، وكـذا نزيف الرجال والمال والموارد ، وأوقفت هذه الحـرب خطى تقدم القـوة العراقية . ولما قـامت بغزو الكويت فى ١٩٩٠ ، وهددتها أمريكا وحلفاؤها ، واستكملت الـتهديد عمليًا بحرب الخليج - أو عاصفة الصحراء - ونزلت بالعراق كوارث مخيفة وخطيرة . .

ولقد تسبَّب الغزو العـراقى للكويت فـى تحقيق خسائر فادحة ، إذ أضعفت القوى العربية ، وأعطى وقودًا لقوى الولايات المتحدة الأمـريكية وإسرائيل ، التى استغلت هذا فى صرف أنظار العالم العربى عن قضية توطين المهاجرين السوفيت فى إسرائيل ، وعما يجرى داخل الأراضى المحتلة فى فلسطين من إبادة للمقاومة الفلسطينية . وهدمت التضامن العربى ، الذى ثبـت أنه كان حبرًا على ورق !! ومـن ثم أتاح الغزو العراقى للكويـت فـرصة العمر للغزو الأمريكى إلى داخل المنطقة العربية بشرعية ، ووفقًا لرغبة بعض حكام العرب .

(١) توقفت معارك الحرب العراقية الإيرانية فى أغسطس ٨٨ .

فبعد تحرير الكويت تغير الحال ، وأعيدت صياغة التوازن الدولى فى الشرق الأوسط ، وقد تم صرف البلايين المستثمرة من البترول العربى على أعمال الحرب والقتال والتسليح مع إعادة التعمير .

وأعاد التاريخ نفسه فى ضرورة الهيمنة على منابع البترول الخليجية بواسطة الدول الكبرى ، وعاد الاستعمار إلى قلب العالم النابض بقوة ونفوذ وجبروت مع رضاء الضعفاء ، وقبول المغلوبين على أمرهم وامتثال البعض الآخر .

فأمة العرب قد أفزعتهم المفاجئات ، وفرقتهم الخلافات ، وحطمت قواهم الأطماع فانقلبت موازين القوى العربية رأسًا على عقب !!

وتغيرت خريطة العالم العربى . . فبعد أن كان العراق قوة جبارة ، تمتلك مفتاح إنتاج أسلحة الدمار الشامل ، وتهدد إسرائيل (ذاقت إسرائيل أثناء عدوان العراق على الكويت طعم صواريخ العراق المدمرة لأول مرة فى تاريخها) ، ضعفت واستكانت وتخاذلت وهزمت .

وبالطبع أضعفت هذه الأرصدة العربية التى راحت فى رمال الصحراء وتبعثرت فى مياة الخليج - القوى العربية ، رغم ما تملك بعض الدول العربية من ثروة ، فهذا **لا يعنى القوة** ، ولا تستطيع أن تبنى قوة عسكرية مؤثرة مهما ثقلت ، ولكنها استأجرت من يحقق لها الأمن والأمان ، فأصبحت تعتمد على القوة من الخارج ، ودفعت الثمن من باطن أرضها الغنية بالبترول . . وأخذت أمريكا ثمن الحماية فى حرب الخليج .

وهكذا . . . تختتم أمريكا القرن العشرين ، مؤكدة أن القرن العشرين قرنًا أمريكيًا ، وترسم سياستها على أن يكون القرن الواحد والعشرين قرنًا أمريكيًا أيضًا ، وبدأت فى نهاية هذا القرن بتصعيد أزمة منع انتشار الأسلحة النووية بصفة عامة فى مختلف أنحاء العالم ، والتحكم تحكمًا كاملاً فى تدفقات السلاح إلى منطقة الشرق الأوسط ، وهذا بالطبع ضماناً لتفوق إسرائيل .

ورغم أن كوريا الشمالية وقعت الاتفاقية الخاصة بمنع انتشار الاسلحة النووية عام ١٩٨٥ - وموقف أمريكا فى هذا عجيب - فهى تترك الأسلحة النووية الثابت وجودها فى إسرائيل ، وتبحث عن أسلوب للسيطرة على عدم إنتاجها فى أى دولة عربية أو أجنبية ، لاتسير فى ركب نفوذها وتحت سيطرتها . وهكذا تثير أمريكا هيئة الأمم ومجلس الأمن ضد

كوريا الشمالية لتخضعها للتفتيش الدولى على أسلحتها النووية ، أما إسرائيل فهى ربيبتها وحبيبتها ، فيجب حمايتها وحماية إنتاجها النووى وحراسته والدفاع عنه !! .

ومازالت وستظل تساعدها تكنولوچيًا وسياسيًا ودبلوماسيًا وعسكريًا واقتصاديًا ونفسيًا لتطوير البنية الأساسية فى إسرائيل ، لتوصلها إلى حلم بنى إسرائيل بإسرائيل الكبرى من المحيط إلى الخليج . وتعرض أمريكا السلام حسب هواها على العالم العربى مع إسرائيل ، خطوة خطوة ، فى سياسة مرسومة بدقة لتحقيق أمن إسرائيل وازدهارها .

الفصل الرابع

إعداد القوى الإسرائيلية للحرب النووية

اعتمد الوجود الإسرائيلى - منذ عام ١٩٤٨ - على عامل **الردع** فى تأمين الدولة الفتية ، وكانت سياستها الخارجية - ومازالت - تبنى حياتها على أساس ضمان احتياجات حق الردع شرعيًا ، وتطور أسلوب الردع الإسرائيلى ، حسب الظروف الدولية والعربية وتطورت كفاءته وقدراته . ووضعت إسرائيل خطة لإعداد القوى ورباط الخيل ، تسير على مراحل مدروسة دراسة وافية ، فالحرب عندهم شريعة ، وتنقسم الحروب عند اليهود إلى نوعين :

الأولى : الحرب الدفاعية وحكمها فى الشريعة الإسرائيلية أن رئيس اليهود - أو من يقوم مقامه يشرع فيها دون الحاجة إلى أخذ موافقة المجمع الكهنوتي الشرعي ، ودائمًا ما يجعلون لحروبهم العدوانية التوسعية شكلاً دفاعيًا ؛ ليضمنوا عدم معارضة رجال الدين ، والتمكن من التعبئة العامة ما دامت الحرب الدفاعية فريضة على الجميع ، وكسب عطف الرأي العالمي ، لأنها تدافع عن كيانها ولا تعتدى على أحد حسبما يزعمون .

أما النوع الثاني : فهو الحرب الهجومية لتوسيع رقعة الدولة بانتزاع الأراضي بالقوة ، ثم ظهر نوع آخر من الحروب بعد الحرب العالمية الثانية ، تسمى نظريته بالحرب الوقائية (اعتداء **مباغت** على دولة أخرى لتدمير قوتها العسكرية ، لتفرض عليها إرادتها وشروطها) .

إلاّ أنه عندما تعدَّدت الدول التى تمتلك الأسلحة النووية . . اختل توازن القوى فى العالم ، وبدأت مفاوضات الحد من الأسلحة الإستراتيجية والنووية بين من يمتلكها ، أو من هو فى طريق الوصول إلى أسرارها . وكما غيَّر هذا التوازن الذرى إستراتيجية الدول الكبرى فى تصعيد الأزمات ، منه حد المواجهة الشاملة إلى إستراتيجية **الحرب المحدودة** .

(١) تنتج جنوب أفريقيا كميات ضخمة من اليورانيوم ، وكذا الجابون .

وبدأت إسرائيل فى أعقاب قيام الدولة فى قطع شوط كبير فى التقدم الذرى ، فقد أبدى بن جوريون اهتمامًا كبيرًا بتطوير وتحسين الصناعات العسكرية منذ قيام الدولة ، وجلبت عددًا من العلماء اليهود ، وتوسعت فى إرسال الطلبة من إسرائيل إلى مؤسسات ومعاهد الأبحاث النووية فى سويسرا ، إلى أن شكلت لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية عام ١٩٥٤ ، وأشرفت على معظم الأبحاث الذرية . وقد كانت الولايات المتحدة الامريكية أول من أدخل النشاط الذرى إلى منطقة الشرق الأوسط ، بإقامتها المفاعل الذرى فى إسرائيل بموجب اتفاقية بينهما ، وقعت عام ١٩٥٥ ضمن البرنامج الأمريكى « الذرة من أجل السلام » ، وكان الإشراف على هذا المفاعل يتم من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان ذلك أحد العوامل التى أتمت القدرات الفنية لخبراء إسرائيل . وكانت إسرائيل قد انشأت مفاعل ديمونا بالتعاون مع فرنسا وألمانيا الغربية ، وبدأ العمل فيه خلال فترة التعاون والتحالف الإسرائيلى الفرنسى الكامل فى دعم إسرائيل .

واستمرت إسرائيل تنمى قدراتها الذاتية فنيًا ، واستفادت من علماء الذرة فى العالم الغربى من اليهود ، وكذا من بعض الدول الأفريقية فى تنمية نشاطها . ومن ناحية أخرى . . فإن الخبرة الألمانية المتقدمة شاركت فى التطور الذرى لإسرائيل ، على أساس الاستفادة المشتركة .

وقد اتخذت إسرائيل من نشاطها الذرى وسيلة للمساومة ؛ لتحقيق أهداف سياستها الخارجية بمعاونة أمريكا لتقييد تدفق الأسلحة التقليدية إلى دول الشرق الأوسط ، وتقديم مزيد من الضمانات الأمريكية للوجود الإسرائيلى ، والحصول على مزيد من المساعدات ، والمنح والقروض الميسَّرة مثل : مفاعل تحلية المياه ، ويمثل السلاح الذرى الضمانة للوجود الإسرائيلى فى مواجهة العداء العربى ، حيث إن امتلاكها له يعتبر نهاية لاحتمالات القضاء عليها ويعطيها القوة والقدرة الذاتية الداخلية ، لأن الاعتماد على قوى خارجية غير مضمون على ضوء احتمالات التغير المستمر فى موازين القوى الدولية ، ويوفر لها إنتاج السلاح الذرى مبالغ ضخمة ، توجهها إلى شراء الأسلحة التقليدية للحفاظ على توازن معقول للقوى بينها وبين الدول العربية .

فهو الضمان الوحيد لوجودها ؛ خاصة ما يحقق أمنها بامتلاك **ردع إسرائيلى ذاتى** . وسيظل توازن القوى فى الشرق الأوسط من الموضوعات ، التى تشغل الأذهان بالنظر لانعكاساته على مسيرة التسوية الشاملة فى المنطقة . وقد بدأت الولايات المتحدة

الأمريكية تتبنى سياسة الخطوة الخطوة لتحقيق السلام ، ولكنها بالطبع ستستغرق سنوات حتى تجنى ثمارها . ورغم هذا . . فهى تمسك بزمام إعداد القوى الإسرائيلية لتكون متفوقة دائمًا كمًا ونوعًا وتطورًا على كل الدول العربية مجتمعة ؛ ومازالت الفجوة التسليحية والتكنولوچية بين إسرائيل والدول العربية كبيرة جدًا ، خاصة فى مجال الطيران والتسليح النووى التى تجد له أمريكا أكثر من تبرير لدعمة واستمراره ، مع وضع القيود على تسليح دول الشرق الأوسط ، وخاصة الدول العربية .

وكانت مصر قد طلبت من الدول المصدرة للسلاح أن تتعامل مع دول الشرق الأوسط على قدم المساواة - دون تفضيل دولة على أخرى - ومن خلال اتفاق دولى ، يضمن احترام تنفيذ أى قرار يحظر تصدير السلاح ، وعدم استثناء دولة من هذا الإجراء ، ومعارضة إعطاء دولة الحق فى أن تتفوق عسكريًا ، أو تحتفظ بأسلحة نووية تزيد من حدة التوتر !! .

وتتعلل أمريكا بالعراق وإيران بأنهما تطوران أسلحة الدمار الشامل ، وهذا لا يستند إلى أساس من الصحة ، فلا يمكن حاليا لأى دولة عربية أو إيران أن تصبح قوة نووية ، ولو صغيرة قبل نهاية هذا القرن . فالعراق قد وافق على قرار مجلس الأمن رقم ٧١٥ ، الصادر فى ١٣ اكتوبر ١٩٩١ ، القاضى بفرض الرقابة الدائمة لمنع العراق من إعادة بناء أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها . أما بالنسبة لإيران فإنها لن تستطيع - مهما فعلت - أن تقف أمام محاولة أمريكا فرض التسوية السلمية فى المنطقة ، أو أن تفسد الاتفاقات التى تقرها الدول العربية نحو إسرائيل . كما أن الفجوة التكنولوچية بين العرب وإسرائيل فجوة كبيرة واسعة ؛ خاصة فى المجالات الفضائية والنووية ؛ فإسرائيل مشتركة مع أمريكا فى مبادرة الدفاع الإستراتيچى الأمريكية (مشروع حرب النجوم) ، وتزداد الفجوة اتساعًا - يومًا بعد يوم - فى هذه المجالات ، وهو ليس فى مصلحة تحقيق السلام الشامل مطلقًا !! .

إن السلام العادل الشامل يتطلب أن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل ، وأن تتم الرقابة الفعلية على جميع الدول بما فيها إسرائيل . وتقع المسئولية الأولى فى ذلك على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى تنعم المنطقة بالسلام والاستقرار .

ولقد صدر فى أمريكا كتاب جديد ، عنوانه « إسرائيل والتسليح الذرى » ، يوضح مؤلفه بيانات إحصائية خطيرة فى هذا المجال مثل :

إنها تمتلك ٢٠٠ قنبلة ذرية كبيرة ، و ١٠٠٠ قنبلة ذرية صغيرة سنويًا .

وأن الطاقة السنوية لمفاعل ديمونا الذرى ، قادر على تخصيب يورانيوم يكفى لصنع ١٠ قنابل ذرية كبيرة ، و ٥٠ قنبلة ذرية صغيرة .

بالإضافة إلى أنها تمتلك فى صحراء النقب مصنعًا كبيرًا ، أقيم تحت الأرض لصناعة الأسلحة الكيميائية والقنابل الميكروبية ، مع وجود خطة عسكرية إسرائيلية دقيقة لصناعة الصواريخ والطائرات القاذفة ، التى ستقوم بنقل هذه القنابل الذرية وأسلحة التدمير الشامل إلى الأهداف المحددة لها !!

احتمالات المستقبل :

إن دخول الأسلحة الذرية إلى منطقة الشرق الأوسط كان له أثاره البعيدة ، التى يصعب حسابها بدقة ، والتى لا تتوقف نتائجها عند حد تأمين الوجود الإسرائيلى ، بل قد ينقلب فى المدى الأبعد إلى سلاح أكثر فتكًا ، يهدد هذا الوجود الإسرائيلى بالزوال ، وبصورة أسرع من أى تهديد بالأسلحة التقليدية .

وسيتوقف مدى هذا على قدرة الدول العربية فى إعداد القوى ، وفى الوصول إلى درجة من التقدم العلمى والتكنولوجى لتلحق إسرائيل ؛ فالقوة الإسرائيلية اليوم - مهما كانت - هى قوة نسبية ، ولن تظل لطرف واحد إلى الأبد ، فالمشكلة سوف تكون بالنسبة لإسرائيل مسألة **حياة** أو **موت** ، ولكن قد تصل الدول العربية - إذا تضامنت واجتهدت - إلى مرحلة **التوازن النووى** . وفى هذا بداية النهاية فهناك مشكلة العمق والمساحة والقوة البشرية فى إسرائيل ، وهناك ايضا احتمالات التغلب على التخلف التكنولوجى العربى والاتجاه الجدى إلى السير فى مجال التقدم الذرى ، فهى تمتلك الأموال والبترول ، وتحاول أن تمتلك الخبرة ، وإذا امتلكت هذه الخبرة مع التضامن العربى الصادق .. حققت بداية النهاية لإسرائيل ..

الباب الحادى عشر

حقائق القوة

الفصل الأول

بناء الإنسان القوى الأمين

إن الإنسان هو جوهر القوة فى العالم - خاصة عـالمنا الثالث - المحتاج إلى عقل وفكر ودين ، ويشعر بالعدل والمساواة فى الحقوق والواجبات وله حقوقه السياسية ، ويشعر بأن حرياته الأربع ليست عليها قيود ، تحد من أفكاره وانطلاقه وقدراته الكامنة . وفى الحقيقة أن الإنسان يعانى كثيرًا فى العالم العربى ، فالحقوق الأساسية للإنسان معروفة . ولكن الحروب الأهلية والصراعات القبليةوالدينية وأعمال العنف والمنازعات الداخلية بين بعضهم البعض ، تضيع فيها حقوق الإنسان الأساسية ، وبالتالى حقوقه الأربعة الشخصية . ويوجد فى سجون العالم العربى عشرات الآلاف ، ممن حرموا الحق فى المحاكمة العادلة ، ومعظم المحاكم فى العالم العربى محاكم استثنائية وحرياته الأربع مقيدة ، وهى :

- حرية الدين والعقيدة .
- حرية الرأى .
- حرية الحق فى تنظيم الجمعيات .
- حرية الحق فى الممارسة الديموقراطية .

فكيف يمكن بناء عقيدة الإيمان بالوطن والدفاع عنه والموت فى سبيله ، والإنسان العربى الذى يقوم عليه بناء قوة الوطن لا يملك حقوقه !! ومن قلب وعقل الإنسان يجب أن تبدأ الأمم فى بناء قدرتها وقوتها الذاتية ، باقتناع الإنسان بعد تأمين حقوقه الأساسية وحرياته الأربع، بالوقوف بقوة وثبات وبعقيدة صامدة، لبناء القوى وحسن استخدام رباط الخيل . . .

وحسب تجاربنا الشخصية - خاصة فى الحياة العسكرية الطويلة ، وفى أوقات الحروب الكثيرة ، التى عشناها منذ الحرب العالمية الثانية منذ عام ١٩٣٩ إلى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وما بعدها من حروب حتى يومنا هذا - وحسب خبرة التعامل مع المواطن العربى عامة

والمصرى ، خاصة فى أحلك أوقات الحياة شدة ، وأوفرها حبًا للذات والنفس - نضع خطوطًا صادقة لأسلوب معاملة الإنسان ، بدءا بمرحلة الطفولة والشباب إلى مرحلة النضوج العسكرى والعقلى والجسدى . وكانت أولى الخطوات هى محاولة الوصول إلى العقل والقلب بكل الطرق الصريحة الأمينة ، حتى نصل به إلى مرحلة الاقتناع الحق ، وهنا يكتمل النمو لتقبل الوفاء والتضحية بقوة وأمانة وصدق .

وأولى حلقات هذا الصراع مع القلب والعقل ، هى حل مشاكل الإنسان وإعطاؤه حقوقه الأساسية ، وإزالة الرهبة والخوف . وأحسن مدخل لكل هذا هو مدخل الفطرة الإيمانية الكامنة فى عقول وقلوب الأطفال نغذيها ، ثم نتعهدها ونرعاها حتى تتفتح على نور الله ، فيعيش أطفالنا تحت ظلال الإيمان ، التى تحميهم من نار الكفر والشرك والوثنية ، وتهديهم إلى طريق الله ، حيث عالم الطهارة ومجال الرحمة واليقين ، ثم الاقتراب السليم إلى الله . ثم تبدأ أشعة الإيمان تتسلل بهدوء وتدفّق إلى عقول الشباب ، تعطيهم وقود القدرة والصمود الإيمانى العميق ، حتى يقفوا بصلابة وإصرار ضد تيارات الانحراف والشك والغواية . . . .

فإذا حصلنا على هذه الفئة الطيِّبة من الشباب القوى الأمين ، استطعنا أن نُعِد بهذه السواعد القوية القوى إعدادًا قادرًا متكاملاً مستمرًا .

ظلال الإيمان فى قلوب الأطفال :

الله الله حي لا يموت . . . الله الله موجود فى كل مكان ، ويدور الشيخ المعلم ذهابًا وإيابًا وسط تلاميذه الصغار ، مرددًا الله الله موجود فى كل مكان ، وتدور أبصار الصغار ورؤوسهم مع المعلم متلهفين لرؤية الله . . أين هو . . إنه فى كل مكان . . ونحن لانراه ، ولكنه يرانا . . وهكذا تعلَّق الأطفال الصغار بالله سبحانه وتعالى ، ونفذ نور اليقين إلى قلوبهم ، وترعرع الإيمان فى وجدانهم ، ونما معهم عامًا بعد عام .

وفى نطاق الأسرة . . ارتوى الصغار بصوت يسرى فى القلوب الله اكبر الله اكبر ، يسمعونه خمس مرات فى اليوم الواحد كنداء للصلاة المفروضة ، وأحس الأطفال بمساعدة الفقراء والمساكين وأبناء السبيل بالزكاة والرحمات والصدقات ، وذاقوا حلاوة الصيام فى شهر رمضان الكريم ، ثم الإفطار ضمن أفراد الأسرة والأقارب بعد دوى مدفع الإفطار ، ونداء الله أكبر الله أكبر ، وحاولوا الصيام يومًا أو يومين ، وربما ساعات قليلة من نهار يوم

الصيام ، وصبروا على عدم تناول الطعام طول اليوم ، رغم أن الصيام ليس مفروضًا عليهم لصغر سنّهم إلاّ أن الإفطار مع العائلة يرسّخ رباط الأسرة المقدس ، وسمعوا زغاريد النساء تودع بالحب حجاج بيت الله الحرام ، وتستقبلهم بالترحاب والفرح والفخر ، ولم ينس أطفال العشرينيات رؤية هلال رمضان ، والطابور العسكرى الرائع بالموسيقى العسكرية لتوديع الكسوة الشريفة المهداة من مصر إلى بيت الله الحرام فى مكة ، كما كانت نغمات النشيد الإلهى تشدهم إلى حبل الله المتين وسنّة رسوله الكريم « لا إله الا الله محمدًا رسول الله » ، ثم نغمات الحب الإلهى بالصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

وهكذا . . وضع الله سبحانه وتعالى حجر الأساس الإيمانى فى قلوب الأطفال الصغار القلوب الفتية النقية ، كركيزة للقوة والأمانة فى دنيا الطفولة الأولى ، تنمو معهم حتى الشيخوخة .

ومع نسمات الطفولة الأولى . . شعر الأطفال بحب مصر العزيزة ، وكانوا ينشدون لها أغانى الحب الجميلة « مصر العزيزة لى وطن ، وهى الحمى وهى السكن ، وهى الفريدة فى الزمن » .

« إسلمى يا مصر إننى الفداء . . » .

ونمى حب الوطن فى قلوب الأطفال مع حب الأسرة والعائلة . وفى مجلس العائلة الصغير يجتمع الأطفال فى فرح مع الجد والأب والعم والخال ، يستمعون بشوق إلى قصص وحكاوى الوطنية الصادقة ، التى تحارب الاستعمار باللسان والقلم والسلاح ، وبطولات القادة والزعماء العظام ، وقصص الشجاعة والإقدام مع القوة والأمانة وحب الخير ، فارتوت طفولتهم بمزيج من العلم والمعرفة بالدين والحياة والوطن ، والحقد للعدو المستعمر الغاصب لأرض العرب عامة وأرض مصر خاصة ، فامتلأت القلوب حقدًا ضد الاستعمار عامة وضد الإنجليز خاصة ؛ حيث كانوا يتسكعون فى الشوارع والحوارى والطرقات سكارى مخمورين ثم يزداد الحقد ضرامًا عندما يشاهدونهم فى ثكناتهم العسكرية وفى مواقع حراساتهم مدججين بالسلاح ، وكان سلاح أطفال مصر الدعاء إلى الله « يا عزيز يا عزيز كُبَّة تاخد الإنجليز » .

وفى المدارس الابتدائية . . تعلم الأطفال مبادئ النظام والانضباط والطاعة ورياضة العقل والبدن ، مع المعرفة بلغة المستعمر الغاصب وبعض عاداته وتقاليده ، حتى رقصاته

الأسكتلندية بالسيوف ، كانوا يتدربون عليها ويرقصونها تحت إشراف المدربين منهم . ورغم هذا فقد استمر الحقد الدفين فى القلب والنفس ، ووصل إلى العقل ويسأل : لماذا يجثم هؤلاء الدخلاء على صدورنا !! .

وعندما كانت الطبيعة تغضب وتهب الرياح مثيرة للأتربة أو الأمطار الغزيرة - بصحبة أصوات الرعد العنيفة وومضات البرق الخاطفة - كانت القلوب تهرع إلى الله سبحانه وتعالى ، قائلة : يارب .... وعندما زلزلت الأرض زلزالها وحاولت إخراج أثقالها ، قال الأطفال مع الناس : « ما لها يارب » ، وتلهفوا إلى رحمة الله رافعين أكفّهم الغضّة إلى السماء ، سائلين الله سبحانه وتعالى اللطف والرحمة والنجدة ، فكانت نداءاتهم إلى الله قوية صادرة من الأعماق : يارب .... يارب ... وبحثوا فى الفضاء عن حبال الله القوية ، يتمسكون بها خوفًا وهلعًا ليحصلوا على السكينة والاطمئنان ، ويرددون آيات القرآن الكريم ؛ خاصة آية الكرسى التى تنادى الله الحى القيوم سبحانه وتعالى ، ويبحثون عن مظلة الإيمان ليستظلوا بظلها .

وهكذا .. تعلّق الأطفال فى سنوات العمر الأولى بالله سبحانه وتعالى ، ودائما مايحاولون البحث عن ظل من ظلال الإيمان ، يقفون تحته آمنين .

وكان التعليم فى المدارس الأولية والابتدائية تعليمًا متكاملاً ، يغذى العقل والقلب والجسم بنور كتاب الله الكريم وأصول الدين القيّم الحنيف إجباريًا ، ولكن برغبة فطرية فى نفوس الأطفال يحفظون القرآن ؛ وقصار السور خاصة ، يتفهمون مضمونها ، ويعرفون سنة رسولنا الكريم ، ويحرصون على اتباعه كقدوة حسنة للخلق العظيم . وبجانب هذا .. كانت الرياضة الجسمانية تقوّم الجسد ، وتصلح الأبدان ، وتغذى النفوس .. إنها مازالت رابضة فى قلوبنا وعقولنا ووجداننا ونقول : والله زمان .

واصطحب الآباء أبناءهم إلى مساجد الله وشاهدوا القبلة ، وسألوا عنها لماذا .. وجذب أنظارهم منبر الخطيب ، وكرسى الواعظ وفخامة السجاجيد وتلألؤ الأنوار ، وانتظام المصلين فى صفوف متراصة للصلاة من ركوع وسجود وقيام ، فشعروا بحلاوة الانضباط وجلال صلاة الجماعة وطلاوة صوت قارئ القرآن .. إنها ذخائر إيمانية سكنت القلوب ، وصارت فاتحة الطريق للخير والنور وتعلم الأطفال فى المدارس الابتدائية الحكومية أدب الطعام ، وأسلوب الجلوس للطعام ، وطريقة تناوله ، وتقاليد استخدام أدوات الطعام وبدأوا

الطعام باسم الله وختموه بالحمد لله . . . هذه تقاليد رسخت فى القلب والعقل ، مع رسوخ أشعة الإيمان وتنسّم عبير الخير والنور .

أشعة الإيمان فى عقوب الشباب :

ولَمَّا اجتاز الأطفال سنوات الطفولة الأولى إلى عتبات المراهقة وأطوار الشباب . . تحولت كل المعانى السابقة إلى سلوك إيمانى ووطنى . . سلوك كريم ينير الطريق إلى أعماق الإيمان وطريق الوطنية الصادق ، مع ازدياد الشعور بالحقد ضد العدو المستعمر الغاصب . وتحول هذا الشعور فى الثلاثينيات إلى مظاهرات شبابية ، نهتف فيها بالحرية ولمصر بالحياة وللعدو الإنجليزى المستعمر بالرحيل أو الموت . وذاق شباب هذه الفترة ضربات نبابيت رجال البوليس المصرى ، المؤتمرين بأوامر ضباطهم من الإنجليز والتابعين لهم ، كما استشهد عدد من الشباب برصاص المستعمر ، وهم يهتفون لمصر بالحياة وللمستعمر بالموت .

واندلعت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ ، وهذا الشباب الحر الكريم يطرق أبواب الجامعات والمعاهد العليا والمدارس العسكرية ، أو ينخرط فى سلك الجندية إذا لم يكن أهله قادرين على دفع البدل المادى للجندية . ويسير كل فى الطريق المرسوم له بإرادة الله سبحانه وتعالى ، ويأمل كل فرد أن يجد مكانًا يستظل فيه بمظلة الإيمان ، ويهديه الله إلى طريق النور والخير .

وفى القطاع العسكرى . . عاش الشباب الذى التحق بالمدارس العسكرية فى هذه الفترة فى خنادق الوقاية من قنابل الطليان ، ثم من قصفات قنابل الطائرات الالمانية الضخمة ، وقضوا معظم لياليهم فى هذه الخنادق ، يذكرون الله سبحانه وتعالى ، ويحاولون الاقتراب من الله بالذكر والصلاة ، ويتلهفون على ظل من الإيمان وخيوط من رحمة الله ، يمسكوا بها لتطمئن نفوسهم ويهدأ بالهم . وعندما حان وقت المسئولية فرحوا بالنجمة الصفراء على الكتف ، وبالسيف المدلى إلى الجنب ، وكان القتال على أرض مصر فى صحرائها الغربية يحتدم بشدة بين قوات المحور الإيطالى / الألمانى وقوات الحلفاء الإنجليز ، ومن يتبعهم من أستراليين وهنود ويهود ، وغيرهم من رجال مستعمرات العالم الثالث . ولم يكن للجيش المصرى دور رئيسى فى هذه الحرب ، إلا فى الدفاع الساحلى وأعمال الدفاع الجوى بالمدفعية المضادة للطائرات وبطاريات الأنوار الكاشفة لحماية معسكرات وتجمعات الحلفاء فى القاهرة والاسكندرية ، مع تكليف بعض وحدات من الجيش المصرى بأعمال الحراسة والدفاع الخارجى لبعض مناطق الحلفاء المهمة فى مصر . . .

ولم ترحم قنابل الألمان تجمعات الأهالى« فى المدن الكبرى » ؛ خاصة القاهرة والاسكندرية ، وكان نصيب أحياء الإسكندرية المزدحمة بالسكان كبيرًا من ضربات القنابل الثقيلة المدمرة ، وازدادت الغارات الجوية حدة وقوة باقتراب قوات الماريشال روميل من الإسكندرية ، تمهد لجيوش الألمان الطريق إلى دلتا مصر وتضرب بشدة وقسوة . ولكن مظلة الإيمان منعت كثيرًا من هذه القنابل الثقيلة من الإنفجار وتدمير الآمنين فى بيوتهم ، أو العاملين فى مصانعهم . وقصص قدرة الله كثيرة ، وبركة أوليائه الصالحين كانت ملموسة فى وبجوار مسجد المرسى أبو العباس أو مسجد أبى الدرداء ، حيث استقرت القنابل الثقيلة فى الأرض ولم تنفجر ، وشاعت أخبار قدرة الله التى أظل بها أوليائه الصالحين و، التف الأهالى حول مساجد الرحمن يطلبون الأمن والأمان ، تحت مظلة الإيمان بقدرة الله سبحانه وتعالى .

وهكذا . . واجهت مصر قنابل الطليان والألمان بالتطلع إلى قدرة الله ، فاقترب الناس أكثر من الله ، وسجدوا له ، وذكروه بكرة وأصيلاً .

وانتهت الحرب العالمية الثانية فى صيف ١٩٤٥ ، وانتصر الحلفاء ، وزادت قوة الاستعمار البريطانى وغيره رسوخًا فى قلب العالم العربى عامة ومصر خاصة ، وسارت مصر رغم أنفها فى ركب الحلفاء عامة والإنجليز خاصة !! ولقد تركت الجيوش التى قاتلت على رمال الصحراء الغربية آلافا من القتلى ، من مختلف الجنسيات والألوان والأديان ، ودفنوا فى مقابر قتلى الحرب على أرض مصر ، فى مناطق مختلفة بالصحراء الغربية ، وفى قلب القاهرة أيضًا . وتدور الأيام ويأتى ذوو قرباهم لزيارتهم كل عام تقريبًا ، ويلتقى الأحفاد وأحفاد الأحفاد على أرض مصر ، فى زيارة سريعة لمقابر الأجداد ، ضحايا الحروب الوحشية .

كما تركت الجيوش خلفها مخلفات لا حصر لها ، وأخطرها ملايين الألغام المضادة للأفراد والمضادة للدبابات والعربات والمصفحات ، التى تحكى للأجيال قصص الرعب والموت والدمار . وللأسف . . فإنها مازالت مدفونة فى رمال الصحراء ، حول المسالك الرئيسية والطرق المهمة والمدقات عبر هذه الصحراء المتسعة ، وكذا حول الأماكن الحيوية الحاكمة التى اتخذتها الجيوش أثناء الحرب العالمية الثانية ميدانًا للدفاع والانطلاق . ومازالت هذه الألغام غير معروف أماكنها بالضبط ، حيث قامت العوامل الجوية وعوامل التعرية وتحركات الرمال بإجراء حركة تنقلات لهذه الألغام ، بعثرتها هنا وهناك . وقد بذلت

مصر - خاصة رجال المهندسين العسكريين - جهدًا كبيرًا فى نسف أعداد ضخمة منها ، أو تأمين بعضها ، وضاعت أرواح كثيرة فى هذا الجهد العظيم ، سواء من الجنود أو الأعراب الآمنين الساعين إلى لقمة العيش هنا وهناك ، وحتى من يسير على أرض الصحراء الغربية من السياح والكشافة والعمال ، لم يسلموا شر انفجارات الألغام ، وكذا كثير من القنابل والدانات التى لم تنفجر منذ عام ١٩٤٢ حتى لحظة معينة ، ووقت معين بعد عشرات السنين عندما تجد لها صيدًا عابرًا بريئًا . ورغم هذه الألغام والدانات والقنابل وخطورتها إلا أنها مكتوبة لإنسان معين - حسب قضاء الله سبحانه وتعالى - إلا من أظله الله بظلال الإيمان ورحمته وحفظه .

بناء المقاتلين تحت مظلة الإيمان :

تقديم :

أقسم بالله العظيم .. أقسم بالله العظيم .. أقسم بالله العظيم ..

أن أكون جنديًا وفيًا لجمهورية مصر العربية مخلصًا لرئيس الجمهورية ، مؤمنًا بنظامها الاشتراكى، محافظًا على أمنها وسلامتها ، حاميًا ومدافعًا عنها فى البر والبحر والجو داخل وخارج الجمهورية ، مطيعًا للأوامر العسكرية ، منفذًا لأوامر رؤسائى ، ومحافظًا على سلاحى ، لا أتركه قط حتى أذوق الموت والله على ما أقول شهيد .

هذا هو يمين الولاء يردده المقاتل ويشهد الله على ما يقول ، قبل أن يعهد إليه بالمهام التى يكلف بها عند انخراطه فى صفوف القوات المسلحة لأول مرة ، فالقتال سلاح وعقيدة وإذا كان من الممكن إحصاء السلاح بين طرفين متنازعين ، لكى نعرف أيهما يتفوق على الآخر .. فإن قياس العقيدة وحسابها بالغ الصعوبة ؛ لأنه يختلف من فرد إلى آخر ، ومن طائفة إلى أخرى .

إن العقيدة الدينية هى إحدى العوامل الرئيسية لتحقيق النصر ، فهى التى تضئ لنا الطريق ، وهى التى تبعث السكينة فى النفوس ، حتى عندما تتزلزل الأرض من حولنا بقنابل العدو ، وهى التى تثبت أقدامنا ، وهى التى تبشرنا بالنصر ، وهى التى تعد من يستشهد منا بجنات عرضها السماوات والأرض .

إن القيم الروحية والمثل العليا النابعة من عقيدتنا الدينية ، تعتبر الأساس المتين للحصول على النصرفى المعركة . ومن هذه العقيدة .. يمكن أن نستخلص خير المناهج

لإعداد المقاتل الكفء ، والعلم هو أساس القوة والرقى . وتعتبر المعرفة رأس مال المقاتل ، كما قرر الإسلام الحرية والكرامة الإنسانية ، ومقاومة العبودية لغير الله تعالى فى كل ميدان من الميادين ؛ فقرر مبدأ الحرية فى النفس والمال والعرض ؛ فنفس الإنسان فى الإسلام معصومة ، لا يجوز الاعتداء عليها أو النيل منها ، وكذلك مال الإنسان معصوم لا يؤخذ منه شئ إلا بحقه ، وكذلك عرض الإنسان لا يهان ولا يخدش ، وحديث رسول الله ﷺ يقول : « كل المسلم على المسلم حرام دمه ومال وعرضه » .

كما قرر الإسلام مبدأ الحرية فى العبادة والاتصال بالله ، فليست هناك وساطة بين الله وعباده ، ولا يتوقف اتصال الله تعالى بعبد من عباده على وساطة أحد ، بل الله سميع بصير ، يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ، ويعلم السر والنجوى ، وبابه الكريم مفتوح لكل لاجئ ولكل طالب ، ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة ١٨٦]

وقرر الإسلام أيضًا التحرر من أسباب الخوف ، فالذين اتصلوا بربهم وراقبوه وأخلصوا له العبادة والطاعة ، لا ينالهم هم ولا خوف ، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة ٣٨]

وكذلك حث الإسلام على جهاد النفس للنزعات السيئة والنقائص المعوقة كالغرور وحب الظهور ، وكل ما يفسد القلب ويصيب النفس من أمراض ، وما أكثرها من طمع وحقد وحسد وبغض . وأشار الرسول القائد ﷺ إلى أهمية هذا السلاح فى النصر واجتذاب مدد السماء ، فقال : « لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . » فسأله الصحابة : « وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ » قال : « جهاد النفس » . . . جهاد النفس للأمراض الخلقية والاجتماعية ، ولوساوس الشيطان ، وللشهوات والمغريات ، والكسل والفتور والضعف والابتذال .

ويشعر المقاتل المؤمن بمظلة الإيمان ، تحميه بقدرة الله سبحانه وتعالى ، وترعاه وتستره ، وترد عنه مصائب الدنيا وعثرات الحياة وقسوتها . وهنا فى هذا البحث نذكر بالحب والاحترام قصص الإيمان الحقيقية ، التى شعر بحلاوتها كل المقاتلين الذين استظلوا بمظلة الإيمان فى كل حروب مصر المعاصرة ، منذ الحرب العالمية الثانية - فيما بين أعوام ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ - وحرب فلسطين فى أول جولة قتال بين العرب واليهود ما بين أعوام ١٩٤٧ - ١٩٤٩ ، وفى أثناء العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ ، وحتى فى أيام نكسة ١٩٦٧ ، وخلال سنوات حرب الاستنزاف والإرهاق التى استمرت حوالى ٣

سنوات ، وأثناء مساندة ثورة اليمن ما بين أعوام ١٩٦٢ حتى ١٩٦٧ ، وفى سنوات الحسم والإعداد لحرب رمضان المجيد ، ثم خلال تلك الحرب وأثناء القتال فى ثغرة الاختراق الإسرائيلى، غربًا فى الدفرزوار، مع قصص واقعية أثناء حرب الخليج، وحرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ ، وفى حياة المقاتلين إلى يومنا هذا ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [سورة الحشر ٢]

بناء العقيدة الايمانية الصادقة

كانت تجربة هزيمة ١٩٦٧ نقلة إيمانية صادقة إلى طريق الله ، وكان لابد من بناء العقيدة الإيمانية الصادقة على أساس سليم ، بمحاولة الوصول إلى عقل وقلب الجنود ، حتى يتحقق بناء العقيدة الإيمانية الصادقة . ولكن كيف ؟ والمسافة طويلة ما بين الضابط والجندى المصرى ، ويصعب اختصار هذه الفجوة . والمشكلة أيضًا هى أن السبب الرئيسى هو الطعام ، وعلى حد قول نابليون : « الجيوش تمشى على بطونها !! » ولقد خرجت إسرائيل بنتائج كثيرة من عدَّة أبحاث أجرتها أجهزتها المتخصصة على الأسرى المصريين من مختلف الرتب والتخصصات والأسلحة والوحدات ، وبالطبع من مختلف محافظات مصر ، وأظهرت النتائج مشكلة كبرى ، لم تتنبه لها القيادة المصرية بعد عام ١٩٥٦ أو بعد عام ١٩٦٧ . ولم ننجح نحن القادة كل النجاح للتغلب عليها ، ولكنى حاولت - وحاول معى معظم القادة العمل - على أن نقلل المسافة بين الضباط والجندى إلى أن نمحوها تمامًا .

فالمساواة فى التضحية - بغض النظر عن الرتبة - من بين المبادئ الأساسية التى يبنى عليها الجيش قوته الذاتية ، ويجب ألا يجعل القائد نفسه فى وضع أعلى من جنوده ، وعليه أن يكون واحدًا منهم ، يقودهم تحت إمرته فى طريق القيادة الطبيعى .

وكان مفتاح الحل هو المدخل الدينى إلى قلب وعقل الجندى ، والحقيقة أن مظلة الإيمان عندما يحتمى فى ظلها الجندى ، يجد نفسه مدفوعا إلى الرضا والاطمئنان ، ويدرك أهمية الرضا بما كتبه الله وأراده ، ويفهم أن على العسكريين - جنود أو قادة - أن يجعلوا جهادهم منزهًا عن الشوائب ؛ فقد ربطوا حياتهم ومماتهم بواجب مقدس ، تصغر إلى جانبه الألقاب والرتب والنياشين ، فليؤثروا ما عند الله وليوقفوا أمانيّهم على التضحية المرتقبة والفداء الغالى . هكذا دخلنا إلى عقل وقلب المقاتل بإزالة الرهبة من وجدانه ، وحاول القادة حل مشاكل الجنود بكل الطرق الممكنة والمتيسرة بصدق وصبر وحلم ، فتلهفت قلوب الرجال وعقولهم إلى الإخلاص العميق لله والوطن والقائد ، وهذا ما كنا نتوق إليه والحمد لله .

الفصل الثانى

القوة الاقتصادية

مرحلة الانتقال :

تمر مصر بمرحلة انتقال تشعرنا بأننا بصدد مواجهة غير مألوفة ؛ مما يتطلب مواجهتها بأعمال تختلف عما تعودنا القيام به ، والاستعداد لمواجهة الجديد من الظروف بالجديد من المواقف ؛ مما سيكون تأثيره كبيرًا على الاقتصاد المصرى ، وبالتالى على غيره من جوانب حياتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية .. إلخ .

وأهم التحولات المؤثرة على الاقتصاد المصرى ما يلى :

١- سقوط الأنظمة الشيوعية ، وتفكك الاتحاد السوفييتى ، واتجاهها جميعًا نحو نظام السوق .

٢- ظهور أوروبا الموحدة اقتصادياً منذ عام ١٩٩٢ .

٣- اشتداد المنافسة الاقتصادية بين أمريكا وأوروبا واليابان ، واحتمالات تحولها إلى صراع سياسى وربما عسكرى .

٤- تطورات أزمة الخليج ، وما حدث من مشاحنات بين الدول العربية بعضها البعض أو بينها وبين إسرائيل ، واحتمالات التطبيع الاقتصادى وغيره بين العرب وإسرائيل ، واحتمالات المشاركة فى استغلال موارد المنطقة خاصة المياه .

٥- تطور تطبيق مصر لتوصيات صندوق النقد الدولى إلى ما يسمى بالإصلاح الاقتصادى .

وبالطبع .. ستتأثر مصر نتيجة هذه التحولات بما يلى :

١- حجم ونوع ما تحصل عليه مصر من المعونات الخارجية ، وحجم الاستثمارات الأجنبية الخاصة .

٢- خفض الإنفاق على السلاح ، وتأثيره على الاقتصاد المصرى فى نواحٍ كثيرة ، مثل :

- إنفاق مصر على السلاح .
- حجم المعونات العسكرية المقدمة إلى مصر .
- حجم المعونات الاقتصادية .
- حجم المؤسسة العسكرية فى مصر ، ودورها فى الاقتصاد الوطنى .

والواقع أن أهم التحديات التى ستواجه الاقتصاد المصرى فى السنوات القادمة ، هى تلك المتصلة بإسرائيل وخططها فى التوسع الاقتصادى والسكانى . وقد تعاظمت فى الفترة الأخيرة هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل ، وانعكاسات ذلك على الاقتصاد الإسرائيلى ، ومتطلباته ، وأثره على الاقتصاد العربى عامة والمصرى خاصة .

ومشكلة المياه وكيف ستواجه مصر مشروعات إسرائيل لاستغلال الموارد المائية بالمنطقة ، ومدى تعارض ذلك مع الخطط المصرية للتوسع الزراعى .

ونحن فى هذا البحث نطرق الموضوع برفق ، وننظر إليه كحقيقة من حقائق القوة التى تؤثر على إعداد القوى العربية عامة والمصرية خاصة . وبالطبع تؤثر على النواحى العسكرية ، وهى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالاقتصاد ، بل وتتبعه وتعلو وتهبط قدراتها حسب قوة الاقتصاد أو ضعفه . .

ونحن أيضًا - هنا - نقرع الأجراس التى تنذر بالخطر ، إذا لم يحسم موضوع تدعيم الاقتصاد بكل حزم وقوة بالعلم والتقنية والإمكانيات . . فمثلاً وصلت صادرات إسرائيل إلى ٩ مليارات دولار ، أما مصر فصادراتها لم تتعد المليارين . ومن ثم يجب زيادة الإنتاج المصرى فى المرحلة الأولى ، والتركيز على التنمية البشرية فى التعليم ؛ لتعيش عصر ثورة المعلومات ، ويمنح المسئولون فى مصر هذا البلد الأمين قدرة التنمية الاقتصادية .

وينبغى زيادة التعاون والتكامل السياسى والاقتصادى والعسكرى مع أشقائنا العرب ، إذ لم يعد مفهوم الأمن القومى هو المفهوم العسكرى ؛ فقد أصبح مفهوم الأمن الحديث هو الذى يرتكز على العنصر الاقتصادى والسياسى ، ثم العنصر العسكرى . وكل ما يجرى من تحولات فى العالم فى السنوات الاخيرة يؤكد هذه الحقيقة ، فلابد من موقف عربى شامل

يواجه المتغيرات والتكتلات الضخمة **اقتصاديًا** أولاً ، ثم سياسيًا وعسكريًا بفكر تنموى عربى ، بواسطة الإنسان القادر حتى لا يضيع رأس المال الذى لا يجد طريقه للاستثمار فى العالم العربى ، حيث يستثمر ما يزيد عن ٦٥٠ مليار دولار امريكى فى العالم الخارجى !! وتحتاج خطط التنمية فى مصر لتحقيق من ٦ إلى ٧٪ معدل نمو ، إلى أن نستثمر ٢٥٪ من إنتاجنا الوطنى ، أى تحتاج إلى ٧ مليارات دينار عربى . ولو استغل هذا . . فسوف يحدث تغيير ضخم فى الدول العربية . والتجارة الآن بين العرب ، بعضهم البعض ضعيفة ، وقد مضى أكثر من ١٠ سنوات على فكرة السوق العربية المشتركة ، ولاتزال مجرد أمنية ! .

السوق الدولية :

عقدت فى عام ١٩٩٤ ، الدورة السابعة والعشرين لسوق القاهرة الدولى ، التى شاركت فيها ٤٣ دولة عربية وأجنبية وعرضت أكثر من ٢٠٠٠ شركة وطنية وأجنبية منتجاتها . ويعتبر هذا إلى حد ما نجاحًا لبرنامج الإصلاح الاقتصادى المصرى ، خاصة فى شقيه المالى والنقدى ، بما سيكون له أثر كبير فى زيادة معدلات الاستثمار ، وبالتالى فتح مجالات جديدة أمام توفير منتج على مستوى عال من الجودة ، وبأسعار تنافسية ؛ بحيث يكون قابلاً للتصدير . ويجب أن تكون الدولة جاهزة ومعاونة - بحق على - جذب المزيد من الاستثمارات وزيادة الصادرات ، وهذه تعتبر مهمة وطنية بالغة الأهمية .

كما يجب تحرير التجارة والخدمات بين الدول الأوربية عامة والعربية خاصة ، وبين الدول النامية حتى يمكن منح هذه الدول النامية بعض الحقوق لحماية إنتاجها فى فترة زمنية ، تستطيع خلالها تهيئة الظروف المناسبة للمنافسة مع منتجات مختلف الدول الأخرى.

الوحدات السياسية الجديدة :

رغم أن الوحدات السياسية لها اليد العليا فى تخطيط مسار التاريخ . . إلا أن الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير هو نقطة بداية من ناحية الجغرافيا الاقتصادية ؛ فالعالم العربى بمحوريه : الشرقى والغربى قد اتصلا الآن بعد أن انفصلا ، عندما زرعت إسرائيل فى قلب العالم العربى ، وقسمته إلى قسمين جغرافيين. والاتفاقية المنتظرة تمكن العالم العربى - بقسميه - من إعادة التكامل الجغرافى بواسطة الطرق البرية من شبكات طرق ومواصلات

واتصالات ، وبتوفير حرية حركة الافراد والسلع والمواد بين المحورين . ومهما كان شكل السلام القادم . . فإن هذا الاتصال نفسه هو الحقيقة الجغرافية الباقية .

الاقتصاد الإسرائيلى :

أهم نقاط الضعف فى الاقتصاد الإسرائيلى ، هى اعتماده على معونات ومنح خارجية . والسلام فى هذه الحالة يمثل خطرًا حقيقيًا على الاقتصاد الإسرائيلى . وإستراتيجية إسرائيل واضحة بالطبع ، إذ ستبدأ بمحاولة التخلص من المقاطعة العربية ، ثم تستخدم فلسطين كجسر للعبور إلى أسواق وأموال وعمالة العالم العربى . وتعمل إسرائيل لتكون هونج كونج جديدة فى الشرق الأوسط !! وستكون هى الباب الخلفى لأموال واقتصاديات العالم العربى ، وستقود السوق الشرق أوسطية ، وتنشأ منطقة تجارة على المستوى العالمى كما فعلت سنغافورة .

الخلاصة :

يجب صياغة استراتيجية عربية للتعاون العربى من جهة ، ولمواجهة التحدى الإسرائيلى فى مرحلة السلام من جهة أخرى .

ويجب أن نعيد تقييم أسباب فشل التعاون بين العالم العربى ، قبل أن نخطط للتعاون الشرقى أوسطى ، فالحقيقة الجغرافية تدعو إلى إعادة الترابط بين المحور الغربى والمحور الشرقى للعالم العربى لأهمية التعاون الاقتصادى العربى ، معتمدين على الأسس التالية :

- التعاون الاقتصادى على أساس حافز الربح .
- الاعتماد على قواعد الاقتصاد عامة ، والجغرافية الاقتصادية خاصة .
- الاستفادة من محاولات التعاون الاقتصادى العربى ، رغم فشل معظمها . ولكن هناك محاولات ناجحة ، ويحسن أن ندرس أسباب الفشل وأسباب النجاح ، ونتحرك فى الطريق الصحيح .
- يجب ألا يعيش العرب على وهم التخوف من الاقتصاد الإسرائيلى ؛ فإن إسرائيل - فى حالة الحرب - تعتمد على أمريكا وأوروبا اقتصاديا ، وستعتمد فى حالة السلام . . على مهارة مواطنيها المعروفة والتعاون الإقليمى مع جيرانها .

الفصل الثالث

الأمن القومى العربى ومشكلات المياه العذبة

المياه أحد أسلحة المستقبل :

اكتظ العـالم بالبشر حتـى عانت بعض دوله من مشـكلات الانفجار السكـانى ، التى أوقفت مشاريع تنميـتها ، وهطبت بمستويات معيشة أهلهـا ، بما هدَّد أمنها الوطنى ، وأضرَّ باستقرارها وازدهارها أبلغ الضرر .

وترتب على تضاعف تعداد المواطنين ببعض الدول ، أن صارت الموارد عاجزة عن توفير المطالب الأساسية للمـعيشة ، وعلى رأسها القمح والنفط والمياه ، التـى تعتبر عصب الحياة على كوكب الأرض ، والـتى صرّح وزير الـرى المصرى فى نهـاية مارس ١٩٩٤ بـأن مصر فقيرة مائيا ، بل وتحت خط الفقر .

وإذا كان القمح قد أصبح سلعة إستراتيجية تُلوى بها أعناق بعض الدول ، حتى ترضخ لمشيئة من يوفرة لها وتلتزم بسياستـه .. فإن النفط قد أشعل عدَّة حروب فى قرننا الحالى ، مثلما سوف تشعلها المياة العذبة فى القرن المقبل ، الذى أكّد وزير الرى أيضاً أن مصر سوف تزداد فقرًا فى المـياه خلاله . فنقص الميـاه عن حاجة بعض الدول ، أصبـح ظاهرة فى عدَّة أجزاء من الكرة الأرضيـة ، حتى صار سبباً هامًا للأزمات فـى المستقبل المنظور ، حتـى يصبح معول هدم أمنها الوطنى ، والعامل الأول فى انعدام الاستقرار ، وتوقف التنمية والازدهار فيها .

ومن المناطق التى تحتل رأس القائمة - فـى هذا المجال - منطقة الشرق الأوسط ، التى أضاف قيام دولة إسرائيل فى بؤرتها مشكلة المياه إلى مشاكلها الأخرى المزمنة ، وجعل منها حلبـة جديدة للصـراع علــــى البقـاء نتيجة إصـرارها على الـتوسع ، وتوطين المـزيد من المهاجرين ، والتطلُّع إلى الاستيلاء على مزيد من مصادر المياه العذبة فى أراضى الدول العربية المجاورة ؛ لتوفر لشعبها أسباب المعيشة ، بعد أن يتجاوز تعدادهم ٧ ملايين نسمة عام ٢٠١٠ .

فهذه الميـاه العذبة تشكِّل مطـلباً حيوياً فى حيـاة الناس ، وليس لها مـن مصدر سوى الأنهار والبحيرات العذبة ، والمياه الجوفية ، ومـا تجود به الأمطار ، ثم مشروعات تحلية مياه البحار والبـحيرات المالحة ، التى يعـيبها التكلفة البـاهظة وقلَّة الحصيلـة ، وإنزال المطر من الغيوم بالتـبريد ، وبمادة يوديد الفضة ، وأخيـراً بإعادة استخدام مياه المجارى بعـد تطهيرها وتعقيمها .

وتحت ظروف تغيّر المناخ ، واختلاف كثافة سقوط الأمطار على سطح الأرض ، وانتشار الجفاف مع زيادة السكان ، واستمرار الهجـرة وازدهار الصناعة والزراعة . . ازداد الطلب على المياه العذبة ، حتى أصبح إحدى أدوات السياسة الخارجية بالنسبة للدول التى لا تجد كفايتها منها ، وسوقاً للعرض والطلب بين من يملك الفائض ، وبين من يحتاجه.

المياه فى الفكر الصهيونى :

لقد احتلَّت مشكلة المـياه مكاناً بارزاً فى الفكر الصهيونى ، منذ بدايـة التخطيط للوطن القومى اليهودى فى نـهاية القرن التاسع عشر ، وربما قبل ذلك . وكان للـمياه صلة مباشرة بحدوده المنشودة ، وبالهجرة اليهودية إليه ، وبالتوسعات الديموغرافية فيه منذ قيام الدولة فى منتصف القرن العشرين ، وبعد ذلك .

ولم يكن غزو إسرائيل المتكرر للبنان لمجرد تصفية وجود الفدائيين الفلسطينين فى قسمه الجنوبى ، كما زعمت بل كان لتحقيق أطماع أرضية ، وتحقيق موارد مائية ، أصبحت خطط الهجرة فى أمس الحاجة إليها لتأمين استمرارها .

فهناك حقيقة تاريخية تؤكد على أن مـناطق الحدود ، ذات صفة قابلة للتمدد والانكماش والتشكيل والتعديل المستمر ، حيث يتـمكَّن الجانب الأقوى من فرض بصماته عليها . وهى تبدو كشرائح أرضية نموذجية لتضخيم كل عوامـل القوَّة والضعف ، التى يتصف بهما هيكل الدولتين المـتجاورتين ، ليس عـلى الصعيد العـسكرى فقط ، بل وعـلى الصعيد الـسياسى والديمـوغرافى والاقتـصادى والاجتـماعى والمعـنوى أيضاً . وفـى نتائـج الجولات العربـية الإسرائيلية المتتالية ما يكفى لإثبات تلك الحقيقة .

ويمثِّل الجنوب اللبـنانى انطباقا تاماً لتـلك الحقيقة ، التى لم تطـرأ على مسرح أحداث المنطـقة عند قيام دولـة إسرائيل فقـط ، بل ظهرت قبلـها بكثيـر ، عندما رسم الاستـعمار الأنجلوفرنسى خريطة المنطقة ، بعد خروجها من نير الإمبراطورية العثمانية فى أعقاب الحرب

العالمية الأولى ، وذلك على موائد اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ ، وفى قاعات قصر فرساى عام ١٩١٩ ، ثم معاهدة سان ريمو عام ١٩٢٣ ، التى أقرَّت حدود فلسطين وسلطة الانتداب البريطانى عليها .

ومنذ ذلك التاريخ . . لم تدخر الصهيونية وسعاً فى أن تضمِّن حدود فلسطين -أرض المعاد - كل ما يمكن ضمه من أنهار وينابيع وبحيرات عذبة .

المياه ومشروع تهويد فلسطين :

وترجع أهمية المياه لدولة إسرائيل إلى طبيعة المشروع الاستيطانى الصهيونى نفسه ، الذى قام على المستعمرات الزراعية وصولاً إلى المجتمع المتمسِّك بالأرض ، والمتأهِّب دوماً للقتال من أجلها ، ومن ثم أصبحت المياه محور ذلك المشروع الاستيطانى ، وكل ما يقوم حوله من صناعات وأسواق تجارية ومظاهر معيشية متنوعة .

ولكل ما سبق . . أولى المشروع الاستيطانى الصهيونى أهمية كبرى لمصادر المياه العذبة فى الدولة المنشودة قبل إنشائها . ففى ندوة باريس عام ١٩١٩ . . طالب الصهاينة أن تمتد رقعة تلك الدولة من نهر الليطانى وسفح جبل الشيخ شمالاً ، حتى وادى اليرموك ، ثم أعادوا التأكيد - مرة أخرى - فى المذكرة التى تقدَّم بها الوفد الصيهونى إلى مؤتمر الصلح المنعقد ، بعد الحرب العالمية الثانية بأن جبل الشيخ يجب أن يكون المصدر الرئيسى للمياه فى أرض المعاد ، التى لا تكتمل حدودها إلاَّ بالحصول على كل الأرض فيما بين نهر مصر (وادى العريش فى التوراة) ، والنهر الكبير (نهر الفرات) .

ولمَّا كان الموقع الجغرافى للقسم الصهيونى من قرار التقسيم - وما نجح مخطط التوسع فى استلابه - بعدئذ من فلسطين العربية - يقع كلّه داخل الشريحة المدارية التى تمتد بمحاذاة البحر المتوسط ، وترتبط بتأثيراتها المناخية والجوية ، وبما يسقط عليها من أمطار قليلة خلال فصل الشتاء فحسب . فقد أصبحت الحاجة ماسة إلى المصادر الأخرى ، وعلى رأسها الأنهار التى تجرى طول العام داخل فلسطين ومن حولها .

المياه وأمن إسرائيل :

فى بلد يسعى إلى توطين أكبر عدد من يهود العالم فيه ، اقتناعاً بالشعار الذى نادى به زائيف جابوتنسكى عام ١٩٣٣ بأن « الصهيونية هى الاستيطان ، ولسوف تحيا وتموت مع

قضية قواتهـا المسلحة » . . يصبح التطـلّع إلى إمتلاك كل ما يمكن امتلاكـه من مصادر المياه العذبة شديد الارتباط بمشروعات التوطين ، و - من ثم - بالأمن الوطنى الإسرائيلى وركائزه الاقتصادية والاجتماعية ، التى تضمن استمرار الحياة فى الدولة .

ونتيـجة لذلك . . فـقد احتلـت مشكلات المـياة بالنـسبة لدولـة إسرائيل رأس قـائمة معضلات أمنها الوطنى .

وكذلك الأمن العربى :

وغنى عن البـيان أن تلك المعضلة تمس أيـضاً - وبنفس القدر - الكيـان العربى لدول الطوق حول فلسطين ، وتؤثرٌ بشكل مباشر وشديد على أمنها القومى مجتمعة ، وعلى الأمن الوطنى لكل دولة منها على حدة . ولا يعتبـر ذلك خطرًا طارئا عليها ، بل هو يضرب فى أغوار الماضى لعدة حقب سابقة ، كما يستشرى ذلك الخطر فى المستقبل المنظور .

فقبل أن تطأ الهجرة الثانية أرض فلسطين فى عام ١٩٠٤ . . درست جغرافيتها الطبيعية ومصادر مياهها ، التى تـبين أن معظمها يقع فى المنطقة الشماليـة الشرقية من البلاد ، وفى الأرض اللبنانية والسورية المتاخمة لها . بينما تفتقر الشرائح الوسطى والجنوبية - والتى تناهز مـساحتها ١٣ مليون دونـم - إلى الميـاه فيما عدا قسم صغـير على الساحل ، فيـما بين يافا وغزة ؛ حيث يجرى نهر اليرموك الذى يصب شمال تل أبيب .

مطامع قديمة :

لهذا . . طمـع اليهود - منذ أكثـر من مائة عام - فى روافد نـهر الأردن داخل أراضى لبنان وسوريـا ، على نحو مـا جاء بكتاب « أرض المـيعاد بالصـفحة ٦٥ » الـذى أصدرته الجمعية العلمية لدراسة أرض فلسطين ، حتى يمكن توطين نحو خمسة ملايين يهودى .

وخلال - وبعد انتهاء- الحرب العالمية الأولى . . اسـتمر زعماء اليهود فى بذل الجهود الكثيفة لاقتطاع فلـسطين من إقليم الشام ، واعتبارها وحدة مستقلّة سـياسياً وجغرافياً ، على أن تشمل مـنابع نهر الليطـانى ونهر الوزّانى ونهـر اليرموك . وقد ذكر حاييـم وايزمان فى كتابة « المحاولة والخطـأ» أنه اجتمع خلال فترة انعقاد مؤتمـر السلام - بباريس عام ١٩١٩ - بالجنـرال جورو ، المندوب الـسامى الفرنـسى بلبـنان وسوريا ، لإقنـاعه بضم حـوض نهر الليطانى إلى أرض فلسطين .

ولماً لم تنجح مساعيه .. ظل يواصل الجهد مع حكومتى بريطانيا وفرنسا ، خلال عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ؛ لإدخال حوض نهرى بانياس والحصبانى ، وبعض القرى اللبنانية بحوض الليطانى داخل حدود فلسطين ، التى كانت الصيهونية تعمل وقتها بكل همة لاغتصابها من أصحابها العرب .

ثم أعلن ونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا ، فى مجلس العموم فى خريف عام ١٩٤١ أن الصهاينة طالبوا حكومته بإطلاق أيديهم فى كل فلسطين ، بعد ضم جنوب لبنان إليها ، حيث يجرى نهر الليطانى ، مقابل حشد كافة طاقات وإمكانيات اليهود ، لخدمة بريطانيا وحلفائها لكسب الحرب .

وبمجرد اشتعال الحرب بين الصهاينة والعرب فى صيف عام ١٩٤٨ ، وضع بن جوريون نصب عينيه الاستيلاء على الجليل الأعلى ، الذى خصصه قرار التقسيم للعرب .. فكانت تلك الشريحة الغنية بمياهها ، الخصبة بتربتها ، أول ما وجهّت الأركان العامة الإسرائيلية قواتها الميدانية لاغتصابها ، وطرد أغلب أهلها إلى لبنان وسوريا بالقوة الجبرية والعنف المطلق .

واخطار تهدد امن العرب :

وتكشف تلك الجهود النشطة للحصول على مزيد من موارد المياه واستزراع مزيد من الأراضى ، لتوطين مزيد من المهاجرين عليها عن مدى الخطر ، الذى سوف تشكله المياه على الأمن الوطنى والقومى للدول العربية المحيطة بإسرائيل ، منفردة ومجتمعة .

وإذا كان أمنها القومى قد انتهك فيما سبق على يد الاستعمار الأنجلو فرنسى ، الذى كان يسعى إلى الحصول على خامات الصناعة ومحاصيل الزراعة بالمنطقة ؛ ليرفع بهما مستوى المعيشة فى بلاده ، ويفتح لها الأسواق فى تلك الدول العربية .. فإن واقع الحال ، وما يحمله المستقبل للمنطقة ، يحمل - بين طياته - خطرًا أكيدًا على أمنها ، نتيجة حاجة إسرائيل الملّحة إلى مزيد من كميات المياه لسد احتياجاتها المتزايدة منها ، فى مختلف أغراض المعيشة والصناعة والزراعة . ويتوقّع العلماء أن تكون بؤرة الصراعات الدامية فى القرن الحادى والعشرين .

والواقع .. أن أطماع الصهيونية فى المياه العربية تنبع من طبيعة المشروع الصهيونى ذاته ، فهو مشروع قائم على الاستيطان ، والزراعة هى هدفه المثالى فى إيجاد المجتمع

الصهيونـى الجديد ، المتمسك بالأرض ، المستعد للقتال من أجـلها ، والتوسع فيهـا حيثما تسنح الفـرصة . وبهذا .. أصبحت الميـاه العامل الرئيسى فـى تحقيق الرؤية الصهـيونية ، وصك الشعارات التى يجسِّدها العلم الإسرائيلى نفســه بتلكما الشريحتين الرفيعتين من اللون الأزرق اللتين تحفَّان بجانبيه تعبيرًا عن النهرين سالفى الذكر .

ولإحكام السيطـرة علـى المياه العربيـة .. أحبطت إسرائيل مشروع ســد المقارن عام ١٩٥٦ ، ثم قـامت بتحويل مياه نهر الأردن عام ١٩٦٥ . ثم أحبطت مشروع سد خالد بن الوليـد عام ١٩٦٧ ، وهدَّدت بأنـها سوف تتـدخل لوقف أى مـشروع مائى ، يـؤدى إلى خفض كمية المياه التى تلزمها بغض النظر عن تجاوز تلك الكمية لحصتها المقنَّنة من المياه .

وفى ظل غياب الـسيطرة اللبنانية عـلى جنوب الدولة .. عمدت إسرائـيل إلى مد خط أنابيب تحـت الأرض ، يصل المياه الجوفيـة الغزيرة بالجنـوب اللبنانى ، وكذا مـياه الوزانى والليطانى إلى شمال إسرائيل .

قناة البحرين :

وبين الحين والآخر تردد أبواق الدعايـة الصهيونية عزم إسرائيل على تنـفيذ مشروع قناة البحرين : المتوسـط والميت ، الذى يجسد الأطماع الصهيونيـة فى الأرض العربية ، والذى تعود جذوره إلـى مخطط تيودور هرتزل فـى كتابه « الأرض القديمة - الجـديدة » : « حيث يهدف إلى الاستـفادة من فارق المنســوب بين البحرين ، والبـالغ نحو ٤٠٠ مترًا بـجر المياه المالحـة عبر أنبوب ضخـم لمسافة ١١٤ كيلو مترًا ، لـتوليد طاقة كهـربائية كبيـرة ، وتبريد المفاعلات النووية ضارباً عرض الحائط بالمصـالح الأردنية ، التى سوف يوقع هذا المشروع بها الضرر البليغ ؛ نتـيجة تجبّس التربة عند اختلاط المياه المالحة بهـا ، وتدهور مشروع البوتاس الذى يعتبر أحد المشروعات الصناعية الرئيسية فى الأردن ، فضلاً عن إغراق مساحات واسعة من الأراضى الأردنية بـالمياه المالحة ، وكذلك غمره عدة طـرق سياحية تعتبر مـورداً سياحياً مهمًا لخزينة الأردن.

ضرورة تحرك العرب :

وفى مواجهة الأطماع والخطـط الصهيونية فى المياه والأنهار والينـابيع العربية ، وأزمات المياه التى سوف تعانى منها كل دول الشرق الأوسط ، فى القرن الحادى والعشرين .. تبدو

الحاجة ملّحة إلى تحرّك عربى مشترك ، فالخطر فى جوهره يعنى الأمن الوطنى للدول العربية منفردة ، كما يعنى أمنها القومى فى حاضرها ومستقبلها أيضاً .

ولمواجهة ذلك الخطر . . فإنه لا بديل عن استراتيچية عربية مشتركة ، تتصدى إيجابيًا لمحاولات إسرائيل الحصـول على المزيد من المياه العربيـة ، بالتحرك إقليميا ودولـيا بما يبعد شبح حـروب المياه عن المـنطقة ، فـلا يكون القـرن القادم هو قـرن حروب المياه والـعطش والجفاف . . . . والفناء .

خاتمة :

لقد كشف شـمعون بيريز عن أبعاد مشـكلة المياه ، وما سوف تثيره مـن قلاقل للأمن القومى العربى فى المستقبل ، بما جاء في كتابه عن الشرق الأوسط الجديد ، الذى صدر عام ١٩٩٤ ، بأن العلاقات بين الدول فى المنطقة كانت - ولا تزال - ترتبط بسياسة المياه .

وتدرك إسرائيل أن الحل الوحيـد لمشكلة نقص المياه التى تواجههـا ، ينحصر فى إعادة توزيع حصيلة مياه المنطقة بما يضمن لها حصة أكبر .

ومن هنا . . تصـبح صياغة علاقات أوضح بين الـدول العربية ، مسألة حاسـمة لقطع الطريق على إسرائيل فـى سعيها الحثيث إلى التحول من فكرة إسرائيل الـكبرى التى تحققها بقوة السلاح ، إلى إسرائيل العظمى ، التى تتطلع الـيوم لتحقيقها بقوة الاقتصاد الذى يعتبر المياه أهم أسلحته .

والواقـع . . أن وضـــع منهاج عمل عربـــــى متكامــل لمواجهـة ذلك الخطر ، سـوف يثير عــدة قضايـا عاجلــة وآجلـــة ؛ إذ لا يمكن فصل قضايا الأمـن الوطنى أو القومى عـن القضايا الأخـرى الداخـلية والخارجية بالنسبة للدول العربية ودولـــة إسرائيـل ، وما سوف يواجههـــا جميعاً فى المستقبل مـــــن مصالح متعـارضة داخـل المنطقة ، وعــــلى الصعيد العالمى .

فالأمن يرتبط بوظيفة الدولة وحكومتها المركزية التى تملك القرار لحل المشكلات ، التى تعرُضها للأخطار . وهى تتبلور فى حالتنا هذه فى الصراع الحالى والمتوقَّع مستقبلا على المياه العذبة فى المنطقة . ولما كان التوجُّه العام أصبح ينحو إلى الحلول الوسط ، فيما يشجر بين العرب وإسرائيل مـن قضايا ، فما أحراهم جمـيعاً أن يضموا مشكلات المياه الـعذبة قائمة

المسائل المطروحة على بساط البحث ، فيـما يتفاوضون بشأنه الآن ، وصولاً إلى سلم عادل ودائم ومضمون .

المراجع والمصادر :

الزراعة والاستيطان ، أرييه أمير ، القدس ، ١٩٥٨ .

مركز المعلومات الحكومى لإسرائيل ، ملازم وخرائط اعوام ١٩٨٠ - ١٩٩٠ .

مجلات الزراعة الإسرائيلية أعوام ١٩٧٣ - ١٩٧٨ .

المياه فى إسرائيل ، مردخاى يعقوب بيفتش ، حيفا ، ١٩٧١ .

الشرق الأوسط الجديد ، شمعون بيريز ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤ .

Papers on Demogrophy, Jusslen Schmel 1 et als, Jerusalem, 1980.

Israel Central Bureau of Statistic, Statistical Abstract of Israel, 1992 .

الفصل الرابع

كيف دارت معركة النفط فى جولة خريف ١٩٧٣

لم تكن محاولة استخدام العرب للنفط فى المعركة عام ١٩٧٣ هى المرة الأولى فى صراعهم الطويل مع إسرائيل ، إذ سبقتها محاولة أخرى لم يكتب لها النجاح ، خلال جولة صيف ١٩٦٧ نظرًا لقصر مدة القتال فى تلك الحرب الخاطفة بما لم يتح لقرارات حظر النفط العربى على الدول ، التى ساندت إسرائيل وقتها أن تطرح ثمارها المرجوّة .

وظلّت الشعوب العربية تتطلّع لحسن استخدامه فى الجولة القادمة ، إلاّ أن النتائج لم تكن هذه المرَّة أيضاً على مستوى الآمال المعقودة عليها ، إذ لم توقع الضرر المنشود لمن وجهت ضدهم معركة النفط فى جولة خريف ١٩٧٣ ، كما لم تفد من أرادت مساعدته .

ولفهم أسباب ذلك يلزم إلقاء نظرة على خلفية موقف الطاقة فى كل من دول الشرق الأوسط والدول الغربية بصفة عامة ، مع التركيز بوجه خاص على موقف المملكة العربية السعودية بالنسبة للأولى ، وموقف الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للثانية .

ففى شتاء ١٩٧٢ تعرَّضت الولايات المتحدة لأزمة طاقة خانقة ترتَّب عليها توقُّف محطات البنزين الأهلية عن العمل ، كما انقطعت التدفئة عن المنازل بما دفع الرئيس ريتشارد نيكسون إلى اتخاذ قرار زيادة استيراد النفط بنسبة ٥ ٪ من جملة الاستهلاك الوطنى العام . وكانت نسبة النفط العربى فيها لا تتجاوز ١٨ ٪ ، على حين كانت تلك النسبة تزيد على ٦٠ ٪ لما تستورده دول غرب أوروبا . أما اليابان فوصل اعتمادها على نفط الشرق الأوسط إلى نحو ٩٠ ٪ من جملة احتياجاتها منه .

وبينما تملك الشركات الأمريكية نحو٦٠ ٪ من حقول النفط فى الوطن العربى ، فإن دول غرب أوروبا واليابان لم تكن تملك منها شيئاً باستثناء أنصبة قليلة لبريطانيا وفرنسا ، بما يعنى أن الولايات المتحدة كانت المستفيد الأول من بيع النفط العربى .

وكانت السعودية هى الدولة المتحكّمة فى سياسة النفط العربى بما تملكه من احتياطى محقق ، يزيد على ثلاثة أمثال ما هو موجود بدول الشرق الأوسط الأخرى بما فيها إيران . إلاّ أن الملك فيصل كان يرى ألاّ يستخدم النفط العربى ، كسلعة على نحو ما أقره وزير النفط السعودى الشيخ أحمد زكى يمانى أمام مؤسسة الشرق الأوسط فى أبريل ١٩٧٣ ، ثم بذل الوعود بتزويد الولايات المتحدة بكافة احتياجاتها من النفط السعودى ، إلى جانب استثمار جزء كبير من عائداته فى الولايات المتحدة .

الاّ أن السلطات الأمريكية ظلّت تبدى الحذر من مخاطر الاعتماد على مصدر وحيد للنفط الذى تستورده . وفى نفس الوقت اعتبرت كل ما يدور من تهديدات عربية باستخدام النفط فى المعركة المقبلة مجرد زوبعة فى فنجال ، طالما ظل الملك فيصل على رأيه الذى سبق أن أعلنه مرارًا وتكرارًا .

وفى تلك الاثناء صرّح السناتور وليم فولبرايت أمام لجنة الشئون الخارجية والأمن الأمريكية ، بأن جيش إسرائيل يستطيع ، إذا ما قام العرب بحظر تصدير نفطهم ، أن يحتل الكويت وما يجاورها من حقول نفط سعودية ، دون أن يلقى مقاومة تذكر .

إلاّ أن الموقف دخل عليه تغير جذرى بنجاح الثورة الليبية فى مطلع سبتمبر ١٩٦٩ . وعندما أصدر الرئيس معمر القذافى الأمر بتخفيض إنتاج حقل تملكه الشركة الأمريكية بمقدار ٣٠٠ الف برميل يومياً ، انتشر القلق بين الشركات الأخرى خشية أن يأتى دورها عمّا قريب ، لاسيما وأن العالم كان يعانى وقتها من نقص خطير فى السفن حاملة النفط ، يمنعها من استعاضة النفط الليبى من مصادر أخرى بعيدة .

ثم توالت الاقتراحات عن كيفية تخطيط وإدارة حرب النفط لاستخلاص الحقوق العربية التى اغتصبتها إسرائيل بمساعدة الغرب ، فكان بعضها يدعو إلى تأميمه كليةً بينما فضّل البعض الآخر التحكُّم فى الكميات التى يسمح بتصديرها ، على اعتبار أن التأميم الكامل لن يوقع الضرر بالشركات العالمية التى تملكه ، أو تقوم بتسويقه طالما أنها تستطيع تعويض خسائرها فى مجالات أخرى ، لا يستطيع الشرق الأوسط عامة ولا الدول العربية على وجه الخصوص الاستغناء عنها ، وسوف يكفى رفع أسعار بيعها للعرب لتغطية الخسائر المترتبة على تأميم النفط .

ورغم ذلك ظل النفط فى مقدمة أسلحة المعركة ، التى لم تترك هزيمة ١٩٦٧ مصداقية

لسلاح آخر ، يمكن للعرب أن يعتمدوا عليه بنفس الثقة لاجتياز المحنة ، فلما عقد مؤتمر الخرطوم فى نهاية أغسطس ١٩٦٧ - وكان بمثابة الفرصة الأولى لرسم سياسة موحّدة للنفط العربى - سرعان ما ظهرت خشية الحكومات ، والشركات العربية المعنيَّة من أخطارها على مصالحها الذاتية الآنية ، إذا تكررت تجربة تأميم النفط الإيرانى بواسطة الرئيس محمد مصدَّق .

وكان أقصى ما يتطلع إليه الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر الخرطوم ، أن يحصل على دعم مالى من دول النفط العربى يسند به اقتصاد مصر المنهار ، وقد جاءته تلك المعونة من حيث لم يحتسب ، إذ بادر الملك فيصل إلى عرض مائتى مليون جنيه تدفعها السعودية والكويت وليبيا ، لتسند اقتصاد دول المواجهة من عثرته .

وفى نفس الوقت اغلق الملك فيصل الباب بإحكام فى وجه كل اقتراحات استخدام النفط فى المعركة التى ظل يرفضها بعدئذ حتى شهر يوليو ١٩٧٣ ، حيث إنه كان لا يمل من التأكيد على أن النفط ليس سلاحاً حربياً بل قوة اقتصادية ، حتى إنَّه عمد بمجرد قطع أنابيب التاب لاين إلى التهديد بوقف المعونة المالية لدول المواجهة لمدة شهر لتعويض الخسائر التى ترتبت على توقف الضخ .

ثم ظلَّت آراء الأسرة السعودية تتضارب فى هذا الشأن ، إلى أن اجتمع الملك فيصل بالرئيس السادات فى نهاية شهر أغسطس ١٩٧٣ ؛ ليفاجئه باستعداده لخوض معركة النفط ، شريطة أن يستمر القتال فى المسرح حتى تطرح معركة النفط ثمارها ، وتعبئ الرأى العام العالمى لصالح العرب بأسلوب العصا والجزرة .

وبهذا التحوُّل المفاجئ أصبح الشرق الأوسط يواجه فى صيف عام ١٩٧٣ .. مشكلتين عويصتين : إحداهما اقتصادية وهى مشكلة النفط ، والأخرى سياسية عسكرية وهى مشكلة اتخاذ قرار الحرب . وسرعان ما شعرت القيادة المصرية بالعلاقة المتبادلة بينهما إذ وجدت أن جهاز تفجير المشكلة الأولى تتحكم فيه المشكلة الثانية ، مثلما تتحكم الأولى فى جهاز تفجير الثانية .

وبهذا تحوّل نفط العرب إلى مارد انطلق من قمقم الاحتكارات والقيود الإمبريالية ، وأصبح السؤال هل يستطيع أصحابه أن يروِّضوه ويخضعوه لإرادتهم أم أن النفوذ الإمبريالى سوف يعيد التحكم فيه مرة أخرى ليستأنف سيطرته على مصائر العالم العربى ؟

كما أصبح السؤال أيضا هل يظل العرب يعتبرون النفط مجرد سلعة استراتيجية ، يجب الاستفادة من قيمتها التجارية ، أم أنه أصبح سلاحاً مثل المدفع والقنبلة ، يلزم حشده فى المعركة التى سوف تخوضها قواتهم المسلحة ؟

لقد سبق للزعماء العرب فى مؤتمر الخرطوم ، الذى عقدوه فى أول سبتمبر ١٩٦٧ - بعد ثلاثة شهور من الجولة الثالثة - أن أعلنوا بعد دراسة توصيات وزراء المال والاقتصاد والنفط العربى التى نصحت بوقف ضخِّه كسلاح فى المعركة ، اعتراضهم عليها مع التأكيد على أنه طاقة عربية يلزم استمرار ضخها لدعم اقتصاد دول المواجهة ، وتمكينها من مواصلة الصمود واستكمال الاستعدادات .

وبمعنى آخر أكَّد مؤتمر الخرطوم النظرية التى تطالب بفصله كسلعة عنه كسلاح .

ولم يكن العرب وقتئذ قد استقروا على خطة لرفع اسعار النفط ، عندما تبدأ الحرب رغم وجود مجموعة خبراء فى وزارة الخارجية المصرية لتقديم المقترحات فى تلك المسألة . ولحسن الحظ كان المهندس مصطفى خليل قد أعد لها دراسة مبكرة ، قام الرئيس السادات بتكليف الدكتور محمود فوزى بمراجعتها صباح ٧ اكتوبر ١٩٧٣ ، توطئة لإخطار المملكة العربية السعودية ودول الخليج بمضمونها صباح اليوم التالى .

وقد تلخَّصت تلك الدراسة فى اعتبار النفط سلعة استراتيجية واقتصادية ، وليس سلاحًا بحد ذاته طالما أنه لا يستطيع أن يكسب حربًا بمفرده ، فكل ما يمكنه هو أن يوفِّر وسيلة ذات تأثير كبير فى ممارسة الضغوط السياسية على الدول التى تستهلكه ، على ألاّ تسترسل الدول المصدرة فى ممارسة تلك الضغوط بدرجة تحولها إلى أعداء .

فالدول الأجنبية التى تعارض خوض العرب للحرب لاستعادة حقوقهم المغتصبة يمكن التخفيف من حدة مواقفها السياسية المعاكسة بالتلويح لها بسلعة النفط ، وكذلك تلك التى تسارع إلى تزويد إسرائيل بالسلاح والمعونات الأخرى لدفعها إلى التوقف عن ذلك .

وإلى جانب تلك الإجراءات . . فليس هناك مانع من رفع أسعار النفط ، مع خفض معدلات تصديره بالقدر الذى يخدم المصلحة العربية ، ويتعادل مع أسعار مصادر الطاقة الأخرى .

وبعد عرض ملخص لتلك الدراسة على الملك فيصل ، والأمير فهد ، والدكتور رشاد فرعون مستشار الملك الخاص . . صار اعتمادها مساء ٨ أكتوبر ، ووضعها موضع التنفيذ

الفورى ، مع إخطار القائم بأعمال سفارة الولايات المتحدة بالسعودية ، بقرار تخفيض الإنتاج بنسبة ١٥ ٪ بينما يقوم وزير الخارجية الموجود بواشنطن بإخطار الرئيس نيكسون بنفس الأمر .

ثم توجه الوفد المصرى فى الغد إلى الكويت ، يحمل لحاكم الدولة نفس الدراسة ، التى وافق عليها أيضاً قبل أن يتوجه الوفد إلى قطر وأبو ظبى وسلطنة عمان لإنجاز نفس المهمة .

وفى ١٧ اكتوبر اجتمع وزراء النفط العربى بالكويت ، لتنسيق سياسة خفض الإنتاج ورفع الأسعار حيث وصلتهم نصيحة الرئيس السادات بالاكتفاء بنسبة خفض ٥ ٪ فقط . إلا أن الزيادة فى السعر خدمت مصالح الشركات الأمريكية أضعاف خدمتها للمصلحة العربية .

ورغم الاتفاق على ألا يتجاوز الخفض نسبة ٥ ٪ فقد قامت بعض الحكومات العربية بخفضه بنسبة ٢٥ ٪ ، مما أشاع الذعر فى غرب أوروبا والولايات المتحدة ، إلاّ أن طريقة التنفيذ لم تكن محكمة ، إذ اكتفت بأخذ التعهدات على الموانى التى صدر بشأنها الحظر .

وفيما يتعلق بالعلاقة بين سلاح النفط ومسار الصراع العربى الإسرائيلى فإن زيادة سعره تعود ، بالدرجة الأولى - إلى التطورات التى شهدتها السوق العالمية ، نتيجة تغيرّ علاقات القوة بين الشركات العملاقة التى تتعامل فى النفط كسلعة ، وبين الدول العربية التى تصدره ، بعد أن أثبتت الأخيرة قدرتها على فرض إرادتها ، وإجبار تلك الشركات على تقديم تنازلات اقتصادية ذات وزن .

وكانت هزيمة صيف ١٩٦٧ وما ترتب عليها من شعور العرب بالظلم الواقع عليهم بمؤازرة الغرب ، وتقاعس الولايات المتحدة عن ممارسة أى دور إيجابى للوصول إلى حل عادل ودائم للمشكلة العربية الإسرائيلية - كان كل ذلك - دافعاً أساسيًا للعرب لاستخدام النفط كسلاح ، مع رفع سعره لتمويل الكفاح .

وفى ظل التجاهل المستمر لحقوق العرب ، واستمرار الوجود غير الشرعى لإسرائيل فى الأراضى المحتلة ، استمدت قرارات الحظر ورفع السعر شرعيتها من العرض الدولى أولاً ، ومن قرارات المنظمات الدولية ثانياً ، ومن قانون المعاهدات ثالثاً ، مستندة - فى كل تلك الركائز - إلى ما تبيحه حالة الحرب القائمة بين العرب وإسرائيل من حقوق مشروعة فى ممارسة فرض القيود ، وتحديد الأسعار على نحو ما مارسته الولايات المتحدة نفسها منذ عام

١٩٤٠ ، حتى اصبحت أغلب صادراتها موضع قيود خاصة باعتبارات الأمن ، وفقاً لقانونى تنظيم الصادرات الامريكية الصادرات فى عامى ١٩٤٩ ، ١٩٦٩ .

ويتضح مما سبق أن رفع سعر النفط العربى يستند إلى شرعية قانونية ، إلاّ أن نتائجه عادت على الشركات الأمريكية المستغلة بمكاسب تزيد عل السبعة دولارات مقابل كل دولار حصلت عليه الدول العربية المصدرة . كما كان من نتائج رفع الاسعار أيضاً أن اقترب سعر النفط فى السوق العالمى من سعر بعض المصادر الأخرى للطاقة ، وهو نفس الهدف الذى كانت تسعى الولايات المتحدة لتحقيقه منذ زمن بعيد ، بينما كانت أوروبا الغربية واليابان من أشد ضحاياه وأكثرهم معاناة مع العرب - غير منتجى النفط - من التضخم الذى ترتب عليه .

وكما ربحت الولايات المتحد من تخفيض نسبة الضخ ورفع سعر النفط العربى ، فقد ربحت أيضاً من الغاء تلك النسبة ، قبل أن يتم جلاء الإسرائيلين عن كل الأراضى المغتصبة على نحو ما أكّده قرار الحظر .

فالبرقيات المتتالية التى راح الرئيس نيكسون والمستر هنرى كيسنجر يرسلانها للرئيس السادات والملك فيصل ، تحمل تهديداً بالتوقف عن بذل أى جهد لتسوية المشكلة العربية الإسرائيلية سلميًا قبل إلغاء الحظر المفروض على النفط ونسبة خفض إنتاجه ، جعلتهما ينزلان على رغبة الولايات المتحدة قبل أن يتحقق ذلك الهدف المنشود .

والخلاصة أن دول النفط العربية وإن لم تنجح فى إدارة معركتها بمهارة عالية ، فقد ظهرت أمام العالم - ولأول مرة - فى جبهة متحدة تختلف كثيرًا عما كان عليه حالها قبل جولة خريف ١٩٧٣ . كما أنها برهنت أيضاً على مدى قدرة تكتلها فى نقل السلطة الاقتصادية من عواصم العالم الغربى إلى عواصمها الوطنية .

وبانتهاء الجولة الرابعة . . توقف إلى حد ما الخلاف بين أنصار النفط كسلعة ، وأنصاره كسلاح ، بعد أن أثبت التلاحم بين السلاح العسكرى وسلاح النفط أن لا مفر من استخدامهما معاً وفقاً لاستراتيجية عربية شاملة ، وأن جدوى أحدهما سوف تقل كثيراً إذا ما غاب الآخر عن المسرح .

الفصل الخامس

تضامن القوى العربية

تواجه الأمة العربية اليوم أزمة مركبة ، وتناقضًا صارخًا في واقعنا العربى فى مرحلة انتقالية ، تشهد تغيرات عميقة وصراعات تاريخية قديمة ومتجددة . وأيضا فى مرحلة عدم استقرار في ظل ظروف عالمية سريعة التغيير والتبديل ، ونتعرض لصراع بين التجزئة والوحدة وبين السلفية وقوى التحديث والتنوير .

ومازالت القبلية ضاربة جذورها فى أعماق مجتمعاتنا ، وتتزامن معها نخبة مثقفة متجاوبة مع تطور الزمن ، تستوعب التغيرات الهائلة التى احدثتها الثورة العلمية والتقنيَّة وتتعامل معها . . ويظهر هذا التناقص الصارخ فى أنظمة اقتصادية بدائية فى الريف والزراعة ، تعيش جنبًا إلى جنب مع مراكز الاتصالات وأبحاث وبرامج الكمبيوتر المتطورة وبنوك ومصارف ومصانع غاية فى التطور ، تضارع الصناعة المتقدمة مثلها فى الدول الكبرى ، ويعيش الشعب العربى داخل حدوده القطرية الضيقة عدَّة حضارات وعدَّة ثقافات . ومازلنا نعيش مأساة الخليج والغزو العراقى للكويت ، وما أحدثته من شرخ فى البناء ، وفى المواطن العربى . وهناك قوى أجنبية إقليميَّة وعالمية ، تريد لنا أن نعيش هذه المأساة دائما لكى تعمق بها الخلافات والصراعات العربية ، ولكى يصبح التشرذم العربى ، هو الظاهرة السائدة فى المنطقة .

ولا يزال الإرهاب المتخفى باسم الدين يمارس هوايته فى القتل وترويع الأبرياء ، وزعزعة الأمن ، والنيل من اقتصاد البلاد فى كثير من الاقطار العربية .

وهناك جهود هائلة تبذل لتفتيت الوطن العربى إلى تكتلات متباغضة ، لكل منها اتجاهاتها السياسية والفكرية والاقتصادية والثقافية والأمنية ، على أن تلحق كل كتلة منها بقوى أخرى غير عربية ، وذلك للقضاء على الهوية العربية وتكريس التجزئة والتقسيم .

إن الوضع العربى وما تتعرض له البلدان العربية على امتدادها ، من مخاطر - سواء

من خارجها أو داخلها أو الاثنين معا - يجعل للتضامن العربى عامة وتضامن القوى العربية خاصة ، رسالة قومية بالغة الأهمية ، وخصوصًا وأن الغرب عاد إلى امتلاك السلطة شبه المطلقة للقرار الدولى فكل القضايا التى تنفجر على الساحة الدولية ، تحكمها قوة من امتلك السلطة وأخضع الأمم المتحدة ومجلس الأمن لفرض مصالحه باسم الشرعية الدولية .

ونجحت هذه القوة فى امتصاص اقتصاديات العالم الثالث فى الاقتصاد العالمى ، الذى تهيمن عليه كجزء من عملية السيطرة الكاملة globalization على مقدرات الشعوب .

ومازالت أرضنا العربية فى الجولان السورية وجنوب لبنان تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى ، وتتعرض عشرات القرى اللبنانية ومئات الألوف من الأخوة اللبنانيين لغارات إسرائيلية وحشية مستمرة ، تستهدف تفريغ الجنوب اللبنانى من أهله وسكانه كما لا يزال الحصار مفروضًا على شعب العراق ، كما تتصاعد العقوبات على الجماهيرية الليبية ، ويواجه الشعب الفلسطينى البطل وانتفاضته الباسلة المجازر بدلاً من التحرر واسترداد الأض وإقامة دولته المستقلة . وحتى اتفاقية غزة - أريحا تحاول إسرائيل تحويلها إلى إتفاقية خالية من أى مضمون حقيقى .

وفي الجانب الآخر نجد أن بعض أدوات الضغط على إسرائيل بدأت تتهاوى ، فالمقاطعة العربية لإسرائيل ومن يتعامل معها تتآكل ، وخطى التطبيع تسير وفق هوى إسرائيل وبضغوط أمريكا على الدول العربية من كل الاتجاهات . وحتى فرنسا تعيد تحسين علاقتها مع إسرائيل ، وتزداد إسرائيل قوةً بالدعم العسكرى الامريكى المتقدم ، ويزداد العرب ضعفًا وتهاونًا بسبب الصراعات بين بعضهم البعض على الحدود ، والصراعات القبلية والعرقية التى تصل إلى حد الحرب الأهلية ؛ مما يستنزف قوى الشعب العربى ، ويفرض عليه أوضاعًا اقتصادية واجتماعية غاية فى التردى ، تصل إلى حد المجاعات ، التى تجتاح الآلاف من البشر . وتبرز قمة المأساة على أرض الصومال ، وفى الجنوب السودانى . وتعتبر قضية المياه مسألة حياة أو موت بالنسبة لشعبنا العربى ، ويقول الخبراء :

« ان نقطة المياه قد تصبح مصدرًا لحروب مدمرة فى المنطقة !! » .

وهناك رؤيا جديدة لنظرية الأمن الإسرائيلى ، وترى إسرائيل أن أمنها سيتحقق لو أصبحت عضوًا فى تجمع إقليمى واسع ، لتمتد يداها إلى بترول الخليج وثرواته ورأسماله المتراكم الضخم ، وسوق فى شرقنا الأوسط تكون هى فيه مصدر التقدم والعلم والتقنية ،

والدولة القائدة فى المنطقة ، ويتحقق أمنها من خلال سيطرة جديدة غير السيطرة العسكرية التى اصبحت لا تفى بالغرض ويجب على العرب تقدير الموقف تقديرًا متكاملاً وكشف العوامل المؤثرة على هذه السياسة الجديدة وإظهار مخاطرها ومنافعها ان وجدت ، حتى لا تذوب ثرواتها وتتبخر رؤوس أموالها ويهتز كيانها الاقتصادى والاجتماعى .

وليس أمامنا نحن العرب إلا التضامن ، ولنستمع إلى قول الله سبحانه وتعالى ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الحشر ١٤]

ومعناها أن اليهود مهما أوتوا من قوة ، لن يستطيعوا قتالنا ونحن مجتمعين . . فلنا الغلبة ولهم الخزى ، لو تضامن العرب ، وتضامنت قدراتهم وقوتهم وثرواتهم ورؤوس أموالهم . وخطوات هذا التضامن يمكن أن نخطوها على مرحلتين :

الأولى :

وقف الصراعات الدموية فى إطار البلد الواحد ، مثل : السودان ، والصومال ، والعراق ، والمغرب ،واليمن . . . . إلخ .

الثانية :

- الاستفادة من تكامل الموارد والطاقات العربية .
- العودة إلى الديموقراطية السليمة .
- الحفاظ على حقوق الإنسان العربى السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
- مواجهة الإرهاب ليس فقط بحدود المواجهة الأمنية ، بل بضرورة إزالة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى اخترقت العقول الضعيفة والقلوب غير السليمة .
- الاتجاه إلى طريق الله طريق الطهارة والرحمة واليقين والقرب من الله . . . ثم الاتجاه إلى العلم غير المنقول ، فالعلم جوهر الدين والدين لا يقوم إلا على العلم بمعنى أن المعرفة اليقينية والمعرفة البرهانية أساس الدين .

والتقنية هى تطبيق العلم النظرى من أجل استخدامه في المنافع العامة بأيسر السبل ، فهى العلم النافع .

ملحق (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

رسول الله معنا فى المعركة

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

الحشر (٢)

يا جند الله

إن المعركة التى تخوضونها بعزيمة المؤمنين ويقين الصادقين ، ترفرف من حولها البشائر الصادقة التى تملأ الصدور أملا بالنصْر العزيز ، وتغمر القلوب بالثقة فى وعد الله بالفتح المبين .

وفيما نعرف من حديث رسول الله ﷺ أن من رأى رسول الله فى نومه فكأنما رآه فى يقظته ، وقد رأى أكثر من واحد من الصالحين رسول الله ﷺ ، قبل بدء المعركة يشير إلى سيناء إشارات معبرة عن تحريرها .. كما رأى بعضهم رسول الله ﷺ يمشى فيها بين جنودنا مشرق المحيا واضح الابتسامة .

كما رأى أحد الصالحين أن رسول الله ﷺ فى منزل شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود ، فذهب الرائى إليه فى الغرفة المجاورة ليخبره بمقدم رسول الله فوجده يصلى .. فانتظر إلى أن انتهى من صلاته .. ثم أخبره فقال إنى أعرف .. لأنى ذاهب معه إلى سيناء .. يقول الرائى ثم رأيت شيخ الأزهر يرافق الرسول إلى سيناء ، حيث أشرق بنوره الكريم هناك .. وأخذا يتنقلان معًا بين الجنود .

يا جند الله :

ان البشائر الصادقة أشرقت مؤذنة بيوم النصر المرتقب ، فعلى بركة الله شدوا على

أعداء الإنسانية ، أعداء الله .. طهروا تراب الـوطن العزيز من رجس الغاصب .. انصروا الله ينصركم .. والأمة كلها من ورائكم ، مؤمنة بأن النصر بإذن الله حليفكم .

والله معـكم يحميكم ويرعـاكم ، ودعـوات الصالحـين الخالصة بالنصر المـؤزر والفتح المبين .. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

(منشور دينى وزع عـلى الجنود قبل مـعركة العاشر مـن رمضان ١٣٩٣ ، كمـا نشره الاستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة).

ص ٣٥٠ وعلق عليه بالآتى

إن صيحة الله اكبر التـى انطلقت بها حناجر الجنود على جسور العـبور ، كانت تكفينا صلاة ودعاء ، يشارك فيها كل المؤمنين .. وهى فـى كل الأحوال تغنينا عن كل الأحلام بما فيها أحلام الصالحين .

والمشكلة - كـما علل هيكل - أن هذا المـنشور الموزع على الجنود ، يـحوى خلطًا بين الوطنـية والدين بـين الشيوخ والجـنود وهو شئ لا داعٍ لـه - خصوصًا وأن هنـاك من قادة الجيوش والفرق ضباطًا من الأقباط ، ونفس الحال على نطاق أوسع قائم بين الجنود .. وهو يخشى من تحويل الصراع إلى حرب دينية ، بينما هو فى الحقيقة صراع قومى .

وتعليقى موجود فى هذه الآية من سورة الاحزاب آية (٩)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

رؤيا الحرب

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾
٢٥٠ البقرة

وانى لا أستطيع أن أنكر فضل الله علينا ، الذى ظهر جليًا واضحًا فى قتال العاشر من رمضان ، ولا يمكن أن يكذب الإنسان المؤمن نفسه ، أو يكذب من يثق فيهم من الرجال الصالحين سواء من جند مصر المقاتلين ، أو جند مصر المعممين . . . رجال الصلاح والتقوى والإيمان . .

ففى ليلة ٨ نوفمبر ١٩٧٢ ، الموافق ٥ شوال :

أقف بجوار الرسول ﷺ ، وعلى بعد خطوتين منه تقريبًا ، وهو يشير إلى بالاقتراب أكثر ، فأقول له هل أنا أستحق هذا القرب منك ؟

ويقول ﷺ ستقترب أكثر إن شاء الله وأبكى فرحا والحمد لله .

وفى أبريل ١٩٧٢ كانت جزع طيران وخوف على مصر ، وأرى الرئيس السادات وهو يقرأ على جماعة من الناس ما يراه كحل مع اليهود ، ثم انفجار وانقلاب عربة ومدافع وشظايا ولم أصب بسوء والحمد لله .

ولما جاء عام الحرب - وفى شهر ربيع أول ١٣٩٣ ، الموفق أبريل ١٩٧٣ ، وكنت قائدًا للمنطقة العسكرية المركزية ، ومقرها القاهرة ، رأيت رؤيا عن الحرب ضد اليهود ونتائجها .

إذاعة أجنبية تقول ان جميع الطائرات فى الجو تعود لاحتمال عاصفة كبيرة قادمة ، وأرى بوادر العاصفة تقترب . وقبل وصولها إلينا تظهر ثلاث طائرات يهودية وفوقها ثلاث طائرات أخرى أكبر منها وتلقى أمامنا بقنابلها ، ولا تحدث خسائر ، وتصل العاصفة نحونا ، ثم يهطل المطر الغزير . . والحمد لله .

وفى ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ الموافق ٥ شعبان ١٣٩٣ - أى قبل حرب رمضان بأسابيع قلائل - يرى أحد الصالحين رؤيا ان الرسول ﷺ يكلفنى بمهمة ، ويدعو لى فيها بالنصر . وفى هذا الوقت كنت قائدا للمنطقة العسكرية المركزية ، ولم أكن أعلم بموعد بدء الحرب ، وكنت عندما نقلت من الجيش الثانى فى ٥ يناير ١٩٧٢ قد دعوت الله أمام

رجالى أن أعود للجيش الثانى مرة أخرى إذا عبروا للشرق ، وجاء يوم ٦ أكتوبر بتباشير النصر ولم اشترك فى الحرب ولكن فى ١٦ اكتوبر ٧٣ استدعيت لقيادة الجيش الثانى مرة أخرى أثناء القتال .. واشتركت فى القتال مع رجالى مرة أخرى ، بعدما بعدت عنهم أكثر من ٦٥٤ يومًا .

هذه هى الحقيقة التى سمحت لنفسى أن أبوح بها ، بعدما قرأت ما كتبه الاستاذ هيكل في كتابه عن حرب ١٩٧٣ ، وتعليقه على المنشور الدينى عن رؤية الرسول ﷺ وبشرى النصر ... والله أعلم ..

عصفورة تحت مظلة الإيمان

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

١١ الاحزاب

فى الساعة ١١ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، تقدم العميد أ. ح حسين رضوان قائد اللواء ١١٦ مشاة ، من مكان تجمعه فى تقاطع طريق الإسماعيلية / القاهرة الصحراوى ، عند استراحة عثمان أحمد عثمان فى اتجاه الدفرزوار على رأس اللواء ، وعند تقاطع طريق السويس - الإسماعيلية مع طريق « أبو سلطان » وقع فى كمين إسرائيلى ، واستشهد القائد ، وتوقف التقدم حتى يعاد تنظيم القوات . وخلال هذه الفترة قفز عدد من الجنود إلى حفرة عميقة فى أرض المعركة ، لتحميهم من نيران العدو ، التى استمرت بشدة من الدبابات وقنابل الطائرات ، ووجدوا معهم فى طاقة صغيرة فى الحفرة عصفورة خائفة مذعورة ، ولم تحاول الطيران بعيدًا عنهم لأنها شعرت أنهم مثلها يحتمون من النيران ، ولاجئون لرحمة الله ، نظر الجنود للعصفورة والتى بادلتهم النظرات ، فهمس الجندى فى أذن زميله : « هل ترى هذه العصفورة إنها تسبِّح الله .. فهيا بنا نقرأ آية الكرسى ، ونسبّح الله عسى أن يحمينا ويحفظنا » . ولما هدأ الموقف وانتهى صوت النيران ، طارت العصفورة فى اتجاه الغرب بعيدًا بعيدًا عن ثغرة الدفرزوار ، وكذا باقى الجنود خلفها مسترشدين بها !! فوصلوا سالمين إلى مواقعهم الخلفية ..

من نداء « هع » إلى نداء « الله أكبر »

كنا فى القوات المسلحة المصرية نستخدم نداءً منكرًا لإظهار الحماس والقوة عند التجمع أو الاصطفاف ، وعند التدريب ، وعند اقتحام الحصون أو القتال المتلاحم . حتى جندى البوليس فى مصر كان يصيح بهذه الجعجعة « هع » ؛ ليخيف اللصوص وقطاع الطرق ، ويثبت وجوده وهكذا كنّا نفعل فى القوات المسلحة ، وبالطبع فشلنا فى كل الحروب التى استخدمنا فيها هذا النداء ، الذى ليس له أى معنى ، ومازال يستخدمه الشباب فى الكاراتيه للدفاع عن النفس !! وأذكر أن المجاهدين فى أول جولة لنا مع العدو الإسرائيلى فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، كان نداء الله أكبر هو سلاحهم الحاسم ، أثناء الهجوم على المستعمرات اليهودية ، وأثناء القتال المتلاحم مع جند صهيون . وكانت هذه الصيحة القوية سلاحًا فتاكًا يرعب الجندى الإسرائيلى ، ويهز كيانه ، ويزلزل الأرض تحت قدمه خوفًا ورعبًا وأعطت الثقة والأمان والاطمئنان للمنادين بها : الله أكبر الله أكبر . وهذه الصيحة التى انطلقت من حناجر جند مصر أثناء عبورهم قناة السويس واقتحامهم حصون خط بارليف ، وفى قتالهم المتلاحم مع جيش إسرائيل ، كانت تهز الأرض تحت أقدام العدو وتحدث له رعبًا ورهبة ، وشارك فى هذه الصيحة رجال الجيش المصرى مسلمين ومسيحين فى نداء واحد هز الأرض ، وزلزل كيان العدو الإسرائيلى . ولقد سعدت جبهة الجيش الثانى الميدانى فى شهر نوفمبر ١٩٧٣ ، بعد إيقاف القتال بزيارة للإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وكانت قد سبقته بشائر النصر من الرجال الصالحين فى رؤيا صالحة بالحرب ونتائجها ، شاهدها عدد من الصالحين ، وعدد من المقاتلين ، وهم ليسوا شيوخًا معممين ، بل رجالاً أمنوا بربهم وزادهم الله هدى . وبعد جولات للأمام الاكبر وسط الجنود فى مواقع خط بارليف ، وفى قطاع القنطرة شرق بالذات ، وجه لى سؤالاً عجيبًا بصوته الهادى الرزين المملوء بالإيمان والورع والتقوى : هل هناك أشياء لا معقولة حدثت أثناء الحرب (بقصد حرب رمضان) .

فقلت له بسرعة ، وكأنى كنت أتوقع منه هذا السؤال:

قلوب العارفين لها عيون ترى   ما لايراه الناظرين

فرد علىّ فورًا أحسنت ، رحمه الله فقد كان رجلا قويًا أمينًا . .

وللحقيقة وللتاريخ ادون ما قاله لى الجنرال السوفيتى باريس زونتسوف ، مستشار قائد

الجيش الثانى الميدانى عام ١٩٧١ ، فى وصفه للجيش المصرى قال الجنرال الشيوعى : « إن جنودكم من ذهب ، فرغم ما يعانيه الجندى المصرى من حياة تقشف ومعيشة صعبة فى الخنادق لفترة طويلة ، وتحت نيران مدفعية العدو وطائراته بصفة مستمرة ، أجده يبتسم عندما يراك وتتحدث معه فى الدين وحب الوطن ، ويطلب منك التصديق له بالعبور للضفة الشرقية . وقد فهمت لغته ولو أنى لا أتكلم أو أفهم العربية !! .

وعن تجاربى كقائد جيش ميدانى أثناء سنوات الاستنزاف الصعبة ، وطول فترات القتال الرهيب ، ومن اللحظات المحيرة التى مررت بها ومرت بها قواتى من بورسعيد شمالاً إلى فايد جنوبًا . . أوكد أن الله كان دائمًا معنا ، وأن جند الله كانت تقاتل معنا ، وأن صيحات الله أكبر نبعت من القلب المؤمن ، وصعدت إلى السماء حاملة رسالة إلى الله تحقيقًا لقوله تعالى :

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الروم ٤٧]

صدق الله العظيم

من شهداء العقيدة

اللواء أ. ح مهندس أحمد حمدى عبد الحميد

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾
« ٢٣ الاحزاب »

ولد فى ٢٠ مايو ١٩٢٩

تخرج من كلية الهندسة يونيو ١٩٥١

خدم فى القوات المسلحة بسلاح المهندسين من ١٨ أغسطس ١٩٥١

فاز الشهيد أحمد حمدى بمرتبة الشهداء ، قبل أن توافيه منيّته يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، فقد كان قدوة فى الخلق العظيم والاخلاص والوفاء النادرين عاش تحت مظلة الإيمان العميق بالله والوطن ، وخدم تحت قيادتى فترة ما قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وإننى لأفتخر بأنى كنت

فى يوم من الأيام قائدًا لمثل هؤلاء الرجال الأوفياء ، تراه بين رجاله قدوة فى طهارة القلب والنفس واليد واللسان ، رحيمًا بهم وبنفسه ، مملوءًا باليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا وأحببت فيه قربه من الله فى عمله فى تصرفاته .... في كلماته ... فى نظرته ... في عبراته أحببته والله حب الوالد لولده وأخيه ورفيق سلاحه ، ضحى بنفسه فى منطقة العمل على قناة السويس ، حيث ظل هو ورجاله فى عمل متواصل لتجميع براطيم كوبرى العبور إلى الشرق ، تحت نيران مدفعية العدو وقصف طائراته ، حتى أصابته إحدى الشظايا المتطايرة من قصف العدو ، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها راضية مرضية ، بعد أن فارقت جسدًا طاهرًا حملها فى الحياة الدنيا مؤديا واجبه نحو ربه ووطنه ، وهو الآن مع الصديقيين والشهداء عند ربهم يرزقون . رحمك الله يا أحمد .

المرآة الضاحكة الباكية

تقديم

عندما ينظر المحلل العكسري في مرآة تقييم حروب مصر المعاصرة - خلال هذا القرن - يجد أن كل الحروب التي خاضتها مصر رغمًا عنها أو بهواها ، حروب محيرة في أسلوب الاشتراك فيها ، والقرارات السياسية التي أجبرت القوة العسكرية على خوضها ، بصرف النظر عن درجات استعدادها أو إعدادها قياديًا أو تدريبيًا ، ومن ناحية التخطيط واتباع مبادئ الحرب المعروفة والمدروسة وكذا الروح المعنوية للقوات والموقف النفسي للشعب المصري ، وآثار هذه الحروب على اقتصاديات مصر وإمكانياتها . .

وبصفتي جندي من أبناء مصر ، أنظر إلى هذه الحروب بعين اليقين ، وأنا بها على علم اليقين . وقد اشتركت فيها كقائد عسكري من قائد فصيلة إلى قائد جيش ميداني ، وعايشت كل أحداثها ، وأعلم درجات الإعداد لها ، وكذا رباط الخيل لعناصرها وتشكيلاتها ، والصراعات التي دارت بين القيادات السياسية والعسكرية وبين القيادات العسكرية نفسها ، وعايشت أساليب إدارة الصراعات العسكرية ، في كل الحروب - سواء من ناحية القيادة السياسية أو القيادة العسكرية - بحق اليقين ، وأشعر أنها حقًا حروب محيرة .

ففيما بين عام ١٩٤٧ و ١٩٦٧ استكملت إسرائيل بناء الدولة الصهيونية ومؤسساتها بعد أن كانت قد أقامت أولى تلك المؤسسات - الجيش - قبل ذلك بأربع حقب ، فكانت بذلك هى الوحيدة بين الدول التى ظهر جيشها إلى حيِّز الوجود قبل أن يقوم كيان الدولة نفسه ، وذلك على نحو ما يوضحه الجدول التالى :

المنظمات العسكرية الصهيونية

م	الاسم	تاريخ الانشاء	المكان	الحجم	ملاحظـــــات
١	بارجيورا	١٩٠٧	فلسطين	١٥٠٠	ظهرت قبل قيام الدولة بنصف قرن
٢	هاشومير هاتسعير	١٩٠٧	فلسطين	٢٥٠٠	تعنى الحارس الشاب
٣	نيلى	١٩١٥	فلسطين	٣٥	أول جهاز مخابرات عسكرية
٤	كتيبة النقل بالبغال	١٩١٥	الحمّام	٧٥٠	اشتركت فى حملة غاليبولى
٥	الفيلق اليهودى				حارب مع اللنبى فى فلسطين
	كتيبة البنادق ٣٨	١٩١٦/٨	برج العرب	٨٠٠	استولت على نابلس عام ١٩١٨
	كتيبة البنادق ٣٩	١٩١٧/٦	برج العرب	٩٥٠	استولت على الصلت عام ١٩١٨
	كتيبة البنادق ٤٠	١٩١٨/٢	التل الكبير	١٠٠٠	قامت بأعمال حراسة
(ثم جمع هذا الفيلق فى القوة اليهودية من ٢٢ ألف مقاتل)					
٦	الهاجاناه	١٩٢١	القدس	١٠٠٠٠	تعنى « الدفاع »
٧	الأرجون تسفاى ليومى	١٩٣١	فلسطين	٢٥٠٠	ضم عصابة شتيرن
٨	النوطريم	١٩٣٦	فلسطين	٣٥٠٠	تحول إلى البالماخ ١٩٤١ (الصاعقة)
٩	الدوريات الليلية	١٩٣٨	فلسطين	٢٠٠٠	أنشأها ودربها أوردوينجيت
١٠	اللواء اليهودى	١٩٤٤/٩	برج العرب	٨٠٠٠	قاتل فى مسرح ايطاليا تحت علم نجمة داود
١١	جيش الدفاع	١٩٤٨/٥	فلسطين	٦٧٠٠٠	الاسم المختصر « إتزل »

(وقد أعلن بن جوريون يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ عن ضم جميع المنظمات العسكرية الصهيونية فى جيش الدفاع الذى بلغ عدده ١١٠ ألف مقاتل فى أكتوبر ١٩٤٨)

ويكشف الجدول السابق عـن حقيقة قد تثير دهشة البعض ، فهـذا هو ثانى أقدم جيش فى المنطقة بعد جيش مصر الذى أنشأه محمد علـي باشا فى مطلع القرن التاسع عشر ، وليس كما قيل لنا ونـحن نتوجَّه إلى مسرح فلسطـين فى صيف عام ١٩٤٨ إنها مجرد نزهـة إلى تل أبيب لتأديب بعض العصابات الصهيونية .

ولقد دفعت إسرائـيل ثمن إنشاء وتسليح وتدريـب هذا الجيش بانتهاج استراتـيجية الغرب ورعاية مصالحه ، والـعمل كوكيل احتكارى لأطماعـه الرأسمالية ، واستخدمت فـى تطبيق كل ذلك أساليـب مبتكرة تـرمى إلى زيادة الفرقـة بين حكام العـرب ، وتشجيع وباء الانـقلابات العسكريـة وتكرارها ، مع إثارة القلاقل ، وشن الإعـتداءات التى تستنزف جهـد واقتصاد الدول العربية المحيـطة بفلسطين وتفسد خـططها التنموية ، توطـئة لمنحها المعونات الاقتـصادية السخيّة لتشجيعها على الاعتماد على الغير ، والتراخى فى تـنفيذ خطط التطور والتنمية الذاتية الوطنية ، والركون إلـى الحلول السهلـة والنجدات من الخارج لإقـالة إقتصاد الـدولة من عثراته ، مـقابل الخضوع لما تراه الدول المانحة مناسبًا لمصالحها الخاصة ، حتى وإن كان يحمل إجحافًا أو إضرارًا بمصالح تلك الدول طالما أنها قد قبضت المنح وارتضت الاستمرار فى تلقِّيها .

وقد ترتـب على ذلك دخول مصـر وبعض الدول العربـية فى الحلقة المـفرغة « للمشـكلة الفلسطينية » ، التى سرعان ما تجاوزت مداها السيـاسى والديموجرافى والقانونى لتصبح « مشكلة الشرق الأوسط » بـعد عدوان صيف عام ١٩٦٧ ، ووقوع ثلاثة أمثال مساحـة فلسطين من أرض مصر والأردن وسوريا تحت نير الاحتلال الإسرائيلى .

وبعـد أن كان الهدف إنـقاذ عروبة فـلسطين أصـبح إزالة آثار الـعدوان على تـلك الأرض السليـبة الجديدة . ولم تكـد اللاءات الثلاث تصدر عـن الخرطوم حتى تصـدت لها لاءات تل أبيب الأربع . . . لا انسحاب قـبل التطبـيع ، ولاعودة للاجـئين الفلسـطينين ، ولاتـعويض لأملاكهم ، ولامفاوضات إلاّ مع كل دولة عربية على حده !

ورغم قبول تلك الاشتراطات الجارحة - التى سبق للعرب أن أكدوا رفضها حتى آخر الدهر - فقد استمرت إسرائـيل وسدنتها على توفير التـفوّق النوعى لقدراتها القتالـية على كافة الدول العربية حـتى لايكون لتعداد سكانـها الهائل وزنه العددى فـى مقارنات القوى ، فتظل الـهيمنة وبالتالـى السيطرة على مقـدرات المنطقة لحفظ مـصالحها ومصالح الـغرب الرأسمالى مكفـولة ومؤمَّنة ، كيف لا وهو يتغـافل عمدًا عن انفرادها بالسلاح النووى فى الـشرق الأوسط ، بينما

يلاحق غيرها مـن الدول العربية بالتهديد والـوعيد لمجرد امتلاكها لمفاعـل واحد لايعمل إلاّ فى الأغراض السلمية البحتة !

وفيما يتعـلّق بالحروب التي حدثت قبل الحرب الـعالمية الثانية . . فقد درسـتها ، وحلّلت أحداثها بـقدر ما أمكنني ، ولـن أخوض فيها بعمق هـنا ، ولكني سأحاول وضـع صورة حية وحقيقية لما قرأت وعلمت وحللت واستنتجت . .

وسيكون تحليلى كمرآة لتقييم هذه الأحداث مبني على سبع نقاط هامة ، اعتبرها عماد إعداد القوى ورباط الخيل لتحقيق القوة الذاتية وتحقيق المثل القائل إن (الغلبة للأكثر نفيرًا) .

النقطة الأولى تمثُّل **القائد القدوة** في حروب مصر المعاصرة ، وإدارة الصراع ، وإدارة الرجال

والثانية البحث في **أعماق العقيدة الإيمانية الصادقة** للمقـاتل كقائد أو جنـدي مقاتل أو إداري أو فني .

والثالثة **الوطنية الصادقة** وحب مصر والولاء للقائد .

والرابعة **معرفة العدو** ودراسة عاداته وتقاليده وأسلوب عمله وقتاله وأخلاقياته .

والخامسة **سلوك أدب الحرب والانضبـاط العسكرى** ، وكيف كـان . . وكيف أثرَّ عـلى مسيرة الأحداث .

والسادسة **العلم كسلاح والمعرفة كرأس** مال لمن يريد أن يكون قويًا أمينًا .

والسابعة **الإعداد الواقعي والتدريب المستمر** وكيف كان .

وسنقسم فترات التقييم إلى الفترات التالية :

١- فترة ما قبل الجولة العربية الإسرائيلية الأولى وأثناءها وما بعدها .

٢- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الثانية (العدوان الثلاثي ١٩٥٦) والحرب .

٣- فترة مساعدة الثورة اليمنية ١٩٦٢ - ١٩٦٧ .

٤- فترة العدوان الإسرائيلي ٥ يونيو ١٩٦٧ (الجولة الإسرائيلية العربية الثالثة) .

٥- فترة حرب السنوات الثلاث ١٩٦٧ - ١٩٧٠ (حرب الإرهاق) .

٦- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (الحرب والسلام) .

١- فترة ما قبل الجولة العربية الإسرائيلية الأولى وأثناءها وما بعدها :

تقديم

احتلت بريطانيا مصر منذ عام ١٨٨٢ - حيث كانت الحكومة البريطانية قد قررت في ٢٧ يوليو ١٨٨٢ إرسال حملة إلى مصر ، وتم في ٢٠ أغسطس احتلال قناة السويس والإسماعيلية ، وفي ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ انتصر الجيش البريطاني في معركة التل الكبير . وفي اليوم التالي احتل الإنجليز القاهرة ، ثم في ١٩ منه أصدر الخديوي أمره بإلغاء الجيش المصري . . واستمر احتلالهم للقطر المصري بالكامل حتى عام ١٩٥٤ . وخلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ مصر ، سيق الجيش المصري إلى الإشتراك في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ حتى عام ١٩١٨ ، وفي الحرب العالمية الثانية ما بين عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥ ، ثم في حرب فلسطين الذي خططتها القيادة البريطانية من ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى فبراير ١٩٤٩ . وللأسف لم يحصل الجيش المصري على أي خبرة قتال ، ولا مارس فن القيادة والسيطرة ووضع الخطط وإدارة المعارك . . . واستطاع الربان البريطاني قيادة دفة السفينة المصرية ، حسب هوى الإمبراطورية البريطانية ، وتحقيقًا لإستراتيجيتها وسياستها ، وكانت لعبة العرائس مع الدسائس وشراء الذمم ، هي التقييم الواقعى لتاريخ هذه الفترة من حروب مصر المحيرة .

وكنا في سنوات عمرنا الأول نحارب بريطانيا بالكلمة واللسان ، مع الدعاء (يا عزيز يا عزيز كبة تاخد الإنجليز) وكانت الحرب العالمية الأولى مجالاً لتدريب الشعب المصري عامة ، والجيش المصري خاصة على أعمال السخرة لخدمة الجيوش البريطانية المحتلة لمصر والحامية لها . ولا يمكن تقييم هذه الفترة كفترة يذكرها التاريخ في إعداد القوى المصرية . ولما أعلنت الحرب العالمية الثانية ، كانت مصر أيضًا تعيش تحت الاحتلال البريطاني ، ولم يشترك الجيش المصري اشتراكًا فعليًا في الحرب العالمية الثانية ، ولو أن معارك كثيرة دارت في صحراء مصر الغربية . . غير أن المدفعية المصرية المضادة للطائرات مع الأنوار الكاشفة التي اشتركت فعلاً في القتال لحماية سماء مصر مثل القاهرة والإسكندرية ، واكتسبت خبرة قتال ، وتمرست في عملها ، وأتقنته. وكذلك بعض وحدات المشاه ومدافع الماكينة ورجال الحدود والسواحل ، ولكنها لم تحصل على خبرات قتال لها قيمتها إلا النذر اليسير . .

وكان قتالنا الأول مع اليهود على أرض فلسطين قتالاً مخططًا لنا باليوم والساعة ، كما تحدَّد تحركنا إلى مناطق معينة ، وخاض الجيش المصري معارك كثيرة مع اليهود في البر والبحر والجو

وجهًا لوجه - فتعلمنا وحاولنا النجاح . ولكن قيادتنا - في معظم الأحيان - أغفلت مبادئ الحرب المعروفة ، وكذا أسلوب القتال ، والتكتيكات المدروسة ، والخطط المحسوبة ، فتخبّطت في قراراتها وأوقعتنا تصرفاتها في حيرة فكان ما كان . .

وحقيقة الأمر أنه ظهر بين القادة من هم قدوة فعلاً في فن القيادة وإدارة الرجال والشجاعة والإقدام ، ولكنهم قلة قد اعتبرتهم القيادة الأعلى أو القيادة السياسية المصرية الإنجليزية غير مرغوب فيهم بين ضباط الجيش المصري . . وعن العدو الإسرائيلي فلم ندرس عنه بالطبع - قبل معركة فلسطين ، ولا أثناءها أو بعدها - دراسة تمكننا من تقييم عدونا التقييم السليم ، فدخلنا معركة فلسطين وخرجنا منها ، وما زال العدو الإسرائيلي كلغز غامض أمامنا ، وما زال جدار الخوف قائمًا . .

وحتى أدب الحرب لم تعلمه لنا حرب فلسطين بالطريقة السليمة الجادة ، وبالطبع لم تكن لنا في أعمدة القوة أهمية تذكر في بناء قوتنا الذاتية ، وما زال رباط الخيل يتحكم فيه ، المحتل يحرك قواتنا إلى المناطق التي يراها تخدم مصالحه ، ولا تخدم ذاتنا . وحتى الملك فاروق . . فإنه كان يخشى الوحدات العائدة من فلسطين وقد حطمتها هزائمها مع اليهود وعدم الاهتمام بمعنوياتها أو قدراتها أو حتى طعامها ، فأمر بأن توزع على جبهات بعيدة عن القاهرة ، وأرسل قادتها إلى أماكن أخرى حتى لا تكون رابطة الدم والقتال والتضحية سببًا في تآلف القلوب وتوجيه النفوس إلى خطر محتمل يصيبه ، مهما طال الزمان !!

٢- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الثانية (العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦) والحرب :

استطاعت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن تزيل عن كاهل مصر كابوس الاستعمار البريطاني الرهيب ، ورحل أخر جندي أجنبي عن مصر عام ١٩٥٤ . وبدأت القيادة المصرية في تحقيق أحد عناصر البناء الضرورية ، وهو تكوين الجيش الوطني القوي ، وخطت مصر مسيرة التحوُّل من عصر الاستعراضات والشعارات إلى عصر العلم والعمل ، وصدر شعار جديد للثورة وهو الاتحاد والنظام والعمل . ولكن يد الاستعمار ما زالت تمسك ببعض خيوط من الصلب تقيد بها هذه النهضة ، فجاءت بعدوان ١٩٥٦ الثلاثي ، وتمكنت إسرائيل من احتلال شبه جزيرة سيناء كلها ، ورغم هذا . . فقد سجل التاريخ ملاحم بطولية لوحدات مصرية ، قاتلت بشجاعة وإقدام وتضحية ، أوضحت إمكانيات صمود الجندي المصري ، عندما يجد القائد القدوة في القوة والأمانة . ولكن نقطة الضعف ما زالت موجودة كما شاهدناها في مرآة عام ١٩٤٨ بالانسحاب

غير المنظَّم وغير المخطط من قبل . . ولكن ما زال في القاعدة أعمدة القوة التي يمكن أن تقيم الهيكل المتين لإعداد القوى ورباط الخيل ، فقد ظهرت مشاعر الحب الجارف لمصر والتخطيط والتدريب والتصرّف بعلم ومعرفة فـي بعض عمليات قواتنا وخاصة في ممر متلا وأبو عويقيلة ، وفي المقاومة المستميتة للغزو الأنجلو فرنسى لبورسعيد .

أمّا خطط العمليات الحربية الدفاعية عن سيناء عام ١٩٥٦ . . فقد وضعت دون تقدير موقف لاحتمالات التدخل الأجنبي مع العدو التقليدي، كما أغفلت مبدأ هامًا من مبادئ الحرب ، وهو السلامة ، ولم يخطط للإنسحاب المحتمل ليكون إنسحابًا منظمًا يحقق الكر والفر والقتال المتكافئ على وثبات مناسبة للخلف.

٣- فترة مساندة ثورة اليمن ١٩٦٢ - ١٩٦٧ :

أراد الله سبحانه وتعالى أن نخوض تجربة حرب محيِّرة حقًا حيث لم نكن نعرف العدو من الصديق . وكانت القيادة السياسية هي التي دفعت بالقوات المسلحة المصرية إلى اليمن بدأتها بوحدات قليلة من الصاعقة والمظلات ، وتحولت بعد أشهر قليلة إلى ميدان قتال ضخم ، ضم أحجامًا كبيرة جدًا من القوات المسلحة المصرية . . . والحقيقة أن اليمن اليوم – ونحن في نهاية القرن العشرين – تشهد تقدمًا رائعًا في كل المجالات بفضل مساندة القوات المصرية المسلحة لثورتها في سبتمبر ١٩٦٢ ، ولكني كجندي اشتركت في الحرب مخططًا ومقاتلاً . . أقرر أن القوات المصرية المسلحة البرية والجوية والبحرية – وحتى رجال الحدود والسواحل – خسرت كثيرًا في هذه الفترة الطويلة في اليمن التى ناهزت الخمس سنوات ، خسائر ليس في الأرواح فقط أو المعدات بأنواعها ، ولكن في فقد خبرة القتال الحقيقية لمعركة الأسلحة المشتركة ، وفقد كفاءة وقدرة القائد والجندي والمعدة . وكانت نتائجها السلبيّة المدمرة هي ما حدث في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى الصراع الذى اشتعل على القمة ، وصراع القيادة الحربية مع القيادة السياسية ، والآثار النفسية على الضابط والجندى ضحية هذا الخلل .

فقد كان الجيش المصري يمتلك دبابات سوفيتية من طراز ت ٥٥ ، ت ٥٤ وناقلات جنود مدرعة ومدافع هجومية أس يو ١٠٠ ، وعدد كبير من الدبابات ت ٣٤ القديمة ولكنها تصلح للقتال . . خلاف القوات الجوية والطائرات ميج ١٧ ، ميج ١٩ ، ميج ٢١ ، تي يو ١٦ والأسلحة البحرية من مدمرات وغواصات . . إلخ . وبالطبع كان لحرب اليمن تأثير كبير على الكفاءة الفنية لهذه الأسلحة والمعدات بدرجة كبيرة ، أفقدتها كثيرًا من إمكانياتها الفنية .

ورغم علم القيادة العسكرية المصرية ، وكذا الزعامة السياسية - بالطبع - بضعف الكفاءة الفنية لهذه الأسلحة والمعدات والتأثير النفسي على الفرد المقاتل ، وعلى أفراد الشعب المصري . . فقد اتخذت أسلوبًا في تعبئة القوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ على أساس غير سليم ، فأمرت بتشكيل وحدات مقاتلة على عجل ، وعينت لها قادة جدد قبل تحرك هذه الوحدات إلى جبهة القتال في سيناء بيوم واحد أو أقل وبعض القادة لحقوا بوحداتهم الجديدة في الجبهة مباشرة . ومن المؤسف حقًا أن بعض الوحدات المقاتلة دفعت إلى جبهة القتال بالملابس المدنية !! وكانت الحجة في ذلك هى كسبًا للوقت !!

وغاب التنسيق والتنظيم بين عناصر القوات المسلحة بعضها البعض ، أو في داخل التشكيلات المقاتلة . وكذلك لم يكن هناك تنسيق عربي متكامل بين القوات المصرية والقوات العربية الأخرى سواء القوات السورية أو الأردنية . وللتاريخ لم يتم التنسيق بين مصر والأردن إلا يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ ، كما لم تتخذ خطوات إيجابية لتنفيذ هذا التنسيق . . فمثلاً لم يصل الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان القيادة الشرقية ، ومسئول الاتصال والتنسيق إلى الأردن إلا قبل يومين من ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وحتى كتائب الصاعقة التي أرسلتها مصر إلى الضفة الغربية لنهر الأردن اتخذت محلاتها هناك قبل ٢٤ ساعة فقط من بدأ القتال المفاجئ ، وكان واجبها العمل ضد مؤخرة القوات الإسرائيلية في المناطق الساحلية . وللأسف أنها لم تستطع القيام بمهامها بكفاءة ، حيث إنه لم يكن لديها الوقت الكافي للاستطلاع والإعداد للعمل في هذه المناطق الجديدة عليها !!

- في تقدير رسمي لهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية . . أشير إلى أن جميع فرق الجيش المصري لم يصل تدريبها حتى ١٩ / ٥ / ٦٧ ، إلا إلى مستوى الكتيبة في الدفاع (مستويين أقل من المفروض) ؛ أي أنها رغم ممارسة الحرب في اليمن واحتمالات الحرب ضد إسرائيل قريبًا لم تكن قد تدربت على الهجوم من قبل !!

٤- فترة العدوان الإسرائيلي في ٥ يونيو ١٩٦٧ :

كانت الخطة المصرية « قاهر » هي الخطة التي وضعتها هيئة عمليات القوات المسلحة ، وصدّق عليها القائد العام للقوات المسلحة وهو نائب القائد الأعلى . . وكانت المفاجأة أن ما خطط وتصدق عليه شيء وما نفذ شيء آخر !! فقد عدَّل المشير عبد الحكيم عامر في كثير من أعمدة هذه الخطة المدروسة ، فاهتزت وتشققت وتفتتت ثم انهارت !! فقد شعرت - كقائد

مسئول عن قطاع حيوي من شبه جزيرة سيناء - بأننا في مظاهرة عسكرية دعائية ، وليست تعبئة حربية حقيقية أو حتى خداعية ، لتوهم العدو بأننا تأهبنا للهجوم هنا وليس هناك . . بدأت تلك القصة مساء يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ ، وكنت قائدًا لوحدات المظلات ، وكلفت شخصيًا بمهمة تأمين شرم الشيخ وخليج العقبة ، اعتبارًا من أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ ، رغم أن قوات الطوارئ الدولية كانت موجودة بالمنطقة تزاول مهامها هناك . .

وكان هذا التخطيط ضمن خطة الحشد الضخمة ، التي بدأت في سيناء بناءً على تقدير موقف يعتمد على احتمالات التدخل السوري والأردني ضد القوات الإسرائيلية ، وأن هذا سيحول دون هجوم إسرائيلي رئيسى كامل ضد مصر بجبهة سيناء . وكانت القوات المصرية المشتركة في الخطة (قاهر) ، موزعه بين جبهة القتال في اليمن وجبهة القتال في سيناء ، إذ كان باليمن في ذلك الوقت حوالي ٥٠ ألف مقاتل ، بينما تحرَّك إلى سيناء حوالي ١٠٠ ألف مقاتل في وحدات كثيرة أعيد تشكيلها بسرعة بعد عودتها من اليمن . وحتى الضباط الأصاغر أسرعت القيادة العامة للقوات المسلحة في تخريج دفعات من الكلية الحربية ، غير مكتملة النضج العسكري أو التدريب القتالي ، وأرسلوا إلى جبهة القتال مباشرة دون تطعيم للمعركة ، مما أحدث بهم خسائر جسيمة وهذه نقطة ضعف عندما نقيم هذه القيادة المسئولة التي لم يكن لديها القدرة على التخطيط المبكر السليم لإعداد القوى بأسلوب قوي أمين . . وإذا عدنا إلى الخطة قاهر - كما خططت - نجد أنها اهترأت بكثرة التعديل بأوامر القائد العام للقوات المسلحة بالتليفون أو اللاسلكي أو بمندوبيه الذى كان يرسلهم بأوامره المتناقضة إلى القادة فى الميدان . .

وما كادت بعض الوحدات تصل إلى مواقعها ، التي تقررت من قبل في الخطة قاهر حتى صدرت إليها أوامر القيادة العامة - وليست أوامر قيادة الجبهة - بالتوجه إلى مكان آخر غير مخطط في الخطة قاهر ، وغير مستطلع من قادة هذه الوحدات . وأوضح مثال ما حدث معي كقائد لوحدات المظلات التي كانت لها مهمة محددة في الخطة قاهر ، وكنا مدربين عليها ، وتم استطلاع القادة لمواقعهم بها ودراسة دورهم ودور وحداتهم لتنفيذها . ولكن في ١٩ مايو ١٩٦٧ صدرت أوامر المشير عامر لى شخصيًا بانتقال كل وحدات المظلات الموجودة بالأرض المصرية إلى شرم الشيخ جوًا بمهمة مبهمة ، لم تكن في الحسبان ، على أن يتم الوصول إلى أرض المهمة مع أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ (أى حوالي ٧ ساعات فقط للاستعداد والتحرك والوصول)

وكان اللواء الرابع المشاة هو المكلف في الخطة قاهر بتنفيذ هذه المهمة ، وصدرت له فعلاً

الأوامر بالتحرك إلى شرم الشيخ ، وفي الطريق صدرت له أوامر أخرى بالعودة إلى السويس - غرب قناة السويس - ثـم صدرت له أوامر أخرى شتتت وحداته الفرعـية . . . حيث ذهب كل في اتجاه !!

وتكونت قيادة قوات شرم الـشيخ تحت قيادتي من وحدات غير متجانـسة من عناصر جوية وبحرية ودفاع جوي ومدفـعية ساحلية وحدود وقوات مظلات ، دون تنـسيق أو تعاون أو حتى تعارف بينهما . . فكـيف يمكن التنسيق بين هذه الوحدات بعضها الـبعض وهي تصل تباعًا إلى المنطقة ، وما علـى القائد إلا تعيين مهمتها ومـحلات تمركزها فى تلك المنطقة المـتسعة ، حيث الاتصالات لا تحقق القيادة والسيطرة السليمة . .

وللأسف الـشديد أنني وصلـت إلى منطقة شـرم الشيخ ، ولم تمـدني القيادة العـامة بأيَّة معلومات عن **العدو الإسرائيلي** ، واحتمـالات تحركاته وأعمالـه في البر أو البـحر أو الجو ، بالإضافـة إلى أية معلومـات عن الأرض التي يحتـمل أن أقاتل عليـها . والتى لم يتـوفر لدى معلومات مسبقة عنها ، ولم يسبـق لي استطلاعها من قبل ، وكذا أكثر من ٨٠ ٪ من قواتي ، والقوات التي وضعت تحت قيادتي .

ولم أفكر مسبقًا في خطة لانسحاب قواتي مـن هذا القطاع الكبير ، ولكنى تذكرت أحداث ١٩٥٦ ، وما حدث فيـها لقوات شرم الشيخ ومشاكلها الإداريـة والفنية وغيرهـا وطرق اقتراب العدو لـمهاجمتها وأسـلوب الدفاع السلـيم عنها ومصـادر المياه المنعدمـة وطرق الاقتراب القلـيلة وخلافه ، وهذا أعطاني تصورًا أوليًا للموقف ، فـركزّت من أول يوم على تأمين الاكتفاء الذاتي للقوات ، كل في موقعه أو مركبته أو عربة قتـاله أو معه ، ما لا يقل عن ثلاثة أيام مياه وطعام وذخيرة ووقود وزيوت وشحوم وغيرها ، وتم تنفيذ هذه التعليمات بدقة تامة ، كان لها أثر كبير في تسهيل انسحاب قواتي للغرب .

ورغـم وجودى عـلى رأس قوة منفصلة فـي جبهة سيناء الـتي تقودها قيادة ، تسـمى قيادة الجبهـة ، إلا أنني لم أكن علـى اتصال بهذه الـقيادة ، وكانت كـل اتصالاتي بواسطـة أجهزة لاسلكيـة دبرتها القيادة الـعامة للقوات المسـلحة للاتصال مـباشرة بالقاهرة ، ولـم تحاول قيادة الجبهة الاتصال بي أو إرسال ضابـط اتصال للتنسيق معها . وكانت الأوامر والتـعليمات تأتينى مباشرة مـن المشير عامر ، عـبر إشارات شفرية ، أو بواسطـة ضباط اتصال من مكـتب نائب القائـد الأعلى للقـوات المسلحة . . وخـلال ساعات قلائـل من وصولي ، زارني رئـيس أركان

القوات المسلحة ، وكثير من القادة الكبار بأوامر المشير عامر لتذليل كل الصعاب وحل كل المشاكل . .

وعندما وضعت قراري لتنفيذ المهمة ، جاءنى ضابط اتصال القائد الأعلى لأخذ القرار لتصديق المشير عليه بالقاهرة ، وعاد في اليوم التالي المقدم أ ح / إبراهيم العرابى ، ومعه ملاحظات المشير على قراري فقمت بتعديله . وللأسف كنت أضطر لتعديل القرار يوميًا لوصول وحدات جديدة ، لم تكن في الحسبان ، بل ولم نكن في حاجة إليها . وكنت أرسل رسائل كتابية إلى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ، موضحًا بها قراري وخططي ، وكان يرسل لي ملاحظات عليها ، وكان هذا الإجراء مني استكمالاً لمبدأ القيادة والسيطرة وتنسيق الخطط مع باقي قطاعات جبهة القتال ، عن طريق هيئة العمليات .

ومرَّ يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ علينا ، ونحن في قطاع شرم الشيخ لا ندري عن العدوان شيئًا ، اللهم إلا أننا سمعنا إذاعة القاهرة تذيع بلاغات عسكرية !! وفي يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ وصلتني تعليمات الانسحاب إلى الغرب على مرحلتين وليلتين إلى الطور كمرحلة أولى ثم الغرب . . وتم التنفيذ والحمد لله .

وبالطبع . . يصعب عليّ التعليق على ما حدث ، وسأترك للقارئ استنتاج كل عوامل الهزيمة من هذا المثل وحده ، وله أن يحكم ويتفهم الموقف . غير أن هناك موضوعًا واحدًا يجب تأكيده ، وهو أن العملية كانت مظاهرة عسكرية دعائية ، وثبت هذا عندما أرسلوا لنا بعثة الإعلام الكبرى من إذاعة وتليفزيون وسينما لتصوير عملية تحرك قوات بحرية تحمل دبابات ومشاة ، لإبرارها في منطقة شمال شرم الشيخ وكان هذا حقًا مدعاة للعجب !!

ثم تبقى كلمة عما اتَّصفت به تلك الجولات الثلاث سالفة الذكر من سمات رئيسية على نحو ما توضحه القائمة التالية :

السمات الرئيسية لثلاث جولات عربية إسرائيلية
ديسمبر ١٩٤٧ - يونيو ١٩٦٧

العرب	إسرائيل والصهيونية العالمية
١ - غياب الغرض النهائى والإختلاف على الأهداف المرحلية التى يكون الهدف الأقصى من الجولة التالية هو إستعادة بعض خسائر الجولة السابقة .	وضوح الغرض النهائى (الهيمنة على المنطقة وفرض السلام الإسرائيلى عليها) ، مع تحقيق الأهداف المرحلية « باستراتيجية القضمات » « الخرشوفية » فى جولات متتالية بحيث يكون الهدف الأقصى للجولة السابقة هو الأدنى للتالية .
٢ - ضعف ، وأحيانًا أنعدام التنسيق بين القيادتين السياسية والعسكرية .	الإندماج الكامل بين القيادتين السياسية والعسكرية فى الدولة .
٣ - غموض مذهب الحرب ، وعدم ملاءمة التطبيقات الميدانية لظروف حرب الصحراء .	صك مذهب حرب ينسجم مع إمكانيات الدولة وطبيعة المسرح
٤ - إهمال استراتيجية العمل من خطوط خارجية فى وقت واحد لشغل العدو على كافة الجبهات .	الالتزام باستراتيجية العمل من خطوط داخلية لهزيمة الأعداء الواحد تلو الآخر .
٥ - تعبئة جزئية ضئيلة تظل معبَّأة لمدد طويلة دون داع - قبل وبعد الجولات .	تعبئة الدولة للحرب فى آخر لحظة ممكنة ثم فك التعبئة بأسرع ما يمكن بعد إنتهاء الجولة
٦ - إعداد جزئى للمسرح وقلب الدولة .	إعداد وتجهيز للمسرح وكل الدولة
٧ - قلَّة المعلومات عن العدو ، وعدم صحة بعضها .	دقة المعلومات عن العدو ومتابعتها أولاً بأول .
٨ - الإنزلاق إلى القتال فى ظروف دولية ومحلية غير مناسبة مع تخطيط متعجِّل مبنى على معلومات غير دقيقة ، وعدم تدريب القوات مسبقا على المهام الموكلة إليها قبل الزج بها فى القتال .	إنتهار أفضل الظروف العالميَّة والمحليَّة لشن الجولات ، ووضع خطط مسبقة التجهيز بناءً على معلومات دقيقة وظازجة ، وتدريب مكثف ومتواصل على المهام الموضوعة .
٩ - التنازل عن المبادأة والوقوع فى القتال دون غطاء جوى .	الإصرار على إنتزاع المبادأة ، والحصول على السيطرة - وأحيانا السيادة الجوية

تابع السمات الرئيسية لثلاث جولات عربية إسرائيلية
ديسمبر ١٩٤٧ - يونيو ١٩٦٧

العرب	إسرائيل والصهيونية العالمية
١٠ - الحصول على ما هو متيسِّر من السلاح حتى ولو لم يناسب طبيعة المسرح أو شكل التكتيك المعتمد .	تدبير أحدث وأنسب الأسلحة والمعدات التى تناسب المهام المرسومة فى خطط مسبقة التجهيز .
١١ - الاعتماد على حلفاء يهمهم ألاَّ يحقق العرب نصراً كبيراً حتى لا تنتفى حاجتهم إليهم .	الاعتماد على حليف يعتبر نصر إسرائيل ضمانة أكيدة لزيادة نفوذه فى المنطقة .
١٢ - جسور إمداد من الخارج تهدف إلى وقف الإنهيار التام فى المسرح وليس تحسين موقف القتال .	جسور الإمداد تحرص على ألاَّ ينهزم السلاح الأمريكى فى المسرح وأن يتحقق النصر بأسرع وقتل وأقل تكلفة .
١٣ - إهمال دراسة الجولات السابقة لاستنباط الخبرة واكتساب المهارة من الدروس المستفادة ومعالجة نقط الضعف ومضاعفة نقط القوة .	الاهتمام الزائد بدراسة الجولات ومحاسبة المخطئ ودفع من أبدى كفاءة ميدانية عالية لتولى القيادات الأعلى فى الجولات القادمة ، وتطوير الخطط والتسليح ومذهب الحرب من واقع الخبرات المستنبطة من الجولات السابقة .
١٤ - حجب المراجع وتعطيل الإصدارات التى تعالج الجولات (٧٥ مرجع) .	تنشيط حركة النشر والإصدارات بمختلف لغات العالم عن الجولات السابقة (١٦٣٢ مرجع) علاوة على الأفلام التسجيلية والدعائية الكثيرة .

٥- تقييم فترة حرب السنوات الثلاث :

١٩٦٧ - ١٩٧٠

بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ . . بادرت القيادة المصرية إلى تحليل الطريقة التي يمكن للقوات المسلحة المصرية أن تتغلب بها على التفوق الإسرائيلي ، وعلى جدار الخوف الذي زرعته حروب ٤٨ ، ٥٦ ، ٥ يونيو ٦٧ في نفوس الجنود المصريين ، فبدأت باختيار قادة التشكيلات

والوحدات الأكفأ علـى جميع المستويات ، وتشكـيل الوحدات على أسس علميـة سليمة ، وبدأ الإعداد العملي للقوات بالتدريب الجيد والتسلـيح مع استكمال التشكيلات والوحدات ، وتعديل الأوضاع الدفاعية علـى طول الجبهة ، وسحب وحدات من مسرح عمليـات اليمن إلى الوطن ، وإعادة تنظيمها وتسليحها وتدريبها ، وتحويل عقيدة الريال إلى عقيدة قتال إيمانية صادقة . .

وتكامل تخطيط عملية تحطيم جدار الخوف ، ونقله إلى الناحية الأخرى من التل بعد دراسة الطرق والوسائـل لقتال العدو الإسرائيـلي ، تحت ظروف لا يستطيـعون فيها استخدام تـفوقهم الجوي أو مدرعاتـهم ، وإنزال أكبر خسـائر ممكنة في أرواح جـنود قوات الدفاع الإسرائـيلي ، ونجحت الخطة منذ أول اشتباك متكافئ وجهًا لوجه بين القوات الإسرائيلية وعناصر من الصاعقة المصريـة ، منعت القوات الإسـرائيلية من الـوصول إلى بور فؤاد شمـالاً ، وأوقفتها علـى بعد حوالي ١١ كيـلومترًا جنوبها حتـى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث تم تدميرهم والاسـتيلاء على حصونهم بها . . .

وتمت هذه العملية بنجاح يوم أول يولـيو ١٩٦٧ ؛ أي قبل مرور شهر على عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وكذلك نجحت القوات الجويـة والقوات البحرية المصرية في عمليـاتها المخططة أيضًا ، وتطورت اشتبـاكات المدفعية إلى اشتباكـات بالقوات العابرة شرقًا ، والحصـول على أسرى من جنود العـدو ووثائقه وأسلحة ومعـدات . . وتحولت إلى حرب استنزاف وإرهـاق كان من أهم نتائجها :

- الحصول على معلومات كثيرة ومؤكدة عن العدو الإسرائيلي ، ولم تكن متوفِّرة قبل ذلك .
- جعلت الحياة في الضفة الشرقية من القناة وفي خط بارليف جحيما لا يطاق .
- تحطيم جدار الخوف ونقله إلى العدو الإسرائيلي .
- بث الروح الهجومية في القوات المصرية .
- التدريب العمـلي الواقعي وبالذخيرة الحـية على عبور قناة السويس ، واقـتحام حصون خط بارليف .
- تساقطت الطائرات الإسرائيلية ، وأسر الطيارون الإسرائيليون لأول مرة بعد ثلاث حروب .
- إقامة حائط الصواريخ المصري ، وهو العدو اللدود للقوات الجوية الإسرائيلية .
- اضطرت أمريكا في عام ١٩٧٠ إلى تقديم مبادرتها لإيقاف القتال في ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

وإذا أردنا أن نقّيم حرب الاستنزاف التقييم الحقيقـي . . فعلينا أن نحلل المزايا التى وفّرتها للقوات المصرية ، وأهمها ما يلي :

- إعادة روح القـتال والهجوم إلـى المقاتل المصري ، مـع الصبر والصـمود والشجاعـة عنوان الإنسان المؤمن الصادق ، ذى العقيدة الثابته القوية .
- اختبار العديد من أسلحتنا في القتال وجهًا لوجه مع العدو الإسرائيلي .
- كانت حرب الاسـتنزاف أحسن وسيلـة للدفاع ، رغم ما تحملـنا فيها من خسـائر في الأفراد والمعدات .
- اضطرت إسـرائيل إلى إقامة تحـصينات واستحـكامات خط بارليـف تحت الأرض ، ووضع قوات احـتياطيــة مدرعة للدفاع القلق ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾

[سورة الحشر ١٤]

وبدأ الشعب الإسرائيلي أيضًا يقاسى من حـرب الاستنزاف ؛ خاصة من كثرة الخسائر فى القتـلى والجرحى وذوي العـاهات من قوات الدفاع الإسـرائيلية ، ومـن تخلخل الاقـتصاد الإسرائيلي وتوقف معظم دولاب الحياة في دولة إسرائيل . .

- وكان من مزايا حرب الاشـتنزاف أن شكلّت وحدات مقاتلة مستقـلة ، وجهّزت قوات الدفاع الشعبـي والعسكري ، ودرّب الـطلبة والعمـال علـى القـتال ؛ دفاعًا عـن الوطـن وعـن النفس . . وتم فعـلاً لهذه العناصر في المدارس والجـامعات والمعاهد ، والمصانع الـتطعيم الفعلي للمعركة ، وهو رصيد اكتسبناه في إعداد القوى ورباط الخيل .

أمًا عيـوب حرب الاستنـزاف فهو كثـرة خسائرنـا فـي الأفراد والمـعدات ، وتعثّر فـترات التدريب ، وارتبـاك خطط الإعــداد للـقتال ، كما كان لها أثر كـبير على الجبهة الـداخلية في مصر ، وكان لها كذلك تأثير في العالم الخارجي خـاصة ما نسجته إسرائيل من قصص خيالية عن تعرّض مصر وعمقها .

٦- فترة الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة والحرب والسلام:

بعد فـترة إيقاف الـنيران فـــي ٨ أغسطـس ١٩٧٠ ، ورحيل عبـد الناصر وبـدء عصر السادات . . قــررت القيادة الجديدة منــذ أكتوبر ١٩٧٠ ، أن تركّز محاور العمل المصري فـــي ثلاث نقاط رئيسية :

١- الصمود .

٢- التعاون مع الاتحاد السوفيتي .

٣- تهديد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط .

وفي أول اجتماع للقيادة الجديدة بالقادة . . نوقشت مشكلة حرب الاستنزاف وتعارضها مع إعداد القوى والتدريب ، ورفع كفاءة التجهيز الهندسي ، والكفاءة القتالية للقوات . وكان قائد الجيش الثاني والثالث الميدانيين من أنصار عدم بدء حرب الاستنزاف مباشرة ولكن بعد فترة نحو شهرين ، قد تمتد إلى ثلاثة أشهر أو أكثر ، حسب استكمال قدرة القوات الجوية المصرية وقوات الدفاع الجوي ، وإمكانياتها في حماية التجميع الرئيسي للقوات المسلّحة ، ومعاونة العمليات المحدودة شرقًا . .

وكانت إسرائيل قد اتخذت الدفاع الوقائي منذ أغسطس ١٩٧٠ ، وبنت استراتيجيتها على أساس التفوق الجوي، وللاستفادة بمزايا خطوط وقف إطلاق النيران . .

وقد بدأت القوات المسلحة المصرية في طريق التخطيط السليم ، وتناسب حجم القوات المسلحة مع حجم المهمة وتحقيق الهدف الإستراتيجي ، وهو إزالة آثار العدوان وتحرير أرضنا - بصرف النظر عن التعاون بين الجيوش العربية إن لم يتم - وبنى تنظيم القوات المسلحة على أساس علمي مع تطوير أساليب القيادة والسيطرة ، التي اعتمدت على خبرة الحرب وخبرة القتال .

ومع مطلع عام ١٩٧١ وهو ما سماه الرئيس السادات عام الحسم - كانت مصر قد كسبت معركة إغارات العمق بفضل المعاونة السوفيتية في توفير الأسلحة والطائرات لحماية عمق مصر ، وبدأت الأمور تسير حسب خطة متكاملة شملت أفرع القوات المسلحة جميعها ، ولكن ما زالت الحاجة ماسة إلى الاستطلاع التعبوي على مواجة القتال وفي العمق شرقًا حتى المضايق ، ولم تصل للجيوش صور جوية ، توضح أماكن مرابض مدفعية العدو ومدرعاته في العمق القريب .

ولم تستكمل القدرة الدفاعية عن الدولة بالكامل، خاصة منطقة البحر الأحمر وبعض المناطق الأخرى انتظارً الوصول الدعم السوفييتي ، كما أن الناحية العملية في العمليات المشتركة وهي أساس المعركة المنتظرة لم تصل إلى درجة الواقعية .

والتزمت القوات المسلحة المصرية بتوقيتات استكمال وإتقان عملياتها ، ولكن الشعور العام وحسب موقف القائد السياسي والقائد الأعلى للقوات المسلحة كان يوحي بالجنوح نحو الطريق

السلميّ بعض الشيء ، أو القيام بعمليات محدودة صغيرة ، تحقق التحدي وتغير الموقف وتفتح الطريق إلى الحل السلمي بعد تحقيق نجاح محدود . ولقد أشار الرئيس السادات يوم ١٧ مارس ١٩٧١ بأن معركتنا القادمة ١٠ ٪ عسكري والباقي سياسي .

وكان الموقف الداخلي خلال شهر مايو ١٩٧١ وما بعده يشعرنا بالاهتزاز وعدم الاطمئنان ، ووضح ذلك فعلاً في تعديلات مفاجأة تمت على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة وتغيير وزير الحربية والقائد العام ، وما سمي بثورة التصحيح ، وكانت بالطبع ذات تأثير كبير على القادة والقيادات والوحدات . ولقد صرح وزير الحربية الجديد في ٥ يوليو ١٩٧١ أنه مطلوب تقدير مصري فقط ، يوضح موقف مصر . هل نقوم بعملية واحدة على طول المواجهة ، أم عملية بكل جيش ، أم عدة عمليات صغيرة ؟ . .

وما هي تصرفات العدو المنتظرة ؟

وتصرفات أمريكا وروسيا ؟

وهل نبدأ القتال البسيط أم على مدى كبير ؟

هل في مكان محدود . . أو في كل مكان . . وهل في مصلحتنا إشعال القتال أم لا ؟

وما هي إمكانيات الضابط والجندي وما معنا من سلاح ؟

وزادت نحن القادة حيرتنا ، ونحن نقترب من نهاية عام الحسم !!

وفي أوائل عام ١٩٧٢ - الذي سمي بعام إعداد القوى - بدأت بوادر فقد الثقة بين وزير الحربية والقيادة السوفيتية وثارت إشاعات وبلبلة كثيرة ، قال عنها الفريق أول صادق وزير الحربية والقائد العام : « يقول لنا الروس لماذا لم تحاربوا عام ١٩٧١ ؟ وكان عندنا أكثر من ١٨ خطة لتحرير الوطن ، وطلبنا من الروس أقل القليل من الأسلحة والمعدات ووعدوا ولم ينفذوا !! »

وبالطبع وصلت هذه البلبلة إلى القادة الأصاغر في الوحدات ، وسمعها المستشارون السوفييت الموجودون في كل الوحدات ، وبدأ الصراع الخفي والعلني واهتزت الثقة .

وانتهى عام ١٩٧٢ بتغييرات كبيرة في القيادة العليا وقيادات القوات المسلحة ، بعد أن تم إنهاء مهمة المستشارين والخبراء السوفييت في ١٧ يوليو ١٩٧٢ . . . كما انتهت بتقييم الرئيس السادات للموقف قائلاً : (يجب أن نحرِّك روسيا لتعطي

وأمريكا لتحل

وإلا ففى عام ١٩٧٣ ستنتهي القضية بالكامل وستنتهي الثقة في شعبنا . .)

وجاء وزير الحربية والقائد العام الجديد بقرار واضح في ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ ، يحدد توجيهات القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الجمهورية قائلاً :

الاقتناع لا حل سياسي ولا مفر من الحرب

ولابد من معركة لإخراج العدو

أما شكل المعركة ونوعها فيتوقف على توافق هذه المعركة مع الموقف السياسي

، وتدمير العدو أمامنا حسب قدراتنا

وإذا شعر العدو بتفوقنا قد يستسلم ويقبل الحل السياسى ،

ولكن ليس من مصلحتنا ذلك الحل السياسى ويجب أن نأخذ بالثأر

هذه السياسة أيضًا وهذه التصريحات كانت غير مقنعة لنا كقادة ، فرئيس الجمهورية يعلن استغلال الطريق السلمي إلى أقصى الحدود أو القيام بعملية صغيرة ١٠ ٪ عسكري فقط ، ثم يقول أنه يريد روسيا أن تعطي وأمريكا ، أن تحل وهنا مربط الفرس وسبب الحيرة . . .

هل سيكون تخطيطنا الجديد للحرب المحدودة ١٠ ٪ فقط ، أم ١٠ سم شرقًا فقط ، كما أمر القائد الأعلى أو تمنى . وعمومًا . . فمن وجهة النظر العسكرية السليمة لا يحقق هذا الهدف النهائي ، الذي كان يمكن أن يبني على استراتيجية واضحة بالوصول إلى خط المضايق كمرحلة أولى ثم نتوقف حتى الوقت الذي نستطيع فيه استكمال التحرير . .

وجاء عام الحرب ١٩٧٣ ، ودارت عجلة الإعداد للقتال والتدريب مع الاستكمال والتحركات إلى رباط الخيل ، التي تحقق قواعد قوية للانطلاق شرقًا . والحقيقة أنه يصعب على أي محلل عسكري مقارنة هذه الإجراءات ، مع ما سبقها من إجراءات في الجولات العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ أو ١٩٥٦ أو ١٩٦٧ ؛ لأنها كلها إجراءات كانت تتم في الماضي على غير هدى أو أساس أو جديّة . ولقد عشناها وعاشها معنا أجيال الشيوخ من قادتنا العظام ، الذين شعروا حقًا بقيمة الإعداد للقوة ورباط الخيل ، الذي يتم على أسس علمية سليمة ، وحسب إمكانياتنا .

واعتمدنا بعد الله سبحانه وتعالى على أنفسنا وقدرتنا الذاتية ، وعلى رجال أثبتوا فعلاً أنهم أشرف الرجال الذين قاتلوا نحو أشرف القيادات تحت أشرف الأعلام وهنا لابد أن نثبت

بعلم اليقين وبعين اليقين وبحق اليقين في مرآة التقييم هذه المعجزة الخالدة في تاريخ مصر عامة والجندي المصري خاصة ... وللعرب والعالم اجمعين . .

فقد كان القادة على جميع المستويات - وفي مختلف ظروف المعارك - أقوياء أمناء وقدوة في التخطيط والتنفيذ ، والسيطرة على المعارك وإدارة الرجال والتصرف والمبادأة والشجاعة والوفاء والتضحية ، وكانت مصر دائمًا في كل خطواتهم أولا وقبل كل شيء . .

أما نداء الحق : الله أكبر ... الله أكبر .... فزلزل الأرض تحت أقدام الأعداء ، فابتلعت في باطنها أبناء صهيون المذعورين بنداء الحق والإيمان والعقيدة الصادقة المخلصة . . وكان الجميع على علم بالعدو ... درسوا عاداته وتقاليده وأعماله وتصرفاته ، وفهموا تحركاته ومبادراته ، ونزلوا عليهم من حيث لم يحتسبوا ، فقذف الله في قلوبهم الرعب والذعر ، وبدأوا يخربون حصونهم بأيديهم وأيدي جنود الحق . .

جاءوا عليهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ومن أمامهم ، ومن خلفهم ، وأخرجوهم من حصونهم وأعاد الله لهم أرضهم وديارهم ، وأراضٍ اغتصبها العدو منهم بالمكر والخداع ، ولم ينسوا أبدًا النظام والطاعة وأدب الحرب عن يقين .

وزاد الله المؤمنين إيمانًا وسجدوا لله شكرًا أن نصرهم على عدوهم اللعين ... وكان ذلك حصاد الإعداد الجيد الواقعي والتدريب المستمر بعقيدة إيمانية صادقة وليس لنا إلا أن ننظر في مرآة التقييم ، ونقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ . [سورة الحشر ٢]

رقم الإيداع ٩٥/ ٥١٩٢

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨